

الحركة الإسلامية الإرترية ودورها السياسي في إرتريا:

الحزب الإسلامي الإرترى للعدالة والتنمية نموذجاً

إدريس أبو بكر إبراهيم

أكاديمية الدراسات الإسلامية

جامعة ملأيا

كوالالمبور

2016

الحركة الإسلامية الإرترية ودورها السياسي في إرتريا:

الحزب الإسلامي الإرتري للعدالة والتنمية نموذجاً

بحث مقدم لنيل شهادة الدكتوراه في السياسة الشرعية

إدريس أبو بكر إبراهيم

قسم السياسة الشرعية

أكاديمية الدراسات الإسلامية

جامعة ملأيا

كوالالمبور

2016

إهداء

إلى روح والدي الذي اهتم بتعليمي وتشجيعي على العلم والذي
انتقل إلى جوار ربه راضياً مرضياً.

وإلى والدتي التي أرضعتني حب الخير وصبرت على بعدي، وهي
تنير لي الدرب بدعائها، حفظها الله ورعاها ومتعتها بالصحة والعافية.

وإلى رفيقة دربي وسر سعادتي زوجتي خديجة محمد نور وإلى قرة
عيني أولادي إسراء وفايد ونيسر وإلى منبع الصفاء أشقائي وشقيقاتي
وإلى جميع أفراد أسرتي.

وإلى جيل التحدي الذين يقبعون في سجون الظلم في إرتريا من
معلمي وزملاء دراستي وسجناء الرأي والضمير إليكم أهدي جميعاً هذا
الجهود.

شكر وعرفان

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على أشرف خلقه سيدنا محمد عليه الصلاة وأزكى التسليم وبعد، لا يسع الباحث إلا أن يشكر لكل الذين ساهموا في إخراج هذا البحث بهذا الشكل، وأخص بالشكر في هذا المقام الدكتور "لقمان الطيّب" والدكتور "بحر الدين جئ فاء" اللذين تفضلاً بالإشراف على هذه الدراسة وكان نصحبهما وتوجيهاتهما خير معين فجزاهما ربى خيراً. كما أتقدم بالشكر للحزب الإسلامي الإرتري للعدالة والتنمية الذي سهل لي المقابلات مع كواده وأمدني بالوثائق المطلوبة للبحث كما لا يفوتني أن أشكر القائمين على مركز دراسات القرن الأفريقي الذين أمدوني ببعض الوثائق والدراسات المهمة في هذا الموضوع.

والشكر أيضاً موصول لكل من الأستاذ على محمد محمود والأستاذ عبدالله إسماعيل والأستاذ على عمر كيكيا والأستاذ إدريس الشيخ حامد والأستاذ عبد الرحمن حراط والأستاذ عبد الرحمن مرانت والأستاذ محمد إدريس إبراهيم "قنادله" والأستاذ أحمدين صالح والدكتور مكنون جمال الدين الشامي والدكتور عبد الحميد محمد على زرؤم والدكتور محمد إبراهيم نقاسى والدكتور محمود محمد على والدكتور عمر عبده زراي والدكتور محمد أحمد شبيلاي والأستاذ برهان جابر والأستاذ عبدالقادر نائب والأستاذ عبده عثمان والأستاذ عبدالحفيظ آدم والأستاذ رمضان كاكاوي والأستاذ محمد صالح إبراهيم والأستاذ إدريس يس. فلهم مني جميعاً جزيل الشكر والثناء لإسهاماتهم البالغة في انجاز هذا البحث.

ملخص الدراسة

إنّ هذه الدراسة تناولت قضايا انتشار الإسلام في المنطقة الحبشية بشكل عام وإرتريا على وجه الخصوص كما تناولت دور المسلمين الإرتريين في الحركة الوطنية الإرترية في إطارها العام وذلك تأصيلاً لموضوع البحث؛ وهو الحركة الإسلامية الإرترية "الحزب الإسلامي الإرتري للعدالة والتنمية" حالياً والذي تناولت الدراسة بالتفصيل: نشأته، وتطوّره، وإسهاماته الثقافية، والتنظيمية، والسياسية في الواقع الإرتري، وما صاحب مسيرته من إخفاقات لأسباب ذاتية وأخرى موضوعية. وقد تمّ تناول تلك التطوّرات في سياق التسلسل الزمني والموضوعي، حيث مهدت الدراسة للموضوع بفصل عام توضح فيه الإطار العام الذي ستسير عليه، ومن بعده تناولت الدراسة تاريخ انتشار الإسلام في الحبشة (إرتريا - إثيوبيا) ومحطاته الرئيسية التي شكلت التسلسل التاريخي للإسلام في هذه المنطقة بصورة مختصرة. كما تناولت الدراسة دور المسلمين في الحركة الوطنية الإرترية التي خاضت نضالاً سياسياً وقاتلياً متكاملًا إلى أن نالت إرتريا استقلالها عام 1993م. وقد تتبعت الدراسة بالتركيز بداية تغلغل فكر مدرسة الإخوان المسلمين في إرتريا، برصد العناصر التي تأثرت بها في خمسينات القرن الماضي، ثم العمل المنظم للإخوان في إرتريا في العقد السابع من القرن الماضي، ثم إعلان منظمة الرواد المسلمين الإرترية في العقد الثامن من القرن الماضي، وما شهدته من تطورات سياسية وتنظيمية. وفي نفس المسار ناقشت الدراسة توحيد القوى الإسلامية الإرترية وإعلان حركة

الجهاد الإسلامي الإرثري عام 1988م وما حققته من مكاسب في المجالات الجماهيرية والسياسية والتنظيمية، وما لازمها من أزمات داخلية والتي أدت في النهاية إلى انقسامها إلى جناحين: جناح إخواني وآخر سلفي عام 1993م. وما شهده التيار الإسلامي من تطورات وتحديات في الواقع الإرثري منذ ذلك التاريخ. وبناءً على المناقشات والتحليلات السابقة المترابطة زمنياً وموضوعاً في ستة فصول في سياق المنهج التاريخي التحليلي فقد خلصت الدراسة إلى نتائج وتوصيات.

ABSTRAK

Kajian ini adalah berkaitan isu penyebaran Islam di Habsyah secara amnya dan Eritrea secara khasnya disamping peranan orang-orang Islam Eritrea dalam gerakan kebangsaan dan ianya juga merupakan tajuk kajian iaitu Gerakan Islam Eritrea “Parti Islam Eritrea Untuk Keadilan Dan Pembangunan” pada masa kini. Kajian ini juga merangkumi secara terperinci mengenai penubuhan dan perkembangan parti ini serta sumbangannya dari sudut kebudayaan, organisasi dan juga badan politik di Eritrea serta menyentuh aspek kegagalan yang pernah mereka tempuhi dan kesemuanya ini disusun dalam satu bab mengikut turutan masa dan juga topic. Kemudian kajian ini menyentuh secara ringkas sejarah penyebaran Islam di Habsyah (Eritrea – Etopia) yang membentuk rangkaian sejarah Islam di kawasan tersebut. Kajian ini juga menyentuh aspek peranan masyarakat Islam dalam gerakan kebangsaan Eritrea yang telah mengharungi perjuangan politikya sehingga tercapainya kemerdekaan Eritrea pada tahun 1993. Kemudian kajian ini juga menyentuh tentang mula masuknya ideologi aliran Ikhwan al Muslimin pada era 1950 an di Eritrea serta menyenaraikan elemen-elemen yang membawa perubahan kepada mereka. Kemudian diikuti dengan pembentukan parti oleh Ikhwan al Muslimin pada era 1970 an, penubuhan “Pertubuhan Perintis Eritrea” dalam era 1980 an. Dalam masa yang sama kajian ini juga membincangkan mengenai penyatuan Angkatan Islam Eritrea dan melancarkan gerakan Jihad Islam Eritrea pada tahun 1988, serta menyentuh perkara-perkara yang diperolehi hasil daripada gerakan jihad tersebut kepada system demokrasi, politik dan juga badan pertubuhan disamping membincangkan mengenai krisis-krisis dalaman yang akhirnya membawa kepada perpecahan dua puak iaitu puak “Ikhwan Muslimin” dan juga puak

“Salafi”.Berdasarkan perbincangan dan kajian terdahulu saya akhiri kajian ini dengan membentangkan hasil kajian dan mengemukakan beberapa cadangan.

University of Malaya

ABSTRACT

This study gives a brief background about the spread of Islam in the Abyssinian region in general and in Eritrea in particular, as well as it explores the role and contributions of the Eritrean Muslims in the Eritrean national movement struggle up to the independence day in 1993. The study discusses and analyses the history of the Eritrean Islamic movement in depth, starting from The initial influence which commenced during the 1950s and 1960s in which some well-known Eritrean figures were influenced by the Egyptian Muslim Brotherhood's (MB) ideology, followed by formations of cells within the Eritrean society in the first half of the 1970s. The time of the Muslim pioneers organisation in the 1980s, The establishment of the Eritrean Islamic Jihad movement which sprang from the conference of unification of the Eritrean Islamist groups in November 1988 coupled with its political and organisational developments in the Eritrean arena. Equally, the study exposes the challenges and setbacks of the organisation. One of its obvious setbacks was the internal division in 1993 which led to two factions (Muslim brotherhood and Salafi group). Since then, the Islamist factions in Eritrea continued to gain ground but also faced obstacles. This study adopted historical and analytical methods in order to recognise the multi-dimensional nature of the issue. The study has been divided into six chapters, including the introductory and the conclusion chapters which contain the research findings and recommendations.

الفهرس

أ	إقرار
ب	إهداء
ج	شكر وعرفان
د	ملخص الدراسة باللغة العربية
و	ملخص الدراسة باللغة الماليزية
ح	ملخص الدراسة باللغة الإنجليزية
ط	الفهرس
1	الفصل الأول: تمهيد
2	مقدمة
8	مشكلة البحث
8	أسئلة البحث
9	أهداف البحث
9	أهمية البحث
10	منهجية البحث
11	حدود البحث
11	الدراسات السابقة

25	الفصل الثاني : انتشار الإسلام في الحبشة (إثيوبيا-إرتريا)
26	المبحث الأول: علاقة الحبشة بالجزيرة العربية قبل الإسلام
38	المبحث الثاني: علاقة الحبشة بالإسلام
55	المبحث الثالث: الصراع العنيف بين أحمد قورانج وملوك الحبشة في القرن السادس عشر
69	المبحث الرابع: تطورات الإسلام في إرتريا
81	المبحث الخامس: الإسلام في ظل التنافس البرتغالي التركي في البحر الأحمر
95	المبحث السادس: الإسلام في إرتريا في حقبة الاستعمارات الثلاث (الإيطالي والبريطاني والإثيوبي)
108	خاتمة الفصل الثاني
112	الفصل الثالث: دور المسلمين في الحركة الوطنية الإرترية
113	المبحث الأول: النضالات السياسية في مرحلة تقرير المصير
127	المبحث الثاني: موقف الحلفاء من قضية إرتريا
136	المبحث الثالث: ميلاد حركة تحرير إرتريا
145	المبحث الرابع: جبهة التحرير الإرترية
163	المبحث الخامس: عوامل هزيمة جبهة التحرير الإرترية
174	المبحث السادس: بروز الجبهة الشعبية لتحرير إرتريا في الساحة الإرترية

الفصل الرابع: جذور الحركة الإسلامية الإرترية

المبحث الأول: بوادر ظهور الحركة الإسلامية الإرترية

المبحث الثاني: دور العناصر الإسلامية في التجمع الوطني الديمقراطي

المبحث الثالث: بداية العمل المنظم للإخوان المسلمين في إرتريا

المبحث الرابع: منظمة الرواد المسلمين الإرترية

المبحث الخامس: حوارات القوى الإسلامية من أجل التوحيد

المبحث السادس: الأحداث التي سبقت ظهور حركة الجهاد

خاتمة الفصل الرابع

الفصل الخامس: حركة الجهاد الإسلامي الإرتري

المبحث الأول: حركة الجهاد الإسلامي الإرتري النشأة والتطور

المبحث الثاني: حركة الجهاد والتصديعات الداخلية

المبحث الثالث: المؤتمر الثالث لحركة الجهاد وتغيير اسمها إلى حركة الخلاص

المبحث الرابع: المؤتمر الرابع من الخلاص إلى الحزب الإسلامي

المبحث الخامس: المنظمات الجماهيرية للحزب الإسلامي الإرتري

المبحث السادس: موقف الحزب الإسلامي من قضايا هامة في إرتريا

341	خاتمة الفصل الخامس
342	الفصل السادس: الخاتمة ، النتائج والتوصيات
343	نتائج الدراسة
351	التوصيات والمقترحات
355	قائمة المصادر والمراجع

University of Malaysia

الفصل الأول

تمهيد

University of Malaya

مقدمة

الحديث عن أيّ حركة سياسية تنشط داخل أي مجتمع يستدعي إلقاء نظرة عامة حول الحقائق الأساسية لذلك المجتمع لمعرفة السياقات المتحكمة على تلك الحركة السياسية. ولذلك سوف يتناول الباحث بصورة موجزة أهم الملامح الأساسية لإرتريا لما لها من تأثيرات واضحة في مسارات العملية السياسية في تاريخ إرتريا المعاصر، وهذه الأساسيات يمكن إجمالها في الأمور الآتية:

أهمية الموقع الجغرافي، المساحة، السكان، الديانات، تاريخ صراعات القوى الكبرى عليها:

تقع إرتريا في الشمال الشرقي في قارة إفريقيا على الشاطئ الغربي للبحر الأحمر، وهي تقع بين خطي عرض 15-18 درجة شمالا وبين خطي طول 36-43 درجة شرقا، يحدها من الشمال والغرب السودان ومن الجنوب إثيوبيا ومن ناحية الجنوب الشرقي جيبوتي ومن الشرق البحر الأحمر، تبلغ مساحتها 124.320 كلم مربع¹. ويزيد طول ساحلها في البحر الأحمر عن ألف كلم ولها 126 جزيرة، أكبرها جزيرة دهلك. وتنقسم إرتريا جغرافيا إلى الأراضي المرتفعة والمنخفضة والسهل الساحلي².

أمّا عن تعداد سكان إرتريا فلا يعرف حتى الآن على وجه الدقة لعدم وجود إحصائيات علمية حديثة، إلا أنّ التقديرات الأولية تشير إلى أنّ سكان إرتريا يبلغ حوالي خمسة ملايين نسمة على وجه

¹ سي، عثمان صالح، جغرافية إرتريا، بيروت: دار الكنوز الأدبية، (1983)، ص 19

² إيلوس، محمود عثمان، إرتريا ومشكلة الوحدة الوطنية في حقبة الكفاح المسلح 1961—1991، (الخرطوم: شركة المطابع السودانية للعمليات المحدودة، 2003)، ص 29-30

التقريب ولقد اختلف في نسبة المسلمين فالمسلمون يقولون هم الأكثرية بينما تقول الحكومة أن نسبة المسلمين والمسيحيين متساوية نسبة كل منهما 50% من السكان.

أما من الناحية الاجتماعية فينقسم الشعب الإرتري إلى تسعة مجموعات لغوية يتنوع فيها العرق وهي: التجري، والتجنية، والعفر، والساهو، والبلين، والحدارب، والباريا، والكناما إضافة إلى قبيلة الرشايدة العربية.

فالتجري والتجنية هما لغتان ساميتا الأصل. أمّا العفر والساهو والبلين والحدارب فهي من عائلات اللغات الحامية. أمّا الباريا والكناما فهما من اللغات النيلية¹.

وأمّا الرشايدة فهي قبيلة عربية تتحدث اللغة العربية كلغة الأم وهي آخر قبيلة هاجرت إلى إرتريا في العصر الحديث من الجزيرة العربية².

أهمية الموقع

ولأهمية موقع إرتريا الاستراتيجي وامتلاكها ساحلاً طويلاً على البحر الأحمر، ولقربها المكافئ لمضيق باب المندب جعلها عرضة لأطماع القوى الكبرى على مر العصور، ابتداءً من الفرس والروم في العصر القديم، والبرتغاليين ثم النفوذ التركي من 1520-1890م ثم الاستعمار الإيطالي 1890-1941م فالبريطاني

¹ سي، عثمان صالح ، تاريخ إرتري، (بيروت: دار الكنوز الأدبية ، 1984) ، ص 95

² راجع للمزيد في تركيبة المجتمع إرتري. س. ف. نايدل. التركيب السكاني في إرتريا العناصر والقبائل. ترجمة جوزيف الصغير. (بيروت: دار المسرة، 1977). و تركي، حامد صالح. إرتريا والتحديات المصرية : دراسة وثائقية في الشعب الإرتري وكفاحه المسلح، (بيروت: دار الكنوز الأدبية، 1979).

1941-1952م والمرحلة الفيدرالية مع إثيوبيا 1952-1962م الاستعمار الإثيوبي 1962-

1991م¹. واستقلت إرتريا عام 1993 م بعد ثلاثين عاما من الكفاح المسلح ضد إثيوبيا.

بعد إعطاء هذه الخلفية الموجزة للملامح الأساسية للواقع الإرتري بقي أن يشير الباحث إلى أنّ

المجتمع الإرتري يتكون من مسلمين ومسيحيين كما سبق الإشارة إليه، إلا أنّ مجال هذه الدراسة سيكون

مختصراً في الاتجاه الإخواني من الحركة الإسلامية الإرترية، الحزب الإسلامي الإرتري للعدالة والتنمية حالياً،

وذلك بعد إعطاء خلفية مبسطة للنضالات السياسية لمرحلة أربعينات وخمسينات القرن الماضي والكفاح

المسلح حتى استقلال إرتريا عام 1993م.

المجتمع المسلم في إرتريا:

يتكون المجتمع المسلم في إرتريا من نسيج غير متجانس عرقياً، ولغوياً وجغرافياً. هذ النسيج جاء من

خلفيات عرقية مختلفة، ويتحدث لغات عدة، ويعيش في مناطق جغرافية متباعدة، وحتى اعتناقه للإسلام

جاء في حقب متباينة، لكن تدريجياً انصهرت هذه المجموعات مع بعضها البعض وكونت هوية موحدة

وعملت لأهداف مشتركة. فأنشأت في أربعينات القرن الماضي، المؤسسات والمراكز الإسلامية في مختلف

المجالات، كالجمعيات الدينية والمؤسسات التعليمية والقانونية والمؤسسات الثقافية والجمعيات الأخرى في

جميع أنحاء إرتريا مما ساهم في دفع وازدهار حياة المجتمع المسلم، خصوصاً في المناطق الحضرية.

¹ سبي ، تاريخ إرتريا ، مصدر سابق ، ص 60. و زراي ، عمر " الموقف العربي من قضية إرتريا في فترة الكفاح المسلح 1961-1991 " بحث غير منشور قدم لنيل درجة الماجستير ، (جامعة إفريقيا العالمية ، السودان ، 2003). ص 26-27

وفي ديسمبر 1946م تداعت بعض الشخصيات البارزة من المسلمين إلى تأسيس الرابطة

الإسلامية ككيان سياسي ينادي باستقلال إرتريا، متخذاً الدين واللغة العربية ومفهوم الاستقلال من

الاستعمار عناصر مُوحدة لتلك التشكيلات المتنوعة. وقد لعب بعض أعضاء هذه الرابطة مثل مفتي الديار

الإرترية آنذاك (الشيخ) إبراهيم المختار وغيره دوراً هاماً في تعزيز دور الإسلام في الحياة العامة في إرتريا،

وتشكيل هوية المجتمع المسلم في إرتريا في الفترة ما بين 1940-1950م. لكن هذا التطور لم يدم طويلاً

بعد ربط إرتريا قسراً مع إثيوبيا فيدرالياً، عبر قرار الأمم المتحدة رقم A/V/390.¹ لأنّ الإمبراطور

الإثيوبي هيلاسيلاسي كانت له نظرة معادية للمسلمين الإثيوبيين منذ البداية وبالتالي دفع بنفس النهج

التمييزي ضد المسلمين في إرتريا، فتنامى هذا التمييز أكثر في النصف الثاني من عام 1950م ضد

المسلمين الإرتريين في جميع المجالات الاقتصادية والسياسية والتعليمية والوظيفية وغيرها.² وأدى هذا القهر

والقمع إلى اندلاع الثورة الإرترية بقيادة حامد إدريس عواتي تحت راية جبهة التحرير الإرترية ضد إثيوبيا،

إلى أن نالت إرتريا استقلالها من إثيوبيا في العام 1993م بعد 30 عاماً من الكفاح المسلح على يد

الجبهة الشعبية لتحرير إرتريا.

¹ ارجع للمزيد سي ، تاريخ إرتريا ، مصدر سابق. و تسفاي ، ألم سقد. لن نفترق نشوء الحركة السياسية في إرتريا 1941-1950. ترجمة سعيد عبد الحي ،(القاهرة : المجلس الأعلى للثقافة، 2007).

² Miran, Jonothan. "A Historical overview of Islam in Eritrea." *Des Welt des Islams* 45-2, 2005: 178-215. P.209

لكن جبهة التحرير الإرترية هي الأخرى واجهتها العديد من الصعوبات والنكسات في فترة

كفاحها المسلح ضد إثيوبيا. وهذه الانكسارات كثيرة جداً لكن أبرزها كان: ظهور حزب العمل داخل

جبهة التحرير الإرترية وانتهاكه لأبسط حقوق المقاتلين الذين وقفوا ضده وذلك بالزج بهم في غياهب

السجون بحجة وقوفهم ضد أيديولوجية الحزب الشيوعي.

وقد طالت تلك الانتهاكات لبعض الذين يحملون التوجهات الإسلامية أو توجهات أخرى غير

توجهات حزب العمل المسيطر. كما تتمثل النكسة الأخرى في الانقسامات الداخلية التي أدت إلى الحرب

الأهلية بين جبهة التحرير الإرترية والجبهة الشعبية لتحرير إرتريا والتي انتهت بإقصاء جبهة التحرير الإرترية

من الساحة مما تسبب في تفكيك جبهة التحرير الإرترية إلى عدة فصائل.

وبعد تفكك جبهة التحرير الإرترية قامت بعض القيادات الإسلامية التي تعرضت للسجن من

قبل حزب العمل في الساحة ومجموعات أخرى كانت تنشط في السودان والدول العربية الأخرى المتمثلة في

الحركة الإسلامية الإرترية بإنشاء منظمة الرواد الإسلامية الإرترية وأصبح لهذه المنظمة تدريجياً تأثير واضح في

معسكرات اللاجئين، وفي الطلاب، والعمال في السودان وفي دول الخليج العربي إلى أن توحدت مع

مجموعات أخرى في المؤتمر التوحيدي في شرق السودان والذي عقد في عام 1988م وقد تمخض عنه

ميلاد حركة الجهاد الإسلامي الإرتري التي أصدرت بيانها الأول في 30 نوفمبر عام 1988م¹.

¹ البيان الختامي للمؤتمر الأول لحركة الجهاد الإسلامي الإرتري الصادر بتاريخ 30-11-1988م.

وكانت المجموعات التي كوّنت حركة الجهاد الإسلامي الإرتري من المجموعات الإخوانية، والسلفية، ومن شخصيات مستقلة. وعملت هذه المجموعات معاً تحت راية "حركة الجهاد الإسلامي" لأربع سنوات ونيف، وبعدها تعرضت إلى انشقاق على أساس المذاهب الفكرية، فأصبح في الساحة الإرترية حركة "الجهاد الإسلامي الجناح السلفي" بقيادة محمد أحمد أبو سهيل والتي غيّرت اسمها لاحقاً إلى "حركة الإصلاح الإرتري"، و"حركة الجهاد الإسلامي الاتجاه الإخواني" بقيادة عرفة أحمد محمد وهذا الاتجاه أيضاً غيّر اسمه إلى حركة الخلاص الإسلامي، ثم إلى الحزب الإسلامي الإرتري للعدالة والتنمية فيما بعد.

وكما سبق الإشارة إليه فإن موضوع هذه الدراسة هو تطوّرات الاتجاه الإخواني ولا يشمل الاتجاه السلفي إلاّ ما اتصل منه بموضوع الدراسة. وإنّ الاتجاه الإخواني في إرتريا منذ ظهوره كحركة سياسية في سبعينات القرن الماضي عدل أو غيّر اسمه عدة مرات من الحركة الإسلامية الإرترية إلى منظمة الرواد المسلمين الإرترية بعد توحيد المجموعات عام 1982م ثم إلى حركة الجهاد الإسلامي الإرتري عام 1988م، فحركة الخلاص الإسلامي عام 1998م وأخيراً الحزب الإسلامي الإرتري للعدالة والتنمية عام 2004م.

وهذا التنظيم منذ ظهوره في عقد السبعينات من القرن الماضي تحت المسمّيات المختلفة أظهر قوة تنظيمية وسياسية ومسؤوليات اجتماعية، وكادر مقدر ومع ذلك لم يصل حتى الآن منفرداً أو متحالفاً إلى درجة من القوة التي تمكّنه من موازنة معادلة القوى في المشهد السياسي، أو إحداث التغيير فيه.

مشكلة البحث:

على الرغم من التاريخ الطويل لحركة الإخوان المسلمين في إرتريا والتي يمثلها اليوم الحزب الإسلامي الإرتري للعدالة والتنمية وما صاحبه من تطورات في البرامج والتغيير في الأسماء تمشياً مع متغيرات الواقع، وعلى الرغم ما يتمتع به من شعبية وسط قطاعات مقدرة من المسلمين في إرتريا، إلا أنه لم ينل دراسة أكاديمية تدرس مسيرته والأسباب والعوامل التي أدت إلى ظهوره، وكذلك الظروف والمتغيرات السياسية التي صاحبت مسيرته قبل وبعد استقلال إرتريا سلباً أو إيجاباً، فضلاً عن فكره والأساليب والوسائل التي انتهجتها كمسائل الانفتاح والسرية والدمج بين الخطط العسكرية والمدنية للوصول إلى السلطة، كما أنه لم يتم تقييم إسهاماته في المجالات المختلفة الأخرى تقييماً أكاديمياً.

أسئلة البحث:

البحث يحاول الإجابة عن الأسئلة الآتية:

1. كيفية انتشار الإسلام في إرتريا؟
2. ما دور المسلمين الإرتريين في الحركة الوطنية الإرترية؟
3. ما الحقائق والأسباب الكامنة وراء ظهور الحركة الإسلامية الإرترية "الحزب الإسلامي حالياً"؟

4. ما الظروف والعوامل التي أدت إلى تحويل الحركة من حركة إصلاحية سلمية إلى قوى جهادية

مسلحة عام 1988م ؟

أهداف البحث:

يهدف هذا البحث إلى تحقيق الأمور التالية:

1- بيان أهم محطات التسلسل التاريخي لانتشار الإسلام في إرتريا

2- تسليط الضوء على دور المسلمين الإرتريين في الحركة الوطنية الإرترية

3- معرفة الأسباب التي أدت إلى ظهور الحركة الإسلامية الإرترية "الحزب الإسلامي حالياً"، وعلى

ضوء ذلك يمكن معرفة ماهيتها وتقييم إنجازاتها وإخفاقاتها.

4- دراسة وتحليل الظروف والعوامل التي أدت إلى تحويل الحركة الإسلامية الإرترية من حركة سلمية إلى

حركة جهادية مسلحة عام 1988م.

أهمية البحث:

تتبع أهمية البحث من أهمية موضوع الدراسة بمسألة السياسة في الإسلام ومن اهتمام تنظيم الإخوان

المسلمين في العالم بالعملية السياسية. وتبرز الأهمية الأخرى من أنّ إجراء دراسة أكاديمية في جذور وتاريخ

تغلغل فكر الإخوان المسلمين في إرتريا سوف تكون إضافة علمية لكونها أول دراسة -على حسب علم

الباحث - تجرّى في هذ المجال، وسوف تساعد في فهم ظاهرة الإخوان المسلمين في إرتريا. والأهمية الثالثة تكمن في أنّه لم يبق إلا عدد قليل من الرعيل الأول والأشخاص الذين انتموا للإخوان المسلمين في البداية، ورأى الباحث أنّها فرصة لتوثيق الأحداث، والتثبت منهم مباشرة قبل أن ينتقلوا إلى الدار الأخرة. ومن هنا يمكن القول أنّها سوف تكون مساهمة علمية، وستفتح آفاقا واسعة لدراسات قادمة في نفس المجال، كما ستزوّد بالمعلومات والحقائق للمهتمين بشؤون الحركات الإسلامية في القرن الإفريقي لكونها أول عمل أكاديمي في هذا المجال.

منهجية البحث:

ستكون هذه الدراسة دراسة توثيقية في المقام الأول وتحليلية بدرجة أقل منها متى ما اقتضى الحال إلى ذلك لكونها أول دراسة في هذا المجال كما سبق الإشارة إلى ذلك، مستخدمة المنهج التاريخي التحليلي لتتبع واستنطاق أهم ما ورد في الكتب والمراجع، والدوريات، والإحصاءات والتقارير الرسمية المتعلقة بأدبيات البحث. إضافة إلى ذلك سوف يقوم الباحث باختيار عينة طبقية قصدية منتقاة من كوادرات الحركة الإسلامية، أو ذوي الاختصاص ممن لهم علاقة مباشرة بموضوع البحث لإجراء المقابلات، والتحاور معهم فيما يخدم أهداف البحث، وسيكون لذلك الأثر في إثراء المعلومات وإجراء التحليل العلمي على أساس متين.

حدود البحث:

الحركة الإسلامية الإرترية، الحزب الإسلامي للعدالة والتنمية حالياً

الحدود الزمانية للدراسة:

1973-2012م.

الدراسات السابقة:

وقف الباحث حول ما كتب في هذا الموضوع من كتبٍ ودراسات سابقة لموضوع الدراسة، وقد استفاد منها استفادة مقدرة رغم قلتها، وسيكون تناول الباحث لها هنا من باب الإشارة فقط مع الحرص على عدم الاختصار المخل أو الإطالة المملة. وهذه الدراسات تتنوع بين دراسات تاريخية لأحوال المسلمين السياسية والاجتماعية في عهد الاستعمار الإيطالي في الفترة (1890-1941م) والبريطاني (1941-1952م). وأخرى تهتم بدور المسلمين الإرتريين في تأسيس الحركة الوطنية ونضالاتهم السياسية في مرحلة تقرير المصير (1941-1961م) والكفاح المسلح (1961-1991م) ضد الاستعمار الإثيوبي ومجموعة قليلة تناولت مرحلة الدولة الإرترية من بعد 1991م. منها دراستان تتعرضان لموضوع البحث مباشرة، ووردت في البعض الآخر إشارات لموضوع البحث. ويمكن تصنيف هذه الدراسات من حيث تناولها

للموضوع إلى صنفين: في الصنف الأول ظهرت كتابات كثيرة من المؤرخين والمهتمين بشؤون القرن الإفريقي

في المرحلة التي سبقت استقلال إرتريا، وهذه الكتابات تميل إلى الرواية الإثيوبية لتاريخ المنطقة التي تنكر

لوجود كيان إرتري مستقل ثقافياً، واجتماعياً وتاريخياً من الشعب الإثيوبي، ومن هنا حاولت إثيوبيا ضم

إرتريا إليها وجعلها الإقليم الرابع عشر من أقاليمها مدعية بأن ما يشاهد من مظاهر التسليح في الإقليم

ليس إلا تمرداً داخلياً ولا صلة له بثورة تحررية كما يعتقد البعض، وكانت ترى حل هذه المشكلة في الإطار

الداخلي تحت عرش ملك ملوك إثيوبيا، ومن أشهر المؤرخين في تاريخ إثيوبيا من الغربيين المتعاطفين مع

هذه الرواية: ¹ Edward Ullendorff، ² Hold Marcus

وبالمقابل هنالك صنف آخر من الدراسات تدحض هذه الرواية وتقول إن إرتريا لم تكن يوماً ما

جزءاً من إثيوبيا، لكن توازنات جيوسياسية للقوي الكبرى في المنطقة بعد الحرب العالمية الثانية، وتقاطع

حاجة إثيوبيا للبحر جعلت إرتريا عرضة لاستعمار إفريقي، ومن أشهر الكتب في هذا الاتجاه: "تاريخ

إرتريا" لعثمان صالح سبي³، و"من وراء الحرب في إرتريا" لمجموعة من الباحثين⁴، و"حتى الحجارة تحترق في

إرتريا" لباتمان روي⁵ Against All Odds، Pateman Roy¹.

¹ Ullendorff, Edward. *The Ethiopians: An introduction to country and people*. london, 1960

² Marcus, Harold G. *the life and times of Menelik II : Ethiopia 1844-1931*. Oxford, 1975

³ سبي، تاريخ إرتريا. مصدر سابق.

⁴ إعداد: بازيل ديفيدسون، ليونيل كليف، برخت هبتي سلاسي، *وراء الحرب في إرتريا*، ترجمة: محمد مشموشي، (بيروت: مؤسسة الأبحاث العربية. د-ت)

⁵ Pateman, Roy. *Eritrea even the stones are Burning*. Trenton: Red Sea Press , 1990

جميع هذه الكتب التي أشار إليها الباحث أعلاه تناولت القضية الإرترية بشكل عام. أمّا

الدراسات التي تناولت موضوع هذه الدراسة وهو دور المسلمين في العملية السياسية في إرتريا بشيء من

التفصيل فيمكن إيجازها على النحو الآتي:

تناول ستيفن لونجريج² Stephan Longrigg تاريخ العملية السياسية في إرتريا في كتابه: " *A Short*

history of Eritrea وكان المؤلف مسؤولاً كبيراً في الإدارة البريطانية في إرتريا بين عام 1942-1944م،

وتناول المؤلف تاريخ الهجرات إلى هذه المنطقة، وصراعات المسلمين والمسيحيين في القرن السادس عشر

وتدخلات القوي الخارجية. وتأثير ذلك في تشكل إرتريا المعاصرة، كما تعرض بالشرح والتحليل لتأثيرات

القوي الإسلامية في العملية السياسية في إرتريا.

وبما أن المؤلف كان من كبار موظفي المستعمرة فيبدو أنه بذل هذا الجهد لتقييم الوضع في المستعمرة،

ووضع خطأً تتماشى مع سياسات المستعمر في مجتمع يتحدث لغات عدة، وتنوع فيه العرقيات،

وتتقاسمه الديانتان الإسلامية والمسيحية، وتباین فيه أنماط الحياة المعيشية، هذا الكتاب سيستفيد منه

الباحث في مرحلة معيّنة وهي مرحلة أربعينات القرن الماضي التي تأسست فيها نواة الحركة الوطنية الإرترية

ذات الطابع الإسلامي، ولم يتعرض الكتاب لموضوع الأطروحة إلا في تلك الجزئية.

¹ Connel, Dan. *against all Odds: A Chronicle of the Eritrean revolution*. Trenton: The Red Sea Press, 1993.

² H.Longrigg, Stephen. *A Short history of Eritrea*. Oxford: Clarendon Press, 1945.

وقد تطرق كندى تريفاسكس في كتابه "إرتريا المستعمرة في مرحلة الانتقال 1941-1952م"¹ إلى

نشأة العملية السياسية في إرتريا وكان المؤلف سكرتيراً مدنياً للإدارة البريطانية في إرتريا. وبما أنه عايش

تكوين الأحزاب السياسية فقد قدم قراءة عميقة لديناميكية القوى الإسلامية الإرترية في تلك الفترة، ورسم

خريطة واضحة لأهدافها، وفعاليتها والخلفيات المساندة والحاضنة لها سواء كانت جمعيات أو مؤسسات أو

شخصيات بارزة في المجتمع الإرتري المسلم.

ويظهر تريفاسكس في تحليله هذا معرفةً دقيقةً بالمكونات الاجتماعية والدينية للمجتمع الإرتري. أن

هذه الدراسة سوف يستفاد منها كالدراصة السابقة في الأحوال الاجتماعية والسياسية في المرحلة الانتقالية

1941-1952م وهي جزئية يسيرة من موضوع أطروحة الباحث الحالية.

وفي نفس الاتجاه كتب ليويد إلينج سن (Lioyed Elling Son)² مقالاً أكاديمياً في عام 1977 حول

ظهور الأحزاب السياسية في إرتريا 1941-1950م وتطورها في تلك المرحلة، ويتعرض بالتفصيل

لأهداف الأحزاب السياسية التي كان يسيطر عليها المسلمون بشكل عام، لا سيما كبرى الأحزاب

الإسلامية على وجه الخصوص (وهي الرابطة الإسلامية الإرترية).

¹ ج.ك.ف. تريفاسكس،. *إرتريا مستعمرة في مرحلة الانتقال 1941-1952*، ترجمة جوزيف صغير. (بيروت: دار الكنوز الأدبية، 1984).

² Ellingson, Lioyd. "The Emergence of Political Parties in Eritrea 1941-1950." *Journal of African History* 18, 1977: 261-28

وهذا المقال سوف يستفاد منه في ظهور الأحزاب السياسية وكيفية تطورها في تلك المرحلة أهدافها ووسائلها، والإنجازات والإخفاقات التي صاحبت مسيرتها. وهي أيضاً تغطي جزئية صغيرة من موضوع الدراسة الحالية وهي دور المسلمين في العمل السياسي.

أمّا عثمان صالح سي في كتابه " تاريخ إرتريا"¹ بعد تتبع تاريخ الشعب الإرتري منذ أقدم العصور حتى عصرنا الحاضر دحض المزاعم الإثيوبية التي دأبت على تشويه الحقائق التاريخية لمصلحة أهدافها التوسعية، منكرة وجود إرتريا ككيان مستقل تاريخياً، و قد أفرد المؤلف الفصول الثلاثة الأخيرة لتاريخ النضالات الوطنية والتحررية المعاصرة في إرتريا. وقد وضع هذا الكتاب أصلاً للرد على المزاعم الإثيوبية المذكورة أعلاه معتمداً على حقائق التاريخ والجغرافيا. ولم يتعرض الكتاب إلى موضوع هذه الأطروحة إلا إشارات ضمن سياق التاريخ العام لإرتريا. وهذا الكتاب سيستفاد منه في نقطة التأصيل التاريخي لهذه الأطروحة.

¹ سي. تاريخ إرتريا. مصدر سابق.

كما تناول محمد سعيد ناود علاقة الإسلام والعروبة بالقرن الأفريقي في كتابه "العروبة والإسلام

بالقرن الإفريقي"¹ حيث يرصد حلقات أحداث التاريخ في المنطقة والتي لها علاقات بالجزيرة العربية، مجلياً

بذلك للأجيال الضبابية والغموض الذي يعتري أحياناً هوية وتاريخ هذه المنطقة، كالعلاقات التاريخية بين

هذه الشعوب سواء كانت علاقات قرابة في أصول الأنساب أو دينية في الاعتقاد أو ثقافية أو تجارية

موغلة في أعماق التاريخ. ويتناول المؤلف أيضاً الممالك الإسلامية التي قامت في هذه المنطقة كمملكة زيلع

وإيفات وممالك غير إسلامية كالبحجة وأكسوم وعلاقتها بالجزيرة العربية.

وكذلك تنافس القوى الاستعمارية في المنطقة واتباع سياسة (فرق تسد) الاستعمارية المعروفة والتي

تلعب على انغام التناقضات في المجتمع المحلي بغرض التحكم فيه، وأبرز مظهر لذلك إثارة الشكوك

والحساسيات ضد العروبة والإسلام في منطقة القرن الإفريقي بإفتعال معارك وهمية بين الإسلام والمسيحية

وأخرى بين العرب والزنوج، يقول المؤلف إنَّ تزعم صراع مسيحي إسلامي أو إفريقي عربي يجب اجتثاثه من

جذوره حتى يعم السلام والتعايش بين جميع الشعوب في المنطقة.

¹ ناود ، محمد سعيد. العروبة والإسلام بالقرن الإفريقي (د-م ، د-د ، د-ت.).

لا شك أن هذا الكتاب ذا قيمة كبيرة في كشف العلاقات التاريخية بين منطقة القرن الإفريقي

والجزيرة العربية بشكل عام والعروبة والإسلام بالقرن الإفريقي بشكل خاص وهو سيستفاد منه في هذه

الجزئية فقط. وتتبع جوردن قبلي مدهن الوعي السياسي المبكر للزعامات التقليدية في إرتريا في

كتابه "Peasants and Nationalism In Eritrea: A Critique Of Ethiopian Studies"¹ الدراسة كما

هي واضحة من عنونها وضعت أصلاً للرد على الدراسات الإثيوبية التي تشكك في الوطنية الإرترية. تناول

المؤلف في هذه الدراسة المسألة الوطنية الإرترية من زوايا مختلفة، وباعتباره عالماً اجتماعياً درس المسألة

كظاهرة اجتماعية ذات سياق محلي، وتتبع فيها الوعي السياسي المبكر بين الزعامات التقليدية في المجتمع

المسلم الرعوي في المنخفضات وبعض القطاعات العمالية في المدن الإرترية. وتوصل المؤلف في نهاية تحليله

إلى أنّ هذه العوامل وغيرها مجتمعة أدت إلى إفشال المشروع الإثيوبي القاضي بضم إرتريا إلى إثيوبيا إلى

الأبد. وهذه الدراسة قد تساعد الباحث في كشف الدور الذي لعبته القيادات التقليدية في المجتمع المسلم

الرعوي والنقابات العمالية في العملية السياسية في إرتريا، والفرق بين هذه الدراسة وموضوع دراسة الباحث

هو أن هذه الدراسة تركز على دور القيادات التقليدية في المجتمع الرعوي وبعض النقابات العمالية في الحركة

¹ Gebremedhin, Gorden. *Peasants and Nationalism in Eritrea: A Critique of Ethiopian Studies*. Trenton: Red Sea Press, 1989.

الوطنية، وهذا طرف بسيط من موضوع دراسة الباحث التي ترمي لتجميع جميع أطراف الحركة الوطنية الإرترية ودور الحركة الإسلامية فيها.

أمّا نخستي نقاش في كتابه *Eritrea and Ethiopia: The Federal Experience* أي التجربة

الفيدرالية بين إرتريا وإثيوبيا¹ فيتناول الموضوع من وجهة نظر إثيوبية وهو يحاول بوعي التشكيك في مفهوم الحركة الوطنية في تلك المرحلة (1952-1962م) مخالفاً بذلك النتائج التي توصل إليها جوردن فبيري مدهن في الدراسة التي سبقت مناقشتها، ومع ذلك يعتبر من أهم الكتب التي تتبع نشأة وتطور الحركة الوطنية، وأهمية وعي العنصر المسلم فيها والدور الذي لعبه في الحركة الوطنية الإرترية في تلك المرحلة.

¹ Negash, Tekeste. *Eritrea and Ethiopia: The Federal Experience*. New Brunswick: Transaction Publishers, 1997.

والكتاب مفيد عموماً في تناول تلك المواضيع في المرحلة ما بين (1962-1952م) لكنه لا يفيد

بالغرض الذي نحن بصدده، وهو موضوع الحركة الإسلامية والتي ظهرت فاعليتها بصورة أدق بعد تلك

المرحلة. ومن الباحثين الذين اهتموا بتاريخ الإسلام والمسلمين في إرتريا جوناثان ميران في دراسته The

¹ Historical Overview Of Islam In Eritrea أي نظرة تاريخية عامة عن الإسلام في إرتريا. صدرت

هذه الدراسة في عام 2005م ويذكر المؤلف أنّ الغرض من هذه الدراسة هو تكوين مقدمة لهذا الموضوع

الذي لم يبحث من قبل إلا في نطاق محدود ليشكل حافزاً لإجراء المزيد من البحوث والدراسات في هذا

المجال. ولكن الآن يمكن للباحثين الوصول إلى المصادر المكتوبة والدراسات المتخصصة في شؤون المجتمع

المسلم ومؤسساته بعد ظهور إرتريا كدولة حديثة الاستقلال إلى حيز الوجود في أوائل تسعينات القرن

الماضي، وفي رأي المؤلف أنّ أي عمل في هذا الحقل سيشكل إضافة جديدة في مستويات فهمنا لتطور

الإسلام ودوره التاريخي في إرتريا. وقد نظمت هذه الدراسة حسب تسلسل أحداث التاريخ الإسلامي في

إرتريا، وغطت بشكل خاص الفترة من بداية القرن التاسع عشر وحتى مطلع القرن الواحد والعشرين

الميلادي.

وهذه الدراسة رغم أهميتها في مسألة انتشار الإسلام في إرتريا ودور الطرق الصوفية والأسر الدينية

فيها إلا أنّها كانت مقدمة وجيزة في غاية الاختصار لفترة تحتاج إلى دراسات عميقة.

¹ Miran , Op.cit

ومن المؤلفين المعاصرين الذين اسهموا في الدراسات المتعلقة في إسهامات المسلمين في العملية السياسية في

إرتريا جوزيف ل-فيناسا في دراسته: "Faith in the Nation: Examining the Contributions of the

Eritrean Muslims in the Nationalist Movement 1946-1961"¹

هذه الدراسة أعدت لنيل درجة الماجستير من جامعة أوهايو الأمريكية عام 2008م وتتركز حول معرفة

إسهامات المسلمين الإرتريين في الحركة الوطنية في المرحلة مابين عام (1946-1961م) وتتبع الدراسة

في تلك الفترة نشاطات القوى الإسلامية وتطورها إلى حركة وطنية تنادي بالاستقلال. كما تناولت

الدراسة الضغوطات التي مورست ضد الكتلة الاستقلالية من النظام الإثيوبي وحلفائه الإرتريين الوحدويين

قبل وبعد ربط إرتريا مع إثيوبيا فيدرالياً عبر قرار الأمم المتحدة، إلا أنّ كل هذه الضغوطات لم تثن رجالات

الحركة الوطنية من مواصلة نضالاتهم من أجل تحرير كامل التراب الإرتري.

وتلك المجهودات للآباء المؤسسين كانت هي الأساس للإعلان عن ثورة مسلحة ضد النظام

الإثيوبي عام 1961م والتي استطاعت بدورها إخراج الجيش الإثيوبي من إرتريا وإعلان استقلال إرتريا عام

1993م بعد ثلاثين عاماً من الكفاح المسلح.

¹ Joseph L. Venasa. *Faith in the Nation: Examining the Contributions of the Eritrean Muslims in the Nationalist Movement 1946-1961*. MA degree University of Ohio , 2007

لا شك أن هذه الدراسة ذات قيمة كبيرة، وهي ألصق دراسة بموضوع البحث الحالي في جزئية

مساهمات المسلمين في الحركة الوطنية في الفترة ما بين (1961-1946م) إلا أنها لم تتعرض لمسألة الحركة

الإسلامية بصورة مباشرة ولا على دور المسلمين في المراحل التي تلت تلك المرحلة لأنّ هذه قضايا كانت

خارج إطار هذه الدراسة.

ومن الكتب التي عنيت بموضوع الحركة الإسلامية الإرترية كتاب إدريس أبعري "رهان الإسلام

السياسي في إرتريا"¹ وقد حاول الكاتب في هذا الكتاب تحديد نقاط القوة والضعف للحركة الإسلامية

داخلياً وخارجياً، وقد درس الحركة الإسلامية على أنّها حركة إرهابية استناداً على المعلومات التي قدمتها له

الحكومة الإرترية وكان هو أحد منظريها. و يبدو أن الكاتب قد بالغ في تقديراته على خطورة وتهديدات

الحركة، كما أنّه قلل من مطالبها بل لم يجد مبرراً لقيامها، والفرق بين الكتاب وهذه الدراسة هو أنّ هذه

الدراسة هي دراسة أكاديمية تعتمد على المنهج العلمي للتعاطي مع القضية خلافاً لهذا الكتاب الذي

اعتمد على الخطاب المناوئ أحادي المصدر.

¹ أبعري، إدريس. إرتريا ورهان الإسلام السياسي، (القاهرة: مركز الدراسات السودانية، 1998)

ومن الكتب التي عالجت هذا الموضوع كتاب جلال الدين محمد صالح "الحركة الإسلامية الإرترية

والعمل السياسي"¹ درس الباحث الحركة الإسلامية الإرترية في سياقها المحلي وعلى أنها ظاهرة اجتماعية

وناقش وجهات النظر حول مطالبها في توزيع الثروة، والسلطة، وقضايا التعايش، واللغة الوطنية وغيرها.

وقد تناول الكاتب بعض هذه القضايا بشيء من التعميم كما أسقط أدبيات حالة الإسلام السياسي

الموجودة في المنطقة بشكل عام مع أنه ربما لا يتناسب مع الحالة الإرترية. والفرق بين دراسة جلال الدين

محمد صالح وهذه الدراسة هو أنّ هذه الدراسة كما سبق الإشارة إليه هي دراسة علمية تدرس الحركة

الإسلامية الإرترية، الحزب الإسلامي حالياً دراسة معمقة وصفاً وتحليلاً للوصول إلى نتائج علمية معتمدة.

وقد تطرق عبد الوهاب الطيّب بشير في رسالته العلمية² "التيار الإسلامي في إرتريا: 1961 - 1998"

كما أنه واضح من العنوان إن الباحث تناول عموم الاتجاهات التي نشط فيها المسلمون الإرتريون في فترة

الكفاح المسلح وبعد الاستقلال من وطنيين ويساريين وقوميين وبعثيين وإسلاميين وهذه الدراسة في غاية

الاختصار لفترة تحتاج إلى دراسات عميقة كما تعاني أيضاً من عدم الدقة في تناول الأحداث والأشخاص

¹ محمد صالح ، جلال الدين. الحركة الإسلامية والعمل السياسي. (لندن : المنتدى الثقافي الإرتري ، د.د. 2002).

² الطيّب بشير ، عبد الوهاب "التيار الإسلامي في إرتريا : 1961-1998 " بحث تكميلي غير منشور قدم لنيل درجة الماجستير، (جامعة الخرطوم، السودان، 1999م).

في تلك الفترة. والفرق بين دراسة عبد الوهاب الطيّب وهذه الدراسات إن هذه الدراسة ليست دراسة

للتيار الإسلامي بعمومه بل هي متخصصة في جزئية من الإسلاميين في إرتريا.

ومن الكتب التي تناولت الحركة الإسلامية الإرترية باختصار ضمن مواضيع أخرى كتاب محمود

إيلوس¹ "إرتريا ومشكلة الوحدة الوطنية 1961-1991" والأمين محمد سعيد في كتابه² "الثورة

الإرترية : الدفع والتردي" وقايم كبرآب³ :

Critical Reflections on the Eritrean War of Independence.

وتسفاطيون مدهاني⁴ Medhani, Tesfatsion. *Eritrea and Neighbour in the New world*

order: Geopolitics, Democracy and Islamic Fundamentalism

¹ إيلوس ، إرتريا ومشكلة الوحدة الوطنية ، مصدر سابق

² محمد سعيد، الأمين. الثورة الإرترية: الدفع والتردي - قصة الإنشقاقات الداخلية في الثورة الإرترية ، (أسمر: مطبعة دوقالي، 1992 .)

³ Kibreab, Gaim. *Critical Reflections on the Eritrean War of Independence*. Trento & Asmara: Red sea press, 2008. P, 316-319

⁴ " Medhani, Tesfatsion. *Eritrea and Neighbour in the New world order: Geopolitics, Democracy and Islamic Fundamentalism*. Hambuurg: Munster Hamburg Lit, 1994

وأخيراً فإن جميع هذه الكتب والدراسات مفيدة ولها علاقة مباشرة أو غير مباشرة بأطروحة

الباحث إلا أنّ هناك بعض الملاحظات يلزم الإشارة إليها وهي:

جلّ هذه الدراسات تركز في قضايا التفاعلات السياسية في مرحلة أربعينات وخمسينات القرن

الماضي ولم تتناول المراحل التي تلتها وهذا هو موضوع هذه الأطروحة وبذلك يظهر أن هذه الدراسات لم

تتناول إلا جزئية يسيرة وهي جزئية التأصيل التاريخي للموضوع. وأن بعض هذه الكتب يطغى عليها السرد

التاريخي ولم تول أهمية كبرى لموضوع تحليل الأحداث وربط السبب بالمسببات، وبدايات الأمر بالملآت.

والحقيقة أن جزءاً كبيراً من هذه الكتب ألف لأغراض سياسية من المستعمرين الأوروبيين أو ممن

كانوا جزءاً من الصراع الإرتري-الإثيوبي، أو متعاطفين مع هذا الطرف أو ذاك، أو كتابات تمثل الصراع

القائم بين الحركة الإسلامية والنظام القائم في إرتريا.

ومن هنا تظهر الحاجة الملحة إلى إجراء دراسة أكاديمية تدرس واقع الحركة الإسلامية دراسة

معمقة، وصفاً وتحليلاً للوصول إلى نتائج علمية معتمدة. وخاصة وقد نالت قضية الإسلام السياسي الكثير

من الاهتمام من السياسيين والباحثين حيث كتب الكثير في السنوات الأخيرة حول الحركات الإسلامية

السياسية بشكل عام لكن في سياق القضية الإرترية على وجه التحديد لم يحظ الموضوع بدراسة أكاديمية.

الفصل الثاني

انتشار الإسلام في الحبشة (إثيوبيا-إرتريا)

المبحث الأول: علاقة الحبشة بالجزيرة العربية قبل الإسلام

المبحث الثاني: علاقة الحبشة بالإسلام

المبحث الثالث: الصراع العنيف بين أحمد قورانج وملوك الحبشة في القرن

السادس عشر

المبحث الرابع: تطورات الإسلام في إرتريا

المبحث الخامس: الإسلام في ظل التنافس البرتغالي التركي في البحر

الأحمر

المبحث السادس: الإسلام في إرتريا في حقبة الاستعمارات الثلاث (الإيطالي

والبريطاني والإثيوبي)

المبحث الأول:

علاقة الحبشة بالجزيرة العربية قبل الإسلام

إنّ دراسة علاقة الحبشة بالجزيرة العربية قبل الإسلام، ودخول الإسلام ومراحل انتشاره في الحبشة عبر التاريخ وصولاً إلى الانتشار الإسلامي في المنطقة الإرترية التي لها العلاقة المباشرة لموضوع هذه الدراسة هي في غاية الأهمية خاصة وأنّ أغلب المراجع التي تناولت تاريخ الإسلام في الحبشة بشكل عام وإرتريا بشكل خاص، إمّا قديمة ككتب الرحلات العربية ما بين القرن الرابع عشر والتاسع أو الغربية ما بعد القرن السادس عشر، وكلها تعتمد على إيراد الأخبار بصورة سردية متقطعة تعجز عن إعطاء الصورة الحقيقية. أو كتابات ظهرت في العصر الحديث أغلبها إمّا مبتورة بقصد أو بغير قصد، أو يطغى عليها الطابع العمومي السطحي. لذا رأى الباحث تناول العناصر الجغرافية والبشرية في الحبشة وعلاقتها بالجزيرة العربية قبل الإسلام وتاريخ انتشار الإسلام في الحبشة (إثيوبيا-إرتريا) ومحطاته الرئيسة التي شكلت التسلسل التاريخي لهذه المنطقة بصورة مختصرة.

أولاً: الحقائق الجغرافية في الحبشة التاريخية

إنّ الحقائق الجغرافية وتفاعلاتها في أي بلد لها تأثير كبير في أنماط الحياة المعيشية، ودواعي الأمن والاستقرار فيها. وتساعد في تتبع مجريات الأحداث والدوافع التي تقف وراءها. كما تسعف في فهم وتفسير الطابع والسلوكيات المتحكمة في الشعوب التي تقطن تلك البقعة. وبلاد الحبشة تتكوّن من سلسلة هضاب وجبال شاهقة تتخللها أودية عميقة بعيدة أو قصيرة المدى، وسهول منقسمة بين صحراوية جذابة، وأخرى مكسوة بالغابات الكثيفة ذات المرعى الخصيب. ويتراوح متوسط ارتفاع الهضبة الحبشية بين 7000

و8000 قدم فوق سطح البحر، وفي بعض أجزائها من المرتفعات والجبال تصل إلى 14000 قدم¹. وتتميز بلاد الحبشة بشدة الوعورة وصعوبة المسالك فيها مما جعلها في كثير من الأحيان في عزلة عن العالم، ومن ناحية أخرى كانت هذه الحوائط الطبيعية صداً منيعاً لهجمات الغازين لها عبر التاريخ². وتتفنن الطبيعة في بلاد الحبشة وتعطيها جمالاً طبيعياً رائعاً متنوع الأشكال قل أن يوجد مثله في بلد آخر "فتجد فيها آكاماً ونجاداً وجبالاً مكسوة بالخضرة وأنواع الزهور، ومتعممة بالثلوج صيفاً وشتاءً. وتجد فيها سماء ملبدة بالغيوم طول العام، ووهاداً حارّة تنبت فيها نباتات المناطق الحارة، وتجد فيها صحراء تعصف فيها الرياح الشديدة، كما تجد فيها بحيرات قائمة على مرتفعات شاهقة"³. وتندرج فيها الحرارة حسب الارتفاع والانخفاض، فتتخفّض مؤشرات الحرارة في المرتفعات، وترتفع درجاتها في المنخفضات الشرقية والأودية، وتعتدل جواً في المناطق المتوسطة.

وتسقط الأمطار فيها خلال شهر مارس وإبريل ومايو، وتزداد غزارة من يونيو إلى منتصف ديسمبر، وهذه المياه تفيض عن حاجة البلد وتندفق بكميات كبيرة عبر أنهارها العظيمة إلى دول الجوار⁴، وتنبع من بلاد الحبشة وديان كثيرة كالنيل الأزرق، وأوموا، وبى شيبلى، وأواش، وقاش، وبركة، ونهر أبايوندي الذي يغذي بحيرة تانا إحدى أشهر الظواهر الطبيعية في الهضبة. هذه هي الأنهار الأساسية في الحبشة والبلاد تعج بأكثر كثيرة أصغر حجماً من تلك المذكورة آنفاً. إنّ هذا التنوع في التضاريس واعتدال الجو على مدار السنة في الهضبة، وكثرة الأمطار، ووجود تربة الطمي الذهبي فيها جعل الحبشة من إحدى أفضل بلاد العالم خصوبة للزراعة والرعي، مما جعلها تجتذب المهاجرين إليها عبر التاريخ.

¹ غيث ، فنجي. الإسلام والحبشة عبر التاريخ. (القاهرة: مكتبة النهضة المصرية ، د-ت). ص 10-11

² المصدر السابق.

³ أبو أحمد الإنيوبي. الإسلام الجريح في الحبشة، (دم، د-د، 1964). ص 14-15.

⁴ السيوطي، جلال الدين عبدالرحمن. رفع شأن الحبشان. دراسة وتحقيق محمد عبدالوهاب فضل ، (القاهرة: شركة القدس للنشر والتوزيع، 2007). ص 17. و غيث ، مصدر سابق. ص 12

ثانياً: الجغرافية البشرية للحبشة

أمّا عن جغرافيتها البشرية وأصل سكانها فلا أحد يعرف عن أصل سكان المنطقة ما قبل التاريخ على وجه الدقة، لكن الشواهد المتوفرة حتى الآن والاستقراءات التقريبية لها تشير إلى أن سكان منطقة الحبشة ينتمون إلى سلالات تنحدر من أصول ثلاثة نيلية، وحامية، وسامية، ويعتقد أنّ أول من سكن هذه المنطقة هي المجموعة النيلية حتى مجيء المجموعة الحامية القادمة من الجزيرة العربية عبر باب المندب. وهنالك من يقول إنّ القبائل الحامية نزحت إلى هذه المنطقة من القوقاز عن طريق مصر والنيل عبر موجات متعاقبة في زمن غير معروف للمؤرخين مما دفع السكان الأصليين إمّا إلى الاختلاط معهم أو النزوح إلى خارج تلك المنطقة أو التفرع في مناطق محدودة فيها.¹

وعند اختيار سد مأرب قبل عشرة آلاف عام تقريباً² نزحت كثير من قبائل تلك المنطقة عبر باب المندب وجزيرة دهلك إلى الهضبة الحبشية، واستوطنوا فيها واستطاعوا أن يفرضوا وجودهم فيها نظراً لما كانت تتمتع به هذه المجموعات "من كنوز لا تقدر بثمن من التراث الأصيل، ومعالم حضارية عريقة متمثلة في اللغة المكتوبة، والمهارات الزراعية المتقدمة، والأساليب المتطورة للتحكم في مياه الأمطار عن طريق إنشاء المدرجات والمسطحات على سفوح الجبال، وزراعتها بالمحاصيل والأشجار، كما حملوا معهم فنونهم المعمارية وبراعتهم في النحت على الحجر، وبناء السدود الضخمة الثابتة لحجز المياه التي اشتهرت بها مدينة مأرب التاريخية".³ ويمثل اليوم المجموعة النيلية قبيلة البازا والباريا في إرتريا وقبائل أخرى في أعالي النيل أما الحامية فيمثلها الصوماليون، والأرومو، والأغو، وسيدامو، والعفر، والساهو، والبلين، والحدراب. ويمثل المجموعة السامية الأمهرا والناطقين بالتجرنية في إثيوبيا وقبائل التجري والناطقين بالتجرنية في إرتريا بالإضافة إلى

¹ غيث، مصدر سابق، ص 19 - 20 وناود. *العروبة والإسلام بالقرن الإفريقي*. مصدر سابق، ص 29. و النقيرة، محمد عبد الله. *إنتشار الإسلام في شرق إفريقية ومناهضة الغرب له*، (الرياض: دار المريخ للنشر، 1982). ص 24

² المصدر السابق، ص 24

³ ناود. *العروبة والإسلام بالقرن الإفريقي*. مصدر سابق، ص 31

أقوام أخرى في المنطقة. ويجدر هنا الإشارة إلى أنه لا يوجد اليوم في المنطقة أي فواصل واضحة بين هذه المجموعات الثلاث، أي المعروف في علم الأنثولوجيا الأصول البشرية الطبيعية صافية العرق بل أنها مجموعة لغوية أصبحت تتكلم لغات من النوع النيلي، والحامي، والسامي، واعتزتها تداخلات وتحولات من مجموعة إلى أخرى. ومن هنا يمكن القول بأن سكان هذه المنطقة قد تشكلوا عبر رده من الزمن من عناصر منحدره من الأصول الثلاثة كوّنت منها في المحصلة النهائية هذا الخليط البشري المعروف بالعنصر الحبشي في التاريخ.

وعلى الرغم من ذلك فإنّ درجة الاختلاط تتفاوت من مكان لآخر، فكلما انحدرت من الهضبة نحو الجنوب والجنوب الغربي تجد العنصر النيلي هو الغالب، بينما يبدو العنصر الحامي أكثر وضوحاً في الشمال حيث قبائل البلين والحدارب وقبائل العفر والساهو في السهول الساحلية للبحر الأحمر، وقبائل الأجو في الهضبة وسيدامو في الجنوب كما أنه يبدو غالباً في قبائل الصومال والجالا.

أما العنصر السامي فكان أكثر هيمنة في أعالي الهضبة وهي تشمل مناطق تجراي، وشوا، وقوجام. وهذه المقاطعات الثلاث مجتمعة أسست مملكة أكسوم التاريخية، وأصبحت لها صولات وجولات، وإمتد نفوذها إلى مناطق الهضبة ومداخل الساحل الغربي للبحر الأحمر المعروف اليوم بالساحل الإرتري. وأصبح لها نفوذ تجاري قوي عن طريق مرفأ عدوليس الواقع اليوم بمدينة زولا في إرتريا.

وأصبحت المسيحية من القرن الرابع الميلادي الديانة الرسمية للمملكة الحبشية¹، وظلت العاصمة الدينية في المنطقة لمدة طويلة، وأصبح ملكها حامي حمى النصرانية في المنطقة. وكان ملكاً لكل مقاطعة من تلك المقاطعات وعلى رأسها ملك الملوك. واستمرت مملكة أكسوم على تلك الحالة لزمان طويل إلى أن

¹ المصدر السابق، ص 66 و

Trimingham, J, Spencer. *Islam in Ethiopia*. Great Britain: Frankcass &company limited, 1952. P22

تعرضت للهزيمة في اليمن علي يد الفرس وزحفت قبائل البجة شديدة المراس من الشمال إلى أراضيها، ودخلت بعدها مملكة أكسوم في عزلة تامة لقرون عديدة استمرت من عام 650-1270م¹ وهو التاريخ الذي انتقل فيه حكم الحبشة إلى أسرة زاقوي الأجيوية الحامية اليهودية من شمال الحبشة كما سيأتي تفاصيلها لاحقاً.

ثالثاً: علاقة الحبشة بالجزيرة العربية

لا يعرف المؤرخون على وجه الدقة متى بدأت العلاقة بين الشاطئين للبحر الأحمر، إلا أنّ الاستقرارات التقريبية لبقايا آثار الحفريات، والإيعازات الخيرية القديمة التي عثر عليها مؤخراً في مناطق مختلفة كالأثار النبطية في الجزء الشمالي من بلاد البجة، وآثار حميرية في منطقة الحلايب، وسبئية في منطقة مصوع كلها يرجع تاريخها إلى ما قبل الميلاد²، وتشير إلى أنّ الاتصال والتواصل بين شعوب الشاطئين للبحر الأحمر يعود إلى عهود سحيقة، ويتضح ذلك من التأثير والتأثر الجلي في أصول اللغات، والتشابه في الثقافات والاعتقادات، والتماثل في السمات البشرية حتى إنّ بعض علماء الجيولوجيا يعتقدون أنّ المنطقة كانت رتقة واحدة حتى انفلقت قشرة الأرض ففصل البحر الأحمر بينهما³.

إنّ سكان الحبشة على وجه العموم قد تكونوا من العناصر النيلية والحامية والسامية كما سبق الإشارة إليه. إلا أنّ خصائص المجموعة السامية التي وفدت إلى الحبشة من جنوب الجزيرة العربية أكثر وضوحاً وسيطرة وذلك لما كانت تتمتع به هذه المجموعة من تقدم في الحضارة وتطوراً في الآلات الزراعية وغيرها.

¹ فتحي غيث. مصدر سابق، ص 41

² فضل، يوسف. *العلاقات بين الثقافة العربية والثقافات الإفريقية*. (تونس: المنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم، 1985). ص 34

³ المصدر السابق، ص 33-34

أما أسباب الهجرة من الجزيرة العربية إلى هذه المنطقة فكان سبب الجفاف والتصحر الذي ضرب الجزيرة العربية، مما اضطر أهلها للعبور إلى الشاطئ الإفريقي للبحر الأحمر بحثاً عن حياة أفضل. ومن أسباب الهجرة أيضاً الحروب بين القبائل العربية، حيث تبحر المغلوب إلى الفرار بحثاً عن مناطق أكثر أمناً لأرواحهم وأموالهم. وبما أنّ سكان جنوب الجزيرة العربية يألفون ارتياد البحر من قديم الزمان وكانت المؤثرات البيئية في بلادهم قاهرة "فقد اتجهوا إلى البحار التي تحيط بهم من ثلاث جهات، من الشرق والجنوب والغرب، بحثاً عن مصادر للرزق أو عن أماكن أخرى وراءها أكثر أمناً وأهناً حياة، فبنوا سفن المجذاف، ثم الشراع الصغيرة، ثم كبرت بمضي الزمن، وجابوا البحار والخلجان المحيطة بهم وقد حدث هذا قبل التاريخ"¹.

وللأسباب سالفه الذكر، ولقرب الساحل الإفريقي، وكثرة الخيرات، وسهولة الحياة فيها عكس الحياة القاسية في شبه الجزيرة العربية، ووجود موانئ كثيرة كميناء سواكن، وعدوليس، ودهلك ومضيق باب المندب، إضافة إلى اعتدال المناخ الذي يطيب الاستقرار فيه، فإنّه من الطبيعي أن يهاجر اليمنيون والحجازيون من الجزيرة العربية إلى الشاطئ الإفريقي للبحر الأحمر وينشطون فيه طلباً للعيش الكريم.

ونشط النازحون في المجال التجاري الواسع وخاصة في تصدير العاج والذهب والعطور، واستقر التجار العرب في البدء في المدن الساحلية، ثم توغلوا لاحقاً إلى الداخل بغية توسيع دائرة نشاطاتهم التجارية².

وبالمقابل حصلت هجرات معاكسة إلى الشاطئ الآخر لأغراض تجارية أو لأهداف دينية أو سياسية، فمن الساحل الإفريقي غزا الأحباش اليمن عندما طلب نصارى نجران النجدة من قيصر الروم

¹ النقيرة. مصدر سابق، ص 23

² فضل. مصدر سابق، ص 33-34

(جستينيان) أثناء تعرضهم للاضطهاد من قبل ذي نواس ملك حمير اليهودي المدعوم من الفرس¹، فكتب قيصر الروم إلى النجاشي ملك الحبشة يطلب منه النصرة لنصاري نجران، وعلى الفور لبى ملك الحبشة هذا الطلب فقام بإرسال حملة عسكرية بقيادة إرياط ومعه أبرهة الأشرم².

ويبدو أنّ تشجيع الروم للأحباش لاحتلال اليمن لم يكن نجدة نصارى نجران الهدف الوحيد بل كانت الروم تطمح للوصول إلى الجزيرة العربية أيضاً لأهداف دينية وسياسية واقتصادية وخاصة أنّ هذه المنطقة كانت تقع ضمن تأثير نفوذ الفرس العدو للدود لهم بعد اعتناق ملوك حمير الديانة لليهودية.

وسواء أكان الدافع إلى غزو اليمن العامل الديني أو عوامل أخرى فإنّ الذي لاشك فيه أنّ القوة الحبشية قد قضت على القوة العربية في جنوب الجزيرة العربية سنة 520م³، بعد أن أبحرت من الساحل الإترى عبر ميناء عدوليس حيث نقلتها سفن رومانية إلى البر اليمني دون أي مقاومة تذكر من الطرف الآخر، ولعل السبب في عدم مقاومة الطرف العربي لهذه الحملة في البحر يرجع إلى عدم معرفة العرب بالقتال في البحر، رغم أنّ المصادر التاريخية تذكر معرفة العرب بالموانئ الإفريقية والأسبوية لأغراض تجارية إلاّ أنّها لم تذكر للعرب قوة بحرية قتالية كالتى ذكرت للرومان وغيرهم. لذا وصلت القوة الحبشية بكل سهولة إلى الضفة الأخرى للبحر، واحتلت أجزاء كبيرة من اليمن.

وبعد فترة من الاحتلال حدث الخلاف المشهور بين إرياط وأبرهة، وتغلب أبرهة على إرياط ونصب نفسه ملكاً على بلاد اليمن، وتمرد على إمبراطور الحبشة وقصرت علاقته معه في دفع جزية سنوية له. وتوارث العرش بعده أبناءه لمدة سبعين عاماً تقريباً⁴. ويروى أنّ أبرهة الأشرم بنى كاتدرائية عظيمة

¹ سبي. تاريخ إرتريا. مصدر سابق، ص 25

² ابن سعد. الطبقات الكبرى ج 1، (بيروت: دار صادر، د-ت) ص 91. أبو جعفر محمد بن جرير الطبري، تاريخ الرسل والملوك ج 2، تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم. (القاهرة: دار المعارف، د-ت)، ص 105

³ ابن سعد الطبقات الكبرى ج 1. مصدر سابق، ص 91، والطبري. تاريخ الرسل والملوك ج 2، مصدر سابق، ص 105،

⁴ ابن سعد الطبقات الكبرى ج 1. مصدر سابق، ص 91، والطبري، تاريخ الرسل والملوك ج 2. مصدر سابق، ص 105،

يقال لها القليس في صنعاء ليحج إليها العرب فيقلل من أهمية الكعبة في مكة، ويرفع من شأن صنعاء سياسياً وتجارياً، ومن ثم يكون له نفوذ على جميع القبائل العربية في جزيرة العرب. ومن أجل تحقيق ذلك الحلم جهز جيشاً لغزو مكة وهدم الكعبة ولكن الله أهلكه هو وجيشه على مشارف مكة قبل غزوها، وفي ذلك نزلت سورة الفيل في القرآن الكريم تحكي عن تلك القصة.

وشجعت هزيمة الأحباش في وادي مكة ملوك حمير بقيادة سيف بن ذي يزن للاستعانة بالفرس العدو اللدود للرومان والأحباش لطرد الأحباش من اليمن، وقد تم لهم ذلك في عام 590 ميلادي¹، وبعد تبديد شمل الأحباش وتخليص اليمن من حكمهم أصبح للفرس سيطرة على اليمن وأجزاء كبيرة من الجزيرة العربية وسواحل البحر الأحمر، وطرق التجارة فيها وازدادت قبضة الفرس على السكان الأصليين حتى أحسوا أنهم استبدلوا محتلاً بمحتل آخر، واستمر الحال على هذا الحال حتى فتح المسلمون اليمن في السنة الثامنة من الهجرة النبوية عام (630م). وهكذا بدأ نفوذ مملكة أكسوم يأخذ في الضعف والانكماش في المنطقة حتى انتهى بها بالعزلة التامة عن العالم الخارجي وذلك نتيجة لهزيمة الحبشة في اليمن وسيطرة الفرس على ممرات البحر الأحمر وطرق التجارة المؤدية من وإلى مملكة أكسوم، وزحف قبائل البجة إلى الهضبة الحبشية من اتجاه الشمال والغرب، واحتلال الساحل الغربي للبحر الأحمر وتدمير ميناء عدوليس²، وانتهاء دوره التجاري كحلقة وصل في البحر الأحمر بين تجار أكسوم وبلاد البنات وسواحل إفريقيا الشرقية واليمن والهند وفارس من جهة، ومملكة مروي ومصر والشام والروم من جهة أخرى، بعد أن ازدهرت لنحو تسعة قرون³.

¹ فتحي غيث. مصدر سابق، ص 41 وما بعدها. و Trimingham.op.cit, P 45

² سي. تاريخ إرتريا. مصدر سابق، ص 57. ناود. العروبة والإسلام بالقرن الإفريقي. مصدر سابق، ص 52

و Trimingham.Op.cit, P47

³ سي. تاريخ إرتريا. مصدر سابق، ص 57-58

ويجدر الإشارة هنا إلى شيء مهم حتى لا يفهم من الكلام السالف الذكر أنّ مملكة أكسوم كانت تسيطر سيطرة كاملة على ساحل البحر الأحمر والصحيح وبحسب المصادر المتوفرة أنه كان لها نفوذاً سياسياً وليس تواجداً فعلياً، وهذا النفوذ كان يقوى ويضعف على حسب الظروف. ومما يؤكد ذلك عدم وجود قوة بحرية لمملكة أكسوم والدليل على ذلك أنّ سفناً رومانية حملت جنودها من عدوليس إلى اليمن عند غزوها لليمن، ويفهم من هذا ضمناً أنّها لم تكن تسيطر على البحر والمجتمعات القاطنة في جزر دهلك، ومصوع، والمدن الساحلية الأخرى. وإذا تجاوزنا حادثة غزو الأحباش لليمن فإنّ الحبشة كانت بالنسبة للعرب متجراً كما يقول الطبري، فمنها كانت تأتي إلى الجزيرة العربية منتجات التوابل، والبخور، والذهب، والعاج، وريش النعام، والجلود وغيرها، كما كانت تغذي الجزيرة العربية بقوى بشرية كبيرة، يقول يوسف فضل في ذلك "وكان الأحباش أكثر من وفد إلى جزيرة العرب قبل الإسلام، لقرب موطنهم منها، وهو استقرار ينبع من كثرة تردد ذكرهم فيما بلغنا من أخبار عن العصر الجاهلي. ويشمل الأحباش معظم سكان القرن الإفريقي الصومال وبلاد الحبشة وإرتريا وبلاد البجة"¹.

وقد كان واضحاً سمات الثقافة الحبشية في اللغة العربية عندما وجدت بعض كلماتها طريقها للغة العربية نتيجة للاتصال الدائم بين الأحباش والعرب، ومن هذه الألفاظ: مصحف، وبرهان، ومحراب، وغيرها حتى أن (الإمام) السيوطي عدد مصطلحات حبشية كثيرة في القرآن الكريم والسنة النبوية. ويبدو أنّ معظم من قدم إلى الجزيرة العربية من الحبش في ذلك الزمان جاءوا عن طريق تجارة الرقيق. وخاصة أنّ الجوّاري الحبشيات كانت لهنّ مكانة خاصة عند سادة العرب، فكان من أبنائهن من له شأن في قومه. ومنهم من اشتهر بالشعر والشجاعة والإقدام كعنتر بن شداد، وخفاف بن ندية، وسليك بن السلكة².

¹ المصدر السابق ، ص36

² المصدر السابق ، ص40

وقد احصى السيوطي في كتابه رفع شأن الحبشان أربعين رجلاً من أبناء الحبشيات من قريش¹، وهذا يعكس مدى تغلغل الأحباش في المجتمع العربي ومن كثرة التداخل بين العرب والأحباش غلب السواد في بعض قبائل العرب "كبنّي سليم بن منصور وخضر حارب وخضر غسان بنو جفنة وخضر بن عكيم وخضر بني مخزوم، وهم بني مغيرة آل الشاعر عمرو بن ربيعة زعيم مدرسة الشعر الغنائي الخفيف التي ظهرت في العصر الأموي، ومعظم مجموعة الخضر هؤلاء كانت تسكن الحجاز"². وينقل يوسف فضل كلاماً عن الجاحظ يفيد إلى ميول الأحباش إلى الطرب والرقص فكان أغلب المغنين في الحجاز في العصر الجاهلي من العبيد السود، وكان من له شأن من الأحباش يتأفف من ممارسة هذه المهنة كأمثاله من العرب.

وقد تعلم العرب من الأحباش اللعب بالحرب في المناسبات، وبعض أنواع الرقص كالحجل. كما أتت أربعة أشياء إلى قريش والعرب من جهة الحبشة: الغالية وهي نوع من الطيب، والمصحف الذي له دفتان، وحمل النساء في النعوش إذا متن، وصدّاق أربعمائة دينار³، هكذا تأثرت المسيرة الاجتماعية والفنية في الجزيرة العربية تأثراً قوياً بمعالم الثقافة الحبشية وظلت آثارها باقية إلى يومنا هذا، حتي إنّ عون الشريف قاسم يرجع إلى هذا التأثير "نشأة مدرسة الحجاز الشعرية التي تفردت بموسيقى خفيفة لتلائم الغناء، وزخرت بألوان من الغزل الحسى المجون"⁴.

"فلما جاء الإسلام وعظم شأن السود، اتسعت دائرة مشاركتهم في الأدب، واللغة، والحديث، والفقه، والعمل العام. وكان منهم بلال الحبشي الصحابي الجليل، أول مؤذن للإسلام، ومنهم أيضاً عطاء بن أبي رباح فقيه مكة ومحدثها. وقد بلغ بعضهم شأواً بعيداً في تمثل ثقافة العرب ولغتهم كأبي نعامه مولى ابن سعد والقحطان، وكان شاعراً فحلاً وخطيباً لا يبارى. وكان منهم أيضاً وكعيم الحبشي، أفصح من

¹ السيوطي. مصدر سابق، ص 324-327

² المصدر السابق، ص 42

³ المصدر السابق، ص 330

⁴ يوسف فضل. مصدر سابق، ص 44

العجاج، وقد أخذ منه علماء الشام، ومن أبناء الزنجيات عرار بن شاس القائد الشهير. ومنهم سعيد بن جبير أعظم أصحاب عبد الله بن عباس في الحديث، وكذلك مسلم بن خالد الزنجي، من علماء الطبقة الخامسة الذي أخذ عنه (الإمام) الشافعي، ومنهم يزيد بن حبيب مولى الأزدي، وكان أبوه من سبي النوبة، وقد تقلد يزيد منصب الإفتاء في مصر، وأخذ عنه العالم الجليل ابن سعد¹. ومنهم السلطان أبو المسك كافور الأخشيدي الذي حكم مصر والشام وكان أسوداً حبشياً مخصياً².

وقد وردت إشارات وأخبار كثيرة في القرآن الكريم والسنة المطهرة ترفع من شأن الأحباش، وتحدث عن خواصهم ومحاسنهم، وأثار تدل على مناقبهم، بل وقد ورد في القرآن من ألفاظ بلغتهم، وتغنى كثير من شعراء العرب بحسن تعامل الحبش، وجمال الحبشيات، وهذا يدل على مدى تأثير الأحباش في الحياة العامة في المجتمع العربي والمنطقة العربية.

الخلاصة:

إنّ سكان الحبشة ينحدرون من الأصول النيلية والحامية والسامية، وكانت المجموعة الأخيرة أكثر سيطرة وذلك لما كانت تتمتع به من تقدم في الحضارة وتطوراً في الآلات الزراعية في موطنها الأصلي في جنوب الجزيرة العربية قبل انهيار سد مأرب وهجرتها إلى الحبشة حيث أقامت فيها مملكة أكسوم التاريخية، وبالمقابل غزا الأحباش جنوب الجزيرة العربية وحاولوا بقيادة أبرهة الأشرم هدم الكعبة المشرفة. وإذا تجاوزنا حادثة احتلال الحبشة لليمن، فإن الحبشة كانت أرض للتجارة للعرب كما يقول الطبري، كما كانت تغذي الجزيرة العربية بقوى بشرية كبيرة، ومثلها غدت اللغة العربية بكلمات من اللغة الحبشية، كما أصبح لأبناء الحبشيات دور مشهود في المسيرة الاجتماعية والثقافية، وفي المجالات الأخرى المختلفة في جزيرة العرب عبر التاريخ. هذا مما كان من دور الأحباش في المجتمع العربي، أمّا اتصال الإسلام بأرض الحبشة فتلك قصة

¹ المصدر السابق، ص44

² السيوطي. مصدر سابق، ص314

أخرى تكتسب أهمية كبرى في التاريخ الإسلامي، وذلك لما قامت به الحبشة من نصرة المسلمين وإيواءهم في بلادها وهم في حالة العسرة، كما سيأتي تناوله بالتفصيل في المبحث الآتي.

University of Malaya

المبحث الثاني

علاقة الحبشة بالإسلام

بعث الله رسول الأنام عليه الصلاة والسلام وأمره أن يبلغ رسالة ربه للناس أجمعين، فصعد بالحق واستجابت لدعوته عصابة قليلة من أهل مكة "وكان معظم من آمن به وبرسالته صلى الله عليه وسلم -عدا من آمن من أهل بيته- من المستضعفين والعبيد في مكة، فنالوا كافة أنواع العذاب من المشركين فكان الحبس، والتعذيب بالضرب، والجوع والعطش من نصيبهم، كذلك طرحوا في رمضان مكة حيث يشتد الحر ليفتنوهم عن دينهم وبذلك تعدد البلاء، فمنهم من فتن من شدة البلاء الذي أصابه، ومنهم من صمد على دينه وعصمه الله منهم"¹.

فلما رأى رسول الله عليه الصلاة والسلام ما حل بأصحابه وهو في ظل حماية عمه أبي طالب الذي كان له مكانة بين أشرف قريش أشار إلى أصحابه أن يهاجروا، ولما سئل عن الجهة نصحبهم بالهجرة إلى الحبشة، ففيما يرويها ابن إسحاق قال لهم "لو خرجتم إلى أرض الحبشة، فإن بها ملكا لا يظلم عنده أحد، وهي أرض صدق يجعل لكم مخرجاً مما أنتم فيه، فخرج عند ذلك المسلمون من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى أرض الحبشة مخافة الفتنة وفراراً إلى الله بدينهم"²، وما أن وطأت أقدامهم أرض الحبشة وجدوا الأمن والمعاملة الطيبة من ملكها النجاشي فاستقروا فيها. فلما اطمأن رسول

¹ عبد العزيز ميسني، سامية، *إسلام نجاش الحبشة ودوره في صدر الدعوة الإسلامية*، (القاهرة: دار الفكر العربي، 2001)، ص 37

² ابن هشام، أبي محمد عبد الملك. *السيرة النبوية* ج 1، تحقيق وتعليق سعيد محمد اللحام. (دم: دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع، دت). ص 246. الحافظ عماد الدين أبي الفداء إسماعيل بن كثير. *المبداية والنهاية* ج3. (بيروت: دار الكتب العلمية، 1985)، ص 64. واليعقوبي. *تاريخ اليعقوبي* ج1. (بيروت: دار الكتب العلمية، 2002)، ص 19

الله صلى الله عليه وسلم إلى صدق النجاشي اتبعهم الفوج الثاني من المهاجرين المسلمين إلى الحبشة حتى بلغ عدد المسلمين في الحبشة اثنين وثمانين رجلاً، وستة وعشرين امرأة، واثنى عشر ولداً¹.

ولما بلغ قريش خروج المسلمين إلى الحبشة خرجت على آثارهم لمنعهم من الهجرة، لكنهم لم يدركوهم حيث ركبوا السفينة إلى أرض الحبشة التي أصابوا فيها الدار والاستقرار، فعبدوا الله في أمان وسلام لا يخافون على دينهم وأنفسهم أحداً سوى الله سبحانه وتعالى، أما قريش فقد آلمها ما وجده أصحاب الرسول صلى الله عليه وسلم من أمان واستقرار دار وقرار في الحبشة، فقرروا إيفاد سفارة إلى النجاشي لطلب عودة المهاجرين، فأوفدوا وفداً بقيادة أحد دهاة العرب عمرو بن العاصي ومعه عمارة بن الوليد وقيل عبدالله بن أبي ربيعة، وكانا على دراية بالأحباش، وقد سبق لهما السفر إلى الحبشة لأغراض تجارية. وقد أخذ المبعوثان معهما هدايا كثيرة من قريش لتوزيعها على النجاشي وبطارقته، وفي الاجتماع مع النجاشي قالوا: إنّ هناك من سفهاء قومنا من نزل بأرضكم بعد ما فارقوا وعابوا دين أجدادهم، ولم يدخلوا في دينكم، وجاءوا بدين جديد لا نعرفه نحن ولا أنتم، فتطلب قريش منكم لتعيدوهم إلى ديارهم². وطلب النجاشي سماع رأي المهاجرين فترافع جعفر بن أبي طالب نيابة عن المهاجرين فقال كنا قوماً لا نؤمن بالله ونعبد الأوثان ونأتي الفواحش، ويأكل القوي منا الضعيف، ونقطع الأرحام فبعث فينا رسولاً منا، نعرف نسبه وصدقه وأمانته، فدعانا إلى عبادة الله وحده، وترك المنكرات، وفعل الخيرات، فأمننا به وصدقناه، ثم عدّد عليه أمور الإسلام وما تعرضوا له من فخر وظلم من قومهم ليردوهم إلى عبادة الأوثان، كما ذكر أسباب اختيار الهجرة إليه دون سواه. فطلب منه النجاشي شيئاً مما جاءهم فقراً عليه صدر سورة مريم فبكى النجاشي وأساقفته مما سمعوا فقال: إن هذا والذي جاء به عيسى ليخرج من مشكاة واحدة ثم قال للصحابه مرحباً بكم ومن جئتم به من عنده، أشهد أنّه رسول الله وأنه هو الذي بشر به عيسى بن مريم في

¹ الطبري، تاريخ الرسل والملوك ج2، مصدر سابق. ص 330-331

² ابن كثير. البداية والنهاية ج3. مصدر سابق، ص 70. و الطبري. تاريخ الرسل والملوك ج2. مصدر سابق، ص335

الإنجيل ورفض تسليمهم إلى قريش كما رفض هدايا القوم، ففشلت مهمة وفد قريش وعاد إلى مكة خائباً¹.

وظل المهاجرون في الحبشة نحو 16 عاما معززين مكرمين بجوار النجاشي، ثم عادوا إلى ديارهم في السنة الثامنة للهجرة عندما أصبح للمسلمين العزة والقوة في الجزيرة العربية².

وأما عن قصة إسلام النجاشي فأرسل رسول الله صلى الله عليه وسلم كتاباً يدعو فيه إلى الإسلام وذلك في العام السادس من الهجرة النبوية مع محمد بن أمية الضمري ونص الكتاب: "بسم الله الرحمن الرحيم من محمد رسول الله إلى النجاشي الأصحم ملك الحبشة سلم أنت فأني أحمد إليك الله الملك القدوس السلام المؤمن المهيمن وأشهد أن عيسى بن مريم روح الله وكلمته ألقاها إلى مريم البتول الطيبة الحصينة، فحملت بعيسى، فخلقه الله من روحه ونفخه كما خلق آدم بيده ونفخه، وأني أدعوك إلى الله وحده لا شريك له، والموالة على طاعته وأن تتبعني وتؤمن بالذي جاءني، فأني رسول الله، وقد بعثت إليك ابن عمي جعفر ونفراً معه من المسلمين فإذا جاءك فأقرهم ودع التجبر فأني أدعوك وجنودك إلى الله فقد بلغت ونصحت فاقبلوا نصحي والسلام على من اتبع الهدى"³.

فرد النجاشي إلى الرسول صلى الله عليه وسلم "بسم الله الرحمن الرحيم إلى محمد رسول الله من النجاشي الأصحم بن أبجر السلام عليك يا نبي الله ورحمته وبركاته من الله الذي لا إله إلا هو الذي هداني للإسلام أما بعد: فقد بلغني كتابك يا رسول الله فيما ذكرت من أمر عيسى فو رب السماء والأرض أن عيسى ما يزيد على ما ذكرت تُفروقاً إنه كما قلت، وقد عرفنا ما بعثت به إلينا، وقد قرينا ابن عمك

¹ ابن كثير. *البداية والنهاية* ج3. مصدر سابق، ص 69-71 بالتصرف، وسيرة ابن هشام. مصدر سابق، ص 257 أيضا بشئ من التصرف

² المصدر السابق، ص 71-69

³ الطبري. *تاريخ الأمم والملوك* ج3. (د-م، دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع، 1979) ص، 89

وأصحابه، فاشهد إنك رسول الله صادقاً مصداً وقد بايعتك و بايعت ابن عمك، وأسلمت على يديه لله رب العالمين، وقد بعث إليك ابني أرها بن الأصحم بن أبحر فإني لا أملك إلا نفسي، وإن شئت أن آتيك فعلت يا رسول الله فإني أشهد إنما تقول حق والسلام عليك يا رسول الله"¹.

وذكر ابن إسحاق أن النجاشي بعث ابنه إلى الرسول صلى الله عليه وسلم ومعه ستين رجلاً من الحبشة إلا أنهم غرقوا في البحر قبل وصول وجهتهم². ولم تتوقف صلة النجاشي بالرسول صلى الله عليه وسلم حتى بعد تلك الحادثة الأليمة بل توثقت العلاقة بينهما وتبادلا الرسائل، وعندما سمع الرسول الله صلى الله عليه وسلم بوفاة النجاشي عام 630م استغفر له وصلى عليه صلاة الغائب³.

ومع ذلك بقي إسلام النجاشي كما يقول فهمي سعد "موضع جدل لاسيما أن أكثر المؤرخين أجمعوا على أن انتشار الإسلام في الحبشة تأخر طويلاً بعد مراسلة الرسول صلى الله عليه وسلم. وروي أن النجاشي الذي كتب إليه رسول الله صلى الله عليه وسلم ليس بالنجاشي الذي صلى عليه"⁴.

كما أن بعض المصادر الحبشية تشكك في وجود ملك بهذا الاسم لعدم ورود ذكره في سجل الملوك (كبرا نقست) الذي يحوي أسماء ملوك الحبشة عبر التاريخ. لكن هذا السجل نفسه أي سجل الملوك بعدما قارنه بعض الباحثين وعلى رأسهم المؤرخ السير بدج (Sir Budge) مع مصادر معروفة وموثوقة عن تاريخ العالم وجدوا فيه تناقضات كبيرة في الأسماء وفي تسلسل فترة حكم كل ملك من الملوك، الأمر

¹ المصدر السابق، ص 89

² المصدر السابق، ص 89

³ ابن هشام، مصدر سابق، ص 261. وابن كثير. البداية والنهاية ج 3. مصدر سابق، ص 70

⁴ سعد، فهمي. انتشار الإسلام في شرقي إفريقيا في العصور الوسطى. مصدر سابق. ص 22

الذي أدي بالباحثين إلى الحكم عليه بأنه عديم القيمة، وأنه وضع لملء الخانات الشاغرة في تسلسل الملوك¹.

وهناك من يرى أنّ النجاشي الذي استقبل المسلمين هو نجاشي إقليم شمال الحبشة، والمعروف باللغة المحلية "ببحر نجاش" أي ملك الساحل وعلى رأس من يرى هذا الرأي فتحي غيث وآخرون، والمعروف في ذلك العهد أنّه كانت نجاشيات كثيرة في الحبشة وهو واحد منهم، وكانت الولاية الكبرى لنجاشي النجاشية أي ملك ملوك الحبشة وليست لنجاشي صاحب المسلمين. ولا أدري السبب الذي دفع أصحاب هذا الرأي إلى هذا الاتجاه، بينما أنّ كثيراً من المصادر تذكر أن المهاجرين كانوا قريبين من النيل الأزرق في قلب الهضبة حيث مقر ملك ملوك الحبشة وليست في نجاشية الساحل، ومنها ما جاء في سيرة ابن هشام: عندما نازع رجل من الحبشة النجاشي في ملكه، وسار إليه النجاشي وبينهما عرض النيل، فهمّ المسلمون حتى لا يظهر علي النجاشي فأرسلوا الزبير بن العوام ليأتيهم بالخبر من المعركة بعد ما نفخوا له قرية ثم سبح فيها وقطع النيل الى الناحية الأخرى التي بها ملتقى القوم، وشاهد انتصار النجاشي فعاد الزبير مسرعاً ليبشر المهاجرين بذلك. ويكتفي الباحث بهذا القدر في هذه المسألة الخلافية في تفاصيل الهجرة إلى الحبشة وإسلام النجاشي لأنّ التوغل في هذا الموضوع قد يأخذ البحث خارج مساراته.

ومهما يكن من أمر إسلام النجاشي أو عدمه أو الأسباب التي دعت به إلى قبول الإسلام دون أن يعلن ذلك لقومه فإنّ الحبشة كانت المركز الثاني التي دخلها نور الإسلام بعد مكة المكرمة. ولما أصبح للإسلام قوة ومنعة وأصبح المسلمون يسيطرون على طرق التجارة الشرقية بين مصر والهند عبر البحر

¹ غيث. مصدر سابق، ص 55

الأحمر بعد كسر شوكة الإمبراطوريتين الفارسية والرومانية، توافدت على الساحل الغربي للبحر الأحمر مجموعات كثيرة من التجار العرب، وأسسوا مراكز تجارية على مدن الساحل الغربي¹.

إلا أنّ هذا الساحل أصبح لبعض الوقت غير آمن لاستفحال قراصنة الأحباش فيه نتيجة للفراغ الذي أحدثته دمار ميناء عدوليس جراء غارات قبائل البجة للمنطقة. فهاجم القراصنة المتاجر وعرضوا للخطر ممرات التجارة فيها، ولتأديب هؤلاء القراصنة أرسل الخليفة الثاني عمر بن الخطاب رضي الله عنه في عام 641 ميلادي الموافق عام 20 هجري حملة عسكرية لتلك المنطقة مؤلفة من ثلاثمائة رجل بقيادة علقمة بن مجزرة لغرض تأديب القراصنة، لكن هذه الحملة لم توفق بل هزمت على أيدي القراصنة². وعلى ما يبدو فإنّ فشل هذه الحملة العسكرية قد شجع القراصنة للمضي قدماً في القرصنة وتهديد طرق التجارة في ساحل القرن الإفريقي، بل أغاروا على جدة ودمروا السفن الراسية هناك دون خوف من أيّ رادع، فما كان من الدولة الإسلامية الأموية إلّا أن ترسل حملة عسكرية أخرى لطرد القراصنة من مركزهم في جزر دهلك، وتمكنت هذه الحملة من الاستيلاء على أرخبيل جزر دهلك وكان ذلك في عام 702م، وكان الاستيلاء على هذه الجزر بداية للاستيلاء على باقى المراكز البحرية المهمة على الشاطئ الإفريقي³.

"ولم تحدد المراجع التاريخية عما إذا كان هؤلاء القراصنة والذين تم ذكرهم كقراصنة أحباش، هم من العفر أو البجة أو من شعوب وقوميات أخرى في الساحل الغربي للبحر الأحمر. ولا ريب في أنّ قائمة الاحتمالات لا يمكن أن تشمل إلّا العفر (الدناكل) والبجة، لأنّ أفراد ومجتمعات مملكة أكسوم

¹ مقلد الغنيمي، عبد الفتاح. الإسلام والمسلمون في شرقي أفريقيا. (القاهرة: عالم الكتب، 1998). ص 45

² Trimingham, Op.cit. p 46-47

³ محمد، أحمد جماله. "مملكة أوفات الإسلامية في القرن الإفريقي وآثارها الحضارية والثقافية (1200-1500م)" بحث غير منشور قدم لنيل درجة الماجستير، (جامعة أمدرمان الإسلامية، كلية الآداب - شعبة التاريخ والحضارة، 1985)، ص 54

(التيجراى) كانوا هم قاطنو هضبة الحبشة ولم يمارسوا النشاط البحرى¹. ويميل مؤلفا المنهل في تاريخ وأخبار العفر (الدناكل) إلى ترجيح أن يكون القراصنة من العفر بناء على أن العفر هم أكثر ارتياداً لمناشط البحر من البجة، وذلك استناد على المصادر القديمة ومنها كتاب Pryblus الذي أشار في القرن الأول قبل الميلاد إلى وجود قوارب بحرية لسكان دهلك وكان سكانها هم العفر، ولم يذكر مثلها في المناطق الساحلية التي كان يسيطر عليها البجة، كما أتهما لا يستبعدان وقوف الرؤساء المحليين وراء القراصنة الذين ألحقوا الهزيمة بالقوة البحرية الإسلامية التي جهزت من قبل أمير المؤمنين عمر بن الخطاب².

وعندما دب الخلاف بين المسلمين حول أحقية الخلافة بعد مقتل الخليفة الثالث عثمان بن عفان رضي الله عنه وانقسموا بين مؤيد لهذا الطرف أو ذاك وخارج على الطرفين، واحتدام الصراع بين الأمويين والعباسيين وبين العباسيين والعلويين، وما تلا ذلك من الثورات والاضطرابات التي شهدتها الدولة الإسلامية في ذلك الزمان، أدت كل هذه الأحداث إلى هجرات مجموعات كثيرة لعوامل سياسية ودينية إلى ساحل القرن الإفريقي، وكان من هؤلاء المهاجرين علماء وفقهاء وشعراء وقادة سياسيين. ومن خلالهم بدأت تتسرب الدعوة الإسلامية في البلاد سلمياً. ومن العوامل الأخرى التي دفعت الخليفة الأموي لإرسال هذه الحملة العسكرية إلى جزر دهلك إلى جانب تأديب القراصنة كان لتتبع الفارين من المناوئين له حيث كانوا قد استقروا في جزر دهلك³.

كما جهز حملة أخرى إلى بلاد الصومال للغرض نفسه ولبسط نفوذ الدولة الأموية ونشر الإسلام فيها⁴. وبسط الأمويين سيطرتهم على الساحل الغربي للبحر الأحمر ومن بعدهم العباسيين والمهاجرين

¹ جمال الدين الشامي وابنه هاشم جمال الدين. المنهل في تاريخ وأخبار العفر (الدناكل) (د-م، د-د. 1997)، ص 182-183

² المصدر السابق ص 184

³ النقيرة. مصدر سابق، ص 82-83. وأحمد جماله. مملكة أوفات. مصدر سابق، ص 54

⁴ أحمد جماله. المصدر السابق، ص 54

السياسيين من الشيعة والخوارج والأمويين المعارضين للعباسيين¹ انتشر الإسلام تدريجياً على مدى القرون العاشر والحادي عشر والثاني عشر وسط القبائل الوثنية في المناطق الساحلية من مصوع إلى مناطق الدناكل (العفر) وقبائل البجة في الشمال وسيداموا في الجنوب وشوا وهرر في الهضبة الحبشية وبلاد الصومال، حتى وصل الإسلام إلى ساحل الزنج عبر ممباسا في كينيا وكلوا في تنزانيا وسفالة جنوباً في ساحل موزمبيق².

وكان هذا الانتشار انتشاراً طبيعياً دون تنظيم أو تعاون بين هذه المناطق بسبب اتساع الرقعة الجغرافية وتعذر المواصلات فيما بينهم، وحال هذا التوسع دون اتفاق أو تعاون مشترك دون قيام دولة إسلامية قوية في المنطقة بل تسبب في نشأة دويلات إسلامية ضعيفة في تلك المناطق الجغرافية الشاسعة. ومن ناحية أخرى لم تكن كل الهجرات اضطرارية لأسباب سياسية بل كانت هنالك هجرات اختيارية بقصد الاستقرار والإتجار، وهؤلاء التجار حملوا معهم هم الدعوة الإسلامية فجاءوا "بقيم وأخلاقيات جديدة، ورؤوس أموال تساعد على ازدهار التجارة، مضافاً إلى ذلك المصاهرة مع السكان المحليين، فتقربوا منهم وزادوا من علاقتهم بهم ومن هنا كان التأثير والتأثر"³.

فاختلط التجار المسلمون بالسكان المحليين في الأسواق التي كان يأتي إليها أفراد من قبائل الصومال، والجالا، والبجة، والعفر، والأحباش لشراء ما يحتاجونه أو لبيع ما عندهم، وما كانوا يجدونه من صدق ومعاملة حسنة من التجار المسلمين عند التعامل معهم ترك في نفوسهم أثراً طيباً، فاعتنقوا الإسلام

¹ إيلوس. إترتيا ومشكلة الوحدة الوطنية. مصدر سابق ص 15

² أبو عبدالله بن محمد المعروف بابن بطوطة. المسماة تحفة النظار في غرائب الأمصار وعجائب الأسفار ط2. (بيروت: دار الكتب العلمية، 2002). ص 270-274. و ابن فضل الله شهاب الدين العمري. مسالك الأبصار في ممالك الأمصار ، تحقيق حمزة أحمد عباس. (أبو ظبي: المجمع الثقافي، 2002). ص61 وما بعدها. أبو بكر ، علي الشيخ. الدعوة الإسلامية المعاصرة في القرن الإفريقي. (الرياض: دار أمية للنشر والتوزيع 1405 هـ). ص 213

³ ناود..العروبة والإسلام بالقرن الإفريقي. مصدر سابق، ص 77

ومن ثم تبعته عشائريهم¹. ولم يقتصر الأمر إلى الإحتكاك في الأسواق والمدن الساحلية التي يأتي إليها أفراد تلك القبائل، بل ذهب بعض التجار المسلمين للداخل وعملوا في الزراعة والرعي في المناطق الخصبة وغيرها من التجارة والصناعة، فتعلموا لغاتهم وتطبعوا بعاداتهم وتقاليدهم، وأغلب التجار كانوا عزاباً فتزوجوا منهم واستقروا معهم بصورة دائمة. وليس بعيداً أن يكون الدعاة ورجال الدين سلكوا طريق التجار في نشر الدعوة الإسلامية إلى داخل البلاد. وكان لذلك أثراً كبيراً في تحويل هذه القبائل إلى الإسلام².

وبدخول الإسلام إلى هذه الديار بالوسائل السلمية والموعظة الحسنة، والأخلاق الحميدة للدعاة والتجار المسلمين، واختلاط المسلمين بأهل البلد والتصاهر معهم وتوطيد العلاقة معهم وخاصة الطبقة الحاكمة منهم، أخذ الإسلام يكتسب قوة التأثير في جميع المناطق التي دخلها، بل أصبح للمسلمين كيانات سياسية عرفت بدول الطراز الإسلامي أو الإمارات الإسلامية التي اتسمت بالفعالية في نشر تعاليم الإسلام، وحققت نمواً اقتصادياً، وتقدماً معمارياً، ووطورت نظاماً سياسية واجتماعية³. وهذه الإمارات الإسلامية التي قامت في هذه المنطقة كثيرة منها: إمارة عدل، ودوارد، وعروسي، وبالي، ودهلك، وهدية، وموروا، وجدابة هوبت، وشوا، ومقديشو، وأوفات⁴.

وللتدليل على عظمة دور هذه الإمارات سوف يتناول الباحث باختصار كل إمارة على حدة:

إمارة شوا

إمارة شوا هي أقدم سلطنة إسلامية قامت في الحبشة، أنشأها جماعة من قبيلة بني مخزوم القرشية التي ينتسب إليها خالد بن الوليد رضي الله عنه، ويعتقد أنها قامت في عام 897 ميلادي. وقامت هذه الإمارة

¹ النقيرة. مصدر سابق، ص 141-142

² أحمد جماله. مصدر سابق، ص 62. والنقيرة. مصدر سابق، ص 179-180

³ النقيرة. مصدر سابق، ص 197-198 و Trimingham.Op.Cit, P,58

⁴ العمري. مصدر سابق، ص 61 وما بعدها. وناود. العروبة والإسلام بالقرن الإفريقي. مصدر سابق، ص 94-97

في أخصب بقعة زراعية في قلب الهضبة الحبشية حيث تقع عاصمة إثيوبيا الحالية أديس أبابا، وكان سكانها مجتمعاً زراعياً مستقراً قليل الاتصال بالعالم الخارجي وذلك لبعدها عن شاطئ البحر الأحمر، ولاكتفائها الذاتي، واستمر حكمها قرابة أربعة قرون حتى أخضعتها مملكة أوفات الإسلامية لسلطتها¹.

إمارة مقديشو

إن أول مجموعة نزلت إلى بلاد الصومال من العرب هي مجموعة شيعية من أتباع زيد بن علي بن زين العابدين بن (الإمام) الحسين حيث فروا إلى تلك المنطقة عقب هزيمة ثورتهم في عهد هشام بن عبد الملك بناءً على أقدم وثيقة وجدت في هذا الشأن والتي أشار إليها Sir Thomas في كتابه الدعوة الإسلامية، وتدرجياً اختلطوا مع السكان الأصليين وصاهروهم ونشروا الإسلام بينهم، وبمرور الزمن بسطوا نفوذهم على طول الساحل الصومالي حتى قدمت إليهم مجموعة أخرى من المهاجرين من قبيلة الحارث من الشاطئ الغربي من الخليج العربي في بداية القرن العاشر الميلادي، وتوغلت المجموعة الزيدية إلى داخل إفريقيا، وتركزت الساحل الصومالي للقادمين الجدد الذين أسسوا فيما بعد مع السكان الأصليين مدينة مقديشو²، فأصبح لمقديشو شأن عظيم، فازدهرت فيها التجارة، وتطور فيها العمران، وتقدمت في النظم الإدارية والسياسية والاجتماعية، وأذهل تقدمها كل من زارها ومنهم الرحالة العربي ابن بطوطة الذي زارها في عام 1331م ووصف ما وصلت إليه مقديشو من الرقي والإزدهار، كما وصف أهلها بتجار أقوياء وعلى دين وخلق. ومدح أميرها الذي كان يحكم البلاد عن طريق الشورى المكون من وجهاء المدينة والعلماء والتجار، كما مدح مجالسها العلمية والاجتماعية، واهتمام أهلها بإكرام الضيف ودور العلم والعلماء³. واستمرت

¹ النقيرة. مصدر سابق، ص 182. وأحمد جماله محمد. مصدر سابق، ص 70-71. وعبد الفتاح مقلد الغنيمي. مصدر سابق، ص 96

97-

² النقيرة. مصدر سابق، ص 181-182

³ ابن بطوطة. مصدر سابق، ص 270-273

مقديشو على هذا الحال حتى ضربتها القوة البرتغالية الغازية المتحالفة مع الأحباش في القرن السادس عشر عندما اشتد الصراع بين المسلمين والمسيحيين في الحبشة.

إمارة أوفات

إمارة أوفات أو إيفات كما يطلق عليها البعض قامت في شرقي شوا واستطاعت بعد سنوات من الصراع أن تضم إليها إمارة شوا والإمارات الأخرى كالعدل التي كان مقرها في زيلع ومورا في إقليم شوا¹، وكانت أقوى مملكة من ممالك الطراز الإسلامية في تلك الديار، وقد اتسع نفوذها حتى بلغت ميناء زيلع وخليج تاجوره على الساحل، وسيطرت على طرق القوافل البرية التي تربط داخل البلاد بالبحر، وكان لها نفوذاً في الإمارات الإسلامية الأخرى في الحبشة إذ يقول العمري في ذلك "سبعة ممالك للمسلمين في الحبشة... ومع هذا فإن جميع ملوك هؤلاء الملك تعظم مكان صاحب أوفات، وتنقاد له بالمعاضدة في بعض الأوقات"².

وقد حققت أوفات نمواً اقتصادياً، وأصبح لها سفناً تنتقل بضائعها عبر البحر الأحمر والمحيط الهندي إلى العالم الخارجي، وأثرى مسلمو أوفات بالتجارة ثراءً عظيماً، وكان لتفوقهم المادي والحضاري على بقية السكان شأن في نشر الإسلام بين السكان غير المسلمين³، ولوفرة المال ووجود النقل البحري سهل لأهل أوفات إرسال أبنائهم إلى مراكز شعاع المعرفة الكبرى كالقيروان والحجاز والأزهر الشريف والجامع الأموي بدمشق وزبيد بأرض اليمن لينهلوا قسطاً من شتى العلوم. وبعد أن تسلحوا بالعلم عادوا

¹ ناود. *العروبة والإسلام بالقرن الإفريقي*. مصدر سابق، ص 94-95

² العمري. مصدر سابق، ص 83

³ النقيرة. مصدر سابق، ص 202

إلى بلادهم وأصبحوا دعاة وقضاة وزعامات سياسية مما ساهم ذلك في التقدم السريع للثقافة الإسلامية في تلك الديار¹.

دوارو

نعرف من ابن فضل العمرى الذى ينقل عن الشيخ عبدالله الزيلعي وجماعة من فقهاء بلده أن مملكة دوارو طولها خمسة أيام وعرضها يومان وأهلها أحناف، ورغم ضيق مساحتها فإنها تتمتع بقوة عسكرية تضاهي قوة أوفات المجاورة لها. أمّا من ناحية الملبس والمأكل والركب فإنها تماثل أوفات².

أرابيني

إمارة أرابيني كانت قائمة على شكل مربع طولها على أربعة أيام ومثله عرضها وأهلها على مذهب (الإمام) أبو حنيفة، ولها من القوة العسكرية ما يقارب العشرة آلاف فارس، وهي تجاور إمارة دوارو، ويوجد بها ما يوجد في إمارة دوارو من الحبوب والفواكه والدواب وغيرها³.

هدية

يقول العمرى استنادا إلى المعلومات التي استقاها من الفقهاء الذين قدموا إلى مصر من بلاد الزيلع: إنّ بلاد هدية طولها ثمانية أيام وعرضها تسعة أيام وأهلها على مذهب الأحناف. وإنّ صاحب هدية كان أقوى أمير من الأمراء المسلمين السبعة في تلك الديار، وذلك لكثرة ما يملكه من القوة العسكرية خيلاً ورجالاً رغم ضيق بلاده مقارنة بأوفات. وإليها كانت تجلب الخدام الخصيان من جميع بلاد الحبشة. وكانت

¹ المصدر السابق، ص 202، وTrimingham.Op.cit, P,62

² العمرى. مصدر سابق، ص 73. و تقى الدين على بن عبد القادر المقرئ. الإلمام بأخبار من نأرض الحبشة من ملوك الإسلام، تحقيق وتعليق ودراسة عبد النعيم ضيفي عثمان. (القاهرة: مكتبة الأزهر للتراث، 2007). ص 83

³ العمرى. مصدر سابق، ص 75. والمقرئى. مصدر سابق، ص 84

عملية خصي العبيد ممنوعة في جميع بلاد الحبشة إلا أنّ أهل مدينة وشلوا كانوا يقدمون على هذه الفعلة وهم لا دين لهم. فكان يقصد وشلوا تجار العبيد ليخصوا ما عندهم من العبيد من أجل زيادة الثمن ثم يرسلوهم إلى هدية القرية للعلاج من آثار عملية الخصي، لأنّ أهل وشلوا لا علم لهم بعلاج هؤلاء ورغم ذلك كان الذي يموت أكثر من الذي يبرؤ منهم، لأنّهم كانوا يتركون بدون علاج حتى يصلوا إلى هدية¹.

شرخا

شرخا طولها ثلاثة أيام وعرضها أربعة أيام، وأهلها حنفية، تجاورها من الإمارات إمارة هدية، ولها ثلاثة آلاف من الفرسان ورجالة مثلهم مرتين أو أكثر. وتشبه في جميع أحوالها الأخرى الإمارات الإسلامية الأخرى كدوارو وغيرها².

بالي

"ومملكة بالي طولها عشرون يوما وعرضها ستة أيام، وهي أكثر بلاد الزيلع خصوبة، ومعاملاتهم بالأعواض غنماً ببقر وبقر بثياب ونحو ذلك وأهلها أحناف"³.

دارة

وتقدر مساحتها بثلاثة أيام طولاً وثلاثة أيام عرضاً، وأهلها أحناف. وكانت أضعف الممالك الإسلامية في الحبشة آنذاك من الناحية العسكرية ولوازم القوة الأخرى. أمّا في بقية أحوالها فتشبه سائر الممالك الأخرى في الحبشة⁴.

¹ العمرى. مصدر سابق، ص 78 77. والمقرئى. مصدر سابق، ص 84

² العمرى. مصدر سابق، ص 79

³ المقرئى. مصدر سابق، ص 84

⁴ العمرى. مصدر سابق، ص 83

إضافة إلى ما سبق ذكره من الممالك الإسلامية أشار كل من العمري والمقريزي إلى مناطق إسلامية أخرى في المنطقة وهي ناصع ودهلك وسواكن وأهلها كلهم مسلمون.

وتزامن تطور هذه الممالك الإسلامية في الحبشة مع سقوط مملكة أكسوم لعوامل عدة منها: تقلص نفوذها في البحر الأحمر بعد هزيمتها في جنوب الجزيرة العربية، وضعف سلطتها المركزية، وتنافس الحكام المحليين فيما بينهم. وزحف قبائل البجة إليهم من الشمال والغرب حتى وصلت جحافل البجة إلى حماسين في الهضبة الحبشية، وسيطرة المسلمين على الشاطئ الإفريقي. وبعد زوال حكم مملكة أكسوم انتقل حكم الحبشة إلى أسرة "أجوية" "Agwe" اليهودية من شمال الحبشة.

الإسلام في عهد حكم أسرة زاقوى الأجوية للحبشة

حكمت الأسرة الأجوية الحبشة ما بين عام (1137-1270م) وقد نقلت الأسرة الأجوية العاصمة إلى روها (Roha) في الشمال. وانتقال العرش إلى أسرة يهودية من أصول حامية كان يعد سابقة تاريخية في تاريخ الحبشة، لذا فقد رفضت الكنيسة تأييد الملك الجديد، وسار الخلاف بين المطران والملك حتى اضطر بطريرك الإسكندرية إلى تعيين مطران جديد يعترف بشرعية الملك الجديد على الحبشة، ومنذ ذلك الحين كثف ملوك هذه الأسرة من حملة التبشير المسيحي وبناء الكنائس للتقرب من الكنيسة حتى وصلت عدد الكنائس والأديرة في عهد لالبيلا Lalibela (1190-1225) 10 كنائس في روها وحدها و200 في المناطق المجاورة لها¹.

وهذه الجهود أدت إلى انتعاش المسيحية، ويعتقد أنّ أعداداً كبيرة من الوثنيين قد انتقلوا إلى المسيحية في تلك الفترة، كما تميّزت فترة حكم الأسرة الأجوية بالانفتاح على العالم الخارجي والذي كان له

¹ Trimingham, op.cit. p,55-56

الأثر الإيجابي في تطوير الثقافة الحبشية التي كانت تعاني من حالة انعزال تام لفترة طويلة، كما ساهم هذا الانفتاح في تطوير العلاقات الخارجية وخاصة مع العالم الغربي المسيحي وقد ظهرت ثمارها لاحقاً في مساعدة الحبشة في حروبها ضد المسلمين¹.

وأما علاقة أسرة زاقوى الأجوية بالمسلمين في الحبشة فيعتبرها غموض لأنّ المصادر التاريخية لم تحدد طبيعة علاقتها ما إذا كانت علاقة سلم أم حرب، إلا أنّ الإشارات القليلة الموجودة في تلك الفترة لم تشير إلى وقائع حروب بينهما، كما أشارت إلى الصراع الدموي بين اليهود والمسيحيين المتصارعين على العرش في تلك الفترة. وقد يكون هذا لعدم خضوع المناطق الإسلامية لنفوذها لأنّ سيطرة المملكة الأجوية لم تتجاوز حتى في أوج نفوذها مناطق لاستا، وتجرأي، وأنجوت وجزء من بجمدر، أو لعلّ المملكة الأجوية كانت لا ترى أيّ خطورة على مملكتها من المسلمين أو من الفلاشة في الشمال الغربي ولذا تركتهم وشأنهم خاصة أنّها كانت مشغولة في حربها مع الكنيسة.

وفيما يبدو أنّ الصراع الذي نشب بين الفرقتين المسيحية واليهودية في تلك الفترة قد أعطى المسلمين فرصة ذهبية لتكوين إماراتهم وتوسيع سلطانتهم في الحبشة حتى أصبح لهم سبع إمارات تتمتع بنظم اجتماعية متقدمة، ورخاء اقتصادي. وأصبحت المناطق التي كانت تحت سيطرة المسلمين أكبر بكثير من المناطق التي كانت تخضع لنفوذ المملكة الحبشية المسيحية يومها، فجميع مناطق السواحل من البحر الأحمر إلى البحيرات العظمى أصبحت تحت إمرة السلطنات الإسلامية².

انتزاع يكونو أملاك الحكم من الأجويين

بعد تحالف بين "يكونو أملاك" من الأسرة السليمانية و"تكلا هيمنوت" من الكنيسة الحبشية ضد الأسرة الأجوية الحاكمة انتقل الحكم عام 1270م إلى أسرة عرفت باسم السليمانية تدعي أنّها من سلالة

¹Edward, Ullendorff. *The Ethiopians: An introduction to country and people*. london : 1960 p. 62

²Trimingham, Op.cit. p,66

نبي الله سليمان عليه السلام، وحولت هذه الأسرة عاصمة المملكة الحبشية إلى بلاد الأمهرا بدلاً من لاستا، وبعد أن استتب الأمر للأسرة السلিমانيّة أخذ النصارى يعززون مراكزهم بتوسيع مملكتهم نحو الشمال الغربي إلى مناطق قوجام، وداموت، وبجمدر، وبعدها توجهوا إلى الجنوب لإيقاف المد الإسلامي الذي كان ينتشر في الهضبة ودواخل الحبشة أولاً وليكون لهم منفذاً للاتصال بالعالم الخارجي ثانياً.

ورغم طبيعة تكوين إمارة أوفات والإمارات الإسلامية الأخرى التي اتسمت بالطابع السلمي التجاري بصفة عامة ولم يكن فيها مظاهر عسكرية أو مفاهيم توسعية على الأقل في مراحلها الأولى لاعتبار المسلمين الحبشة أرض دعوة وليست أرض جهاد فإنها سرعان ما تعرضت لحروب طاحنة من قبل الدولة الحبشية المسيحية القوية ووصل الصراع لذروته في القرن الرابع والخامس عشر وخاصة في عهد عمداصيون الذي حكم المملكة الحبشية بين "1314-1344م" والذي اعتبره كثير من المؤرخين المؤسس الحقيقي للإمبراطورية السلیمانيّة¹ وخلفائه نوايا كريستوس "1344-1372م" ودافيت "1382-1411م" واسحاق "1414-1429م" وزراً يعقوب "1443-1468م" وييدا مريم "1468-1478م" واسكندر "1478-1494م"².

الخلاصة

دخل الإسلام إلى الحبشة بعد مكة المكرمة عندما هاجر إليها المسلمون فراراً بدينهم من أذى قريش، وتعاضم انتشار الإسلام فيها في العهد الأموي والعباسي وفي العهود التي تلتها، وأخذ الإسلام يكتسب قوة التأثير في جميع المناطق التي دخلها، بل أصبح للمسلمين كيانات سياسية عرفت بدول الطراز الإسلامي أو الإمارات الإسلامية التي اتسمت بالفعالية في نشر تعاليم الإسلام، وحققت نمواً اقتصادياً وتقدماً معمارياً، وطوّرت نظاماً سياسية واجتماعية، إلا أنها تعرضت لحروب طاحنة من قبل الدولة الحبشية

¹ Trimingham, Op.cit, p.70

² أبو أحمد الإنيوي. مصدر سابق، ص 39. والمقريزي. مصدر سابق، ص 86 والتي بعدها

المسيحية القوية، خاصة من القرن الثالث عشر إلى بداية القرن السادس عشر، وأظهر المسلمون في تلك القرون ضعفاً شديداً، فسقطت كثير من إماراتهم تحت سيطرة المملكة الحبشية المسيحية حتى أمعنت الدولة الحبشية في فرض سلطانها على تلك الإمارات الناشئة، وفرضت عليها أتوات سنوية باهظة. ومازاد المسلمين وهنا فوق وهنهم أنه كانت الإمارات الإسلامية في الحبشة في تلك الفترة في خلاف شديد فيما بينها. ورغم كل ذلك فقد استطاع المسلمون الثبات على دينهم، وأبقوا حالة التدافع لما يقارب ثلاثة قرون مستمرة بينهم وبين حكام الأحباش، فكانت نتائج المعارك يوم لهم ويوم عليهم. وهكذا ظل الحال حتى بداية القرن السادس عشر الميلادي الذي تولى فيه أمر المسلمين أحمد بن إبراهيم الغازي المعروف (بالقورانج). إذاً من هو أحمد بن إبراهيم الغازي ؟ هذا ما سيتم تناوله في المبحث الآتي.

في تلك القرون ضعفاً شديداً، فسقطت كثير من إماراتهم تحت سيطرة المملكة الحبشية المسيحية حتى أمعنت الدولة الحبشية في فرض سلطانها على تلك الإمارات الناشئة، وفرضت عليها أتوات سنوية باهظة. ومازاد المسلمين وهنا فوق وهنهم أنه كانت الإمارات الإسلامية في الحبشة في تلك الفترة في خلاف شديد فيما بينها. ورغم كل ذلك فقد استطاع المسلمون الثبات على دينهم، وأبقوا حالة التدافع لما يقارب ثلاثة قرون مستمرة بينهم وبين الحكام الأحباش، فكانت نتائج المعارك يوم لهم ويوم عليهم. وهكذا ظل الحال حتى بداية القرن السادس عشر الميلادي الذي تولى فيه أمر المسلمين أحمد بن إبراهيم الغازي المعروف (بالقورانج). إذاً من هو أحمد بن إبراهيم الغازي ؟ هذا ما سيتم تناوله في المبحث الآتي.

المبحث الثالث

الصراع العنيف بين أحمد قورانج وملوك الحبشة في القرن السادس عشر

كان الغزو الإسلامي الشامل للحبشة في القرن السادس عشر بقيادة أحمد بن إبراهيم (1506-1543م) المعروف (بالقورانج) ومعناها الأشول أو الأعسر باللغة الأمهرية قضى أيام صباه في هوبات، وتزوج بنت الأمير محفوظ أمير زيلع¹، وكان فارساً وقائداً في جيش القائد جراد أبون. وبعد مقتل أبون في ساحة الوغى بدأ قورانج بناء قوة عسكرية أكثر انتظاماً في إمارة هوبات لمحاربة الأعداء، لكنّه في بادئ الأمر اصطدم بالصراع الداخلي فدخل في حرب مع السلطان أبوبكر وحسم المعركة بمقتل السلطان أبوبكر، وآل حكم السلطنة إلى ابن السلطان عمر الدين². وبعد أن استتب الأمر الداخلي له جمع شمل المسلمين تحت راية الجهاد في سبيل الله، وأعلن الانتفاضة ضد ملوك الحبشة بدءاً بمنع دفع الجزية التي كانت مفروضة على بعض الإمارات الإسلامية من ملوك الأحباش. وعندما سمع ملوك الأحباش بهذا الأمر أرسلوا حملة عسكرية عام 1527م بقيادة ديقالهان (Degalhan) حاكم بالي لكسر شوكته إلا أنّ هذه الحملة هزمت شر هزيمة على يد قوات أحمد بن إبراهيم. وبعدها تقدم القائد أحمد بقواته لمهاجمة قوات الملك لبنادنقل وأحرز نصراً حاسماً وسريعاً، وأرجع ما غنمه النصارى من المسلمين عبر التاريخ، وتوالت انتصاراته واحدة تلو الأخرى حتى استولى على دوارو وشوا وهدية وسيدامو وبالي ثم لاستا وبلاد الأمهرا وقوراجي، وتوغل إلى جنوب الحبشة ووسطها ووصل إلى الهضبة حيث إقليم تجراي حاضرة مملكة أكسوم

¹ غيث. مصدر سابق، ص 150-151

² المصدر السابق، ص 151

التاريخية عام 1535م وهكذا وصل إليها المسلمون لأول مرة¹. فأصبح للمسلمين السيطرة والسلطان في عموم أقاليم الحبشة بما فيها المنخفضات الإترية الشرقية والغربية حتى مدينة كسلا، وأصبحت هرر عاصمة الدولة الإسلامية²، وتحول خلق كثير إلى الإسلام، وتشير الروايات إلى أن تسعة من كل عشرة من سكان الحبشة قد دخلوا الإسلام في تلك الفترة. وأخذ دور النصرانية يتراجع حتى أشرف على الانهيار، إلا أن نصارى الحبشة استنجدوا بالبرتغاليين لإنقاذ المسيحية والمسيحيين في بلادهم فتحقق لهم ذلك بفضل التدخل السريع من البرتغاليين، حيث أرسل ملك البرتغال في حدود أربعمئة من الجند لمساعدة نصارى الحبشة، ووصلت القوات البرتغالية إلى ميناء مصوع بتاريخ 9 يوليو عام 1541م ثم توغلت إلى المرتفعات الإترية وعسكرت في دباروا تحت ضيافة بحر النجاش ملك دباروا والذي أوصلهم بدوره إلى قلاوديوس الذي كان قد خلف أباه الذي مات قبلها بعام في حالة سيئة بسبب الهزائم المتكررة التي أصابته وأصابته قومه أمام قوات المسلمين بقيادة أحمد بن إبراهيم الغازي³.

في عام 1542م تقابل الجيشان جيش (الإمام) وجيش ملك الحبشة وحلفائه البرتغاليين، ففي بادئ الأمر جرح (الإمام) وفقد عدداً كبيراً من جنوده بسبب الأسلحة الحديثة التي استخدمها البرتغاليون فانسحب إلى الشرق إلى جبال زوبول المطلة على أراضي الدناكل، وطلب النجدة من الأتراك الذين كان لهم تواجد في البحر الأحمر. وعندما وصلت إليه الإمدادات عاود الكرة، وقتل قائد الحملة كريستوفر داجاما (Christovao Da Gama) ودمر نصف قوات الحملة البرتغالية، وغنم عدداً كبيراً من الأسلحة والمعدات، وبعد هذه الانتصارات اعتقد (الإمام) أن المعركة قد حسمت لصالح المسلمين فأرجع القوات

¹ غيث. مصدر سابق، ص 152 ومابعدها. و جمال الدين الشامي وابنه هاشم جمال الدين ، مصدر سابق، ص 212.
Trimingham, .op.cit, p85-89 . والنقيرة ، مصدر سابق، ص 230-231. و أبوبكر علي الشيخ. مصدر سابق ، ص 214

² Trimingham, op.cit. p.89

³ غيث. مصدر سابق ، ص 155-157

التركية إلى قواعدها في اليمن¹. إلا أن نشوة انتصارات المسلمين على الأحباش وحلفائهم البرتغاليين لم تدم طويلاً، فبعد فترة وجيزة استعاد ملك الحبشة وحلفائه البرتغال قواهم، واشتبكوا مع قوات (الإمام) أحمد، فقتلوا (الإمام) وفرقوا جيشه وأرجعوا الأقاليم الحبشية إلى ماكانت عليه قبل الغزو².

وقد أثرت تلك الحروب على المسلمين وجعلتهم أضعف حالاً من أعدائهم، كما أثرت في مجريات الأحداث التاريخية وفي وضع المسلمين في الحبشة للقرون التي تلت تلك المعارك. ورغم أنّ المسلمين حاولوا عدة مرات رد الاعتبار لهم كمحاولة الوزير عباس، ونور الدين الذي تزوج أرملة (الإمام) أحمد بعد أن تعهد لها بالانتقام له، لكن محاولتهما لم تكن كافية لتحسين الوضع السياسي للمسلمين في الحبشة³. ومما زاد المسلمين ضعفاً فوق ضعفهم زحف شعب الجالا الوثني إلى مناطقهم من الجنوب مستغلين انشغال المسلمين بالمعارك. مما أجبر خليفة المسلمين الأمير عثمان في عقد معاهدة معهم فكان من المسلمين في مدينة هرر من يرى غير ذلك مما تسبب في خلاف داخلي بين المسلمين. ومع ازدياد عدد القبائل الوثنية في هرر لم يستطع المسلمون الصمود أمامهم، فحولوا عاصمتهم إلى أوسا، فأصبحت حاضرة الإمارات الإسلامية⁴. وتمضي السنون ويختلف الأحباش مع البرتغاليين عندما شعروا بتدخل البرتغاليين في شؤونهم الدينية والسياسية وخاصة عند محاولة البرتغاليين لتحويل الأحباش من مذهبهم اليقوي إلى المذهب الكاثوليكي مما تسبب في أزمة دينية وإضطرابات سياسية في البلاد، وكاد أمر الدولة الحبشية أن يتشتت بانفراط عقدتها الاجتماعي الداخلي، فاضطروا لطردهم البرتغاليين وإلى عقد معاهدات مع المسلمين مع إمام اليمن المؤيد بالله وبعده خليفته المتوكل على الله ومع الولاة العثمانيين في مصوع وسواكن وزيلع⁵. وبعودة الأحباش إلى سياستهم قبل القرن الثالث عشر الميلادي، وهي مسالة المسلمين والانعزال عن العالم

¹ Trimingham, Op.Cit.p ,89

² المصدر السابق، ص 90 . و غيث. مصدر سابق، ص156

³ غيث ، مصدر سابق ، ص 160

⁴ Trimingham, Op.Cit. p,90-97

⁵ فتحي غيث ،مصدر سابق ص 31. و Trimingham, op.cit. p,100-101

الخارجي خوفاً من التأثيرات الأوروبية التي سعت لتغيير مذهبهم اليقوي بالكاثوليكي، ووقف القتال بينهم وبين المسلمين بموجب تلك المعاهدة، أخذت الدعوة الإسلامية تتغلغل مرة أخرى في ربوع الحبشة، وتنتشر بين قبائل الأمهرة النصرانية، والجالا الوثنية، حتى أنّ الرحالة الغربي مانويل دالميدا (Manoel, d, almeida) الذي عاش في الحبشة في فترة ما بين 1624-1633م وصف انتشار الدعوة الإسلامية في الحبشة بانتشار أفقي، وقال إنّ المسلمين يؤلفون ثلث سكان الإمبراطورية الحبشية¹، وهذه النسبة كبيرة إذا أخذنا في الاعتبار أنّ نسبة كبيرة من سكان الحبشة آنذاك كانوا وثنيين.

ومن المميزات التي ساعدت انتشار الإسلام في الحبشة إضافة إلى العوامل السياسية التي سبق ذكرها، بساطة الإسلام، وانفتاحه على الجميع، والمساواة بينهم، هذا بينما كان يظهر نصارى الأمهرة الكبرياء والعنصرية ضد الأقوام الأخرى وبذلك "دخل الوثنيون والمسيحيون في الإسلام أفواجا، إعجاباً به وكرهاً في الأحمريّة وحضارتها"². إضافة إلى موقف الإسلام الصارم من الرق. وما أن حل منتصف القرن التاسع عشر إلا وقد اعتنق ملوك الجالا (الأرومو) والغالبية العظمى من شعوبهم الإسلام، واستعادت مدينة هرر نشاطها الحضاري والمعرفي، فتخرج منها الفقهاء والعلماء، وأيضاً نشطت الحركة العلمية والثقافية في المدن الإسلامية الأخرى كعروسي وغيرها.³ وبالمقابل كانت الدولة الحبشية تعاني من الوهن والتشتت الداخلي ثم دخلت إثيوبيا بعدها في مرحلة من الفوضى والتفكك، واستقل حكام الأقاليم بمناطقهم، وما عاد للمركز من سيطرة، وفقدت الكنيسة ممتلكاتها في القدس، ولم تستعد إثيوبيا عافيتها إلا في النصف الثاني من القرن التاسع عشر على يد الإمبراطور ثيودور (1855-1868)⁴.

¹ Trimingham. op.cit.,P,101

² النقيرة. مصدر سابق ص. 230 وأنظر أيضا Trimingham, op.cit.,P,101

³ النقيرة. مصدر سابق، ص 237

⁴ مكّي، حسن وآخرون. الإسلام في أفريقيا مجموعة بحوث. (بيروت ودمشق : دار الفكر المعاصر، 2002). ص 204

عهد الإمبراطور ثيودور (1855-1868)

عمل الإمبراطور ثيودور منذ البداية على تحويل المسلمين وقبائل الجالا الوثنية إلى المسيحية أو القضاء عليهم، كما وقف بالمرصاد في وجه الطبقة الإقطاعية المسيطرة في مقدرات البلاد، وأجري كثيراً من الإصلاحات في شؤون الدولة كإلغاء تجارة الرقيق، وتعدد الزوجات وغيرها¹. وكان انفعالياً سريع الغضب، شديد القسوة. ولم يلبث ثيودور مدة حتى دخل في خلاف مع الدولة البريطانية وذلك عندما تجاهلت الملكة فيكتوريا طلبه ولم ترد عليه، فاعتبر ذلك إهانة له وقام بسجن قنصلها، والرعايا الأوروبيين الآخرين من الإرساليات التي كنت موجودة في البلاد². في بادئ الأمر طلبت منه المملكة المتحدة البريطانية أن يتراجع عن قراره ويفك رعاياها والرعايا الأوروبيين إلا أنه رفض هذه النداءات، فما كان من المملكة المتحدة إلا أن تجرد حملة عسكرية ضده بقيادة نابيير، فهاجمته في قلعته وعندما رأى أنه سيهزم قتل نفسه³. وتمكن حاكم تجراي رأس كاسا الذي ساعد الإنجليز في تلك المعركة من اعتلاء العرش باسم الإمبراطور يوحنس.

عهد الإمبراطور يوحنس الرابع (1872- 1889م)

وبعد نجاح الحملة الإنجليزية وقضائها على الملك ثيودور أهدت عتاها العسكري والأسلحة الكثيرة -وهي عبارة عن مجموعة من مدافع، وكمية كبيرة من البنادق والذخائر- إلى يوحنس. وكان قد بدأ حمي تنافس الإستعمار الأوروبي في المنطقة، ولم تشأ روسيا أن تكون بعيدة عن هذا المشهد، فأرسلت مندوباً إلى يوحنس عام 1885م فاستقبله استقبلاً حسناً، وسمح له ببناء كنيسة ومعها أهداه مساحة كبيرة من الأرض سميت بموسكو الجديدة، وفي مقابل ذلك طلب من الروس المساعدة لتسليح الجيش الحبشي فأمدوه ب

¹ غيث. مصدر سابق، ص 189-190

² المصدر السابق، ص، 190-192

³ المصدر السابق، ص، 197

50000 بندقية طويلة، و50000 بندقية فرسان، و5000 مسدس، و40 مدفع، و5000 سيف، وعدداً كبيراً من الذخائر¹.

ولقد تميز عهده بالقسوة على المسلمين والوثنيين واليهود، وإن كانت قسوته وضغطه على المسلمين تفوق ما تعرض له الآخرون، وكان نهاية فصول هذا الضغط عام 1878م حيث ألزم المسلمين على أن يتحولوا إلى المسيحية في خلال ثلاث سنين، والوثنيين في خلال خمس، وستين للطوائف المسيحية الأخرى للتحويل إلى المذهب يعقوبي الذي تدين به الكنيسة الحبشية². وبعد أيام قليلة من تلك القرارات أصدر الملك مرسوماً جديداً يخص المسلمين حيث لم يقتصر في بناء الكنائس في مناطقهم ودفع العشور للقساوسة فحسب، بل وضع الموظفين المسلمين بين خيارين في خلال ثلاثة أشهر إمّا التحول إلى المسيحية أو الطرد من مناصبهم³. ولم ينتظر الملك للموعد الذي حدده بل بدأ عملية التنصير الإجباري للمسلمين، وقد قدر مساجا (Massaja) -وهو مبشر مسيحي عاش في الحبشة خمسة وثلاثين عاماً- أعداد الذين أرغموا على التعميد بحوالي خمسين ألف من المسلمين، وأعداداً كبيرة من القبائل الوثنية⁴. وبما أنهم أجبروا على قبول المسيحية فقد كانوا يتظاهرون بالمسيحية ويبطنون الإسلام، ويؤكدون ولاءهم له. وبما ساعدهم في ذلك أنّ عملية التنصير كانت مقصورة على الرجال دون النساء، فقامت النساء المسلمات في البلاد أثناء تلك المحنة بدور بارز في نشر الإسلام، والحفاظ عليه بتنشئة الأجيال علي نوره⁵. وقد أخفقت هذه التدابير والوسائل العنيفة التي اتخذت لصالح النصرانية، وأدت إلى زيادة كراهية المسلمين والوثنيين جميعاً للدين المسيحي، وهذا بدوره مهد لنمو الإسلام مرة أخرى، فقد عاد نشاط حركة الدعاة في مختلف أقاليم البلاد لنشر الإسلام فتحولت قبائل بأكملها من المسيحية إلى الإسلام مثل قبائل

¹ غيث. مصدر سابق، ص 202-204

² المصدر السابق، ص، 207

³ المصدر السابق، ص، 207

⁴ المصدر السابق، ص، 206-208

⁵ المصدر السابق، ص، 207

الحياب بفروعها الثلاث (عد تكليس، أسقدي، تماريام) ومنسج وييجوك وفروع من البلين وقبائل أخرى
وثنية كثيرة¹.

وقد ترافقت هذه التطورات في الحبشة مع تنازل الدولة العثمانية عن ولاياتها في البحر الأحمر مثل
مصوع سواكن، التاكا، وعن ميناء زيلع وبربرة للحكومة المصرية، وذلك في عهد الخديوي إسماعيل عام
1875م مقابل ضريبة سنوية². وما أن وضعت الحكومة المصرية يدها على ساحل البحر الأحمر -وكان
قد أكتمل قبله بفترة حفر قناة السويس- حتى زادت أطماعها للتوسع في القرن الإفريقي، وبدأ يرادها في
ذلك حلم تحقيق السيطرة على منابع النيل في بحيرة تانا في الهضبة الإثيوبية لضمان حاجتها الاقتصادية
والسياسية. فأرسلت لذلك الغرض ثلاثة حملات تجاه الدولة الإثيوبية، نجحت إحداها وهي حملة زيلع
والتي استطاعت أن تدخل إلى مدينة هرر التاريخية، ومنيت بهزيمة في الثانية والثالثة على يد الإمبراطور
يوحنس. وكانت الهزيمة الأولى في قنديت القريبة من نهر مأرب. وكانت الثالثة في المنطقة العفرية على يد
سلطنة أوسا³. وقد احتفظت مصر بعد فشل حملاتها بالمناطق الإسلامية، سواكن، والتاكا في شرق
السودان بالمسميات الحالية، ومصوع ومرتفعات الحباب وكرن وحوض بركة وقاش في إرتريا، وزيلع وبربرة في
الصومال حتى احتلها الاستعمار الأوروبي في نهاية القرن التاسع عشر⁴.

¹ المصدر السابق ، ص 208

² أحمد جمالة ، مصدر سابق ص 194. و مكى وآخرون ، مصدر سابق، ص 204

³ مكى وآخرون. مصدر سابق، ص 204-205. و سبي. تاريخ إرتريا ، مصدر سابق، ص 153-154 و Trimmingham Islam
in Ethiopia, Op.cit, p, 121-122

⁴ سبي، تاريخ إرتريا، مصدر سابق، ص 155

وكان نجاح الإمبراطور يوحنس ضد الحملات المصرية محفزاً له لتدمير أي مشروع منأوى له يظهر في المنطقة، فزحف بجيشه بقصد القضاء على الثورة المهدية في السودان بالتحالف مع الإنجليز، إلا أنّ هذه الحملة منيت بهزيمة وقتل فيها يوحنس في موقعة المتمة الشهيرة عام 1889¹.

عهد الملك منليك (1889-1913)

وبعد موت الإمبراطور يوحنس عام 1889م انتقل الملك من التجارى إلى الأمهرا تحت تاج الإمبراطور منليك. وكانت إيطاليا قد احتلت إرتريا في تلك الفترة، ودخلت في خلاف مع يوحنس وكان منليك لايزال ملكاً على شوا ومنافساً للإمبراطور يوحنس في حكم الحبشة، ومن مبدأ عدوي عدوك يبدو زودته إيطاليا بالسلاح ليثور على يوحنس ويسقطه لكنه لم يفعل ذلك². وقتل يوحنس في أيدي جيش المهدية³، فتولي منليك عرش الإمبراطور في إثيوبيا واعترفت به الحكومة الإيطالية على الفور، ووقعت معه عدة اتفاقيات، كما وجد الاعتراف والمساعدة من كل من الحكومة الإنجليزية، والفرنسية. وكان الإمبراطور منليك قد ورث من سلفه جيشاً مسلحاً بعتاد وأسلحة حديثة من بريطانيا وروسيا، كما سبق الإشارة إليه، إضافة إلى الأسلحة التي حصل عليها من إيطاليا عندما كان ملكاً لإقليم شوا. وبعد فترة من حكمه ساءت علاقته مع إيطاليا ودخل معها في حروب. وقد حقق الملك منليك نصراً ساحقاً وتاريخياً على القوى الإيطالية الغازية في معركة عدوا الشهيرة (1896م) التي قضى فيها منليك على أحلام إيطاليا الطامعة للتوسع على كل أقاليم الحبشة⁴.

وامتاز عصر منليك كسلفه بالقسوة ضد المسلمين، ولم يتوان في استخدام السلاح لتوسيع إمبراطوريته على حساب مناطق العمق الإسلامي في هرر وبالي وعروسي وهدية وشوا، ومناطق القبائل

¹ مكي وآخرون، مصدر سابق، ص 205

² غيث، مصدر سابق، ص، 247-248

³ المصدر السابق، ص، 237

⁴ غيث، مصدر سابق، ص 247 والتي بعدها. و مكي وآخرون، مصدر سابق، ص 205

الوثنية في الجنوب والجنوب الغربي، وضم هذه المناطق قسراً بقوة السلاح إلى إمبراطوريته¹. ومما ساعده في ذلك دخول القوى الأوروبية المستعمرة للمنطقة، فتقاسمت فرنسا وإيطاليا وبريطانيا الصومال. ووقعت إرتريا تحت الاحتلال الإيطالي، وبسطت بريطانيا سيطرتها الكاملة على السودان بعد قمع الثورة المهدية وقبله ثورة أحمد العربي في مصر. واستثنت الدول الأوروبية المستعمرة لمنطقة القرن الإفريقي إثيوبيا من الاستعمار، بل اتفقت على استقلالها تحت تاج الإمبراطور منليك. وبفضل هذا الدعم والاعتراف الغربي لإثيوبيا قويت شوكة الدولة الإثيوبية في مطلع القرن العشرين. وحينما رحل منليك من الدنيا عام 1913م لم يكن له ولد يرثه فورث عرشه سبطه ليح إياسو.

"وكان والد ليح إياسو الرأس محمد علي من سلاطين قبائل الأرومو، وفي سعي منليك لكسب ود الأرومو زوج زعيمهم من ابنته، ولكنه أرغمه على قبول النصرانية، ولكن الرأس محمد علي، والذي تسمى بالرأس مخائيل، ظل ييطن الإسلام ويظهر النصرانية، بل عمد إلى تنشئة ابنه ليح إياسو على الإسلام، لذا فما أن اعتلى هذا الأخير عرش جده حتى أعلن إسلامه²"، وبذلك واجه حرباً شعواء من المؤسسة الإمبراطورية الإقطاعية، والكنيسة القبطية، والقوى الأوروبية الحريضة على إبقاء أمر إثيوبيا على يد الصفوة المسيحية، فأخذوا يطلقون ضده شائعات واحدة تلو الأخرى، كالشائعات عن خبل الإمبراطور وسوء تصرفاته، وأنه متحالف مع مهدي الصومال محمد عبد الله حسن الذي كان يحارب الاستعمار (الإنجليزي والإيطالي) في الصومال، وأيضاً اتهموه بالتعامل سراً مع الدولة العثمانية، وكذلك بموالة الألمان، وغيرها دسائس كثيرة مهدت لإقصائه من العرش³.

وفي عام 1917م صدر الأمر بعزله من العرش، ثم لوحق من قبل الكنيسة والإقطاعيين، والقوى الأوروبية المستعمرة للمنطقة، فهرب إلى بلاد الدناكل (العفر) إلا أنه تم القبض عليه وبقي في سجنه إلى

¹ المصدر السابق، ص 206

² المصدر السابق، ص 206

³ غيث، مصدر سابق، ص 257-258

بداية دخول إيطاليا إلى الحبشة عام 1936م وقبيل ذلك بقليل أمر الإمبراطور هيلي سلاسي بإعدامه حتى لا ينصبوه إمبراطوراً مرة أخرى في البلاد ليكسبوا تعاطف المسلمين¹.

فترة حكم الإمبراطور هيلي سلاسي (1928- 1974)

كانت قد تولت العرش بعد إزاحة ليج إياسو من العرش ابنة منليك زوديتو، وأصبح رأس تفاري وصيا ووارثا للعرش، فاستولى رأس تفاري على العرش بعد إزاحة زوديتو منه في عام 1928م تحت اسم الإمبراطور هيلي سلاسي الأول²، ومنذ توليه عرش البلاد أسس هيلي سلاسي ثقافة إثيوبية رسمية تدور حول فلك تقديس ذات الإمبراطور مستخدماً في ذلك المؤسسة الإمبراطورية، والكنيسة القبطية، والقوى الإقطاعية في أجواء من العزلة والاستبداد، وكأسلافه حد من انتشار الإسلام، وعزل مسلمي إثيوبيا من تأثيرات المسلمين في العالم، وقمع فاعلية الثقافة الإسلامية في إثيوبيا، كما حرم المنتسبين إليها من مواقع الصدارة في المجتمع ومن وظائف الدولة، كما قام بتشجيع المنظمات التبشيرية المسيحية للعمل في مناطق المسلمين والمجموعات اللادينية³.

وفي عهد هيلي سلاسي تعرضت إثيوبيا لحملة الفاشية الإيطالية لاستعمارها فسقطت العاصمة أديس أبابا في يد الجيش الإيطالي الغازي في مايو عام 1936م وهرب الإمبراطور هيلي سلاسي إلى لندن. وعقب ذلك أعلن موسوليني تشكيل مستعمرة إيطالية في شرقي أفريقيا تضم الأراضي الإترية وإقليم التجراى شوا، وهرر، وسيدامو، والقسم الإيطالي في الصومال بما فيه أوغادين⁴.

¹ مكي وآخرون، مصدر سابق ص 206 و Trimingham, Op.Cit, p,130-131

² Trimingham. Op.Cit, p,135-136-

³ مكي وآخرون، مصدر سابق، ص 224

⁴ Trimingham. Op.cit. p137

وبعد دخول الإيطاليين إلى إثيوبيا حاولوا خلق توازن داخلي بين المسيحيين والمسلمين وذلك من خلال اعترافهم بالإسلام كدين رسمي في البلد بجانب المسيحية، والسماح للمسلمين ببناء مساجد جديدة أو إصلاح وترميم المساجد القديمة، وإنشاء مراكز إسلامية، ككلية دار العلوم الإسلامية في جما ومؤسسات دينية أخرى في أنحاء البلاد. وسمحت بتدريس اللغة العربية في مناطق المسلمين واستخدمت في المراسلات الرسمية في مقاطعات جما وهرر، إلى جانب ذلك قامت بتعيين قضاة شرعيين في مناطق المسلمين في إثيوبيا¹، ولم تفعل الدولة الإيطالية هذا من مبدأ تفضيل المسلمين على الآخرين بل فرضته عليها الضرورات السياسية التي تستدعي إضعاف المؤسسة الإمبراطورية وركائزها، الثلاثة الكنيسة القبطية والصفوة الأمهرية المسيحية وضمانات القوى الغربية المسيحية لها. كل هذا استدعي رفع مستوى المسلمين المضطهدين لموازنة القوى في إثيوبيا، وبذلك لم يفعل الإيطاليون شيئاً غير مألوف للمسلمين بل كل ما فعلوه أنهم عاملوهم فقط بالمثل مع الآخرين. وبتطور الحرب العالمية الثانية وخروج إيطاليا وحلفائها من المسرح الدولي، استطاع هيلي سلاسي استعادة عرشه مرة أخرى في عام 1941م بمعاونة البريطانيين له². واستفاد من أجواء التعاطف الدولي مع إثيوبيا بعد الحرب العالمية الثانية أيما استفادة، فضم إريتريا لإثيوبيا وكذلك مناطق الأوغادين³، وزاد من طغيانه وجبروته، وحكم البلاد بقبضة من الحديد، وأذاق المسلمين سوء العذاب، وأرجعهم إلى ما كانوا عليه في السابق من اضطهاد وظلم، وحجبهم عن العالم حتى أصبح الناس لا يعرفون شيئاً عن أمورهم. لكن من سنن التاريخ دوام الحال من المحال، فبدأ أفول نجمه من بداية النصف الثاني من القرن العشرين، وذلك لزيادة وعي القوميات ومطالبتها بحقوقها⁴، فأعلن الإريتريون ثورتهم المسلحة ضد نظامه في عام 1961م تحت راية جبهة التحرير الإرتيرية بقيادة حامد إدريس عواتي، وتبعته

¹ Ibid, p136-138

² Hagai, Erlich. *The struggle over Eritrea, 1962-1978*. California: Hoover Institution Press, 1983.p.32

³ مكى وآخرون، مصدر سابق، ص 207

⁴ النقيرة، مصدر سابق، ص 206-207

ثورات أخرى مماثلة في أوغادين وتجرأى وأرومو. وهذه الثورات وخاصة الثورة الإرتيرية منها أدخلت نظام هيلي سلاسي في حروب مستديمة، فأنهكت دعائم دولته سياسياً واقتصادياً وعسكرياً.

وبما أن الحرب دمار فقد قوضت مقومات الحياة في إثيوبيا، فعانى المجتمع الإثيوبي من مجاعات قاسية عجز اقتصاد البلد عن مواجهتها، فتسرب اليأس والنفور من المؤسسة الحاكمة إلى كثير من أهل إثيوبيا وظهر التملل في المؤسسة العسكرية من الوضع المتردي في البلاد. إلا أن الأمر الملفت للنظر في تلك الفترة ولأول مرة هو خروج المسلمين في إثيوبيا للمطالبة بحقوقهم في مظاهرة ضخمة عمت شوارع العاصمة وذلك في 15 إبريل 1974م مطالبين بالمساواة بين الأديان، وفصل الكنيسة عن الدولة، وإنشاء مجلس إسلامي لرعاية أمور المسلمين، وضمان كفالة حقوقهم في الوظائف العامة، والتعليم، والتمثيل في البرلمان والمجالس المحلية وغيرها. وهذه المظاهرة قد أظهرت بوضوح ضعف الإمبراطور هيلي سلاسي ونظامه، وأرسلت إشارة إلى المؤسسة العسكرية مفادها أن مركز القرار في الدولة في حالة احتضار¹.

انتقال الحكم في إثيوبيا من الإمبراطورية الملكية إلى النظام الجمهوري عام 1974م

ولم تمض مدة بعد مظاهرة المسلمين المطالبة بحقوقهم حتى أعلنت المؤسسة العسكرية الانقلاب على الإمبراطور هيلي سلاسي في مايو 1974م، فأعلنت الاشتراكية في إثيوبيا، وتوجهت نحو روسيا وكوبا بقيادة العقيد منجستو هيلي ماريام، غير أن منجستو لم يكن هو الآخر بأحسن من سلفه، فاعتمد الحل العسكري للقضاء على الثورات المقاومة، وقام بتجيش الشعب لهذا الغرض. واتبع سياسة القمع والتصفية ضد المعارضين لنظامه، فأثر على المجموعات السياسية المعارضة والعناصر المثقفة بما فيهم قيادات المسلمين. إلا أن كل هذا لم يضعف معارضييه بل قويت شوكة المقاومة في كل من إرتريا والأوغادين. فبحلول عام

¹ مكى وآخرون، مصدر سابق، ص 210

1977م حررت الثورة الإرترية أغلب المدن الإرترية، كما أحرز الصوماليون مكاسب كبيرة في منطقة الأوغادين. فظهر ضعف منجستو بسبب الصراعات الداخلية، والضربات الثورية، وتأتي النجدة مرة أخرى من القوى الخارجية لإخراج إثيوبيا من ورطتها، وفي هذه المرة جاءت النجدة من المعسكر الاشتراكي فدخلت روسيا بثقلها السياسي والعسكري لإنقاذ الموقف، فأقاموا جسراً جويّاً لنقل السلاح والمستشارين العسكريين، ودكوا في وقت وجيز مواقع الثورة الإرترية، وطرّدوا الصوماليين من المواقع التي استولوا عليها. فاستعاد منجستو المناطق التي فقدوها، وأصبحت له ترسانة من سلاح منظومة المعسكر الشرقي. وبفضل هذا السلاح القادام من الخارج استطاع أن يعزز مركزه ويحكم البلاد بقوة السلاح والقهر والقمع. وعلى الرغم من ذلك، لم يكن عهد منجستو كله مساوئاً بالنسبة للمسلمين، فقد استفاد المسلمون من نظام منجستو بفكّه الارتباط بين الكنيسة القبطية والدولة من ناحية، والإقطاعية والأسرة المالكة من ناحية أخرى. فبإعلان فصل الدين عن الدولة أصبح المسلمون مواطنين لهم الحق في الوظائف العامة، كالتعليم والجنديّة والتمثيل في المجالس النيابية وغيرها. وحققوا أيضاً مكاسب مقدرة من الإصلاح الزراعي بعد تأميمها من ثلاثي الكنيسة، والأسرة المالكة، والإقطاعيين، وتوزيعها لمن يصلحها.

وتدور حركة التاريخ مرة أخرى في عام 1991م فتستقل إرتريا عن إثيوبيا بعد ضمها إليها بالقوة قبل ثلاثين عاماً من ذلك التاريخ، ويؤول الحكم في إثيوبيا للتجاري أصحاب مملكة أكسوم التاريخية وحلفاؤهم من القوميات الأخرى، ويعلنون ميثاقاً جديداً للحكم في إثيوبيا يؤكد ضمان حقوق القوميات، وحل مشاكلها عبر إقامة حكم ذاتي "فيدرالية إثنية" يمنح القوميات حق إدارة شؤونهم وحق تقرير المصير حتى الانفصال إذا هضمت حقوقهم أو تم التناكر لها.

الخلاصة

إنّ هذا الجوّ من الحرّيات والإنعتاق لا شك قد خلق وضعاً أفضل للمسلمين رغم قلة حيلتهم لكثرة ضربات الدهر عليهم، بسبب الظروف التاريخية والحضارية والدينية التي سبق ذكرها. فلا غرابة أن يصل المسلمون إلى مقاليد الحكم، ويكون لهم التأثير في مركب القوميات، باعتبارهم الأكثرية حيث يتكونون من الأرومو، والصومال، والعفر، وبنّي شنقول، وجورافي والأدرى.. إلخ. ومهما يكن من الأمر، فإن جو الفيدراليات الإثنية جعل للمسلمين نصيباً مقدراً في السلطة، فأصبحوا يعبرون بوضوح عن هويتهم الدينية، وثقافتهم المكبوتة في دواخلهم لقرون مضت، فأصبحت المظاهر الإسلامية في إثيوبيا مألوفاً، من بناء للمساجد، ودور العلم كالمعاهد والمدارس القرآنية، ومظاهر الأعياد الإسلامية. ونشطت حركة الدعاة، ونشر الكتاب الإسلامي، وتعددت وسائل نشره، كما ازدادت حركتهم في سوق المال والأعمال. ولئن كان المسلمون في إثيوبيا قد شهدوا تطوراً معقولاً إلى حد ما سياسياً واقتصادياً وتعليمياً من عام 1991م إلى يومنا هذا، إلا أنّهم مازالوا لم يأخذوا حجمهم الحقيقي في تاريخ وحضارة إثيوبيا العريقة كأكبر مكوّن اجتماعي في البلاد. هذه كانت نبذة عن تطوّرات أوضاع المسلمين في الحبشة عبر التاريخ بشكل عام وأحوال المسلمين في إثيوبيا في الوقت الحاضر على وجه الخصوص. أمّا تطوّرات الإسلام والمسلمين في إرتريا فسوف يتم تناولها في المباحث الثلاث التالية.

المبحث الرابع

تطوّرات الإسلام في إرتريا

العلاقة بين شعوب الجزيرة العربية وشعوب المنطقة الحبشية بشكل عام وإرتريا على وجه خاص موعلة في التاريخ. فكانت الموانئ الإرترية تستقبل الهجرات العربية المتجهة صوب البر الإفريقي، كما أنها كانت نقطة التقاء لتجار الشاطئين الشرقي والغربي للبحر الأحمر، ويؤكد ذلك ما بلغنا من أخبار العصر الجاهلي "إذ أشار طرفة بن العبد البكري، قبل مئات السنين (538-564م) إليها وإلى سفنها في معلقته العصماء، حين يقول: (عدولية أو من سفين ابن يامن - يحور بها الملاح طوراً ويهتدى) وتغنى شعراء الجاهلية بروماها السمهرية التي كانت بمثابة الصواريخ في العهود الغابرة قائلين: (ابن الرماح السمهرية والسيوف المشرفية والعديد الأكثر - من منكم الملك المطاع كأنه بين التوابع التبّع في حمير)"¹ وجاء في كتب التاريخ كلام مطابق للشعر الجاهلي إذ يقول اليعقوبي "ولم تزل العرب تأتي إليها للتجارة، ولهم مدن عظام وساحلهم دهلك"². أمّا الطبري فيقول: "ولقد كانت أرض الحبشة متجراً لقريش يتجرون فيها، ويجدون فيها رفاغة من الرزق وأمناً ومتجراً حسناً"³. ويفهم مما تقدم أنّ جزيرة العرب كانت ترتبط بعلاقات تجارية مع الحبشة عبر التاريخ، وكان العرب على علم بأحوالها السياسية، والتجارية، ولعل هذا ما شجع الرسول صلى الله عليه وسلم أن يأمر أصحابه بالهجرة إليها، هرباً بدينهم من أذى كفار قريش لهم، وقال لهم صلى

¹ برحتو، محمد سعيد. دراسات إريتريّة نحو ميثاق التحرر الوطني. (الخرطوم: المركز الإفريقي للدراسات والإعلام، 1990)، ص، 20

² اليعقوبي. تاريخ اليعقوبي ج1. (بيروت: دار الكتب العلمية، 2002)، مصدر سابق، ص 193

³ الطبري. تاريخ الرسل والملوك ج3. مصدر سابق، ص 328

الله عليه وسلم إن بها ملكاً لا يظلم عنده أحد، وأرضها أرض صدق، فهاجر الصحابة رضوان الله عليهم إليها فراراً بدينهم. وما أن حلت أقدامهم إلى أرض الصدق لاقوا مقاما طيباً بجوار النجاشي، وعاشوا في كنفه نحو ستة عشر عاماً حتى عادوا منها في السنة الثامنة للهجرة¹.

وهكذا دخل الإسلام إلى إرتريا قبل أن يدخل إلى المدينة المنورة ويكون له فيها السيادة والريادة، وإن كان لا يعرف إلى أي مدى أثرت هذه الهجرة على سكان الحبشة بما فيها المنطقة الإرترية وذلك لقلة الوثائق التاريخية في الفترة الواقعة بين القرن السابع إلى القرن الثاني عشر ما عدا أخبار قليلة هنا أو هناك، وعلى قلتها اتسمت بالعمومية وبعدم الدقة والوضوح، إلا أنّ الشيء المؤكد أنّ هذه الهجرة تركت أثراً إيجابياً في علاقة الإسلام مع الحبشة تاريخياً حتى إنّ المسلمين استثنوا الحبشة من أرض الجهاد دون سواها.

وقد ازدادت موجات الهجرة العربية إلى السواحل الإرترية بعد فتح المسلمين لبلاد الشام، ومصر، وشمال إفريقيا، بعد أن ألحقوا الهزيمة بجيوش الرومان التي كانت تسيطر على تلك البلدان، والسواحل الإرترية في البحر الأحمر. ومنذ ذلك الوقت أصبحت السواحل الإرترية تحت نفوذ الدولة الإسلامية، مما هيا لهجرات أخرى إليها من المنطقة العربية لأسباب مختلفة، أهمها: العامل الاقتصادي لما كانت تجود به المنطقة الإرترية، والمنطقة الحبشية بشكل عام من مختلف الثروات الطبيعية كالزراعية والحيوانية والمعدنية، ووجود موانئ تجارية فيها كميناء عدوليس ومصوع وموانئ أخرى.

وهجرات أخرى كانت اضطرارية لعوامل سياسية كالمجموعات التي هربت من بطش الأمويين والعلويين المعارضين لحكم العباسيين، وغيرها من الانشقاقات التي شهدتها الدولة الإسلامية وقد تسببت في هجرة بعض الفرق الإسلامية، أو القبائل هرباً من اضطهاد واقع أو محتمل.² كما أن بني أمية قد اتخذوا

¹ أنظر للمزيد المبحث الثاني من هذا الفصل ص 26-27

² أحمد شلبي، موسوعة التاريخ الإسلامي، ط3. (القاهرة: مكتبة النهضة المصرية، 1978). ص 185

جزيرة دهلك الإرترية منفى للعناصر التي سخطوا عليها وذلك لبعدها، وشدة حرها، كنوع من العقاب.¹ وكان من هؤلاء المهاجرين شعراء، وقادة سياسيين، وفقهاء استقروا مع السكان الأصليين في المدن الساحلية الإرترية، وانفتحوا عليهم وصاهروهم، ونشروا الإسلام والثقافة الإسلامية بينهم. ومما سهل مهمة القادمين الجدد في تلك المهمة أنهم كانوا قريبي الشبه إلى البيئة التي وفدوا إليها في أشكالهم وعاداتهم وتقاليدهم.²

"وكانت القرون الثلاثة التي تلت القرن السابع الميلادي فترة تصاهر العرب النازحين مع قبائل البجة التي اكتسحت المنطقة، والقبائل الكوشية القديمة. وعن طريق المصاهرة، والتجارة انتشر الإسلام حتى أن المؤرخ الإيطالي كونت روسيني يشير إلى قيام ولاية إسلامية عربية مزدهرة في دهلك والشواطئ الإرترية في القرن الثامن الميلادي، كما يشير صاحب الأطلس للتاريخ الإسلامي إلى هذه الحقيقة".³ و مثلهما يذكر جثمان جاسلو في كتابه غرائب إثيوبيا "إن ميناء مصوع والموانئ الإرترية الأخرى في البحر الأحمر أصبحت موانئ إسلامية في مستهل القرن الثامن الميلادي".⁴ وكانت هذه المدن الساحلية الإرترية محطة انطلاق لتوغل المسلمين إلى عمق الحبشة، وعبرها توغلت قبيلة بني مخزوم إلى قلب الهضبة الحبشية، وأسسوا فيها مملكة شوا في عام 897م، وهي أول مملكة إسلامية في الحبشة. ومثلها قبيلة بني عقيل بن عبد المطلب قدمت إلى الحبشة واستوطنت فيها وأقام أفرادها دولتهم في إيفات التي أصبحت فيما بعد من أقوى ممالك الطراز الإسلامي في تلك الديار كما سبق التطرق لها، ومن ناحية أخرى فإن انتشار الإسلام في إرتريا لم يكن مقصوراً على البوابة الشرقية فحسب، بل بدأ ينتشر إليها من المنخفضات الشمالية والغربية عبر قبائل البجة.

¹ ناود. *العروبة والإسلام بالقرن الإفريقي*. مصدر سابق ص 141-142، وانظر حاشية رقم 3 لليعقوبي، *البلدان*، (بيروت: دار الكتب العلمية، 2002). ص 155

² ناود، *العروبة والإسلام بالقرن الإفريقي*، مصدر سابق ص 141-145

³ سبي. *تاريخ إرتري*. مصدر سابق، ص 112

⁴ المصدر السابق، ص 112

انتشار الإسلام في إرتريا عبر بوابة البجة

بعد أن بدأ انتشار الإسلام في إرتريا عبر البوابة الشرقية أخذ يتنامى باتجاهات أخرى حيث لم يكن مقصوراً في اتجاه الساحل الشرقي فقط، بل بدأ يتسرب إليها من الشمال والغرب عبر بوابة البجة. ففي عام 640م فتح المسلمون بلاد مصر، وعندما تقدموا باتجاه أسوان قوبلوا بمقاولة شرسة من قبائل البجة ذات النفوذ القوي في المنطقة الواقعة بين أسوان جنوباً وتمتد حتى حدود مملكة أكسوم في الحبشة، وميناء عدوليس التاريخي في البحر الأحمر شرقاً، وتسيطر على الخط التجارى الذي يربط بين مصر والحبشة، فشعر المسلمون بقيادة عبدالله بن أبي السرح بأهمية وخطورة قبائل البجة في تلك المنطقة، فعقدوا معاهدة سلام معها ومثلها مع مملكة النوبة المسيحية في عام 651م، فنظمت هذه المعاهدة العلاقات الاقتصادية، والسياسية بين البجة والمسلمين. وسمح بموجب هذه الاتفاقية للمسلمين الاتجار في بلاد البجة، وبعدها بدأ توافد المسلمين من القبائل العربية إلى أرض البجة، كربيعة، ومضر في نهاية القرن السابع، وتبعتهم مجموعات أموية بعد سقوط دولتهم في منتصف القرن الثامن.¹ فاختلف الوافدون مع السكان الأصليين، وتعلموا لغاتهم، وأجادوا ثقافتهم، وتزوجوا من بناتهم واستفادوا من خبرات المعادن الوفيرة في بلادهم، "فقويت البجة بمن صاهرها من ربيعة، وقويت ربيعة بالبجة على من ناوأها وجاورها من قحطان وغيرهم من مضر بن نزار ممن سكن تلك الديار".²

وبعضى جيل وراء جيل حتى ظهر جيل خليط يحمل سمات القبائل الوافدة وسمات السكان المحليين. وبرزت قيادات من السلالات العربية في مواقع قيادية في المجتمع الجديد "كرزماء بني الكنز في النوبة وهم من سلالة أب عربي من ربيعة وأم نوبية. وقد استفاد بنو الكنز من حق الوراثة عن طريق الأم

¹ أحمد شلي، موسوعة التاريخ الاسلامي، مصدر سابق، ص 185

² أبي الحسن على بن الحسين بن على السعودي ، مروج الذهب ومعادن الجوهر، ج2، تحقيق محمد محي الدين عبد الحميد ، (بيروت : دار المعرفة، 1983). ص 18

الذي كان سائداً بين النوبيين والبجة ليتبوؤوا مواضع القيادة في المجتمع الجديد، كما أن غيرهم من العرب استفاد من هذا الوضع".¹ وكذلك قبيلة ربيعة العربية التي وفدت إلى أرض البجة أصبح لها شأن عظيم وتربعت القيادة في الوسط الجديد حتى أنّ المسعودي عند حديثه عن بلاد البجة والمعادن الوفيرة فيها أشار إلى ذلك بقوله "وصاحب المعدن في وقتنا هذا -وهو سنة اثنتين وثلاثين وثلثمائة- أبو مروان بشير بن إسحاق وهو من ربيعة، يركب في ثلاثة آلاف من ربيعة وأحلافها من مضر، واليمن، وثلثين ألف حراب على الثُجَب من البجة بالجحف البجاوية، وهم الحدارية، وهم مسلمون من بين سائر البجة، وباقي البجة كفار يعبدون صنماً لهم".²

وبسقوط مملكة النوبة المسيحية في بداية القرن الثالث عشر تعاضمت هجرات عربية من صعيد مصر إلى أرض البجة، والنوبة ومناطق السنار، ليلتحقوا بمن سبقهم من القبائل العربية في تلك الديار كربيعة ومضر في بلاد البجة والقبائل العربية الأخرى في بلاد النوبة، مما عضد انتشار الإسلام وبعض مظاهر الثقافة العربية بصورة واضحة في تلك الديار.³ وكانت للبجة آنذاك خمسة ممالك في المنطقة الواقعة بين النيل والبحر الأحمر، كما يذكر اليعقوبي في القرن التاسع الميلادي وهي:

— مملكة ناقص: ومدينتها هجر، يأتيها المسلمون للتجارة، وهي تقع في المنطقة الواقعة بين أسوان في جنوب مصر إلى وادي بركة (الجزء الغربي لإرتريا حالياً) وأهلها كانوا مسلمين للمسلمين الذين يعملون في تجارة المعادن والجواهر والزمرد في بلادهم. ولهذه المملكة قبائل وبطون كما للعرب، فمنهم الحدارب، وحجاب العماعر، والمناس، ولعله يقصد بالحجاب (الحباب) والعماعر (الأمراء) وبالمناس (المنسع).

¹ يوسف فضل، مصدر سابق، ص 46

² المسعودي، مصدر سابق، ص 18

³ المصدر السابق، ص 46

— والثانية مملكة بقلين: وهي واسعة ممتدة وكثيرة المدن، تمتد من ساحل البحر الأحمر في شرق إرتريا إلى وادي بركة (غرب إرتريا بالمسميات الحالية).

— والثالثة هي مملكة: بازين، تمتد من حدود مملكة العلوة في النوبة إلى حدود مملكة بقلين في وادي بركة.

— والمملكة الرابعة يقال لها: جارين، ولها ملك خطير، وهي تقع بين باضع (مصوع حالياً) إلى حدود مملكة بقلين في وادي بركة غرب إرتريا بالمسميات الحالية.

— والخامسة يقال لها: قطعة، وهي تغطي المنطقة الواقعة بين نفقة ومصوع في الساحل الإرتري.¹

ويجدر بنا هنا الإشارة إلى أنّ بعض أسماء الأماكن والقبائل التي ذكرها اليعقوبي في القرن التاسع مازالت قائمة مما يبرهن إلى صحة ما ذهب إليه، وإذا أخذنا بالحدود التي رسمها المستعمر الأوروبي في القرن التاسع عشر فإنّ ثلاثة من هذه المملكات كانت تقع ضمن الأراضي الإرترية، أمّا المملكتان الأخريتان وهما مملكة بازين ومملكة ناقص فكانتا داخل الحدود السودانية، وكانتا تمتدان إلى أجزاء من المناطق الشمالية والغربية لإرترية. وكان سكان هذه المملكات وثنيين في الأصل إلا جزءاً يسيراً منهم كان قد اعتنق المسيحية قبل أن تبدأ الدعوة الإسلامية تنتشر في أوساطهم عبر التجار المسلمين الذين جاءوا بحثاً عن العمل، ويبدو أنّ عدم تجذر الديانة المسيحية في مناطق البجة والعفر والصومال خلاف الوثنية ساعد على سرعة الانتشار الإسلامي فيها.

في القرن التاسع يؤكد اليعقوبي دخول المسلمين للتجارة إلى الساحل الشمالي لإرتريا حيث مملكة ناقص ومدينتها هجر حيث يقول "ومدينة ملك البجة الحدارية يقال لها هجر، يأتيها الناس من المسلمين

¹ اليعقوبي، تاريخ اليعقوبي، مصدر سابق، ص 192-193

للتجارة".¹ كما يشير أيضاً إلى وجود تجار مسلمين في مملكة بقلين في غرب إرتريا في ذلك الوقت فيقول "والمدينة التي يسكنها ملك الزنافجة يقال لها بقلين وربما صار المسلمون إليها للتجارات".² وفي بداية القرن العاشر يقول المسعودي إن المدن الساحلية على البحر الأحمر كدهلك وباصع (مصوع) كان سكانها مسلمين كما يؤكد دخول قبيلة الحدارب البجاوية القوية إلى الإسلام في الساحل الشمالي.³ وفي أواخر القرن العاشر زار ابن حوقل مناطق البجة الشرقية، وذكر في شأن مملكتها ما ذكره اليعقوبي قبله بقرن، وإن كان ابن حوقل سمى بقلين بتفلين ويحتمل أن يكون هذا خطأ في النقل وخاصة أنه ذكر أنها تقع في نفس المنطقة التي تقع فيها بقلين، إلا أن ابن حوقل يضيف معلومات جديدة في شأن سكان هذه المملكة الواقعة في غرب إرتريا، فيقول إنّ لهم ملكاً مسلماً يتحدث العربية، وفي بلده خلق كثير من المسلمين يسافرون للتجارة، حتى زار بعضهم الحرم المكي لأداء فريضة الحج.⁴ وفي القرن الثاني عشر يشير الرحالة اليهودي الأسباني بنجامين تودولا الذي مرّ بهذه المدن في عام 1171م إلى حقيقة مهمة وهي أنّ جميع السكان الذين يعيشون في المدن الساحلية في البحر الأحمر هم من المسلمين.⁵

وفي القرن الثالث عشر يذكر ابن سعيد أنّ سكان السواحل من سواكن إلى باب المندب، ومن باب المندب إلى زيلع كانوا من المسلمين، وأنّ ملك أرخبيل دهلك من الجيش المسلمين كان يحاول الاستقلال من صاحب زبيد في اليمن.⁶

¹ اليعقوبي، البلدان، مصدر سابق، ص 174

² المصدر السابق، ص 175

³ المسعودي، مصدر سابق، ص 18

⁴ محمد أبوالقاسم بن حوقل. كتاب صورة الأرض. (بيروت: دار مكتبة الحياة، 1992)، ص 61

⁵ Trimingham, Op.cit, p 57

⁶ جمال الدين الشامي وابنه هاشم جمال الدين، مصدر سابق، ص 193

وفي القرن الرابع عشر يورد ابن فضل الله العمري في كتابه صورة الأرض وصفا مفصلاً عن المدن التجارية في سواحل البحر الأحمر وهي باصع (مصوع حالياً) ، وسواكن، ودهلك، ويقول سكانها كلهم مسلمين وهم كثيرون العدد، ويقول "أولئك القوم كثير عددهم، ولم يكن في بلادهم غيرهم من النوع الإنساني، لأنهم أجبر بني حام، وأخبر بالتوغل في القتال والاقتحام، طول زمانهم مسافرون، وفي صيد وحش البر راغبون، ومما يدل على قوة جناحهم أنهم لا يلبسون ولا يلبسون خيلهم عند القتال شيئاً، والمشهور عنهم مع ما لهم من الشجاعة يقبلون الحسب، ويصفحون عن الجرائم، والمصطلح بينهم أن من رمى سلاحه في القتال يجرمون قتاله، وقيل فيهم خلة حسنة أيضاً أنهم يحبون الغريب ويكرمون الضيف، ويقال أنه قل أن يوجد عندهم رثاء، والصديق عندهم لا ينقض عهداً لصديقه، وإذا تعاهدوا أكدوا المحبة وأظهروها، وإذا تباغضوا أعلنوا المبينة وأجهروها، إن أول بلادهم من الجهة الشرقية المائلة، إلى بعض الجهة الشمالية بحر الهند (يقصد البحر الأحمر) واليمن، والجهة الغربية إلى بلاد التكرور أولها مفازة تسمى وادي بركة يتوصل منه إلى إقليم يسمى سحرتي ويسمى قديماً تكراي".¹

فالعمري بهذا يقدم وصفاً دقيقاً لما كان عليه سكان المنطقة الإترية، من أحوال اجتماعية، واقتصادية، وعسكرية، ويتفق العمري مع المسعودي في إسلامهم وكثرة عددهم، ويضيف العمري إلى ذلك ما كانوا يتمتعون به من صفات وأوصاف حميدة كالصرامة والشجاعة عند اللقاء، وقبول الحسب، والصفح عن الجرائم، وحرمة قتل أسير الحرب، وإكرام الضيف والغريب، والإيفاء بالعهود والمواثيق، ووضوح التعامل في السر والعلن.

ويبين العمري مناطق انتشارهم وهي بالمستميات الحالية من دنكاليا جنوباً حتى الساحل شمالاً، ومن السهول السمهرية شرقاً حتى وادي بركة غرباً.

هـ¹ العمري، مصدر سابق، ص 84-85 بالتصرف

وبناءً على ماسبق فإن المسلمين كانوا منتشرين في مناطق شاسعة في إرتريا جنوباً وشمالاً، شرقاً وغرباً، وكانوا قوة كبيرة ذات ثقل مؤثر في المنطقة كما يذكر العمري.

ونعرف أيضاً من المؤرخين الذين سبق ذكرهم أن المدن الساحلية الإرترية (دهلك ومصوع) كانت قد شهدت نهضة اقتصادية وازدهرت فيها الثقافة الإسلامية، واللغة العربية. وأصبحت جاذبة للاستقرار فيها بعدما كانت منفى أو تستقبل الهاربين إليها من الجزيرة العربية بسبب الخلافات التي سادت في الدولة الإسلامية، فأصبحت مقصد التجار والشعراء والعلماء من الجزيرة العربية آحاداً وجماعات، حتى تحولت إلى سلطنات إسلامية مستقلة، وظهرت فيها مظاهر الرفاه كالقصور، ومعالم أخرى كالمساجد والقباب وغيرها. يقول جوناثان ميران الذي كتب عن تاريخ مدينة مصوع في العصر الحديث "وقد كان في أرخبيل دهلك خلال القرنين الثاني عشر والثالث عشر الميلاديين إمارة إسلامية مستقلة تعاقب على حكمها عدد من السلاطين، وشهدت ازدهاراً اقتصادياً جعل منها محطة لتجار العبور بين مصر والهند، وعبر البحر الأحمر بين اليمن والحبشة، كما أدى الانتعاش التجاري والاستقرار النسبي الذي شهدته منطقة البحر الأحمر إثر الهيمنة الفاطمية على المنطقة إلى تعزيز دور الإسلام في الإقليم على نطاق واسع".¹

ومن العوامل التي ساعدت المنطقة على الازدهار ونمو المدن الساحلية في إرتريا والإمارات الإسلامية الأخرى في الحبشة انتقال الحكم في الحبشة إلى الأسرة الأجيوية، من بداية النصف الأول من القرن الثاني عشر إلى النصف الأخير من القرن الثالث عشر والتي اتسم عصرها بالسلام مع الممالك الإسلامية في الحبشة بما فيها ممالك الساحل الإرتري، وهي الفترة التي شهدت فيها الممالك الإسلامية في هذه المنطقة نمواً اقتصادياً ونهضة علمية، وأخذ الإسلام ينتشر فيها أفقياً في جميع ربوع الحبشة كما سبق التطرق إليه، إلا أنّ هذا الأمر تغير في عام 1270م عندما سيطر تحالف يكونو أملاك من الأسرة السليمانية والأب

¹ ميران ، مصدر سابق ، ص 2

تكلي هيمنوت من الكنيسة الحبشية على حكم الحبشة، بعد إزاحة الأسرة الأجوبة من الحكم كما سبق تناوله في هذا الفصل.

قد أثار حفيظة الحكام الجدد سيطرة المسلمين على البحر وطرق التجارة فيها، وما تعرضت له الدولة الحبشية المسيحية من العزلة بسبب سيطرة الممالك الإسلامية، ومنها إمارة دهلك على المدن الساحلية وطرق تجارتها الممتدة من سواكن إلى زيلع، وما فتئت الأسرة السليمانية تحاول الفكك من هذه العزلة منذ سيطرتها على الحكم، ومن أجل ذلك دخلت في حروب متواصلة مع الممالك الإسلامية بما فيها الممالك الإسلامية في السواحل الإرترية من أواسط القرن الرابع عشر الميلادي¹.

وفي إطار حملة الأسرة السليمانية ضد الممالك الإسلامية هاجم إسحاق بن داوود ملك الحبشة في عام 1420م مدن السواحل الإرترية، وأحرق قرى مصوع، وحرقيقو، وزولا، ونهبت قواته المتاجر، والمواشي إلا أنه أجبر على الانسحاب تحت ضربات الأهالي، إضافة إلى عدم تحمل قواته للحرارة الشديدة التي أهلكت الكثير منهم²، وعندما فشل إسحاق في السيطرة على سواحل البحر الأحمر وحده غير استراتيجيته ولجأ للتحالف مع ملوك أوروبا لتحقيق ذلك الهدف.

في بادئ الأمر وجد صعوبة لإرسال مبعوثه الذي يحمل هذه الرسالة إلى أوروبا نظراً لطول المسافة وصعوبة تخطي مناطق تسيطر عليها قبائل العفر والساهو والبجة التي كانت في حالة حرب معه. وطالت مدة الانتظار لموسم الحج إلى بيت المقدس التي يقصدها الأحباش والأوروبيون. لذا رأى اختيار تاجر مسلم

¹ جمال الدين الشامي وابنه هاشم جمال الدين،، مصدر سابق ص196 والتي بعدها. و يوسف فضل، مصدر سابق، ص52.

و Ullendroff. The Ethiopians. Op.cit,p65

² Ullendroff, the Ethiopians. Op.cit, P65 وسبي، تاريخ إرتريا، مصدر سابق، ص126

فارسي اسمه نور الدين التبريزي ليقوم بهذه المهمة كما يقول المقرئزي، لكن اكتشف أمر هذا الرجل عن طريقة شخصية جبرية، وحكم عليه بالاعدام في القاهرة.¹

وعندما ارتحل من الدنيا إسحاق وورث العرش ابنه زرع يعقوب استمر على خطى والده للتحالف مع ملوك أوروبا، وتذكر المصادر التاريخية الاتصالات التي تمت بينه وبين ملك الفونسو الخامس (ملك أراجونا) في عام 1540م ووعدته الأخير بالتعاون معه ضد المسلمين لتحرير بيت المقدس والسيطرة على التجارة الشرقية وسواحل البحر الأحمر، إلا أن هذا الحلف لم يفلح لبعد المسافة التي تفصل بين الحليفين وصعوبة التواصل بينهما.²

وعند انتقال الحكم لبنا دنقل وكانت أمه الملكة هلينا وصية عليه أخذت بنصيحة المبشر البرتغالي بدرو دي كوفلهام (Pedro de Covilham) الذي كان قد نصحتها بأن تطلب المساعدة من ملك البرتغال عمانويل للاستيلاء على سواحل البحر الأحمر فأرسلت وفداً إلى عمانويل من أجل ذلك. فرد ملك البرتغال بإرسال بعثة إلى الملكة هلينا وابنها لبنا دنقل ملك الحبشة ليعرض عليهما مشروعاً بمقتضاه تتحمل البرتغال حماية الحبشة من أي اعتداء خارجي لقاء سيطرتها على سواحل البحر الأحمر، إلا أن لبنا دنقل تردد في قبول العرض الذي رأى فيه فرض نوع من الحماية عليه إضافة إلى تخوفه من نشر البرتغال المذهب الكاثوليكي في الحبشة بدل المذهب الأرثوذكس (المذهب اليعقوبي) الذي تدين به الحبشة، كما أنه لم يكن في حالة ضعف في ذلك الوقت، بل كان قد حقق لتوه انتصارات ضد أحد أقوى أمراء المسلمين في الحبشة وهو الأمير محفوظ أمير عدل وزيلع³. أمّا ملك البرتغال لم يتراجع عن مشروع احتلال سواحل البحر الأحمر كما سيأتي تفاصيله في المبحث الآتي.

¹ المصدر السابق، ص 127.

² المصدر السابق، ص 127.

³ فتحي غيث، مصدر سابق، ص 148-149.

الخلاصة

يتضح مما ذكره اليعقوبي في القرن التاسع وهو أول من أورد معلومات مفصلة عن هذه المنطقة وخاصة ممالك البجة الخمسة. وكذلك المسعودي، وابن حوقل في القرن العاشر، والرحالة الأسباني بنجامين تودلا في القرن الثاني عشر وابن سعيد في القرن الثالث عشر، والعمرى في القرن الرابع عشر أنّ الإسلام كان منتشرًا في إرتريا منذ وقت مبكر، وبعد تحليل أسماء المناطق التي وردت في تلك الكتب يمكن الوصول إلى نتيجة مفادها أنّ الإسلام كان منتشرًا في إرتريا بالمسمّيات الحالية في السهول الساحلية حيث دنكاليا موطن قبائل العفر في دهلك وشبه جزيرة بوري إلى زيلع وإلى باب المندب، وبين قبائل الساهو القاطنة في المنطقة الممتدة من خليج زولا إلى مرتفعات أكلي قزاي، وفي أقصى الشمال حيث موطن قبائل الحباب كالحدارب، والأمراء الممتدة من سواكن إلى مصوع والمناطق المحيطة بهما ومناطق البني عامر في وادي بركة والقاش في الغرب.

المبحث الخامس

الإسلام في ظل التنافس البرتغالي التركي في البحر الأحمر

سبق أن أشار الباحث في المبحث السابق إلى أنّ الملكة هلينا الوصية على عرش ابنها لبنا دنقل ملك الحبشة طلبت المساعدة من البرتغال غير أنّهما ترجعا هي وابنها عن ذلك خوفاً من ألا يفرض البرتغال الوصاية على الحبشة. أمّا ملك البرتغال فلم يتراجع عن المشروع، فأرسل إلى الحبشة قواته البحرية التي وصلت في 10 إبريل 1520م إلى مصوع، فكان أول ما قام به الأب الفاريز الذي كان في صحبة الجنود البرتغاليين أن بنى كنيسة بجانب مسجد مصوع لمصلحة الجنود البرتغاليين¹. يقول سبي في كتابه تاريخ إرتريا "وهذا العمل أدى إلى التوتر مع أهل البلد حتى أنّ أهل البلد رفضوا بيع الحاجات الأساسية لهم، كميّاه الشرب، واللحوم، والألبان وغيرها، فأصبح الجنود البرتغاليون يأخذونها منهم عنوة كما، وأنّ أمير مصوع رفض تزويدهم بدليل يوصلهم إلى الحدود الحبشية. فاستعان البرتغاليون بشخص أرمني يعرف مسالك الطرق"².

وبعد حوالي ثلاث سنوات من تلك الحادثة بدأت المعارك بين (الإمام) أحمد بن إبراهيم المعروف (بقورانج) أمير هرر والملك الحبشي لبنا دنقل، وأحرز (الإمام) انتصارات حاسمة واستولى على جميع مناطق

¹ Ullendroff, the Ethiopians. Op.cit, P.4

² سبي، تاريخ إرتريا، مصدر سابق، ص 128 – 129 بشئ من التصرف

الحبشة، "واتصل بإمارات الساحل في مصوع، وسواكن، وإمارة الدجن في حوض القاش وبركة في إرتريا، ونصب أحد الأمراء حاكماً لحماسين، واتصل بسلطان الفونج في سنار في السودان".¹

وتحت ضغط الاجتياح الإسلامي طلب الأحباش النجدة من البرتغال ولم تتأخر الأخيرة للاستجابة فوصلت قواتها البحرية إلى مصوع بتاريخ 9 يوليو 1541م، وتوغلت إلى المرتفعات الإرتيرية وعسكرت في ضيافة ملك دباروا إسحاق المعروف بملك بحر النجاش.² وبعد فترة وجيزة اشتبكت مع قوات (الإمام) أحمد فكانت الحرب سجلاً بينهما، في بادئ الأمر مالت نتائج المعركة لصالح البرتغاليين والأحباش فانسحب (الإمام) أحمد نحو معاقله الشرقية، وطلب من الأتراك المساعدة ثم عاود الكرة فهزمهم، إلا أنّ الجولة الثالثة من المعركة كان النصر حليفهم فقتلوا (الإمام) وفرقوا جيشه، وأرجعوا الأقاليم الحبشية إلى ماكانت عليه قبل الغزو.³ كما سبق تناوله في المبحث الثالث من هذا الفصل. ومهما يكن من الأمر فإن فترة حكم (الإمام) أحمد بين عام (1527 - 1543م) وكانت أكثر الفترات انتشاراً للإسلام في تاريخ الإقليم الإثيوبي - الإرتري، ومن نتائجه تشكلت مجتمعات الجبرته المسلمة في الهضبة الإرتيرية والإثيوبية بصورة واضحة.⁴

ومنذ ذلك الوقت أخذ الصراع المسيحي - المسلم في المنطقة منحىً دولياً بتدخل البرتغال لمساعدة الطرف المسيحي والدولة العثمانية لمساعدة المسلمين. وبالرغم من أن الصراع كان بين القوتين البرتغالية والعثمانية فلم يكن العامل الديني هو المحرك الوحيد لتدخلهم، بل كانت هناك عوامل أخرى اقتصادية

¹ المصدر السابق ص 129.

² Trimmingham, P2

³ المصدر السابق الصفحة نفسها

⁴ ميران ، مصدر سابق ، ص 3

وسياسية. فكانت الدولتان قوتين بحريتين، وكانت كل منهما تسعى لاختضاع البحر الأحمر وطرق التجارة فيه لنفوذها.

فكانت البرتغال قد استولت على موانئ البحر الأحمر في عام 1520م وعرقلت مرور التجارة الشرقية بها، وحاولت تحويل طرق التجارة إلى رأس الرجاء الصالح الذي كان تحت سيطرتها، وذلك لغرض التحكم في التجارة العالمية والاستفادة من ضرائبها. وبسبب منع البرتغال للسفن القادمة من الهند والشرق تحولت موانئ البحر الأحمر -مصوع، وسواكن، وزيلع، ومخا، والحديدة، وعدن، وجدة، والعقبة، والسويس- إلى كساد تجاري، فلاحق الضرر بمجتمعاتها المعتمدة أصلاً على نشاط التجارة البحرية بوجه خاص وعلى المنطقة العربية بشكل عام، وقد تعدى الضرر حتى إلى الدولة العثمانية.¹ ولم تتوفر لدى الباحث أي معلومات عما إذا كان قد اتصل أمراء مصوع ودهلك وزيلع وسواكن بالدولة العثمانية لرفع هذا الضرر عنهم ولطرد البرتغاليين من الموانئ الإترية وتفعيل التجارة فيها مرة أخرى، أم رأت الدولة العثمانية في ذلك تهديداً استراتيجياً لمصالحها فأخذت القرار بنفسها لطرد البرتغاليين من المنطقة. إلا أنّ الشيء المؤكد هو أنّ القوات البحرية العثمانية في عام 1538م تمكنت من السيطرة على عدن في اليمن واصطدمت مع الأسطول البرتغالي في المحيط الهندي. وفي عام 1557م دخل سنان باشا في معركة مع القوات البحرية البرتغالية في السواحل الإترية، وألحق بهم شر هزيمة، وطرد باقي فلولهم من البحر الأحمر نهائياً.²

ومنذ ذلك الوقت خضعت موانئ البحر الأحمر لنفوذ الدولة العثمانية، وفعلت نشاط التجارة فيها مجدداً، وأصبحت المناطق الحضرية في الموانئ الإترية مرة أخرى جاذبة للتجار والمستثمرين من حضرموت والحجاز ومناطق أخرى. أمّا على مستوى التأثيرات الدينية "فإنّ أكثر ما يميز فترة الحكم العثماني لمصوع هو

¹ سبي، تاريخ إرتريا، مصدر سابق، ص 131

² المصدر السابق ص 1312 - 133

بناء عدد من المساجد، والأضرحة، والقباب، والمعالم الإسلامية التي منها مسجد (الشيخ) جمال الأنصاري، وما بات يعرف بمسجد الحنفي هو من أشهر معالم تلك الفترة. وقد أدخل الأتراك العثمانيون المذهب الحنفي إلى المنطقة بشكل رسمي، وأتوا بقضاة أحناف من الحجاز إلى مصوع في أواخر القرن السادس عشر ومطلع القرن السابع عشر الميلادي. وقد أدى الاندماج الطويل لمنطقة مصوع والمناطق التابعة لها في بنية النظام الإداري، والتجاري العثماني لمنطقة البحر الأحمر، وقبل ذلك موقعها المواجه للحجاز اكسبها بشكل حاسم مكانة تمكنها من التأثير السياسي، والديني، والثقافي على المسلمين¹

ومن الناحية السياسية نصبت الدولة العثمانية في مصوع أميرها المحلي البلوي نائباً للخليفة العثماني، وأوكلت إليه جميع الشؤون الداخلية وتحملت الحامية العسكرية العثمانية في مصوع حماية البلد من الأخطار الخارجية.²

إلا أن أطماع الدولة العثمانية لم تقف في حدود موانئ البحر الأحمر بل توغلت إلى داخل الحبشة لتوسيع نفوذها، متحالفة مع إسحاق بحر نجاش أمير إمارة دباروا في الهضبة الإرتيرية حيث كان هو الآخر يطمح لتمديد إمارته لتشمل حدود مملكة أكسوم التاريخية. ومن أجل ذلك سعى دوماً للتحالف مع زعماء التجري والنائب في حريقو، وعن طريق النائب توصل إلى الأتراك العثمانيين، وحصل منهم على أسلحة مقابل أن يسمح لهم ببناء قلعة عسكرية، ومسجد في عاصمته دباروا. ومؤخراً دخلت معهم في الحلف إمارة حوض القاش وبركة في غرب إرتريا.³

¹ ميزان ، نظرة تاريخية عامة على الإسلام في إرتريا ، مصدر سابق ، ص 3

² سبي ، تاريخ إرتريا ، مصدر السابق ، ص 134

³ المصدر السابق ، ص 134

وفي عام 1578م زحفت القوات المتحالفة إلى الهضبة الحبشية حيث إقليم تجراي، واصطدمت هناك مع قوات الملك الحبشي صرصا دنقل في موقعة تمبين في التجراي، وكان النصر حليف الملك صرصا دنقل حيث هزم القوات المتحالفة شر هزيمة وقتل قائد الحملة التركية أزد مور باشا، كما قتل أمير دباروا. ووصلت قوات صرصا دنقل إلى إمارة دباروا، فدمرت المدينة بما فيها القلعة التركية ومسجدها، وهرب أهلها إلى السواحل الإترية. وتقدمت جحافل الملك صرصا دنقل حتى وصلت عام 1589م إلى أطراف حريقو ومصوع، حيث مقر النائب والحامية التركية ففرض عليهم حصاراً شديداً، حتى أجبر النائب وحلفاءه الأتراك لعقد إتفاقية صلح معه، وأهديا الملك صرصا فرساً عريّةً أصيلةً مسرجة بالذهب ثم انسحب إلى حدود بلاده.¹

وعلى الرغم مما ذكر من حروب وصراعات بين ملوك المملكة الحبشية المسيحية وأمراء المناطق الإترية إلا أن علاقتهما لم تخل من تعاون في كثير من الأحيان وخاصة في عهد ملوك قندر الذين ساءت علاقتهما مع البرتغال بعد محاولة الأخيرة لتحويل مذهبهم الأرثوذكسي (المذهب يعقوبي) إلى المذهب الكاثوليكي كما أشار إليه الباحث في أكثر من موضع في هذا البحث. فاضطر ملوك قندر لطرد المبشرين البرتغاليين من الحبشة، وعدم السماح لهم بالدخول إليها مرة أخرى. ولهذا الغاية عقد الإمبراطور الإثيوبي فاسيلا داس عام (1632-1667م) إتفاقية مع أمراء مصوع وسواكن ومع (الإمام) الموحد في اليمن، ولم يقتصر الإمبراطور إلى تحسين علاقته مع أمراء مصوع وسواكن واليمن فقط بل عمد على تحسين علاقته مع حكام مملكة الفونج التي كان يمتد نفوذها إلى غرب إرتريا، والتي كانت تمر عبرها قوافل تجارته من مصر

¹ المصدر السابق، ص 135. و Trimingham,., Op.cit, P. 97-98.

إلى قندر في الحبشة، وكانت مناطق القاش وبركة على هذا الحال، ماعدا تعرضها للحرب مرة واحدة من ملوك قندر أثناء حروبهم مع مملكة سنار، أو ماكان يتبادل سكاكها مع سكان تجراي من غارات ونهب.¹

وأما مقاطعات الهضبة الإرترية فلم يصبح لها حاكم موحد بعد مقتل إسحاق بحر نقاش في حربه مع صرصا دنقل حيث كانت أي مقاطعة تخضع لزعامات محلية، كزعامة سعد زقا في إقليم حماسين التي كانت تحاول ملء الفراغ الذي تركه بحر نجاش بالتحالف مع ملوك قندر. وأما أبناء عموماتهم هز زقا فقد كانوا يرون خلاف ذلك، ويفضلون التعامل مع زعامات تجراي مع الاحتفاظ بالاستقلال الذاتي، على غرار زعامات كرنيشم، وسقنيي، ودباروا التي كانت تتمتع بالاستقلال الذاتي مع الاعتراق ببعض النفوذ لرؤوس تجراي عليهم.² ويفهم مما سبق الآتي:

1. أنّ المنطقة المعروفة اليوم بإرتريا لم تنشأ فيها سلطة مركزية في العصور الوسطى إلا ما كان من ممالك البجة ذات الأصول الرعوية، وإمارة الهضبة الصغيرة أو الإمارات التجارية في أرخبيل دهلك.³

2. رغم نفوذ القوي الخارجية كالبرتغال، والأتراك، والأحباش، في المنطقة الإرترية إلا أنّ السلطة الفعلية لم تخرج من أيدي الزعماء المحليين المعروفين "برأس" أو "ردجازماش" في الهضبة و "كنتيبي" في الساحل و "دقل" في المنخفضات الغربية و "نائب" في مصوع و "سلطان" في دنكاليا.⁴

¹ Trimmingham, Op.cit, P 140

² T سي، تاريخ إرتريا، مصدر سابق

³ المصدر السابق ص 119

⁴ المصدر السابق الصفحة نفسها

الإسلام في المناطق الإرترية في ظل الإدارة المصرية (1865 – 1885م)

بعد أكثر من ثلاثمائة عام تنازلت الدولة العثمانية عن رحيتا ومصوع وبقوص وسواكن والتاكا للإدارة المصرية في عهد الخديوي إسماعيل باشا مقابل ضريبة سنوية تدفعها الإدارة المصرية لها. وبمساعدة بريطانية وقعت المعاهدة بينهما عام 1875م وبموجبها تحولت جميع الممتلكات التركية في إرتريا إلى الإدارة المصرية. وكان وقوف الدولة البريطانية وراء مصر في تلك الخطوة مدفوعاً لابقاء فرنسا خارج تلك المنطقة، والتي كانت قد تزايدت أطماعها في تلك المنطقة الحيوية والإستراتيجية وخاصة بعد فتح قناة السويس عام 1869م¹.

وكانت هذه المناطق بالنسبة للدولة المصرية هدفاً إستراتيجياً من الناحية الاقتصادية بعد فتح قناة السويس، وسياسية لايجاد نفوذ لها في هذه المنطقة الحيوية. والأكثر من ذلك كان يراود الإدارة المصرية السيطرة على منابع النيل في الهضبة الإثيوبية.

أما المناطق التي دخلت تحت إدارتها فقد بثت فيها نوعاً من الطمأنينة لسكانها، لأنها أصبحت في مأمن من الغارات الحبشية المتكررة عليها، وقد عجل وجود العلاقة الدينية بين الإدارة وسكانها من انتشار الإسلام. واستفادت أيضاً من وضع اللبنة الأساسية فيها للمصالح العامة، كالتعليم، ومرافق الصحة، وتنظيم الدواوين، وربط الأقاليم بشئ من خطوط المواصلات، وتشجيع المزارعين في المناطق الخصبة في وادي بركة، وقاش، ومرتفعات بقوص (كرن) لزراعة الفواكه والقطن، إضافة إلى المحاصيل المزارع الأخرى².

وقامت الإدارة المصرية أيضاً بإصلاح شؤون القضاء والافتاء في إرتريا، واستقدمت لهذا الغرض علماء شرعيين من مصر والسودان، وربطت المسلمين الإرتريين بمحيطهم الواسع، أي بمسلمي وادي النيل،

¹ برخت هبتي سلاسي وآخرون، وراء الحرب في إرتريا.. مصدر سابق، ص 39 – 40

² فتحى غيث، مصدر سابق، ص 211

وسهلوا لهم الالتحاق بالمؤسسات العلمية الرائدة فيها كالأزهر الشريف، والمؤسسات الأخرى. وترافق مع ذلك تدفق التجار المسلمين، ورجال الدين من الحجاز، ومصر، واليمن، وخاصة من حضرموت ودول أخرى إلى مصوع والمدن الإرترية الأخرى¹.

وعلى صعيد آخر أفصح الإمبراطور الحبشي ثيودور الذي حكم الحبشة من عام (1855-1868م) عن أطماعه للسيطرة على مصوع، ومرتفعات بقوص، ومنسع، وحباب، والأراضي الواقعة على حدوده الشمالية حتى سنار، لكنه لم يحقق في أرض الواقع من أطماعه هذه شيئاً².

ومن هنا يبدو جلياً أنّ المجتمعات القاطنة في المنطقة الإرترية قد أثّرت وتأثّرت ثقافياً وسياسياً واقتصادياً واجتماعياً بالجزيرة العربية، وبمسلمي وادي النيل، والدولة الحبشية التاريخية (إثيوبيا) عبر التاريخ، كل هذه الأمور مجتمعة أثّرت في تطور الإسلام والمسلمين في إرتريا. ومع ذلك فإن قوة التأثيرات الخارجية لم تحل دون إيجاد مؤسسات إسلامية ذات طابع محلي، كأنشطة شبكة الطرق الصوفية، والأسر الدينية.

وكان أشهر هذه الأسر عد شيخ³ في الساحل، وسيدنا مصطفى في بركة، وعد معلم وعد درقي في غرب وشمال إرتريا، وعد شيخ إبراهيم الخليل في طيعوا دنكاليا، وعائلة كبيري في الهضبة وغيرهم⁴.

وقد لعبت هذه البيوتات الدينية، والطريقة الختمية دوراً رائداً في نشر الإسلام ونهضته في إرتريا، وخاصة في النصف الأول من القرن التاسع عشر الفترة التي شهد فيها الإسلام انتشاراً واسعاً وسريعاً، فتحوّلت قبائل الحباب بفروعها الثلاثة "بيت أسقدي، وعد تكليس، وعد تماريام" وقبائل المنسع، والماريا، والبيت جوك، وفروع من البلين إلى الإسلام، وأصبح للمسلمين الجبرتا وجود واضح وقوي في الهضبة. وما

¹ ميران، نظرة تاريخية عامة على الإسلام في إرتريا، مصدر سابق، ص 6 - 7

² فتحي غيث، مصدر سابق، ص 213

³ إن كلمة "عد" بلغة التجري تعني "آل" فلان أو بلدة كذا

⁴ ميران، نظرة تاريخية عامة على الإسلام في إرتريا، مصدر سابق، ص 2. و سبي، تاريخ إرتريا، مصدر سابق، ص 118

أن حلت نهاية القرن التاسع عشر حتى أصبح جميع سكان المنخفضات الإرتيرية مسلمين باستثناء الكوناما
وجزو من البلين¹.

ويمكن عزو انتشار الإسلام في المنطقة الإرتيرية في تلك الحقبة للعوامل الآتية:

1. ظهور حركات البعث الإسلامي، وحركات الإصلاح والإحياء الإسلامي بقوة وفعالية في العالم

الإسلامي. وكانت هذه الحركات كلها استجابة لدفع الغارة الأوروبية عن العالم الإسلامي الذي

كان يعاني أصلاً من انحطاط في مفاهيم الدين الإسلامي، وتخلف على مستوى التقدم المادي².

"وإن حالة الركود وما اعتبر حينها "كساداً" وتراجعاً لحيوية الدين الإسلامي، والقدرات الإبداعية

لمؤسساته قد نتج عنه ما أسماه جون فول "روح إعادة الأخلاق الاجتماعية" موحياً بذلك

للمفكرين المسلمين بإعادة إصلاح وضع الإسلام والمسلمين³ بالتجديد في الدين، والنهضة على

المستوى المادي، للحاق بركب الأمم المتقدمة. واستجابة لتلك التحديات أوفد (الشيخ) أحمد بن

إدريس المولود عام (1750/1749 – 1837م) المدرس بالحرم المكي تلميذه إلى إفريقيا لنشر

الدين الإسلامي، فاتجه أحدهما إلى شمال إفريقيا، وهو محمد علي السنوسي وأسس الطريقة

السنوسية في ليبيا. واتجه الثاني وهو محمد عثمان الميرغني نحو أسوان في مصر، وشملت جهوده

الإحيائية للسودان وادي النيل، والأراضي الإرتيرية. وتضافرت جهوده مع جهود الطرق الصوفية

الأخرى في المنطقة، مثل الطريقة الشاذلية، والقادرية في شرق السودان وإرتريا، وجهود شبكة

¹ ميزان، نظرة تاريخية عامة على الإسلام في إرتريا، مصدر سابق، ص 4

² المصدر سابق ص 3

³ Trimingham, . Op.Cit, P 113 – 114.

الأسر الدينية في إرتريا. كل هذه الجهود قد تكاملت مع بعضها البعض وتكلفت بالنجاح والفعالية في نشر الإسلام في إرتريا¹.

2. خضوع هذه المناطق سياسياً لنفوذ دول مرموقة، ذات حضارة إسلامية لزمان طويل، ونعني هنا بذلك الدولة العثمانية، وبعدها الإدارة المصرية، إضافة إلى الإزدهار الاقتصادي، والانتعاش التجاري الذي شهدته منطقة البحر الأحمر مع ضعف قوى الحبشة المسيحية في المنطقة في عصر الأمراء².

3. سوء العلاقة بين المجتمعات الرعوية في المنخفضات الإرترية، والزعماء المسيحيين في الهضبة الذين كانوا يقومون بغزو هذه المجتمعات بين حين وآخر. يقول جوناثان ميران "وكان الزعماء المسيحيون لشمال إثيوبيا يقومون بغزو هذه المجتمعات على فترات متقطعة، لكن بدأب ومثابرة في محاولة منهم لاختضاعها سياسياً، واستغلالها اقتصادياً. فالتحول إلى الإسلام في هذا السياق ورسوخه في أوساط المجتمعات المتحدثة بالتجري، قد أكسب هذه المجتمعات إلى جانب الهوية الجديدة، قوة السيطرة والهيمنة المضادة، كما أكسبها أيديولوجية شكلت لها مصدراً للسلطة ومنحتها المشروع السياسية"³.

ويعزو أولندورف Ullendorff في كتابه الإثيوبيون (The Ethiopians) سرعة انتشار الإسلام بين الأقوام الحامية الكوشية في سواحل إرتريا ودواخل الحبشة حتى بحيرات عروسي على مقربة من

¹ ارجع للمزيد في جهود محمد عثمان الميرغني والأسر الدينية لميران، *نظرة تاريخية عامة على الإسلام في إرتريا* ، ص 3 والصفحات التي بعدها

² ارجع لتفاصيل عصر الأمراء في إثيوبيا لكتاب Mordechai, Ibir. *Ethiopia, The Era of the princes*. London: Longman, 1968

³ ميران، *نظرة تاريخية عامة على الإسلام في إرتريا*، مصدر سابق ، ص 4. , *Eritrea and Ethiopia: The Federal Experience*. op.cit, p 18 Negash, Tekeste

الحدود الكينية الحالية، إلى رغبة هؤلاء القوم في النجاة بأنفسهم من الاسترقاق، إذ كانت قسوة تجار الرقيق بالغة. وكان اعتناق الإسلام يمنح هؤلاء أماناً من غارات تجار الرقيق، باعتبار أن الإسلام يمنع من استرقاق المسلم. ويضيف ترمنجهام في كتابه "الإسلام في إثيوبيا" سبباً آخر لإسلامهم إذ يقول: إنَّ اعتناق هؤلاء للإسلام كان يشعّرهـم للانتماء إلى أخوة عالمية، من دون أن يكلفهم ذلك الانسلاخ من بيئتهم وعاداتهم التي كان دعاة الإسلام يتساحون إزاءها"¹.

وما لم يذكره أولندروف وترمنجهام هو أنَّ الإسلام أعمق مما ذهب إليه، فالإسلام هو تعبير جوهري لمهية الإنسان الذي تتكامل فيه قدراته الروحية، والعقلية، والفعلية، والحسية بخلاف فكر الغرب القائم على انفصام الدين من الدنيا.

ومهما يكن من أمر فإن هذه العوامل وغيرها مجتمعة دفعت إلى تعزيز دور الإسلام، وتنامي هوية المسلمين في المنطقة الإترية، وإلى اتساع أنشطة شبكة الأسر الدينية من حرققوا في الشرق إلى وادي بركا في الغرب ومن طوكر شمالاً إلى عنسبا جنوباً. وتعاظم نفوذ الطريقة الختمية في كل من إرتريا والسودان بفضل استحداث الطريقة وسائل جديدة لنشر الإسلام باعتمادها على الوجهاء، والفقهاء المحليين ليكونوا حلقة وصل بين المجتمع والطريقة، وربطهم بنظام الخليفة وخليفة الخلفاء.

وكانت العلاقة الطيبة التي كانت بينها وبين الدولة العثمانية والإدارة المصرية اللتين حكمتا المنطقة على التوالي قد ساهمت في تثبيت دعائم الطريقة في الأقاليم المختلفة في إرتريا والسودان. وقد أبلى مشايخ الطريقة الختمية، والبيوتات الدينية في إرتريا بلاءً حسناً في نشر وترسيخ مفاهيم الإسلام بالتدرج في جو من التسامح والحرية، وبطريقة مبسطة ممزوجة بالتلقين، واستعمال المدائح النبوية والطبول في الأذكار².

¹ نقلاً من سبي، تاريخ إرتريا، مصدر سابق، ص 120

² يوسف فضل، مصدر سابق، ص 47

وكان نجاحهم كبيراً بين السكان مما أوجد لهم قبولاً عند عامة الناس، وكان جل الشيوخ من آل الشيخ والأسر الدينية الأخرى، والطريقة الختمية، والطرق الصوفية الأخرى بدرجة أقل. وهكذا أكسب الإسلام المجتمع المسلم في إرتريا هوية جديدة على درجة من التجانس الثقافي، والإجتماعي، والوجداني، والتي شكلت له مصدراً للقوة، ومنحته المشروع السياسية على حسب تعبير جوناثان ميران وقد تمّ الإفصاح عنها لاحقاً بصورة واضحة في مرحلة تقرير المصير في أربعينات ومطلع الخمسينيات من القرن العشرين، بالإضافة إلى ذلك أضفت عليهم قوة الإحساس بالانتماء إلى أخوة إسلامية عالمية.

إلا أنّ هذه الحيوية والتطور الطبيعي للإسلام والمسلمين في إرتريا كاد أن يتراجع بسبب نشوب صراع إقليمي بين الثورة المهدية في السودان من جهة وبين الأحباش من جهة أخرى، وكذلك الصراع بين الثورة المهدية وبين التحالف المصري الإنجليزي.

وتدخلت الدول الأوروبية الإستعمارية للعب أدوار في ظل تلك الظروف المعقدة. ففي الصراع الإقليمي كانت مصوع وكسلا وعدوا ساحات المواجهة بين الأحباش (إثيوبيا) والثورة المهدية في السودان. كما سعى كل من المصريين والإنجليز من ناحية والإيطاليين من ناحية أخرى لفرض سيطرتهم على مناطق المنخفضات الإسلامية الإرترية. وحاولت هذه القوى تكوين جبهة معادية للثورة المهدية في المنخفضات الإرترية مما أدى إلى خلاف داخلي بين المجتمع المسلم¹.

فعلى سبيل المثال انقسم المسلمون الإرتريون تجاه الثورة المهدية بين مؤيدين ومعارضين لها. فوقفت مناطق الساحل التي كانت في الغالب تخضع لنفوذ عد شيخ مع الثورة المهدية، وعملت لتمكينها في

¹ ميران، نظرة تاريخية عامة على الإسلام في إرتريا، مصدر سابق، ص 7.

المنطقة، بينما عارضت المناطق الخاضعة لنفوذ الختمية وخاصة في الغرب الثورة المهدية، وسعت لحصر نفوذها في المنطقة بالتحالف مع الحديوية المصرية والإنجليز¹.

ورغم كل هذا التكالب على الثورة المهدية فقد أظهرت فعاليةً ونجاحاً في التأثير على قطاع كبير في هذه المنطقة، حتى أنّ المؤرخ الإرتري محمد سعيد ناود ذكر في كتابه "العروبة والإسلام بالقرن الإفريقي" أعداداً كبيرة من الشخصيات التي ساهمت في الثورة المهدية من هذا الإقليم تحت قيادة القاضي عبد القادر حسين قاضي في مدينة سواكن والذي أسند إليه أمير الشرق عثمان دقنا إمارة المنطقة من عقيق في السودان إلى مصوع في شرق إرتريا. وقد خاض القاضي عبد القادر في هذه المنطقة معارك طاحنة ضد "رأس أولوا" القائد العسكري لإمبراطور إثيوبيا يوهانس في المنطقة الإرترية².

كما شاركت قبائل الحباب، والناتاب، والعجيلاب، وآل الشيخ حامد، وبيت معلا وغيرهم في تحرير مدينة طوكر عام 1884م التي خلدها شعراء الحباب بأجود النصوص في شعرهم ونثرهم بلغة التجري. كما يؤكد ناود وقوف (الشيخ) إبراهيم درماس أحد زعامات قبائل البلين في ذلك الزمان إلى جانب الثورة المهدية وقتاله معها. وأن سيفه الذي قاتل به في تلك المعارك موجود إلى يومنا هذا في متحف بيت الخليفة بأم درمان. كما أشار ناود أيضاً إلى قائد آخر وهو النور فقراء الجبرتي. وكان النور فقراء أحد أبرز قادة جيوش المهدية في محور القلابات ضد جيوش الإمبراطور الإثيوبي يوهانس³. وقد تراجعت قوة تأثير المهدية في المنطقة الإرترية بعد ضربات الأحباش وخاصة تفوق الأحباش عليها في معركة كوفيت في

¹ ميران نظرة تاريخية عامة على الإسلام في إرتريا ، مصدر سابق ، ص 8

² ناود، العروبة والإسلام بالقرن الإفريقي، مصدر سابق ، ص 157 – 158

³ المصدر السابق، ص 157 – 158

23 سبتمبر عام 1885. وكذلك بعد النجاح النسبي للجبهة المعادية للمهدية الذي شكلها الإنجليز والمصريون في المنطقة تحت قيادة زعامات الطريقة الحتمية¹.

خلاصة

شهدت الدعوة الإسلامية في المنخفضات الإرترية في عهد الحكم التركي ثم المصري إنشاراً أفقياً. ففي نهاية القرن التاسع عشر أصبح جميع سكان المنخفضات الإرترية مسلمين باستثناء الكونااما وجزء من البلين، كما أصبح للمسلمين وجود مشهود في الهضبة إلا أنّ قوة المسلمين بدأت تتراجع بسبب إنقسام ولاءاتهم بين الحتمية والمهدية اللتين كان بينهما تنافس وخصومات شديدة من ناحية، وتسلبت الإمبراطور الإثيوبي يوهانس على المسلمين في الحبشة بشكل عام، وعلى المناطق الإرترية بشكل خاص من جهة أخرى، وكذلك دخول القوى الأوروبية في حلبة الصراع المتمثلة هذه المرة في الاستعمار الإيطالي الذي احتل إرتريا. كل هذه الأحداث تركت انعكاسات سلبية بعيدة المدى على تاريخ الإسلام والمسلمين في إرتريا.

¹ ميزان، نظرة تاريخية عامة على الإسلام في إرتريا، مصدر سابق، ص 8

المبحث السادس

الإسلام في إرتريا في حقبة الاستعمارات الثلاث (الإيطالي والبريطاني والإثيوبي)

أولاً: الإسلام في إرتريا في عهد الاستعمار الإيطالي (1885 – 1940م)

دخل الاستعمار الإيطالي أول مرة بحجة حماية أراضيهِ المستأجرة في عصب على ساحل البحر الأحمر، وبعدها خلال فترة وجيزة احتلت القوات الإيطالية جميع مناطق المنخفضات الشرقية، والمرتفعات، وكرن، وأجزاء كبيرة من المنطقة الغربية. وأعلنت احتلال إرتريا كلياً عام 1890م. وبهذا أصبحت إرتريا أول مستعمرة إيطالية في إفريقيا¹. وقد كانت أهداف إيطاليا من استعمارها:

- جعل إرتريا قاعدة انطلاق لتوسيع استعمارها في منطقة القرن الأفريقي، وتجنيد الإرتريين قسراً في جيشها لتنفيذ ذلك.
- جعل إرتريا سوقاً استهلاكية لبضائعها المصنوعة في إيطاليا.
- جعل إرتريا مستعمرة استيطانية لتوظيف الإيطاليين فيها، وتسليمهم أكثر المناطق الزراعية خصوبة.

ولتحقيق تلك الأهداف ركزت إيطاليا على التطور المادي وتحسين البنية التحتية للبلاد مع إهمال تنمية الإنسان الإرتري. حيث شيدت المدن، وربطتها بشبكة طرق واتصالات، وأجرت توسيعات للبنية التحتية كالسكك الحديدية، والموانئ وغيرها، وبجانب العمران المدني أولت أيضاً أهمية كبيرة للمشاريع الاقتصادية،

¹ إيلوس، إرتريا ومشكلة الوحدة الوطنية، مصدر سابق، ص 64

والصناعية، ونتيجة لتلك الجهود انتعش اقتصاد المستعمرة، وشهد تطوراً ملحوظاً، مما ترتب عليه نشوء طبقة عاملة إرترية من مختلف شرائح المجتمع وأدت هي بدورها إلى التمدن السريع للسكان. وما أن حل عام 1940م حتى أصبح حوالي 20% من سكان إرتريا يعيشون في المدن¹.

أما على صعيد مستوى الإسلام والمسلمين في إرتريا فقد أوجد المستعمر دولة ذات حدود معروفة، وصهر بين مكوناتها الاجتماعية المتباينة في أنماطها الاجتماعية، والثقافية، واللغوية. فكانت هذه المرحلة بالنسبة للمكون المسلم مرحلة تعارف وتواصل بينهم، ولم يكن هذا ممكن حصوله من قبل لعدم توحيدهم تحت سلطة واحدة عبر التاريخ. ومما ساعد في ذلك عدم تعرض السلطات الاستعمارية في معتقداتهم الدينية وفي نسيجهم الاجتماعي وأنظمتهم كالعادات والتقاليد السائدة في البلاد. لذا نجد أن سكان الريف الإرتري لم يتأثروا كثيراً بالسياسات الاستعمارية. وحتى في المدن فقد أصدرت الإدارة الاستعمارية مراسيم تعترف فيها بقانونية لجان الأوقاف في كل من أسمرا وكرن ومصوع². وباستقلالية المحاكم الشرعية وغيرها. وأصبح المسلمون يسافرون بكل حرية للخارج لأداء فريضة الحج، وللتجارة، وللعمل أو لتلقي العلم في الأزهر الشريف في مصر، أو المؤسسات الأخرى في الشرق الأوسط.

وعلى الصعيد الاقتصادي فقد شهدت المدن الإرترية انتعاشاً اقتصادياً، وكان للمسلمين حظ أوفر في ذلك بعد التجار الإيطاليين، وكان غالبية التجار الكبار في البلد من المسلمين وكانوا من أصول حضرية، ومصرية، إلى جانب التجار من أصول إرترية. وكان لهؤلاء التجار دور كبير في تعزيز دور الإسلام في إرتريا حيث تبرعوا بأموالهم في إنشاء مؤسسات جديدة، أو تطوير ما كان منها قائماً³. وبفضل هذه

¹ برخت هبتي سلاسي وآخرون، وراء الحرب في إرتريا، مصدر سابق، ص 104 – 105

² Abera, yassin. “Muslim intitutions in Ethiopia:the asmara awqaf.” *the journal of thr institute of muslim minority affairs*,5, 1983. p 206

³ ميران، نظرة تاريخية عامة على الإسلام في إرتريا، مصدر سابق، ص 9

الجهود في تلك المرحلة ظهرت مؤسسات إسلامية كثيرة. وتوجت في عام 1939م بتعيين (الشيخ) إبراهيم المختار مفتياً للديار الإرترية وهو الذى كان له الدور الكبير في توحيد المؤسسات الإسلامية تحت مظلة واحدة. كل هذه العوامل والخبرات مجتمعة أدت إلى تشكيل هوية إسلامية في إرتريا على الأقل في أوساط النخب المتعلمة في الحضر.

وإجمالاً يمكن ملاحظة الأمور الآتية فيما يخص علاقة الإيطاليين مع المسلمين في إرتريا:

- عدم تصادم الإيطاليين مع المسلمين وذلك لدوافع الأمن، والاستقرار في المنخفضات الإرترية والتي يصعب على المستعمر فرض سيطرته عليها، وذلك لطبيعتها الجغرافية الوعرة، وأنماط سكانها المعيشية.
- كبح نفوذ الثورة المهدية في هذه المناطق، وكان هذا واضحاً من تعامل إدارة الاستعمار مع العناصر المضادة للثورة المهدية وخاصة الطريقة الختمية بتشجيعها، ودعمها لبسط نفوذها في أوساط المسلمين في عموم إرتريا، مقابل تهميش دور الأسر الدينية الأخرى، وخاصة تلك التي تعاطفت مع الثورة المهدية في مناطق الساحل¹.
- بعد احتلال إرتريا، والصومال، والأراضي الليبية، وجد الاستعمار الإيطالي نفسه أمام تحديات لإدارة المجتمعات المسلمة بمؤسساتها القائمة، من هنا فكر الاستعمار بالتعامل مع الواقع القائم بحذر، حتى لا تتعرض أهدافه الاستعمارية، وأمن جالياته النازحة لتلك الأقطار للخطر.
- كان يسعى النظام الفاشي بتعامله هذا لتثبيت كلام دعائي في أذهان الناس مفاده أن إيطاليا دولة مناصرة للمسلمين من أجل كسب الرأي العام في العالم الإسلامي وخاصة القوميين العرب

¹ المصدر السابق، ص 10

منهم، وذلك لتسهيل مهمة تنفيذ مشروع الإمبراطورية الإيطالية في شرق إفريقيا بعد إتمام سيطرتها على أهم المنافذ المائية في البحر الأحمر، وسواحل البحر الأبيض المتوسط.

ثانيا: الإسلام في إرتريا في عهد الاستعمار البريطاني (1941 – 1952م)

بعد هزيمة إيطاليا وحلفائها من دول المحور في الحرب العالمية الثانية، وخروجها من المسرح الدولي، أحييت إدارة إرتريا عام 1941م إلى بريطانيا حتى يتم البت في مصيرها. وأقامت بريطانيا في البلاد نظاما يعرف بالإدارة العسكرية. وبما أن بريطانيا كانت لا تستطيع إدارة مستعمرات إمبراطوريتها التي كانت كثيرة مقارنة بحجم سكانها، فقد كانت تعتمد دوماً على سكان المستعمرات لإدارتها بعد تأهيلهم. إلا أنه في الحالة الإرترية لم تكلف الإدارة الاستعمارية نفسها لفعل ذلك، بل اعتمدت على إعادة الإداريين الإيطاليين في مناصبهم لتأدية مهامهم كالمعتاد في مختلف المستويات الإدارية في البلد، بل الأكثر من ذلك أًبقت قانون التمييز العنصري الذي كان سائداً في عهد الاستعمار الإيطالي وآلياته المنفذة له، من الأجهزة الأمنية، والشرطة الإيطالية التي دمجت في جهاز الشرطة الجديد الذي أنشأته في إرتريا. كما أنها لم تفعل أي شئ لتحسين أوضاع الاقتصاد المنهك بسبب أوضاع الحرب العالمية الثانية، وقد كانت إرتريا إحدى ساحاتها، بل عمدت الإدارة البريطانية إلى تيسير البلد بأقل صرف ممكن، كما أنها لم تبذل أي جهد لمعالجة البطالة التي كانت تعاني فيها البلاد بسبب عودة أعداد كبيرة من الإرتريين المسرحين من الجيش الإيطالي¹.

ورغم ذلك فإن فترة الإدارة البريطانية في إرتريا لم تخل من إيجابيات. فقد اهتمت الإدارة البريطانية في إرتريا بالتعليم، فأُسست المدارس الابتدائية، والإعدادية، ومدرستين ثانويتين، ومعهداً للمعلمين. ويعتبر

¹ تسفاي، ألم سقد، *فيدرالية إرتريا مع إثيوبيا*، ترجمة إبراهيم إدريس توتيل، (القاهرة : المركز القومي للترجمة، 2009)، ص 231 والتي بعدها

هذا تطوراً كبيراً في مجال التعليم إذا ما قورنا بالعهد الإيطالي الذي لم يسمح للإريتريين بتجاوز الصف الرابع الابتدائي، وحتى لهذا المستوى الدراسي كانت المدارس الابتدائية قليلة جداً، لذا لم تترك إيطاليا في إرتريا عند خروجها بعد ما يقرب من ستين عاماً سوى 24 مدرسة ابتدائية. وفي خلال عشر سنوات للإدارة البريطانية بلغ عدد المدارس 100 مدرسة ابتدائية، و14 متوسطة، ومدرستين ثانويتين، ومعهد للمعلمين. وكما تمّ إرسال 30 طالباً للخارج لمواصلة تعليمهم الثانوي والجامعي. وأنشأت الإدارة البريطانية عدداً من المكتبات العامة، ومعاهد ليلية لتعليم اللغات والحرف الصناعية الصغيرة. بالإضافة إلى التعليم فقد أولت أهمية للمجال الصحي. وشجعت المزارعين على استخدام الأساليب الحديثة في الزراعة، وأمدتهم بالأسمدة والمبيدات الحشرية، وكثفت من تطعيم المواشي ضد الأمراض¹.

ومن الإيجابيات الأخرى التي ميّزت المرحلة البريطانية كذلك، حرية الصحافة والخدمة الإعلامية النشطة باللغة الإنجليزية، والعربية، والتجزية، وظهور مفاهيم ديمقراطية، وانبثاق أحزاب سياسية². وقد اعتمدت الإدارة البريطانية اللغة العربية والتجزية لغتين رسميتين للبلاد بجانب الإنجليزية. وكانت اللغة العربية والإنجليزية لغتي التعليم في المناطق الإسلامية، والتجزية والإنجليزية بالنسبة للمناطق المسيحية. وكانت الإدارة البريطانية ترمي وراء هذا التقسيم إلى تنفيذ مشروع سياسي أعدته سلفاً لتقسيم الشعب الإرتري وفق خطوط دينية، بحيث يسهل إلحاق المقاطعات الإسلامية الثلاث أي المعروفة آنذاك بالقسم الغربي (كرن وأغردات ونقفة) بالسودان الإنجليزي المصري. وإلحاق المرتفعات المسيحية والقسم الشرقي بما فيه

¹ المصدر السابق ص 232 و 236. و سي، تاريخ إرتريا، مصدر سابق، ص 181

Saleh, Mohamed Ahmed *The Analysis of the Islamic Education Curriculum and its implementation in private secondary schools of Eritrea*. Unpublished research submitted to faculty of Education International Islamic University Malaysia as requirement of master degree, 2004. p 3-4.

² برخت هبتي سلاسي وآخرون، وراء الحرب في إرتريا، مصدر سابق، ص 41 - 42

مينائي مصوع وعصب بالإمبراطورية الإثيوبية. إلا أنّ هذا المشروع لم يجد أي قبول من الإرتريين. يقول برخت قبر سلاسي "إنّ رد الشعب الإرتري كان سريعاً وحاسماً، وغير مساوم في معارضة خطة التقسيم. وكان ذلك أول مظهر دراماتيكي للمشاعر القومية الإرترية الموحدة في العصور الحديثة، ونذيراً بمزيد من النضال في المستقبل"¹.

ولم يختلف الإرتريون المنادون بالاستقلال أو الداعون للاتحاد مع إثيوبيا في هذه المسألة، فكانوا يرون إرتريا كيانا موحداً مستقلاً أو اتحاداً، وتجلت معارضة الطرفين بصورة واضحة لهذا المشروع. وكان مصير هذا المشروع المثير من أوائل المشاريع الاستعمارية التي وأدت في إرتريا.

وأما على صعيد المستوى الإسلامي في إرتريا فإن انتعاش الصحافة وحرية التعبير في تلك الفترة قد مكّن النخبة المتعلمة من المسلمين من بلورة خصائص المجتمع المسلم في إرتريا، فظهرت مقالات في الصحف وعقدت ندوات، ومحاضرات تناقش قضايا الدين، واللغة العربية، والتاريخ الإسلامي، وقضايا أخرى تهم المجتمع المسلم في إرتريا². وكنتيجة لهذا الحراك الإعلامي والسياسي، ظهرت رموز دينية، وسياسية، بارزة تعبر عن طموح المجتمع المسلم في إرتريا. وكان الأكثر شهرة بين أولئك مفتي الديار الإرتري (الشيخ) إبراهيم المختار، وعبد القادر كبير، وإبراهيم سلطان وغيرهم. كما رافقت هذا الانفتاح تطورات اجتماعية، وثقافية، ودينية. ففي المرحلة ما بين 1941-1952م شهدت المؤسسات الإسلامية تقدماً وإزدهاراً يندر له مثيل في تاريخ البلاد. ففي تلك الفترة تم تأسيس العديد من المؤسسات الإسلامية في مختلف المجالات كالجمعيات الدينية، والمؤسسات الثقافية، والاجتماعية، وجمعيات أخرى في مختلف المحافظات الإرترية. نذكر في هذا السياق على سبيل المثال من المنظمات التي أنشئت آنذاك المجلس

¹ المصدر السابق، ص 41

² ميران، نظرة تاريخية عامة للإسلام في إرتريا، مصدر سابق، ص 13

الإسلامي الأعلى، جمعية الشباب المسلم، وجبهة العلماء وغيرها¹، كما تم توحيد عمل لجان الأوقاف والقضاء الشرعي في البلاد، وتمّ تدريب الكوادر لتطوير إجراء القضاء في المحاكم الشرعية. كما عملت مؤسسة الإفتاء الجديدة التكوين (1939م) دون كلل أو ملل في تمكين الإسلام وتعزيز دوره في الحياة العامة ومن ثم الانتقال تدريجياً نحو تشكيل مجتمع مسلم موحد في البلاد.

وفي المجال التعليمي تم افتتاح مدارس ومعاهد في كل من أسمر، وكرن، ومصوع، وحريقو، ومندفرا، وأغردات وغيرها². وكانت مقررات المنهج الدراسي في كثير من هذه المعاهد تركز على القرآن الكريم وعلومه، والفقه وفروعه، والحديث وعلومه، والجغرافيا، والتاريخ، واللغة العربية، ومبادئ الرياضيات والعلوم، واللغة الإنجليزية ومواد أخرى. وأصبح لهذه المؤسسات علاقات تعاون مع المؤسسات العريقة في الشرق الأوسط وخاصة مع جامعة الأزهر الشريف في مصر التي كانت تستقبل خريجي هذه المعاهد في كلياتها، ومعاهدها، كما كانت تقدم لبعض هذه المؤسسات عوناً على شكل مقررات دراسية، وانتداب معلمين، ومساعدات مالية³. كل هذه العوامل مجتمعة ساهمت في تثبيت دعائم الإسلام في البلاد، وازدهار حياة المجتمع المسلم، ودفعت نحو تشكيل مجتمع مسلم ومصير مشترك، مجتمع يتمتع بوعي سياسي توج عام 1946م بميلاد الحركة الوطنية الإرتيرية المتمثلة في الرابطة الإسلامية الإرتيرية التي نادى منذ البداية باستقلال إرتيريا.

¹ المصدر السابق ، ص 31

² المصدر السابق ، ص 13

³ المصدر السابق، ص 13

ثالثاً: تراجع الإسلام في إرتريا في ظل الاستعمار الإثيوبي (1952-1991م)

تراجعت حيوية المسلمين، وتدهورت مؤسساتهم في إرتريا بعد ربطها قسراً مع إثيوبيا فيدرالياً عبر قرار الأمم المتحدة رقم 5/أ/390 في ديسمبر عام 1952م¹ والذي دخل حيز التنفيذ عام 1952م، وذلك أنّ الإمبراطور هيلي سلاسي كان يرى كآلافه من الأباطرة الأحباش أنّ الأمة الإثيوبية أمة مسيحية تعيش في جزيرة وسط بحر من القوى الإسلامية المعادية لها. فكان يرى أن مواجهة هذه القوى ضرورة حتمية لبقاء إثيوبيا. وفي الخطاب الذي ألقاه هيلي سلاسي في أسمى بتاريخ 1962/6/28م قال "إن إثيوبيا لن تتحل عن إرتريا التي جاءنا الغزاة دوماً عبرها"². والغزاة المقصودون في هذا المضمار هم الأتراك، والمصريون، والإيطاليون في العصر الحديث، وإذا استثنينا الأخيرة فإن التاريخ الإثيوبي يذكر دوماً الدولتين السالفتي الذكر وحلفائهما المسلمين بالقوى الإسلامية المعادية لإثيوبيا. ضمن هذه المعادلة الصعبة وجد المسلمون الإرتريون أنفسهم مصنفين منذ البداية على أنّهم ضد الأمن القومي الإثيوبي خاصة وأنهم قد سبق لهم أن أسسوا الحركة الوطنية الإرترية المطالبة بالاستقلال والرافضة للاتحاد مع إثيوبيا في مرحلة تقرير المصير في العهد البريطاني. فارتكبت ضدهم كل أشكال القمع والعنف، وسلبت منهم حرية التعبير، وتعرضت زعاماتهم السياسية، وقياداتهم الاجتماعية للتصفية والاعتقالات، واستهدفت مؤسساتهم كالمحاكم الشرعية، والمؤسسات التعليمية ولجان الأوقاف، والمؤسسات الإعلامية، ومنعت السلطات الإثيوبية عام 1954م صدور صوت الرابطة الإسلامية الناطقة باللغة العربية وغيرها³.

¹ تسفاي ، لن نفترق نشوء الحركة السياسية في إرتريا (1941-1950) مصدر سابق ، ص ، 559-560

² نقلاً عن سي، تاريخ إرتريا ، مصدر سابق، ص 223

³ ميران ، نظرة تاريخية عامة على الإسلام في إرتريا ، مصدر سابق ، ص 14

وفي عام 1957م ألقت الحكومة الإثيوبية اللغتين الرسميتين في البلاد "العربية والتقرنية" واستبدلت محلها اللغة الأمهرية كلغة رسمية للبلاد. واستبدلت المناهج الوطنية بالمناهج الإثيوبية، وطردت بعثات الأزهر الشريف وغيرها من البلاد. وكان لذلك آثاراً مدمرة للعملية التعليمية في إرتريا وخاصة في إمكانية تعلم الأطفال الإرتريين للمنهج الجديد بلغة جديدة لا يجيدونها هم ولا آباؤهم مما انعكس عليهم سلباً في أدائهم في امتحانات المرحلة المتوسطة، والثانوية، مما تسبب في سد الطريق أمام الآلاف الإرتريين للالتحاق بالتعليم العالي¹.

أما على الصعيد الاقتصادي فقد اتخذت إثيوبيا سلسلة من الإجراءات لإضعاف مقومات الاقتصاد الإرتري، حتى أنها أمرت أصحاب الشركات والمصانع الأجنبية بأن ينقلوا مصانعهم إلى إثيوبيا. وقد أرادت الحكومة الإثيوبية من وراء ذلك تحقيق هدفين:

أولاً: ضرب القوة العاملة التي كانت أكثر قوة سياسية منظمة.

وثانياً: إظهار إرتريا أمام العالم كدولة فقيرة غير قابلة للحياة².

وحجبت السلطات الإثيوبية الدعم من المؤسسات الإسلامية كالإفتاء، والقضاء، والمساجد وغيرها. وفرضت حصاراً ثقافياً على المسلمين، ومارست ضدهم التمييز العنصري في جميع المجالات الاقتصادية والتعليمية والسياسية³. وبسبب هذه المعاملات القاسية اضطر عدد كبير من المسلمين الإرتريين للهجرة إلى دول الجوار وخاصة السودان، والسعودية، ومصر بحثاً عن فرصة عمل، أو تعليم، أو عن أماكن

¹ برخت قبر سلاسي وآخرون ، وراء الحرب في إرتريا ، مصدر سابق ، ص 49 - 50 ، وإيلوس ، إرتريا ومشكلة الوحدة الوطنية ، مصدر سابق ، ص 56

² برخت قبر سلاسي وآخرون ، وراء الحرب في إرتريا ، مصدر سابق ، ص 49

³ ميزان ، نظرة تاريخية عامة على الإسلام في إرتريا ، مصدر سابق ، ص 41

أكثر أمناً. ومن رحم هذه المعاناة ولدت حركة تحرير إرتريا في بورتسودان في نهاية عام 1958م، وطوّرت شبكة اتصالاتها وكوّنت خلايا سرية في مختلف المدن الإرترية، وكان لها الفضل الكبير في تعبئة الجماهير الإرترية سياسياً، وبعدها بحوالي عامين تأسست جبهة التحرير الإرترية في سبتمبر عام 1961م في القاهرة، وأعلنت الكفاح المسلح في إرتريا كما سيأتي بيان ذلك في الفصل الآتي. وفي عام 1962م ألغت الحكومة الإثيوبية النظام الفيدرالي بعد دمج تدريجي وجعلت إرتريا الإقليم الرابع عشر لإثيوبيا¹.

وكنّفت من عمليات القمع والإرهاب ضد المسلمين ومؤسّساتهم، وخاصة في عهد الحاكم العام لإرتريا أسرات كاسا (1964-1972م). وأسرات كاسا هذا معروف بعذائه الشديد لكل مايمت بصلة للعرب والمسلمين. وكان دوماً يدعو للتحالف الاستراتيجي بين إسرائيل وإثيوبيا لدفع التهديد الإسلامي والعربي في منطقة البحر الأحمر². في عهده رفع الغطاء القانوني عن استقلالية المدارس والمعاهد الإسلامية في إرتريا. وقام بتفكيك المحاكم الشرعية، وأعاد تركيبها بحيث يتلاءم مع سياسة الحكم المطلق لإمبراطور الإثيوبيا. وأضيف الصليب في ختم المحاكم الشرعية، وفرضت الكتابة باللغة الأمهرية. وبعد وفاة مفتي الديار الإرترية (الشيخ) إبراهيم المختار عام 1969م ألغى أسرات كاسا منصب الإفتاء، وظلت دار الإفتاء مغلقة حتى تحرير إرتريا عام 1991م³.

وعندما رأى هيلي سلاسي الثورة تصعد من عملياتها المسلحة ضد نظامه أصدر الأوامر لقواته المرابطة في إرتريا باستخدام القوة والعنف لسحق ما أسماهم بالتمردين، وخلفياتهم الاجتماعية في المنخفضات المسلمة. وشنّت القوات الإثيوبية حملات إرهابية ضد الكثير من القرى في الريف الإرتري،

¹ انظر للمزيد برخت قبر سلاسي وآخرون ، وراء الحرب في إرتريا ، مصدر سابق ، ص 51. وسي تاريخ إرتريا ، مصدر سابق ، ص

219. و إيلوس، إرتريا ومشكلة الوحدة الوطنية ، مصدر سابق، ص 80

Haggai, *The struggle over Eritrea*. Op cit. P40²

³ ميزان، نظرة تاريخية عامة على الإسلام في إرتريا ، مصدر سابق، ص 15

وارتكبت مجازر ضد المدنيين العزل في "عد أبرهيم، وعد أكد، وعونا" وغيرها. واعتقل الآلاف من المدنيين دوغما تميز، وأذاقوهم ويلات من العذاب في السجون. وقد استعانت الحكومة الإثيوبية بخبراء إسرائيليين في تدريب الكماندوز وهي قوة خاصة لمحاربة الثوار. وكان المجندون فيها من الإرتريين المسيحيين الموالين لإثيوبيا¹.

وعندما صار منجستو رئيساً لإثيوبيا خلفاً لهيلي سلاسي عام 1974م مضى في طريقة سلفه في ممارسة الإرهاب والعنف ضد الإرتريين، فدفع بمزيد من ترسانته العسكرية نحو إرتريا، وطبق سياسة الأرض المحروقة، فكانت قواته تحرق القرى والمزارع، وتقصف طائراته الرعاة والمواشي، فاضطربت الحياة في المنخفضات².

وخلال سنوات الكفاح المسلح (1961-1991م) ونتيجة لتلك الظروف لجأت أعداد كبيرة من المسلمين إلى السودان، والدول العربية الأخرى حتى وصل عددهم مايقارب المليون في السودان فقط عشية استقلال إرتريا 1991م. وفقدت الطرق الصوفية فعاليتها وخاصة الطريقة الختمية التي انسحب زعمائها إلى السودان. كما انتقلت مراكز القوى الاجتماعية من المنخفضات الإرترية إلى شرقي السودان. فأصبح مقر ناظر عموم البني عامر في كسلا بدلاً من أغردات، والحباب في بورتسودان بدلاً من نفقة، والثقل الاجتماعي لأهل السمهر في السودان والسعودية بدلاً من حريققوا ومصوع، والعفر في أواسا في إثيوبيا بدلاً من عصب. فأصبحت المناطق الإرترية إمتدادات اجتماعية لتلك المراكز، وهذا خلافاً للسابق

¹ أظّر لمسألة الخبراء الاسرائيليين في إثيوبيا في تلك الفترة Erlica Haggai. *The struggle over Eritrea*. Op cit, P40

² برخت فبري سلاسي وآخرون، *وراء الحرب في إرتريا*، مصدر سابق، ص 72 - 74

حينما كانت هي المركز وهذه المناطق إمتدادها، ولا شك أن الفرق بين الحالتين كبير في دلالاته الاجتماعية والسياسية.

لم يكن حال المسلمين بأحسن بعد تحرير إرتريا عام 1991م وإن كانت هنالك بعض المكاسب، كفتح دار الإفتاء، وتعيين (الشيخ) الأمين عثمان الأمين عام 1992م مفتيا للديار الإرترية، واستئناف لجان الأوقاف، والحج، والمحاكم الشرعية، بصورة رسمية. وبمقابل ذلك قامت الحكومة الإرترية بمضايقة المعاهد والمدارس الإسلامية، والمؤسسات الإسلامية الأخرى، ومنعت دخول الهيئات الخيرية الإسلامية إلى إرتريا، بينما سمحت بذلك للرساليات التبشيرية المسيحية، واعتلقت الكثير من وجهاء المجتمع المسلم، من دعاة ومعلمين، وتجار، وأطباء، ومهندسين، ولم يعرف مصيرهم حتى الآن، وقد أمضى أكثرهم ما يقرب من العقدين من الزمان. كما أنّ نسبة المسلمين في الجهاز الإداري لم تتجاوز العشرة في المائة¹ كما سيأتي تبيان ذلك في الفصل الذي يلي هذا الفصل. وبهذا أصبح المسلمون اليوم في إرتريا يعانون من الاضطهاد في جميع المجالات السياسية، والإقتصادية، والاجتماعية، والإغاثية، من قبل النظام الحاكم في أسمرا، وتتم محاولة طمس هويتهم، وعزلهم عن إخوانهم في الدين في الدول العربية، والإسلامية، بشكل متعمد ومقصود، حتى يجهل العالم الإسلامي حالهم ومن ثم يسهل إبعادهم عن حركة التاريخ في إرتريا وهم الذين ساهموا أكثر من في صناعته.

¹ وثيقة العهد الأرتري : نحو سلام عادل ومستدام. الصادرة من مجلس ابراهيم المختار بتاريخ 14 - 2 - 2010 م ص 17 ومابعدها. الوثيقة وقوائمها المرفقة بها موجودة في موقع www.awate.com

خلاصة

أنّ النظام الإيطالي لم يكن يتصادم مع المسلمين لدوافع الأمن والاستقرار في المنخفضات وذلك لدواعي كبح نفوذ المهديّة بدعم الطريقة الختمية، وتهميش دور أسر آل الشيخ المتعاطفة مع الثورة المهديّة في الساحل. ومن ناحية أخرى فإنّ المناطق الإترية شهدت في تلك الفترة نمواً اقتصادياً، وكان للتجار المسلمين حظاً أوفر في ذلك بعد التجار الإيطاليين، وكان لهؤلاء التجار دور كبير في تعزيز دور الإسلام في إرتريا، حيث ساهموا بأموالهم في الدعوة، وفي إنشاء مؤسسات إسلامية جديدة، أو تطوير ما كان منها قائماً. كما تمكن المسلمون من السفر بكل حرية للخارج لأداء فريضة الحج، وللتجارة، وللعمل أو لتلقي العلم في الأزهر الشريف في مصر أو المؤسسات الإسلامية الأخرى في الشرق الأوسط. كل هذه الأمور ساعدت على تشكيل هوية إسلامية في إرتريا، وظهر نخب متعلمة إلى حد ما في الحضر. أما المرحلة البريطانية فقد تميزت بالنسبة للمسلمين بصفتين، إحداهما سلبية وهي إذكاء النعرات القبلية، والقومية بين المسلمين، والنعرات الطائفية بين المسلمين والمسيحيين، وثانيها إيجابية وهي انتعاش الصحافة وحرية التعبير التي مكّنت النخبة المسلمة من بلورة خصائص المجتمع المسلم في إرتريا. أمّا الاستعمار الإثيوبي فقد استهدف المسلمين في وجودهم، وعرضهم للقهر والإضطهاد، ولم يكن حال المسلمين بعد التحرير بأفضل من ذلك.

خاتمة الفصل الثاني

أولاً: تشكل الإسلام في الحبشة في مرحلة ما بين القرن السابع والثاني عشر الميلاديين، بعد اختلاط المهاجرين المسلمين من تجار، وسياسيين، ودعاة مع السكان الأصليين، والمصاهرة معهم، وتوطيد العلاقة مع الطبقة الحاكمة فيهم، وأخذ الإسلام ينتشر بالحكمة، والموعظة الحسنة، دون إكراه وسط القبائل الوثنية في المدن الساحلية، وامتد بعد ذلك إلى أبعد من السواحل إلى العمق البعيد في داخل الحبشة.

وفي المرحلة الننتدة ما بين القرن الثالث عشر والسادس عشر. أضحى للمسلمين نفوذ في جميع المناطق التي دخلوها، وأصبح لهم كيانات سياسية عرفت بالممالك الإسلامية أو الإمارات الإسلامية، والتي أظهرت نمواً اقتصادياً، ورقياً حضارياً، ووطورت نظماً اجتماعية وسياسية، وتقاليده إدارية، وكاد أن يكتمل نموها إلا أنها تعرضت لغزوات متتالية من ملوك المملكة الحبشية المسيحية. ووطال أمد الحروب بينهما ولم يتحقق لإحدهما نصر حاسم على الأخرى حتى أصبحت منطقة القرن الإفريقي مسرحاً للقوى الأوروبية المستعمرة في العصر الحديث، فتقاسمت بريطانيا وفرنسا وإيطاليا الصومال، ووقعت إرتريا تحت الاحتلال الإيطالي، وأكملت بريطانيا سيطرتها على السودان، بعد قمع الثورة المهدية، وقبلها ثورة أحمد العرابي في مصر. وفي الوقت نفسه استتنت هذه الدول الاستعمارية (إيطاليا وبريطانيا وفرنسا) إثيوبيا من الاستعمار، بل إتفقت على استقلالها تحت تاج الإمبراطور منليك، مما عزز مركزها ومركز المسيحية في المنطقة. وإن كان الإيطاليون قد تراجعوا عن ذلك، فوجهوا حملة عسكرية لاستعمارها عام 1936م لكن تطورات الحرب العالمية الثانية لم

تمهلهم، فاستعاد الإمبراطور هيلي سلاسي عرشه بمساعدة البريطانيين، وضم إرتريا لمملكته بقوة السلاح ومناطق أخرى، ومضى في طغيانه وجبروته ضد المسلمين والقوميات المعارضة لحكمه.

وخلف هيلي سلاسي منجستو هيلي ماريام على العرش عام 1974م ومضى هو الآخر على طريق سلفه، طريق القهر والإذلال للقوميات المطالبة بحقوقها، إلا أنّ نظام منجستو كان أفضل للمسلمين من نظام هيلي سلاسي، فإعلان منجستو فصل الدين عن الدولة لأول مرة في تاريخ إثيوبيا أصبح المسلمون متساوين مع غيرهم في الحقوق والواجبات. وتدور حركة الزمان مرة أخرى وتستقل إرتريا عام 1993م وينتقل الحكم في إثيوبيا للتجاري أصحاب مملكة الأكسوم التاريخية، فتحسنت أحوال المسلمين في إثيوبيا كثيراً من السابق، سياسياً، واقتصادياً، وتعليمياً. وعلى الرغم من ذلك مازالت هناك تحديات تواجه مسلمي إثيوبيا منها الضمانات الخارجية للمكون المسيحي في إثيوبيا عبر التاريخ، للحفاظ على هوية إثيوبيا كدولة مسيحية، والترويج لذلك بكل ما أوتيت من القوة حتى تم تنمطها في ذاكرة الشعوب الأوربية المسيحية بأن إثيوبيا هي جزيرة مسيحية تعيش في وسط بحر من المسلمين. بينما تم إبعاد المكون الاجتماعي المسلم وهو الأكبر من حركة التاريخ السياسي في إثيوبيا.

ثانياً: تشكل الإسلام في المنطقة المعروفة اليوم بإرتريا في مرحلة ما بين القرن السابع والثاني عشر الميلاديين من الشرق في المدن الساحلية، ومن الغرب والشمال عبر بوابة البجة، ونشأت إمارات إسلامية مزدهرة في دهلك والشواطئ الإرترية منذ مستهل القرن الثامن الميلادي. وصادف ذلك حكم الأسرة الأجوية من بداية النصف الأول من القرن الثاني عشر إلى النصف الأخير من القرن الثالث عشر والتي كانت على سلام مع الممالك الإسلامية في الحبشة بما فيها ممالك الساحل الأترى. إلا

أنّ هذا الأمر تغيّر عندما تحول حكم البلاد إلى الأسرة السليمانية التي سعت منذ البداية للسيطرة على شواطئ البحر الأحمر وطرق التجارة فيه، سواء كانت وحدها أو بالتحالف مع ملوك أوروبا، الأمر الذي أدخل المنطقة في صراع دولي وخاصة بين البرتغال والدولة العثمانية، واللّتين دخلتا في حروب بحرية في المحيط الهندي والبحر الأحمر، وتمكّنت القوات البحرية العثمانية بقيادة سنّان باشا عام 1557م من السيطرة على السواحل الإترية وطرّد البرتغال نهائياً منها كم سبق تناوله، ودخلت هذه المناطق مباشرة تحت نفوذها، وفعلت النشاط التجاري فيها مجدداً، وأصبحت هذه المناطق مرة أخرى جاذبة للتجار والمستثمرين من حضرموت والحجاز ومناطق أخرى. أمّا على صعيد الدين في تلك الفترة فقد تمّ بناء عدد من المساجد والقباب، ومعالم إسلامية أخرى التي عززت الوجود الإسلامي فيها.

وبعد أكثر من ثلاثمائة عام تنازلت الدولة العثمانية عن هذه المناطق للإدارة المصرية مقابل ضريبة سنوية. وفي ظل الإدارة المصرية ازداد تقدم الإسلام ونموه في إترية، وتأسست اللّبنات الأولى فيها للمصالح العامة كالّتعليم، ومرافق الصحة، وتنظيم الدواوين، والمواصلات، وإصلاح شؤون القضاء والإفتاء، وربط المسلمين بمحيطهم الواسع، أيّ بمسلمي وادي النيل. واتسعت شبكة الأسر الدينية من حريقو في الشرق إلى وادي بركة غرباً ومن عنسبا جنوباً إلى طوكر شمالاً، وتعاضل نفوذ الطريقة الختمية أيضاً في الإقليم، وتعزز دور الإسلام وتنامت هويته في المنطقة الإترية، وأكسب المجتمع المسلم هوية جديدة على درجة من التجانس الثقافي، والإجتماعي، والوجداني، وقد شكلت له مصدراً للقوّة، ومهدت له للمشروع السياسي الذي تمّ الإفصاح عنه لاحقاً في مرحلة تقرير المصير (1941-1952م) كما سيأتي تبينه بالتفصيل لاحقاً في هذا البحث. وحافظ الإسلام على

تطوّره الطبيعي في عهد الاستعماري الإيطالي والبريطاني، إلّا أنّ حيوية الإسلام في إترية بدأت

تتراجع في ظل الاستعمار الإثيوبي الذي استهدف المسلمين ومؤسساتهم بشكل مباشر. كما أنّ الثورة الإرترية كانت تنطلق من المنخفضات المسلمة مما جعلها مناطق حرب، فاضطربت فيها الحياة المعيشية لثلاثين عاما حتى نالت إرتريا استقلالها عام 1993م ولم يكن حال المسلمين بأحسن بعد تحرير البلاد. كما سيأتي تبياناه في الفصل القادم.

University of Malaya

الفصل الثالث

دور المسلمين في الحركة الوطنية الإرترية

المبحث الأول: النضالات السياسية في مرحلة تقرير المصير

المبحث الثاني: موقف دول الحلفاء من القضية الإرترية

المبحث الثالث: ميلاد حركة تحرير إرتريا

المبحث الرابع: جبهة التحرير الإرترية

المبحث الخامس: عوامل هزيمة جبهة التحرير الإرترية

المبحث السادس: بروز الجبهة الشعبية لتحرير إرتريا في الساحة الإرترية

المبحث الأول

النضالات السياسية في مرحلة تقرير المصير

تناول الباحث في الفصل السابق تشكّل الإسلام وانتشاره في إرتريا عبر حقبة مختلفة وسط النسيج الاجتماعي المتباين لغوياً، وعرقياً، والمتباعد جغرافياً، وكيف امتزجت هذه المجموعات مع بعضها البعض، وكونت هوية جديدة، وعملت معاً لأهداف مشتركة. وكيف بدأت تتبلور هذه الصورة في عهد الاستعمار الإيطالي بصورة واضحة من ذي قبل عندما دخلت هذه المجموعات في إطار دولة واحدة ذات حدود معروفة. واستتب السلم الاجتماعي الداخلي فيها وتوقفت التهديدات الخارجية وخاصة غارات النهب القادمة من إثيوبيا¹.

إضافة إلى الانتعاش الاقتصادي التي شهدته المنطقة الإرترية في تلك الفترة والذي كان للمسلمين حظ وافر فيه، الأمر الذي أدّى إلى ازدهار الإسلام وتطور مؤسساته، وتوجت بتوحيد المرجعية الدينية فيها، وعيّن على رأسها إبراهيم المختار مفتي الديار الإرترية، تلتها توحيد المؤسسات الإسلامية تحت مظلة واحدة كما سبق الإشارة إليه في الفصل السابق من هذه الدراسة. كل هذه التطوّرات في المجتمع المسلم أدت إلى تعزيز دور الإسلام في الحياة العامة ودفعت إلى التفكير بوعي الذات الإرترية المسلمة. وأنّ هذا الوعي بالذات هو الذي بدأ يشكّل الملامح الأساسية لهوية إرتريا المستقبلية، وإن لم يفصح عنها في ظل الاستعمار الإيطالي بسبب غياب الحقوق السياسية والحريات العامة. وعند ما هزمت إيطاليا في الحرب

¹ سبي، تاريخ إرتريا، مصدر سابق ص 182

العالمية الثانية احتلت بريطانيا إرتريا عام 1941م كممثل لقوات التحالف، وأنشأت فيها الإدارة العسكرية، ثم استبدلتها بالإدارة المدنية عام 1949م¹.

وكان قد سبق لبريطانيا أثناء حملتها في الحرب العالمية الثانية التي كانت إرتريا أحد جبهاتها أن ألقت منشورات في إرتريا من الجو تتعهد فيها للإرتريين بالاستقلال إذا تعاون الشعب الإرتري وخاصة المجندين منهم في الجيش الإيطالي مع دول الحلفاء². إلا أن الإدارة البريطانية بعد انتصار الحلفاء في المعركة لم توف بوعدها للشعب الإرتري، بل بذلت أقصى ما تستطيع لإنهاء الكيان الإرتري من الوجود بتجزئته بين السودان وإثيوبيا بما يلائم مصالحها الإستراتيجية في المنطقة، دون أن تكثر لتلبية مطالب السكان بتقرير مصيرهم³. وعندما اتضح للإرتريين أن وعود بريطانيا كانت وعوداً كلامية لا معنى لها، شعروا بالقلق على مستقبل إرتريا، وزادت تعاستهم عندما رأوا الإدارة البريطانية تتقرب من السكان الإيطاليين في إرتريا بإبقائهم في وظائفهم، والاهتمام المبالغ فيه بأحوالهم، وتقديم المساعدات لهم دون غيرهم. وبدأ الموظفون الإيطاليون يتصرفون مع المواطنين وكأنه لم يحدث أي تغيير في البلد، بل أصبح سلوكهم تجاه المواطنين أسوأ من ذي قبل في عهد الاستعمار الإيطالي، لأنهم كانوا يشعرون بالغيظ تجاه الإرتريين الذين عبروا بالفرحة لهزيمة إيطاليا أثناء قدوم بريطانيا إلى إرتريا⁴. وفي ظل تلك الأوضاع المتردية في إرتريا بدأ بعض الإرتريين يفكر في فعل ما يمكن فعله للدفاع عن كرامة الإنسان الإرتري، وبدأ يعقدون اجتماعات سرية، نتج عنها تأسيس جمعية حب الوطن في مايو 1941م وأصبحت تدير هذه الجمعية لجنة تتكوّن من اثني عشر عضواً، ستة مسلمين وستة مسيحيين⁵. وكان الهدف من تشكيل الجمعية في الأصل هو الدفاع عن حقوق أبناء البلد المتعلقة بالشؤون الاجتماعية، ولم يكن لها أهداف سياسية واضحة، وهذا ما لاحظته أحد

¹ إيلوس، إرتريا ومشكلة الوحدة الوطنية، مصدر سابق، ص 66. تسفاي، ، لن نفترق نشوء الحركة السياسية في إرتريا (1941 -

1950)، مصدر سابق ص 50

² المصدر السابق، ص 34

³ إيلوس، مشكلة الوحدة الوطنية في إرتريا، مصدر سابق، ص 66

⁴ تسفاي، ، لن نفترق نشوء الحركة السياسية في إرتريا (1941 - 1950)، مصدر سابق، ص 51

⁵ المصدر السابق، ص 64

المؤرخين لتلك الفترة إذ يقول "لم يكن لدى هذه الجمعية في البداية أيّ توجه، ولا برامج سياسية، وكانت تميل باتجاه العمل في مجال الحقوق، والشؤون الاجتماعية المتعلقة بحقوق العمل، وحق المساواة أمام القانون، وكذا العمل للحفاظ على الكرامة الانسانية للإرتريين، فضلا عن ذلك لم تكن جمعية حب الوطن تجمعاً يمكن أن يكشف عن أية خلافات جهوية، أو دينية أو غيرها، وحتى الخلافات السياسية لمؤسسي هذه الجمعية -إن كانت موجودة- لم تظهر إلى الوجود في تلك المرحلة"¹.

وبالنظر للأجواء السياسية التي كانت سائدة آنذاك، والتي سبقت تلك الفترة، يبدو هذا الأمر مقبولاً، وأقصد بذلك أنّ مشاريع الانضمام إلى إثيوبيا أو الاستقلال لم تكن متبلورة بصورة علنية ومسموعة في إرتريا حتى يتفق أو يختلف عليها الناس، ويعود سبب ذلك:

أولاً: أنّ المزاعم الإثيوبية في إرتريا لم تكن معلنة أو على الأقل لم تأخذ شكلها الرسمي حتى عام 1942م.

ثانياً: أنّ النظام الإيطالي الذي كان جاثماً في إرتريا لما يقارب لستة عقود كان يمنع أيّ تجمعات سياسية في إرتريا الأمر الذي أدى إلى حرمان الإرتريين من بروز قيادات وطنية سياسية معروفة، وذات خبرة تمكنها من استيعاب وفهم التعقيدات المحلية، والإقليمية، والدولية.

وعلى الرغم من ذلك فقد تقدمت القلة القليلة -التي سمح لها بالتعليم إلى مستوى محدود في عهد الاستعمار الإيطالي لتخدمه ككتبة، ومترجمين، وموظفين صغار في إدارته- لقيادة المجتمع. إلا أنّ هذه القيادات نفسها لم تكن رؤيتها متفقة حول مصير إرتريا. وسرعان ما بدأت الخلافات بينهم عندما تحركت إثيوبيا وأثرت في بعض القيادات الدينية، والسياسية، من المسيحيين الإرتريين لصالح مشروعها. لتعلن عام 1943م عدداً من قيادات جمعية حب الوطن ورجال الدين من الكنيسة الأرثوذكسية تأييدها

¹ المصدر السابق ص 63-64

للمطالب الإثيوبية في إرتريا. وإثر ذلك الاعلان انفضت القيادات الوطنية الإرترية التي ترفض المزاعم الإثيوبية من جمعية حب الوطن، ومن ذلك التاريخ أصبحت جمعية حب الوطن في أيدي المؤيدين لإثيوبيا، وقد انصهرت فيما بعد إلى حزب الانضمام إلى إثيوبيا المعروف محليا (بأندنت) والذي سيأتي تبياناه. وهكذا بدأت تتمايز الخطوط السياسية في إرتريا، وتوجه نحو تشكيل مسارين سياسيين مختلفين سيطرا في الأحداث السياسية لاحقا في إرتريا. ولا شك فإن تلك الانقسامات في الساحة الإرترية كانت تنبئ بأن ميلاد دولة إرتريا الحرة المستقلة في تلك الفترة لم يكن بأمر سهل، بل كانت الأوضاع تنذر بمزيد من نضالات لأجيال في إرتريا حتى يتحقق ذلك الهدف. وعلى أية حال فإن الساحة الإرترية قد انقسمت إلى تيارين مختلفين في رؤيتهما لمصير إرتريا، وهما تيار الوحدة مع إثيوبيا، وتيار الاستقلال، ولتوضيح الصورة سوف يتناول الباحث هذه التيارات بصورة موجزة.

أولا: حزب الوحدة مع إثيوبيا

قد بذل حزب الوحدة أقصى ما يستطيع لكسب السكان لمشروعه. وكان حزب الوحدة مع إثيوبيا قد بدأ حملته مبكراً مركزاً في المقاطعات الثلاث (حماسين وسراي وأكلى قوزاي) التي تقطنها الغالبية المسيحية في المرتفعات الإرترية، مستخدماً بصورة مبالغ فيها الروابط الدينية، والثقافية، والتاريخية لتلك المقاطعات بإثيوبيا. ويرجع تاريخ نشاط هذا الحزب إلى بداية الأربعينات في القرن العشرين عندما دفعت إثيوبيا إلى إرتريا بالمسؤولين الإثيوبيين من أصول إرترية للعمل في هذا الاتجاه، إلا أنّ مؤشرات تنامي هذا الحزب ظهر للعلن في عام 1943م بعد أن اخترق جمعية حب الوطن الإرترية من الداخل وجعلها جزءاً منه بعد أن تنازلت الجمعية عن أهدافها وانفض عنها الاستقلاليون¹.

إضافة إلى تبنى زعامات الكنيسة الأرثوذكسية هذا المشروع بحماس وتسخير إمكانياتها لترسيخ مبدأ الانضمام إلى إثيوبيا بحجة أن التوحد مع إثيوبيا ضرورة دينية مسيحية. وكان أبناء المرتفعات المسيحية

¹ إيلوس، مشكلة الوحدة الوطنية في إرتريا، مصدر سابق، ص 67

الغالبية المطلقة في عضوية حزب الوحدة¹. وعندما دب الخلاف بين سكرتير الرابطة الإسلامية الإرتيرية إبراهيم سلطان علي وبعض زعماء المسلمين بسبب الخلاف بين (الشماقلي والتقري) والذي فسّره البعض بصراع طبقي، غيّر بعض الزعماء المسلمين من مواقفهم المؤيدة للاستقلال، فانضموا إلى حزب الوحدة مع إثيوبيا مخافة ألا يفقدوا مصالحهم الخاصة². وطوّر هذا الحزب من وسائله وأدائه، وأظهر تناماً كبيراً في وسط سكان المقاطعات الثلاث التي سبق الإشارة إليها، وانضم إليه بعض المسلمين للأسباب التي ذكرت آنفاً. وعلى أية حال ما أن حلّ عام 1946م حتى أصبح هذا الحزب قوة مؤثرة في إرتريا، حتى أحس البعض بصعوبة التنافس مع هذا الحزب في إرتريا³. وبما أنّ هذا الحزب كان يمثل المطالب الإثيوبية في إرتريا فإنّه استفاد من الوسائل المادية، والسياسية، والعسكرية الإثيوبية. وشن حملة واسعة من العنف والإرهاب ضد قيادات الاستقلال وخلفياتهم الاجتماعية، وخاصة عندما اشتدت مقاومة الاستقلاليين للتوسع الإثيوبي. ونتيجة لتلك الممارسة راح ضحيتها قادة من الاستقلاليين، كعبد القادر كبيرى وغيره، وجرت عدة محاولات لاغتيال ولدآب ولد ماريام، ودقيات، حسن علي، والحاج إمام موسى وآخرين⁴.

وعلى العموم لم تكن المنطلقات التي كانت تحرك عناصر الوندوين واحد: بل كانت أسباب شتى، فمنهم من كان يرى الانضمام إلى إثيوبيا من منطلق حضاري من باب أنّ التوحد مع إثيوبيا عامل قوة للمسيحيين والمسيحية في المنطقة. ومنهم من كانت له مصالح خاصة كمطامع سياسية، أو اقتصادية، أو أن تكون له زعامة دينية وغيرها. وأمّا من ذهب من المسلمين في هذا الاتجاه فكان السبب في ذلك خلافهم مع سكرتير الرابطة الإسلامية إبراهيم سلطان علي بسبب مسألة "التقري والشماقلي" ومعناها

¹ المصدر السابق ، ص 67

² تسفاي ، ، لن نفترق نشوء الحركة السياسية في إرتريا (1941-1950) ، مصدر سابق، ص 246

³ Ellingson, Lloyd. "The Emergence of Political Parties in Eritrea 1941-1950." *Journal of African History* 18, 1977: 261-281..pp261-262

⁴ تسفاي ، ، لن نفترق نشوء الحركة السياسية في إرتريا (1941-1950) ، مصدر سابق ، ص 204-205

صراع الطبقات الاجتماعية أو من كانت له ارتباطات تجارية بإثيوبيا أو بالمناطق التي كان يسيطر عليها حزب الوحدة في إرتريا. وعلى العموم فقد كان يسيطر في حزب الوحدة مع إثيوبيا المسيحيون، وفي تيار الاستقلال المسلمون كما سيأتي تبياناً من غير أن يعنى خلو الأول من المسلمين والثاني من المسيحيين. وخلاصة القول أنّ حزب الوحدة مع إثيوبيا انطلق من أبعاد طائفية وثقافية على حساب المصلحة الوطنية، ونتيجة لذلك فقد الشعب الإرتري حقه في تقرير مصيره، وفرصة استقلال إرتريا سلمياً ومبكراً كمثيلاًهما (الصومال وليبيا)، وترتب عليه أيضاً فقدان الشعب الإرتري خيرة أبنائه في معركة الوجود التي استغرقت ثلاثين عاماً (1961-1991م) وما تبعها من دمار شامل للبنية التحتية والمؤسسات الاجتماعية، والاقتصادية، والثقافية.

ثانياً: حزب الرابطة الإسلامية الإرترية

إذا كان مسرح الأحداث في المرتفعات الإرترية المسيحية يهيمن عليه حزب الوحدة مع إثيوبيا، فبالمقابل كانت حركة الاستقلال تسيطر على أوضاع المنخفضات الإرترية المسلمة، مدعومة من المسلمين في المرتفعات الإرترية، وبعض الزعامات المسيحية وخاصة زعامات إقليم أكلبي قوزاي. وبدأت الحركة الاستقلالية تتجه نحو التماسك الاجتماعي، والتكتل السياسي فنتج عنه بروز قيادات سياسية وطنية تحمل هموم الانعتاق من الاستعمار، وتتمتع بتأييد واسع في مناطق المنخفضات ومن مسلمي المرتفعات. ولتحقيق ذلك تداعت القيادات المسلمة في الثالث من ديسمبر عام 1946م للاجتماع في مدينة كرن تمخض عنه ميلاد حزب الرابطة الإسلامية الإرترية¹. وقد ظهر حزب الرابطة الإسلامية كتيار سياسي في تلك الفترة مباشرة بعد فشل الحوار بين تيار الانضمام وتيار الاستقلال في بيت قرقيس في يوم 24-11-1946م.

¹ المصدر السابق ، ص 224

وكانت نتيجة فشل ذلك الاجتماع أن جعلت المسارات السياسية واضحة المعالم في إرتريا. وقد حمل الاستقاليون فشل اجتماع بيت قريس للإثيوبيين وحلفائهم المحليين. ومن ذلك التاريخ يبدو أنّ تيار الاستقلال قد حسم أمره لتحدي تيار الانضمام إلى إثيوبيا علناً، يقول إبراهيم سلطان أحد أشهر قادة الاستقلال "إنه عندما وصلت الأمور إلى ذلك الحد أنه غادر الاجتماع (يقصد اجتماع بيت قريس) وتوجه إلى مقر عمله في الغرفة التجارية في أسمرا، وجلس في مكتبه وأخذ ورقة وبدأ يكتب مستهلاً بالبسملة، فوضع مسودة برنامج لحزب أسماه الرابطة الإسلامية. وبعد فراغه من وضع المسودة جاء إلى منزله كل من الحاج سليمان (شقيق مفتي إرتريا آنذاك) و(الشيخ) عبد القادر كبيرى فعرض عليهما مسودة حزب الرابطة الإسلامية، وبعد أن اطلعا عليها أخذوا المسودة وعرضها على المفتي إبراهيم مختار، ودقيات حسن علي، واتفق هؤلاء على فكرة البرنامج ومضمونه، وقاموا باستدعاء (الشيخ) إبراهيم مختار، ووقعوا جميعاً على تلك الوثيقة"¹.

ويبدو أنّ مناقشة فكرة تأسيس حزب يمثل تطلعات المسلمين في إرتريا قد سبقت ذلك التاريخ، وكان قد تأسست في أسمرا عام 1944م جمعية خيرية تعاونية من قبل شباب مسلمين² ومثلها في نفس العام تأسس نادي كرن الاجتماعي، ونشاطات مثلها في مصوع. وكانت هذه التجمعات تحظى بدعم من القيادات المسلمة من أمثال كبيرى، وسلطان، ودقيات حسن علي وغيرهم. وكان يتم في أروقة هذه التجمعات أو أيّ تجمعات أخرى مناقشة أوضاع المسلمين السياسية والاجتماعية، وهذه المناقشات كانت تدفع إلى تأسيس حزب سياسي يدافع عن حقوق المسلمين في إرتريا. وهذا ما أكدته دقيات حسن علي في مقاله المنشور بتاريخ 6-3-1947م يقول فيه "منذ فترة طويلة دأب بعض الشباب المسلمين المثقفين من أبناء مصوع على نحو خاص بإلحاح على طرح فكرة تأسيس جمعية للمسلمين يطلق عليها اسم الرابطة الإسلامية. ويبدو أنّ الفكرة والهدف من وراء ذلك تمكين المسلمين من التعارف والتعاون فيما بينهم. ولم

¹ نقلاً من المصدر السابق، ص 221-222

² المصدر السابق، ص 222

يحدث أن استهجن هذه الفكرة أيّ مسلم سمع بها. وقد قام بعد ذلك بعض المسلمين، ممن كانوا ينتسبون إلى جمعية حب الوطن ويعرفون هذه الفكرة من قبل، بدعوة الناس إلى منزل أحد الزعماء المسلمين، حيث كان يروج شفهيًا وكتابيًا لفوائد تأسيس حزب اسمه "الرابطة الإسلامية"¹ وعلى أية حال فقد دعت تلك القيادات للاجتماع في مدينة كرن في الثالث من ديسمبر 1946م وأعلنوا رسميًا في هذا الاجتماع عن ميلاد حزب الرابطة الإسلامية كما سبق الإشارة إليه. ثم عقد عقب ذلك الاجتماع مؤتمر موسع في يناير في الفترة من 20-21-1947م حضره عمداء القبائل، والأعيان، ورجالات الدين، والقيادات السياسية، وبعد مداولات وقعت الوفود على وثيقة الاتفاق، واختير السيد بكري الميرغني رئيسًا، وإبراهيم سلطان سكرتيرًا للرابطة². وإثر ذلك عم الفرح المدن الإرترية، وخرجت مظاهرات جماهيرية كبيرة للتعبير عن ابتهاجها. وفي وقت وجيز أصبح للرابطة فروعًا في معظم المدن الإرترية لممارسة نشاطها³.

ويمكن تلخيص أهداف حزب الرابطة على النحو التالي⁴:

1 - أن تبقى إرتريا موحدة

2- المطالبة بالاستقلال الفوري لإرتريا، وإذا لم يمكن ذلك الآن فتبقى إرتريا تحت وصاية الأمم

المتحدة أو بريطانيا لفترة عشرة أعوام وعند انتهاء الفترة تحصل إرتريا على استقلالها

الكامل. لكن حزب الرابطة تراجع عن الوصاية البريطانية وتمسك بوصاية الأمم المتحدة

فقط وذلك بعد أن أيدت بريطانيا ضم إرتريا إلى إثيوبيا وذلك بعد فشل مشروعها

التقسيمي في إرتريا.

3- الرفض التام للانضمام إلى إثيوبيا وإلى أي دولة أخرى.

¹ نقلا من المصدر السابق، ص 223

² المصدر السابق، ص 224

³ المصدر السابق، ص 224

⁴ المصدر السابق، ص 232-235

4- إقامة نظام حكم وإدارة يتمشى مع ظروف البلاد في المستوى السياسي والاقتصادي والاجتماعى.

5- يتم اختيار مثقفين وحكماء للحوار بشأن الاستقلال التام أو موضوع الوصاية

6- طرح برنامج الرابطة على الأشقاء المسيحيين، بهدف تحقيق الاتفاق عليه من كلا الجانبين.

وما أن نشر برنامج حزب الرابطة حتى دار حوله جدل واسع، ونقاشات حادة بين المعارضين له والمؤيدين. وتعرضت بعض المواد الواردة في البرنامج لتأويلات، كما تعرض قادة الرابطة إلى حملة عدائية مريعة من قبل الإثيوبيين وقادة الوحدة مع إثيوبيا، وتعرضوا إلى تشويهات تصفهم تارة بأنهم أداة للإدارة البريطانية، وأخرى بأنّ الرابطة ذات طابع ديني تسعى لأسلمة إرتريا وبيعها للعرب¹. ولم يكن حزب الرابطة في الحقيقة لا هذا ولا ذاك، بل كان حزبا وطنيا طرح حلولا للواقع الإرتري مغيرة للوحدة مع إثيوبيا مما أربك حسابات الدولة الإثيوبية وأدواتها المحلية في إرتريا. وكان أول حزب استقلالي في إرتريا، وكان يمثل القاعدة العريضة للمسلمين، والدليل على ذلك تلك العريضة التي سطرها "العمداء والمشايخ والأعيان كافة تقريباً الذين يمثلون المسلمين، ووقعوا عليها في عام 1941م وقدموها للسلطات البريطانية، وتوضح بأنهم يطالبون بالاستقلال ولم يكن -الأصل- موضوع رفض المواطن المسلم الإرتري العادي لفكرة الانضمام إلى إثيوبيا محل جدل فبغض النظر عن أي شيء آخر، كان من الطبيعي أن تكون هناك قلة ضئيلة من المسلمين الإرتريين يمكن أن تقبل الانضمام إلى إثيوبيا، لسبب بسيط هو أنّ إثيوبيا تعرف كدولة مسيحية، وأنها كانت تقوم من خلال حزب الاتحاد "الانضمام" بحملة تعبئة ذات توجهات مسيحية. وتتحديث الوثائق البريطانية في تلك الفترة أيضاً عن توجس المسلمين الإرتريين وتخوفهم من نيات إثيوبيا في إرتريا"²

¹ المصدر السابق ، ص230

² المصدر السابق ، ص194

ولم يتخذ حزب الرابطة الدين الإسلامي إلا عنصراً موحداً لتشكيلات المسلمين المتنوعة. يقول في ذلك ألم سقد تسفائي "يثبت برنامج حزب الرابطة الإسلامية وممارساته كافة أن حزب الرابطة هو أول حزب وطني من حيث المبدأ والأهداف، دافع عن الاستقلال التام لإرتريا، وأنه لم يستخدم الدين الإسلامي إلا وسيلة لتوحيد صف المسلمين"¹. وعلى أية حال فقد قام حزب الرابطة فور تأسيسه بالأمر التالية كما لخصها محمد إسماعيل عبده²:

- أ. فتح فروع للرابطة في معظم المدن الإرترية، وأنشأ فرع لشباب الرابطة النشاط والذي كان له الدور المشهود في شحذ الهمم، وتعبئة الناس ضد مشروع الانضمام إلى إثيوبيا.
- ب. الانفتاح على كل الأحزاب المعارضة للوحدة مع إثيوبيا، وإيجاد قواسم مشتركة للتعاون معها، مما ساعد ذلك لاحقاً في تشكيل الكتلة الاستقلالية.
- ج. استضافة عدد من المفكرين من العالم العربي والإسلامي في مقرات الحزب في أسمرا، وكرن، بهدف توعية وتعبئة المسلمين من أجل تحقيق الاستقلال والحفاظ على الأخلاق الحميدة للمسلمين في إرتريا.
- د. إرسال بعثات تعليمية إلى مصر، ولبنان، والسودان، وإيطاليا، وافتتاح عدد من المدارس، والمعاهد، والخلأوي في المدن الكبرى.
- هـ. قامت قيادة حزب الرابطة الإسلامية بزيارات استطلاعية إلى السودان، ومصر، والمملكة العربية السعودية، لتوضيح أهداف الرابطة ومبادئها، وطلب الدعم لها لتحقيق الاستقلال، كما مثل وفد الرابطة أمام اللجنة السياسية للأمم المتحدة للدفاع عن استقلال إرتريا.

¹ المصدر السابق ص 232

² محمد إسماعيل عبده : *الأحزاب السياسية في فترة تقرير المصير* ديسمبر 2002 ص 4 www.abunawall.blogspot.com

الصعوبات التي واجهت الرابطة:

1- تحرك القوى الاستقلالية وعلى رأسها الرابطة متأخرة بعد ميل ميزان القوى لصالح إثيوبيا،

وذلك بفضل تحركها المبكر في إرتريا من بداية الأربعينات عبر حلفائها المحليين، ودعم الدول

الكبرى كأمريكا وبريطانيا لمطالبها في إرتريا.

2- إن حزب الرابطة لم ينج من التأثيرات السياسية الاستعمارية البريطانية الرامية إلى تجزئة

إرتريا وفق خطوط إقليمية ودينية، فأصيب بداء الانشقاقات علي أسس إقليمية، وذلك أثناء

تشكيل الكتلة الاستقلالية من حزب الرابطة الإسلامية، وحزب التقدم الحر، والحزب الموالي

لإيطاليا، لمقاومة مشروع الانضمام لإثيوبيا، فانشق عن الرابطة الحزب الوطني الإسلامي

لمصوع، والرابطة الإسلامية للمديرية الغربية، واتهمت قيادة الحزبين لسكرتير الرابطة إبراهيم

سلطان بالتواطؤ مع الإيطاليين، والعمل من أجل القبيلة والشهرة. وقد أيد الحزب الوطني

الإسلامي لمصوع بعد انشقاقه من حزب الرابطة الأم الوحدة المشروطة مع إثيوبيا. أمّا الرابطة

الإسلامية للمديرية الغربية فقد طلب زعيمها علي راداي بضم الإقليم إلى السودان، ولما فشل

مشروع التقسيم البريطاني طالب بإعطاء الإقليم الغربي استقلاله بعد فترة وصاية بريطانية، ولما

تعذر كل ذلك أيدّ الوحدة المشروطة مع إثيوبيا¹. وكان هو الحزب الوحيد في التاريخ الإرتري

الذي نادى بتقسيم إرتريا، بينما جميع الأحزاب الأخرى كانت ترى في إرتريا كيانا موحداً

استقلالاً أو اتحاداً مع إثيوبيا.

3- صحيح أن التأثيرات الاستعمارية كان لها دور كبير في انشقاق الرابطة إلى أجنحة، ولا

أحد يستطيع أن ينكر ذلك، إلا أنه كانت هناك أيضاً أسباب ذاتية هيأت لإنشطار الرابطة،

¹ المصدر السابق، ص5. و إيلوس، مشكلة الوحدة الوطنية في إرتريا، مصدر سابق ص 67

منها تهميش دور السيد بكري المرغني كرئيس الرابطة الإسلامية وراعيها، وجعل رئاسته رئاسة شرف لكسب السواد الأعظم من المسلمين. الأمر الذي حمله إلى تجميد عضويته أولاً ثم التحاقه بحزب الوحدة ثانياً والتراجع عن ذلك ثالثاً.

4- لم تكن هناك حاجة لبنش التركيبة الاجتماعية لبعض القبائل في المديرية في تلك الظروف السياسية الدقيقة، وذلك بتحريض بعض الفئات على الفئات الأخرى (تقري ضد شماقلي). وانتقاص شأن السادة في المجتمع هذا بالإضافة إلى أن الإدارة البريطانية انتهزت ذلك وطالبت الأفراد بتحديد الانتماءات العرقية تحت حجة تحديد الرسوم على كل قبيلة مما كان له الاثر السيئ في وحدة القبائل في كل المناطق.

5- لم يكن لحزب الرابطة الإسلامية مرجعية لاتخاذ القرار، إذ كانت أغلب القرارات يتم تنفيذها بمبادرة من سكرتير الرابطة الإسلامية وبعض المقربين إليه.¹

وإذا تجاوزنا تلك السلبيات التي صاحبت مسيرة حزب الرابطة الإسلامية في تلك الفترة فإنّ حزب الرابطة يعتبر هو أول حزب استقلالي إرتري، وتعبيراً صادقاً وحقيقياً لذلك التيار الشعبي الوطني العام، وكانت مبادئه، وأهدافه، وتوجهاته، وطنية تنادي بالاستقلال الكامل لإرتريا. وهو المشروع الوحيد الذي صمد أمام عدة مشاريع، وبقي الفكر الاستقلالي سائداً في البلاد، وجاءت الثورة المسلحة كامتداد طبيعي له حتى وصل مشروع الرابطة مبلغه باستقلال إرتريا عام 1993م.

ثالثاً: حزب التقدم الحر

تأسس حزب التقدم الحر في ابريل 1947م في مدينة عدى قبيح، وكان من الأحزاب المناهضة بالاستقلال لإرتريا بعد ضم مقاطعة تجراى الإثيوبية إلى إرتريا. وقد تخلى الحزب عن المطالبة بضم إقليم تجراى إلى إرتريا لاحقاً واكتفى بالاستقلال الفوري لإرتريا فقط. وكانت قيادته تتكوّن من رأس تسما والزعماء المسيحيين

¹ محمد إسماعيل عبده، الأحزاب السياسية في فترة تقرير المصير، مصدر سابق ص5

الاستقاليين في مقاطعات أكلى قوزاي وسراي¹، وقد لعبت قياداته دوراً بارزاً وتاريخياً في استقلال الكيان الإرتري.

رابعاً: الأحزاب الأخرى

وبجانب حزب الرابطة الإسلامية وما تفرع عنه، وحزب التقدم الحر، كانت هنالك أحزاب أخرى صغيرة تدعم مبدأ الاستقلال، كالحزب الموالي لإيطاليا، ورابطة المحاربين القدامى، إضافة إلى الأحزاب الإيطالية الفكرية، كالحزب الشيوعي، والاشتراكي، والليبرالي، والجمهوري².

خامساً: الكتلة الاستقلالية

تكتلت الأحزاب الاستقلالية الأربعة وهي حزب الرابطة الإسلامية، والحزب الليبرالي التقدمي، وحزب إرتريا الحديثة الموالي لإيطاليا، وجمعية قدامى محاربي الجيش الإيطالي، وكوّنت الكتلة الاستقلالية عام 1949م، واتفق الجميع من أجل العمل لاستقلال إرتريا كهدف مشترك. وقد أعلنت الكتلة الاستقلالية برنامجها السياسي للجماهير على النحو التالي:³

- 1- تحقيق الاستقلال الناجز لإرتريا.
- 2- تأليف حكومة ديمقراطية.
- 3- الحفاظ على وحدة الأراضي الإرترية بحدودها الجغرافية الحالية.
- 4- رفض أي مشروع يرمي إلى تقسيم إرتريا كاقترح بيفن-سفورزا، أو ضم أي جزء منها إلى إثيوبيا، أو السودان، أو أي مشروع يرمي إلى ضم إرتريا إلى أي بلد تحت أي مبرر.

وبهذا أصبحت الكتلة الاستقلالية قوة كبيرة تتمتع بتأييد شعبي واسع، وقوة تأثير متزايدة في الساحة الإرترية، وللاعب أساسي في العملية السياسية في إرتريا. لكنهم تصمد طويلاً أمام المؤامرات

¹ تسفاي، لن نفترق نشوء الحركة السياسية في إرتريا (1941-1950)، مصدر سابق، ص 263-264

² إيلوس، إرتريا ومشكلة الوحدة الوطنية، مصدر سابق، ص 67-68

³ بيان الكتلة الاستقلالية نقلاً من كتاب ناود، محمد سعيد، حركة تحرير إرتريا الحقيقة والتاريخ، (د - م - د - د - 1996)

الخارجية، وخاصة البريطانية منها، حيث تعرض كل من حزب الرابطة الإسلامية، والحزب التقدمي إلى انشقاقات فانشقت من الرابطة، الرابطة الإسلامية للمديرية الغربية، والحزب الإسلامي المستقل والذي كان مقره مصوع على النحو الذي سبق تبيانته. وانشقت عناصر بارزة من الحزب التقدمي فالتحق بعضها بحزب الوحدة مع إثيوبيا، وجمد البعض الآخر نشاطه.

وهكذا انقسمت الساحة الإرترية في وقت حرج إلى اتجاهين سياسيين على طرفي نقيض. اتجاه يدعو إلى الانضمام الكلي لإثيوبيا، وكان يمثل هذا الاتجاه كما سبق ذكره حزب الوحدة المدعوم من إثيوبيا. أما اتجاه الاستقلال الفوري فكان يمثل حزب الرابطة الإسلامية، والأحزاب الأخرى التي نادت بالاستقلال بعد فترة الوصاية الأجنبية، كالحزب التقدمي، الحر ورابطة المحاربين القدامى، والحزب الموالي لإيطاليا.

الخلاصة

إن حزب الرابطة الإسلامية هو أول حزب إرتري ينادي بالاستقلال الكامل لإرتريا، بينما لم يكن حزب الوحدة مع إثيوبيا إلا صنيعة إثيوبية يحمل مطالب إثيوبيا في إرتريا. أما الأحزاب الاستقلالية الأخرى فلم تكن في غالبيتها بعيدة من التأثيرات الإيطالية، والبريطانية، وكانت تعبر في بعض مواقفها عن مواقف تلك الدول بصورة مباشرة أو غير مباشرة.

المبحث الثاني

موقف الحلفاء من قضية إرتريا

إن دول الحلفاء الأربعة (بريطانيا-أمريكا-فرنسا-الاتحاد السوفيتي) المنتصرة في الحرب العالمية الثانية كانت قد اتفقت على تصفية المستعمرات الإيطالية في إفريقيا (إرتريا - والصومال - وليبيا) في خلال عام واحد وذلك بموجب معاهدة الصلح مع إيطاليا في عام 1947م بعد هزيمتها في الحرب العالمية الثانية، وبناء على هذه الاتفاقية تنازلت إيطاليا من مستعمراتها في إفريقيا، والتزمت الدول الكبرى الأربعة أن تتخذ ما يلزم اتخاذه حيال مستقبل تلك المستعمرات في خلال عام واحد، وذلك بعد الأخذ في الاعتبار رغبات ورفاهية سكانها، وبعد مراعاة السلم والأمن الدوليين، واستماع آراء الدول التي لها مصلحة في تلك البلاد¹.

وبدأت الدول الأربعة الكبرى في الفترة من 11 سبتمبر - الثاني من أكتوبر 1945م² في لندن بمناقشة مصير هذه المستعمرات، إلا أنها لم تتوصل إلى حل يرضي الجميع بسبب تشبث كل طرف بمصالحه الخاصة، فتقرر إحالة الملف إلى نواب وزراء الخارجية لتدارسه وتقديم مقترحات تساعد في حل هذه القضية في الاجتماع القادم لوزراء الخارجية، غير أنه اتضح أن نواب وزراء الخارجية لم يكونوا بأحسن من وزراء الخارجية أنفسهم، بل أعاد كل واحد منهم مواقف دولته مما زاد المسألة تعقيدا. وتكررت اجتماعات ممثلي الدول الأربعة في باريس في أبريل 1946م³، ثم في 15 يونيو 1946م دون الوصول إلى أي اتفاق يذكر، إلا أن الجديد في هذا الاجتماع الأخير أنه اتفق الجميع إلى إيفاد لجنة تقصي الحقائق، وجمع المعلومات، من شأنها أن تساعد في حلحلة هذا الموضوع، وبالفعل وصلت لجنة التقصي إلى إرتريا بتاريخ 12-2-

¹ تسفاي ، لن نفترق نشوء الحركة السياسية في إرتريا (1941 - 1950) ، مصدر سابق، ص 165

² المصدر السابق ، ص 165

³ المصدر السابق ، ص 168

1947م¹، وبعد إكمال اللجنة مهامها، جاءت تقاريرها هي أيضاً غير بعيدة عن عكس مواقف الدول الأربعة المتضاربة، وهكذا وصل الخلاف مبلغه بين الدول العظمى في مصير المستعمرات². وفي الاجتماع الأخير لوزراء خارجية الدول المنتصرة الذي عقد في يوم 15 سبتمبر 1948م أعلن الوزراء بعد نقاش حاد فشلهم للوصول إلى صيغة اتفاق لحل قضية المستعمرات، فقرروا إحالة أمر هذه المستعمرات إلى الجمعية العامة تطبيقاً للملحق رقم 11 من معاهدة الصلح الموقعة مع إيطاليا بهذا الشأن³.

"إلا أن اختلاف هؤلاء الحلفاء حول مصير إرتريا كان أشد من اختلافهم حول مصير ليبيا والصومال الإيطالي، نتيجة لتفاوت مصالح كل واحدة من تلك الدول في المنطقة. فأمريكا كانت ترى مصلحتها في ربط إرتريا بإثيوبيا، وأمّا بريطانيا فكانت تنطلق من مبدأ تجزئة إرتريا، بينما كان للاتحاد السوفيتي موقفاً مسانداً لاستقلال إرتريا. في حين لم تكن لفرنسا سياسة واضحة تجاه ذلك كله. وبهذا احتدم الصراع بين الحلفاء الأمر الذي تعذر معه التوصل إلى رؤية مشتركة في تقرير مصير المستعمرات الإيطالية. ولما انقضت المدة المحدودة لحسم هذه القضايا، تم تفويضها إلى الجمعية العامة للأمم المتحدة عام 1948م⁴.

قضية إرتريا في الأمم المتحدة

بعد فشل الحلفاء الأربعة للوصول إلى صيغة ترضي الجميع أحالوا ملف المستعمرات الإيطالية إلى الأمم المتحدة للبت فيه، وبعد مداوولات مطولة في داخل منظمة الأمم المتحدة حول مصيرها أوصت اللجنة

¹ المصدر السابق ، ص 299-300

² المصدر السابق ، ص 305

³ المصدر السابق ص 306-307. حامد، إبراهيم عثمان. *المقاومة السياسية في إرتريا*. (الخرطوم: دار جامعة إفريقيا العالمية للطباعة والنشر

، 2000)، ص 44 - 47

⁴ إيلوس، *إرتريا ومشكلة الوحدة الوطنية* ، مصدر سابق ص 72

السياسية في المنظمة بمنح كل من ليبيا والصومال الإيطالي الاستقلال¹، أمّا بالنسبة لقضية إرتريا فقد اختلفت اللجنة في مصيرها وتعددت المقترحات²، وأنّ هذه المواقف المتعددة في أروقة الأمم المتحدة حول مصير إرتريا تدل على مدى التعقيدات التي كانت تواجهها القضية الإرترية. ونضيف أيضاً في هذا السياق أنّ مندوبي الأحزاب السياسية الإرترية الذين مثلوا أمام اللجنة السياسية للأمم المتحدة في أبريل ومايو من عام 1949م قد تركوا انطباعاتاً في المجتمع الدولي بأنّ المجتمع الإرتري مجتمع ممزق وغير موحد. وبعد مناقشات طويلة اتخذت الجمعية العامة للأمم المتحدة قراراً بإخضاع إرتريا لمزيد من التقصي والدراسة لرغبات شعبها. وبموجب ذلك القرار أو فدت المنظمة الدولية إلى إرتريا لجنة لتقصي الحقائق، وتكوّن هذه اللجنة من كل من ممثل باكستان، وجواتيمالا، وبورما، واتحاد جنوب إفريقيا، والنرويج، ووصلت اللجنة إلى إرتريا في 9-3-1950م، ومكثت فيها إلى 9-5-1950م³ "وقامت اللجنة الخماسية باتصالات مع الأحزاب السياسية، والمنظمات والهيئات الثقافية، والمهنية الإرترية، إلى جانب ما قامت به من اتصالات مع سلطات الإدارة البريطانية، وكذلك استمعت إلى وجهات نظر الجهات التي اعتبرت معنية بقضية إرتريا وهي إثيوبيا، ومصر، وإيطاليا، وفرنسا"⁴.

وأعدت اللجنة تقريرها بعد أن استطلعت آراء الشعب، وجاءت خلاصة تقرير هذه اللجنة أيضاً منقسمة حول مصير إرتريا. فأوصى وفدي باكستان وجواتيمالا بمنح إرتريا الاستقلال. وبورما واتحاد جنوب إفريقيا والنرويج بعدم منح الاستقلال لإرتريا⁵. ومن الواضح أن تقارير هذه البعثة قد جاءت متأثرة أيضاً بمواقف دول الحلفاء الأربعة المتضاربة حول مصير إرتريا، ودور دولة إثيوبيا النشط في دعم اتجاه

¹ إبراهيم عثمان، مصدر سابق، ص 48

² المصدر السابق، ص 48-50

³ المصدر السابق، ص 50

⁴ المصدر السابق، ص 50 - 51

⁵ المصدر السابق، ص 51-52

الانضمام الذي كثف من عملياته الإرهابية ضد الاستقلاليين أثناء زيارة تلك اللجنة لإرتريا كما جاء في تقرير اللجنة، إضافة إلى تعاطف دول كثيرة مع الإدعاءات الإثيوبية في إرتريا.

النظام الفيدرالي بين إرتريا وإثيوبيا

عندما تعذر الوصول إلى الاتفاق حول مصير إرتريا في مناقشات دول الحلفاء، وفي أروقة الأمم المتحدة، تقدمت الولايات المتحدة بطرح النظام الفيدرالي بين إثيوبيا وإرتريا كحل وسط بين المشروعين، الوحدة الكاملة مع إثيوبيا والاستقلال الفوري لإرتريا، وكان نظام الاتحاد الفيدرالي يرجح مصلحة إثيوبيا ضد إرادة الشعب الإرتري، وعلى الرغم من ذلك لم يجد هذا المشروع في البداية القبول من الطرفين، إلا أنه في النهاية نجح، وربطت إرتريا بإثيوبيا بنظام الاتحاد الفيدرالي في ديسمبر 1950م بقرار رقم 5/أ/390 ودخل حيز التنفيذ في ديسمبر عام 1952م¹، وهكذا أسدل الستار أمام استقلال إرتريا، وتعرض مشروع الحركة الوطنية لأصعب الظروف والمحن بسبب المؤامرات الداخلية والخارجية على النحو الآتي²:

1. انقسام الإرتريين وفق خطوط إقليمية، ودينية، وعدم استطاعتهم لاستيعاب تلك التباينات الاجتماعية، والدينية، في بوتقة واحدة.
2. التدخل الإثيوبي المباشر في إرتريا.
3. تعاطف عدد كبير من دول العالم مع الادعاءات الإثيوبية.
4. عدم وجود قوى دولية وإقليمية محايدة تدعم رغبات الشعب الإرتري الداعية للاستقلال.

¹ تسفاي ، لن نفترق نشوء الحركة السياسية في إرتريا (1941 - 1950) ، مصدر سابق ، ص 559

² Iyob, Ruth. *The Eritrean Struggle for Independence, 1941 - 1993*, UK: Cambridge University Press. 1997, P16

وكنتيجة لتلك المؤامرات الداخلية والخارجية قبلت الكتلة الاستقلالية بالنظام الفيدرالي كأمر واقع ومفروض عليها، وعملت بما يمكن فعله في إطاره، وعلى الرغم من أنه لم يتحقق لها ما كانت ترنو إليه وهو الاستقلال الكامل إلا أنّ نضالاتها قد حققت الأمور الآتية:

1. أسقطت المشروع البريطاني الداعي إلى تجزئة إرتريا بين السودان وإثيوبيا والمعروف بمشروع

بيفن - سفورزا، ومثله المشروع الإيطالي الرامي لإدخال إرتريا مرة أخرى تحت وصايتها.

2. أسهمت في تحديد الملامح الأساسية لمشروع إرتريا.

3. عملت على توعية المواطنين بحقوقهم.

4. نقلت رغبة الشعب الإرتري بالاستقلال إلى العالم الخارجي بصورة لا لبس فيها.

5. ناهضت مشروع الوحدة مع إثيوبيا حتى أوصلته إلى حل جزئي، وأثبتت أن الكيان الإرتري

كيان مختلف عن الكيان الإثيوبي، وبناء على ذلك تمت ترتيبات الاتحاد الفيدرالي بين إرتريا

وإثيوبيا. وكانت الحكومة الإرترية تتمتع بسلطات تشريعية، وتنفيذية، وقضائية، في جميع

الشؤون ماعدا الدفاع، والخارجية، والمواصلات، وكان لإرتريا دستورها، وبرلمانها وعلمها

الخاص، وكانت اللغة العربية والتجنية لغتين رسميتين لها¹.

واعتراف إثيوبيا للحكومة الإرترية بتلك الاختصاصات المتميزة بخلاف القوميات الإثيوبية

الأخرى، وقبلها مداولات قضية إرتريا بين الحلفاء الأربعة وفي أروقة الأمم المتحدة بغض النظر عن نتائجها،

كل هذه الأمور مجتمعة أعطت القضية الإرترية المرتكزات القانونية التي أثبتت للعالم أن الكيان الإرتري

كيان مغاير للكيان الإثيوبي تاريخيا، وثقافيا، وحتى في نظمه الاجتماعية والسياسية بخلاف المزاعم الإثيوبية.

أما إثيوبيا فكانت تري في النظام الفيدرالي مسألة وقت فحسب لإلغائه وضم إرتريا إليها كاملة

وجعلها مقاطعة من مقاطعات إثيوبيا الأخرى. فبدأت تلغي مقومات النظام الفيدرالي تدريجيا، وذلك

¹ المصدر السابق، ص 37

بمصادرة قانون حرية الصحافة، والأحزاب السياسية، والنقابات العمالية. ومنع التظاهرات السلمية، وتحميد الدستور الإرتري واستبداله بالقوانين العرفية. وتغيير شارات وأختام الحكومة الإرترية، وإلغاء اللغتين الرسميتين لإرتريا وإبدالهما باللغة الامهرية، وبمحاربة الثقافة الإسلامية، والتجنية، وكل شيء يمت بصلة إليهما. وقامت بتدمير الاقتصاد الإرتري حتى تظهر إرتريا أمام العالم كدولة فقيرة غير قابلة للحياة، ووسعت من صلاحية ممثل الإمبراطور في إرتريا حتى أصبحت له صلاحيات تعطيه حق التدخل في كل شيء متجاوزاً الحكومة الإرترية، إلى أن وصلت الأمور عام 1962م إلى إلغاء إثيوبيا من جانب واحد النظام الفيدرالي رسمياً وجعل إرتريا الإقليم الرابع عشر للإمبراطورية الإثيوبية¹.

غير أنّ هذه الإجراءات التعسفية لم تمر بهذه السهولة، بل واجهت مقاومة شديدة من جميع قطاعات الشعب الإرتري، فقاوم البرلمانون الوطنيون التشريعات التي كانت تقوض النظام الفيدرالي بلا هوادة. وعبرت النقابات العمالية، والطلابية، رفضها بالمظاهرات العارمة التي عمت شوارع المدن الإرترية. كما أنّ القوى السياسية الوطنية الإرترية أعدت مذكرة احتجاج للأمم المتحدة توضح فيها خرق إثيوبيا للقوانين المنظمة للنظام الفيدرالي، وقد توجه محمد عمر قاضي إلى نيويورك لإيصال هذه المذكرة وبالفعل تمكّن من توزيعها على أعضاء الأمم المتحدة، وفي ذلك الأثناء اتصلت به الحكومة الإثيوبية وأبلغته بأنّ الإمبراطور هيلي سلاسي يطلب منه العودة إلى أديس أبابا لاستماع الشكوى منه شخصياً، ووعدته بمعالجة تلك المشاكل فوراً مع ضمان عدم التعرض له شخصياً بسبب ما قام به. ولما عاد محمد عمر قاضي بناء على تلك الوعود قبض عليه، وألقي في غياهب السجون ليقضي فيها سنوات من الدهر.

وقد لعب الزعماء السياسيون الذين هاجروا إلى الدول العربية وخاصة القاهرة في الخارج دوراً كبيراً، كالزعيم إبراهيم سلطان علي سكرتير الرابطة الإسلامية ورئيس الكتلة الاستقلالية، وإدريس محمد آدم رئيس البرلمان الإرتري (1955م)، وولدآب ولدمايام رئيس حزب إرتريا المستقلة ورئيس اتحاد عمال إرتريا،

¹ ناود ، حركة تحرير إرتريا الحقيقة والتاريخ، مصدر سابق، ص 33-34

وآخرين، وصبوا جهودهم في تعرية مزاعم النظام الإثيوبي، وكشف الجرائم التي يرتكبها ضد الشعب الإرتري عبر الركن الإذاعي في مصر، وفي السعودية، وعبر جميع الوسائل المتاحة لهم¹. ومن ناحية أخرى فقد اضطر كثير من ساسة معسكر الانضمام إلى إثيوبيا بسبب هذه الإجراءات القمعية إلى مراجعة مواقفه الداعمة لإثيوبيا، وانتقاله إلى معسكر الاستقاليين الوطنيين.

وبالنظر إلى مرحلتي تقرير المصير والفيدرالية يمكن ملاحظة الأمور الآتية:

1. أن الإدارة البريطانية التي حكمت إرتريا في الفترة ما بين عام 1941-1952م سعت منذ البداية لتقسيم إرتريا على التباينات الدينية والإقليمية للشعب الإرتري لترسيخ مشروعها المعد سلفا والرامي إلى تجزئة إرتريا بين السودان وإثيوبيا. وعلى الرغم من رفض هذا المشروع من قبل الإرتريين إلا أنه أسس لعملية سياسية غير مريحة تقوم على أساس تلك التقسيمات والتي ترتب عليها آثار سلبية في تاريخ العملية السياسية في إرتريا في تلك الفترة، ومرحلة الكفاح، وحتى في مرحلة الدولة بعد الاستقلال.

2. أن المداوالات المطولة حول مصير إرتريا بين دول الحلفاء الأربعة ومن بعدها في الجمعية العامة للأمم المتحدة، والترتيبات والإجراءات التي تم بموجبها إقامة النظام الفيدرالي بين إرتريا وإثيوبيا أضفت الشرعية القانونية على الكيان الإرتري.

3. أن سلسلة الإجراءات القمعية التي قام بها النظام الإثيوبي كشفت للجميع أنه نظام يستهدف الكيان الإرتري دون أن يميز بين جميع انتماءاته الدينية والعرقية.

الأمر الذي أدي إلى تحول كثير من أنصار الوحدة مع إثيوبيا إلى صف الاستقاليين، وبدأت الأمور بعدها تتجه نحو التماسك الداخلي، وتندثر بمزيد من النضالات في المستقبل.

¹ إيلوس ، إرتريا ومشكلة الوحدة الوطنية. مصدر سابق ص90

5. أن الرابطة الإسلامية استطاعت أن تحشد جميع القوى المسلمة في المنخفضات وفي

المرتفعات من عمداء القبائل، والرموز الدينية، والزعامات السياسية، وعامة الناس، وتحالفت

مع الزعامات الاستقلالية من المسيحيين لإنجاح مشروعها الاستقلالي.

6. أنّ الانتماء الديني كان ومازال عميقاً في المجتمع الإرتري سواء الإسلامي منه أو

المسيحي، كل في بيئته ومجتمعه، ورغم ذلك فإن التسامح بينهما كان سائداً في الجانبين، إذا

استثنينا استخدام القوى الخارجية وخاصة إثيوبيا عناصر من المسيحيين في أوقات محددة نتيجة

للاستقطاب السياسية التي سبق ذكرها، ويعود سبب هذا التسامح إلى التداخل الاجتماعي

بينهما، فتجد مثلاً لقبائل الحماسين امتدادات مسلمة في المنخفضات وبالعكس، وانقسام

أسر في قبائل البلين والمنسع بين الديانتين. والسبب الثاني هو أن الإسلام دخل هذه المنطقة

بالوسائل السلمية لذا لم يرصد المؤرخون صراعات طائفية بين المسلمين والمسيحيين عبر التاريخ

في إرتريا وحتى بين الأحزاب السياسية في تلك الفترة، فلم يكن أعضاء حزب الانضمام

لإثيوبيا كلهم مسيحيون، كما لم يكن أعضاء الكتلة الاستقلالية كلهم مسلمون.

خلاصة

قبلت الكتلة الاستقلالية النظام الفيدرالي كأمر واقع ومفروض عندما لم يتحقق لها ما كانت تناضل من

أجله وهو الاستقلال الكامل لإرتريا، وعلى الرغم من ذلك فإنّ نضالاتها قد حققت مكاسب مهمة

بالنسبة للقضية الإرترية منها: توعية المواطنين بحقوقهم، وإيصال رغبتهم الاستقلالية إلى العالم، وإسقاط

المشروع البريطاني الداعي إلى تقسيم إرتريا بين السودان وإثيوبيا، وإبعاد الوصاية الإيطالية، وناهضت

مشروع الوحدة مع إثيوبيا حتى أوصلته إلى حل جزئي وهو النظام الفيدرالي، وأنّ الترتيبات والإجراءات التي

تمّ بها النظام الفيدرالي أضفت الشرعية القانونية على الكيان الإرتري ككيان مختلف عن الكيان الإثيوبي

خلفا للادعاءات الإثيوبية، وهو الذي استندت عليه لاحقا الشرعية الثورية التحررية الإرترية والتي حققت أهدافها باستقلال إرتريا عام 1993م.

University of Malaya

المبحث الثالث

ميلاد حركة تحرير إرتريا

ومنذ أن دخل النظام الفيدرالي إلى حيز التنفيذ بين إرتريا وإثيوبيا، بدأت إثيوبيا تلغي مقوماته تدريجياً بدءاً بمصادرة حرية الصحافة، وحل الأحزاب السياسية، ومنع أي نشاط سياسي في إرتريا. وأصبح ظاهراً للعيان أنّ إنهاء الفيدرالية وضم إرتريا إلى إثيوبيا رسمياً كانت مسألة وقت فحسب، وكان الجميع يعيش في جو من الخوف والقلق على مصير إرتريا، ومرة أخرى دخلت القضية الإرترية إلى نفق مظلم، ووصل النضال السياسي فيها إلى طريق مسدود، وتهيأت الأجواء لمرحلة جديدة، وهي ميلاد ثورة مسلحة ضد الاستعمار الإثيوبي. في ظل تلك الأجواء كان يقوم مؤسس حركة تحرير إرتريا محمد سعيد ناود بزيارات لإرتريا سنوياً من السودان لجمع المعلومات، ولتقصي الحقائق لفعل ما يمكن فعله. يقول ناود "في بادئ الأمر لم نفكر أنا وزملائي في تأسيس حركة جديدة، بل كان الهدف دعم الأحزاب القائمة، وإقناع قادتها لأن يحولوا نشاطاتهم إلى عمل سري في الداخل بعد أن منعوا من مزاوله نشاطهم علناً، والجاليات في الخارج تقوم بدور الداعم لهم. إلا أنّ فكرتنا لم تجد القبول من الزعماء السياسيين، وعندها قرّرنا أخذ زمام المبادرة وأسسنا حركة تحرير إرتريا في بورتسودان في 1958/11/2م الساعة الثالثة ظهراً، وقد أدى الحضور القسم على المصحف الشريف وكان عددهم سبعة أشخاص. وهم محمد سعيد ناود، وإدريس محمد حسن، وحسن حاج إدريس، وعثمان محمد عثمان، وإياسين محمد صالح عقدة، ومحمد الحسن عثمان سدود، وصالح أحمد إياي، وحبيب قعص.¹

¹ ناود، حركة تحرير إرتريا الحقيقة والتاريخ، مصدر سابق، ص 43 وما بعدها

أهداف الحركة

أما أهداف حركة تحرير إرتريا فكانت كالآتي¹:

1. تحقيق الوحدة الوطنية بمحاربة الاتجاهات التي تهدف لخلق انقسامات وسط الشعب الإرتري.
2. تحقيق الاستقلال التام.
3. إيجاد حكومة ديمقراطية بعد الاستقلال، تعمل لتحقيق آمال الشعب القريبة والبعيدة.

وسائل الحركة²

1. الاستفادة التامة من كل التجارب المختلفة التي مرت بها الشعوب في نضالها مع مراعاة الاعتبار الأول للواقع الإرتري.
2. الاعتماد على الشعب الإرتري باعتباره المعين الذي لا ينضب.
3. توعية، وتعبئة، وتنظيم، الجماهير حتى تصبح قوة كاسحة للوجود الاستعماري.
4. ربط الجماهير بمطالبها الحيوية التي تناضل من أجل تحقيقها بعد مرحلة التحرير الوطني.
5. الوصول بالنضال الإرتري إلى مرحلة حرب التحرير الشعبية والتي تعتبر قمة الرفض الإرتري للوجود الاستعماري بإرتريا.
6. سير العمل العسكري والسياسي جنباً إلى جنب.

وبعد تأسيس حركة تحرير إرتريا في ذلك الاجتماع، بدأ أفراد الحركة في تجنيد وتكوين الخلايا بوتيرة سريعة في الداخل والخارج "وقد كانت تمتاز الحركة بارتباطها الوثيق ببؤر الصراع، ومزاولة عملها السياسي منذ نشأتها داخل إرتريا وسط الشعب الذي استجاب لها، وقبل برنامجها بل وانخرط في صفوفها بأعداد كبيرة من مختلف قطاعاته، الأمر الذي مكّن الحركة من الانتشار الواسع والسريع في أنحاء إرتريا، وفق أسس

¹ المصدر السابق ، ص443

² المصدر السابق ص461

تنظيمية كانت في غاية من الدقة والسرية، وذلك بتقسيم العضوية إلى خلايا سباعية العدد منتشرة لا مركزية في كل أقاليم إرتريا، إضافة إلى عدد من مدن بعض الدول العربية وبالأخص السودان، والمملكة العربية السعودية، حيث أماكن وجود تجمعات إرترية¹. والجدير بالذكر هنا أن الهيكل التنظيمي للحركة كان يتكوّن من القيادة العليا بزعامة محمد سعيد ناود، ثم قيادات الفروع، ومن رؤساء تشكيلات الخلايا السرية. وكان صالح أحمد إياي المشرف المباشر على فروع الحركة في سنحيت، والساحل، وبركا، والقاش. ويأسين عقدة كان مشرفاً على فروع حماسين، أكلي قوزاي، وسراي، وسمهر، ودنكاليا وإثيوبيا². ثم في يناير 1961م عقدت الحركة مؤتمرها بصورة سرية في أسمر متحدية بذلك الأجهزة القمعية لنظام الإمبراطور هيلي سلاسي التي كانت تقمع أي تجمع سياسي في إرتريا وقتئذ. وقد حضر هذا المؤتمر ما يقارب الأربعين عضواً يمثلون فروع الحركة في الداخل، ومن الخارج شارك مندوبون من فرع السودان والمملكة العربية السعودية³. وقرر المؤتمر في هذا المؤتمر أن تكون القيادة المركزية في أسمر لجميع فروع إرتريا وإثيوبيا. كما اختارت قيادة جديدة، وشكّلت قيادة احتياطية أخرى، وكانت الحكمة وراء ذلك في حالة تعرض القيادة إلى اعتقال تنتقل المسؤولية إلى القيادة الاحتياطية مباشرة، وتسير أمور التنظيم كالعادة من دون أي ارتباك⁴.

لماذا صارت حركة تحرير إرتريا تنظيماً سرياً؟

إنّ لاختيار حركة تحرير إرتريا أسلوب السرية سبباً يعود إلى ثلاثة عوامل أساسية كما يقول مؤسسها وهي:⁵

¹ إيلوس، *إرتريا ومشكلة الوحدة الوطنية*، مصدر سابق ص 87-88

² ناود، *حركة تحرير إرتريا الحقيقة والتاريخ*، مصدر سابق، ص 94

³ المصدر السابق، ص 76-79

⁴ المصدر السابق، ص 94

⁵ المصدر السابق، ص 46-47

أولها: أنّ السلطات الإثيوبية كانت تقمع أي تجمعات سياسية ونقابية، وكل من يقدم على ذلك فمصيره كان السجون التي كان يمارس فيها التعذيب الجسدي، والمعنوي، وللتغلب على هذه الصعاب أخذت الحركة السرية منهاجاً في تعاملها.

العامل الثاني: أنّ تأسيس حركة تحرير إرتريا في السودان تصادف مع الانقلاب العسكري في السودان بقيادة إبراهيم عبود والذي كان له موقفاً سلبياً من القضية الإرترية وثوارها.

العامل الثالث: وهو الأهم كانت حركة تحرير إرتريا تتبنى وتعد لثورة انقلابية من الداخل والتي يشترط فيها السرية الكاملة حتى لا يكتشفها العدو قبل تنفيذها. وكانت الحركة منذ البداية تخطط لاختراق مؤسسات الشرطة، والأجهزة العسكرية، والأمنية، والمدنية الإثيوبية، وبعد تغلغل الإرتريين فيها يتم الانقلاب عسكرياً من الداخل تسانده في ذلك الانتفاضات الشعبية، وفي حالة فشلها تنتقل الحركة إلى ثورة مسلحة. وقد حددت الحركة مراحل تنفيذ الثورة الانقلابية على النحو الآتي: التأسيس، والتوسع والانتشار، ثم التركيز، والتنفيذ¹.

ويبدو أنّ الحركة قد تمكنت من تحقيق المرحلتين الأولى والثانية باقتدار، وبصورة فعّالة في وقت وجيز من الزمن، كما أنّها بدأت تحقق شيئاً من المرحلة الثالثة، إلا أنّها لم تستطع تنفيذ المرحلة الأخيرة وهي الهدف النهائي والتي يتم فيها الانقلاب الثوري من الداخل، وإلغاء النظام الفيدرالي، وإعلان استقلال إرتريا للعالم. ويرجع زعيم الحركة محمد سعيد ناود عدم حدوث ذلك إلى ظهور جبهة التحرير الإرترية كثورة مسلحة التي نبهت المحتل الإثيوبي لما كانت تقوم به الحركة من الأنشطة السرية².

أمّا عضو قيادة أسمر للحركة وأمين سرها آنذاك محمد برهان حسن فيرى أنّ دخول القيادة والكوادر المتقدمة، ورؤساء التشكيلات بتلك الصورة في المظاهرات الكبرى الرافضة لقرار إلغاء النظام الفيدرالي في

¹ المصدر السابق، ص 47

² إبراهيم عثمان، مصدر سابق ص 80- 97

نوفمبر عام 1962م بأمر مباشر من القيادة العليا هو الذي عرض الحركة للكشف أمام السلطات الإثيوبية¹.

ومن ناحية الأخرى فإنّ الحركة كانت تحاول لتأسيس نواة للثورة المسلحة، بتجنيد الإرتريين العاملين في قوات الشرطة، ثم إخراجهم إلى الميدان، فكانت المحاولة الأولى من مدينة مصوع في ديسمبر 1962م، والمحاولة الثانية من شرطة مدينة قندع، وماي عطال 1963م، ولم تكلل كلا المحاولتين بالنجاح. أما المحاولة الثالثة فكانت إخراج مجموعة مسلحة عام 1965م باتجاه الساحل الشمالي، فاصطدمت هذه المجموعة بقوات جبهة التحرير الإرترية في منطقة عيلا طعدا حيث انتهت باستشهاد عدد منهم². وكانت رؤية جبهة التحرير الإرترية تنطلق في كل ذلك من رؤيتها القائلة بأنّ الساحة الإرترية لا تتحمل أكثر من تنظيم واحد.

ونظراً لأنّ اختلاف الفصيلين لم يكن حول الأهداف وإنّما كان في الوسائل المؤدية لتحقيقها. وبدأ كثير من قيادات وكوادر الحركة ينضم إلى العمل الثوري الذي تقوده جبهة التحرير الإرترية بشكل فردي الأمر الذي أدى إلى تراجع تنظيم الحركة، وتنامي جبهة التحرير الإرترية في الساحة. ثمّ في عام 1965م برزت مجموعة مستقلة عن الحركة تدعو إلى وحدة الصف بين التنظيمين (حركة تحرير إرتريا وجبهة التحرير الإرترية) وفي حالة فشلهم سوف تنضم إلى التنظيم الأكثر جدية، ووفق ذلك التوجه أعلنت مجموعة وحدة الصف الإرتري في فبراير عام 1966م انضمامها إلى جبهة التحرير الإرترية التي أصبحت رائدة الكفاح المسلح على حسب قولها. أمّا حركة تحرير إرتريا رغم تعثرها وضعفها فقد ظلت تنظيماً قائماً بذاته إلى عام 1970م حيث انضمت إلى قوات التحرير الشعبية فور انشقاق الأخيرة من جبهة التحرير الإرترية بتاريخ 8-2-1971م، وأصدرت بياناً تعلن فيه عن اندماجها الكامل مع قوات التحرير الشعبية³.

¹ حسن، محمد برهان ، حركة تحرير إرتريا محطة من محطات مسيرة نضالنا الوطني، (د-د-ت.) ص 45 و 46 و 71

² المصدر السابق ، ص 48

³ إيلوس ، إرتريا ومشكلة الوحدة الوطنية ، مصدر سابق ص 104-105

وبإمعان النظر في حركة تحرير إرتريا والدور الذي لعبته في النضال الإرتري نخلص إلى الآتي:

أولاً: أنّ حركة تحرير إرتريا قد لعبت دوراً رائداً في صهر المسلمين والمسيحيين في بوتقة وطنية واحدة¹، وتضييق هوة الخلافات بينهما التي كانت من نتاج صراعات مرحلتي تقرير المصير والفيدرالية.

ثانياً: أنّ حركة تحرير إرتريا لم تحسن التعامل مع زعامات جبهة التحرير الإرترية عندما أعلنت الكفاح المسلح بوصفها لهم بالمهرجين، وأنّ إعلاهم للكفاح المسلح في تلك الفترة كان خطوة غير سليمة، ولا مدروسة، ولا محددة الأهداف القريبة والبعيدة، كما جاء في بيانها². ومهما يكن خلافها مع تلك الزعامات فإنّ إعلان ذلك البيان المكتوب بلغة غير تصالحية للجماهير لم يكن خطوة موفقة. ولم يكن موافقاً للظروف الموضوعية، والسياسية، والجماهيرية التي كانت تدفع إلى اتجاه الكفاح المسلح، مما أدى بقيادات جبهة التحرير الإرترية إلى أن تصف الوسائل التي تتبناها الحركة بوسائل عاجزة، لا تستطع أن تحقق آمال الشعب الإرتري، ومن ثمّ بدأت مسيرة الحركة تتعثر ويقل تأثيرها، وأصبحت الأمور تتجه لصالح الثورة المسلحة بقيادة جبهة التحرير الإرترية، وهذا ما لاحظته محمد برهان حسن أحد قيادات حركة تحرير إرتريا في أسمر إذ يقول "بدءاً من عام 1963م كانت هناك ظاهرة واضحة وهي أنّ تنظيم الحركة أصبح يتعثر ويضعف والثورة التي يقودها تنظيم جبهة التحرير الإرترية تتنامي، وكنتيجة لهذا كانت ميول الجماهير لصالح التنظيم الذي يقود الثورة"³.

ثالثاً: عندما ظهر للحركة عدم فعالية نهجها المعتمد في العمل السري في ظل وجود ثورة مسلحة معلنة، وإلغاء النظام الفيدرالي من قبل الإمبراطور هيلي سلاسي، غيّرت آليات نضالها من

¹ المصدر السابق، ص 467

² بيان حركة تحرير إرتريا الشفة (الثوار) الصادر بتاريخ 15-11-1961م

³ محمد برهان حسن، مصدر سابق ص 44

الانقلاب الداخلي إلى الكفاح المسلح مما أدى للمواجهة العسكرية في عيلا طعدا بين قواتها وقوات جبهة التحرير الإرترية التي كانت ترى أن الساحة الإرترية لم تتحمل أكثر من تنظيم واحد. وبهذا يكون المناضلون الإرتريون قد أرسوا وخاصة جبهة التحرير الإرترية مفهوم حل الصراعات الداخلية بمنطق القوة لا بالطرق السلمية، وأن توجيه المناضل بندقته ضد أخيه المناضل كانت قمة الانحطاط للأخلاق الثورية، وأدب الخلاف، الأمر الذي ترك آثاراً سلبية بعيدة المدى في مسيرة الثورة، ولم يزل الإرتريون يعانون منها حتى هذه اللحظة.

رابعاً: على الرغم من أن الحركة كانت تواجه ظروفاً أمنية معقدة من جراء الوسائل التي كان يستخدمها النظام الإثيوبي، والمسنودة بالخبرات الإسرائيلية، والتقنيات الأمريكية، إضافة إلى المخطط الاستخباراتي الأمريكية في (غانيو استيشن) التي أنشأت في عام 1953م في أسمر، فإنها قد استطاعت أن تخترق تلك البيئة وأن تنشر رسالتها دون أن تكتشفها تلك السلطات، وذلك لدقة تنظيمها، وسريتها إلى درجة أنها تمكنت من عقد مؤتمرها في أسمر عام 1961م بحضور ما يقارب الأربعين عضواً يمثلون كافة الفروع في الداخل، ومندوبين من أعضاء الحركة في السودان والمملكة العربية السعودية¹، ولئن كانت السرية أحد أقوى أسلحة الحركة للتعامل مع العدو في تلك الأجواء القاسية، فإنها قد بالغت في السرية حتى مع عضويتها ومع الوطنيين الإرتريين الذين يحملون نفس الهم الوطني، لدرجة أن هذه السرية كانت الحاجز أمام انضمام بعض الناس إليها، مما اضطرهم لبحث سبل أخرى للنضال بمعزل عنها، يقول سيد محمد أحمد هاشم أحد مؤسسي جبهة التحرير الإرترية في ذلك "عندما شرعنا في تأسيس جبهة التحرير الإرترية في القاهرة، وبدأنا بتكوين التشكيلات الأولى، قدم إلى القاهرة أحد قيادات حركة تحرير إرتريا وهو طاهر فدا، وبعد مناقشات معه أبدينا استعدادنا للانضمام للحركة وعند سؤالنا له عن قيادة

¹ إيلوس، مشكلة الوحدة الوطنية في إرتريا، مصدر سابق ص 88

الحركة فقد رفض الكشف عنها، فقلنا له كيف ننضم إلى حركة لم نعرف شيئاً عن ماهية قيادتها¹. وتكرر نفس الموقف مع رئيس جبهة التحرير الإرترية إدريس محمد آدم عند لقائه مع قيادة حركة تحرير إرتريا في بورتسودان في أكتوبر عام 1961م للتباحث معهم حول مجمل الأحداث في الساحة الإرترية بما فيها خلافات التنظيمين، ولم يكن إدريس محمد آدم على علم بمن يرأس هذا التنظيم، وأثناء عودته من تلك الرحلة يقول محمد سعيد ناود صاحبه إلى مطار بورتسودان، وبعد الانتهاء من إجراءات السفر وجلسنا سألني عن رئيس الحركة فقلت له: ليس بيننا رئيس أو مرؤوس فكلنا فريق عمل نناضل سوياً، فرد عليّ قائلاً من خلال متابعتي أثناء الاجتماعات التي حضرتها معكم اعتقد أنت الذي ترأس هذا التنظيم، ونفيت له ذلك الأمر². ولا أدري ما الذي حمل ناود لنفي تلك الحقائق؟ وما فائدة إخفائها من تلك الزعامات الوطنية غير أنها تولد عدم الثقة بين التنظيمين؟ ثم كيف يتم التفاوض للوصول إلى اتفاق معها ما لم تكن العناصر التي تتفاوض معها معروفة المناصب داخل التنظيم المعني، وقادرة على تنفيذ الاتفاقيات التي تتوصل إليها مع الآخرين.

خامساً: على الرغم من الدور الوطني الذي لعبته الحركة فإن مسيرتها لم تخل من السلبات التي حدثت من تطورها، بل أدت إلى تقليص دورها في الساحة الإرترية، من أبرزها اعتماد الحركة النهج السلمي لمواجهة ذلك النظام الاستعماري القمعي الذي له مصلحة مباشرة في احتلال إرتريا، ويحظى بدعم الدول العظمى في ظل إفرازات الحرب الباردة في المنطقة.

ومن الطبيعي أن يتساءل المرء هل كان بالاعتماد على بضعة آلاف من الشرطة محدودة التسليح لتنفيذ الانقلاب من الداخل، وإعلان الاستقلال ممكناً وكافياً دون استناد إلى قوة مسلحة؟ وماذا كان

¹ انظر مقابلة سيد أحمد محمد هاشم من مؤسسي جبهة التحرير الإرترية وعضو المجلس الأعلى للجبهة ورئيس مكتبها في السودان، أجرى المقابلة معه محمد نور أحمد في أسمر بتاريخ 27-09-1994، والمقابلة منشورة في موقع عونا وعدوليس

² ناود، حركة تحرير إرتريا الحقيقة والتاريخ، مصدر سابق ص 388-389

يكون موقف إثيوبيا التي تملك القوة العسكرية، والضمانات الخارجية من ذلك التصرف؟ ومع الاعتراف بصعوبة إمكانية محاكمة تلك الأحداث بمعايير اليوم إلا أنه من منطلق تحليلي يبدو فيها من الوهلة الأولى أن هذه الوسيلة كانت تعاني من الضعف وخاصة إذا أخذ في الاعتبار أن لإثيوبيا مصلحة مباشرة كدولة مغلقة في احتلال إرتريا، إضافة إلى أن المناخ الدولي كان يميل لصالحها لأسباب حضارية من ناحية، وارتباطاتها الإستراتيجية مع دول عظمى في ظل ظروف الحرب الباردة من ناحية أخرى.

وفي نفس السياق فإن النظام الإثيوبي امتاز عبر التاريخ بالقسوة، واستخدام السلاح ضد القوميات التي وقفت أمام توسع إمبراطوريته، فصهر قسراً بقوة السلاح في إمبراطوريته مناطق العمق الإسلامي في هرر، وبالي، وعروسي الخ، ومناطق القبائل الوثنية في الجنوب، والجنوب الغربي، وأخضع بقوة النار والحديد قومية الأرومو، والعفر، والصومال وغيرها. وقد يقول قائل إن طبيعة علاقة إرتريا وإثيوبيا تختلف عن علاقة تلك المناطق مع إثيوبيا، وهذا صحيح نظرياً أن إرتريا كانت وحدة تتمتع بحكم ذاتي وهو ما لم يكن لتلك المناطق، أما في واقع الأمر فإن إثيوبيا كانت تسعى لإنهاء النظام الفيدرالي منذ البداية للأسباب الآتية:

أ- إن النظام الفيدرالي مع تلك الاختصاصات الممنوحة للحكومة الإرترية القائمة على مبادئ الحكم الديمقراطي يهدد بقاء نظام الفرد المطلق في إثيوبيا.

ب- إن بقاء الحكم الذاتي لإرتريا سوف يكون حافزاً للقوميات الأخرى للمطالبة بحقوقها. من هنا كان يري النظام الإثيوبي إنهاء الفيدرالية وضم إرتريا إلى إثيوبيا مسألة حتمية لبقاء نظامه. لكل هذا أو ذاك لا ريب فإن النظام الإثيوبي ما كان ليتوانى من استخدام السلاح لحسم أي تحرك يناوئ توجهاته في إرتريا، وهذا ما أثبتته الأحداث اللاحقة.

الخلاصة:

إن حركة تحرير إرتريا قد لعبت دوراً وطنياً رائداً في نشر الوعي السياسي وتعبئة الجماهير للوقوف ضد مخططات المحتل الإثيوبي، الأمر الذي كان له دوراً إيجابياً في تهيئة الأوضاع للمرحلة التي تلت تلك الفترة، وهي مرحلة المقاومة المسلحة التي استغرقت ثلاثين عاماً.

المبحث الرابع

جبهة التحرير الإرترية

عندما تدهور الوضع الاقتصادي، وازداد الاضطهاد السياسي في خمسينات القرن العشرين، اضطرت أعداد كبيرة من الإرتريين للهجرة إلى الدول المجاورة، وخاصة السودان، ومصر، والمملكة العربية السعودية، بحثاً عن فرص عمل، أو تعليم، أو عن أماكن أكثر أمناً بالنسبة للبرلمانيين والنشطاء السياسيين، فقد وصل إلى القاهرة كل من إبراهيم سلطان علي رئيس الرابطة الإسلامية والكتلة الاستقلالية، وإدريس محمد آدم رئيس البرلمان الإرتري 1955م، وولدآب ولد ماريام رئيس حزب إرتريا المستقلة ورئيس اتحاد عمال إرتريا¹. كما وصل إلى القاهرة أيضاً عدد غير قليل من الإرتريين سواء كانوا سياسيين أو طلاب. وكان وقتئذٍ يسيطر في الجو العام العالمي في آسيا أو إفريقيا أو أمريكا الجنوبية المد الثوري، وأفكار التحرر الوطني من الاستعمار. وكانت القاهرة في تلك الفترة تعج بزعماء تلك الثورات التحررية في العالم، الأمر الذي شجع الزعماء الإرتريين أن يحدوا حذو تلك الثورات التحررية.

ففي يوليو 1960م كان ميلاد جبهة التحرير الإرترية في القاهرة، ورشح إدريس محمد آدم رئيساً لها². وفي يوم 1961/9/1م أطلق القائد حامد إدريس عواتي ورفاقه الطلقة الأولى على العدو في جبل أدا في المنطقة الغربية لإرتريا³. معلناً بذلك بداية الكفاح المسلح، وفشل جميع المحاولات السياسية من الداخل، ومتحدياً النظام الإثيوبي. وكانت أهم أهداف جبهة التحرير الإرترية كما جاءت في ميثاقها

الأول⁴ هي :

¹ إيلوس، إرتريا مشكلة الوحدة الوطنية، مصدر سابق، ص 90

² أنظر مقابلة سيد محمد أحمد هاشم، مصدر سابق.

³ تركي، إرتريا والتحديات المصيرية، مصدر سابق، ص 307

⁴ نقلاً من المصدر السابق، ص 305

- 1- استقلال إرتريا استقلالاً كاملاً ، وإقامة جمهورية إرترية في حدود إرتريا الحالية
 - 2- وضع سياسات اقتصادية سليمة تستهدف رفاهية الشعب الإرتري، والقضاء على كل النظم الاقتصادية التي خلفها الاستعمار.
 - 3- وضع سياسات تعليمية جديدة تتفق والتراث القومي (الإرتري) ونؤكد اعتماد اللغة العربية والتجريبية كلغتين رسميتين في إرتريا.
 - 4- تصفية النفوذ الاستعماري والصهيوني تصفية تامة واستئصاله من جذوره.
 - 5- انتهاج سياسية التحرر في الداخل والخارج.
- وظل عواتي قائداً لجيش التحرير حتى وافته المنية في مايو عام 1962م، ولم يعلن الثوار وفاته إلا متأخراً حتى لا يؤثر في مسيرة الثورة، ومعنويات المناضلين¹. ولما كانت الجبهة تعبر عن إرادة الشعب في مقاومة الظلم فقد التحق بها عدد من الإرتريين العسكريين العاملين في الجيش السوداني، وأفراد من الشرطة الإرترية²، ووقفة معها قطاعات الشعب الإرتري وخاصة في مناطق المنخفضات، وهكذا استطاعت جبهة التحرير الإرترية في وقت وجيز تعبئة الجماهير باتجاه الكفاح المسلح، واستقطبت أعداداً كبيرة من المقاتلين. وعلى الرغم من القلة في العتاد، والعزلة الخارجية فقد استطاعت الجبهة إثبات شرعية الثورة المسلحة في إرتريا بمجاهدات لا تلين لإرجاع الحق المسلوب للشعب، وطرد المحتل الإثيوبي من إرتريا. واعتمدت حرب العصابات سبيلاً وتميزت عملياتها بالهجوم المفاجئ لمراكز العدو، واغتنام ما يحتاجه مقاتليها من التجهيزات العسكرية والمدنية.
- وتوسعت الجبهة عسكرياً، فشملت جميع مناطق الأرياف الإرترية. وامتدت قاعدتها الجماهيرية إلى جميع المدن الإرترية، ووصل صداها حتى إلى الإرتريين المقيمين في إثيوبيا. ووجدت المساندة من الجاليات

¹ المصدر السابق، ص 308

² إبراهيم محمد علي، مصدر سابق ص 33-34

الإرترية في الخارج، كما وجدت دعماً مقدراً من بعض الدول العربية، وأصبحت الثورة الإرترية معروفة على الصعيد الدولي، وخاصة في المحيط الجغرافي العربي.

وأما سياسياً، ففي بادئ الأمر كانت تدير الجبهة اللجنة التنفيذية والتي كانت خليطاً من السياسيين والطلاب، ثم تحولت الإدارة لاحقاً إلى المجلس الأعلى. يلي المجلس الأعلى في الأهمية لقيادة الجبهة القيادة الثورية التي أنيط إليها الإشراف المباشر على كافة شؤون الثورة، وكان مقرها في مدينة كسلا السودانية الحدودية، كما كان هنالك مفوضون سياسيون في أجهزة الثورة المختلفة¹، ولجان فرعية تسيّر أمور الجبهة على مستويات مختلفة، على مستوى المناطق، والمدن، والقرى في الداخل، وفي مناطق تواجد الجاليات الإرترية في المهجر.

جبهة التحرير الإرترية ونظام المناطق

وفي اجتماع المجلس الأعلى (القيادة السياسية للجبهة) المنعقد في يوليو عام 1965م صدر قرار بتقسيم الساحة الإرترية إلى مناطق عسكرية، على غرار تجربة الثورة الجزائرية². ولقد كان الهدف من ذلك لنشر الثورة في ربوع البلاد، وتسهيل حركتهم، وفتح جبهات مختلفة لإنهاك قوة العدو. وبناءً على تلك المبررات تمّ تقسيم إرتريا إلى أربعة مناطق عسكرية، وأضيفت عليها لاحقاً عام 1966م المنطقة الخامسة³. وتمّ تعيين قائد عسكري على رأس كل منطقة من أبنائها بحجة أنه الأدرى والأقدر لتحقيق تلك الأهداف. وكانت التعيينات على النحو التالي:

● المنطقة العسكرية الأولى وتشمل مناطق بركة والقاش:

محمود ديناي قائداً، وصالح محمد إدريس نائباً، وموسى محمد هاشم مفوضاً سياسياً.

¹ تركي، إرتريا والتحديات المصيرية، مصدر سابق، ص 313. إبراهيم محمد على، مصدر سابق، ص 40-41

² إيلوس، إرتريا مشكلة الوحدة الوطنية، مصدر سابق، ص 110

³ المصدر السابق، ص 110-111

● المنطقة الثانية وتشمل السنحيت والساحل:

عمر حامد إزاز قائداً، ومحمد عمر آدم نائباً، ومحمود إبراهيم شكينى مفوضاً سياسياً.

● المنطقة الثالثة وتشمل أكلي قوزاي وسراي:

عبدالكريم إبراهيم أحمد قائداً، وحامد جمع نائباً، وأبراهام تولدي مفوضاً سياسياً.

● المنطقة الرابعة وتشمل سمهر ودنكاليا:

محمد علي عمرو قائداً، وعبدالله محمد باري نائباً، ورمضان محمد نور مفوضاً سياسياً.

● المنطقة الخامسة وتشمل حماسين بما فيها العاصمة أسمرا:

والداي كحساي قائداً، إلا أنه سلم نفسه لإثيوبيا، وعين أبراهام تولدي في محله، وحشال عثمان

نائباً، وإسياس افورقي مفوضاً سياسياً بعد عودته من الصين.

وعلى الرغم من أنّ تجربة نظام المناطق حققت الكثير من الأهداف التي أنشأت من أجلها، وهي

توسيع عمل الجبهة جغرافياً، ورفدها بقوة بشرية من جميع فئات المجتمع الإرتري، وتحقيق انتصارات

عسكرية ضد العدو، إلا أنّ هنالك إخفاقات قاتلة ترتبت على نظام المناطق، وأثّرت في مسيرة الثورة

وكفاحها. وذلك بغياب سياسات منظمة تضبط العملية التنسيقية، والتكاملية بين مختلف المناطق التي

أصبحت دويلات قائمة بذاتها، وتعمقت فيها روح المناطقية، والقبلية، الأمر الذي نتج عنه لاحقاً تفكك

البنية الأساسية لكيان الجبهة كما سيأتى تناوله لاحقاً أثناء مناقشة العوامل التي أدت إلى هزيمة الجبهة.

ومن ناحية أخرى "لقد كان واضحاً أنّ الإنجازات العسكرية التي تمّ تحقيقها في هذه المرحلة تعود

بصفة أساسية إلى التقاليد البطولية لجيش التحرير، ومستوى التدريب الذي تحسن بشكل ملحوظ كنتيجة

للدورات العسكرية بكل من سوريا، والعراق، والصين الشعبية، وكوبا، والثورة الفلسطينية، وإلى ارتفاع الروح

المعنوية للمقاتل الإرتري. وقد تميّزت هذه الفترة ب بروز دور الكادر العسكري النشط الذي يقوم بمختلف

المهام في الثورة، مثل التعبئة السياسية في أوساط الجماهير والمقاتلين، وعلى تنظيم الجماهير على أشكال لجان القرى والمناطق، هذا بجانب تنظيم الخلايا السرية في المدن التي يحتلها العدو الإثيوبي، بغرض توسيع القاعدة الجماهيرية، والحصول على المعلومات حول نشاطات العدو المختلفة، كما كان لهذه الخلايا دور في دعم الثورة بالنسبة لاحتياجاتها التنموية، وشراء احتياجاتها الأخرى¹.

وقد أفادت هذه الكوادر المتدربة في الخارج -بلا شك- الثورة بنظريات علمية، وممارسات عملية ساعدت في التطور العسكري، وأحدثت تغييرات في مفاهيم الثورة، وكفاحها في الساحة الإرترية، إلا أنّ هذه العناصر المتدربة في الخارج جاءت أيضاً تحمل بذور أفكار اليسار، والأفكار المتفرعة منها، كالقومية العربية، والبعثية، وغيرها لزرعها في الساحة الإرترية من دون أن تتأكد من صلاحيتها في تلك البيئة، الأمر الذي أدخل الثورة الإرترية في صراع فكري خفي قبل أن تخرج من المشاكل الناجمة من تطبيق نظام المناطق الخاطئ والذي سبق الإشارة إليه.

ومن ناحية أخرى، فإن هذا التطور في المجال العسكري لم يوازيه تطور في الأجهزة الإدارية، والتنظيمية في الثورة، الأمر الذي أدى إلى عجز وسائلها التنظيمية من حل الاحترابات الداخلية، واستيعاب التباينات الاجتماعية والفكرية، فكلما ظهر خلاف في الساحة ينتهي بالانشقاق، فأصبح التعدد قاعدة والوحدة استثناء على حسب تعبير محمد سعيد برحتو. وقد بدأت هذه الانشقاقات -في نهاية عقدها الأول وبداية عقدها الثاني- بين القيادة السياسية متمثلاً في المجلس الأعلى، والقيادات العسكرية في الميدان عندما طالبت الأخيرة بعقد مؤتمر لحل المشاكل التي كانت تعاني منها الساحة وخاصة بسبب نظام المناطق، وعندما قوبلت دعواتهم باللامبالاة من المجلس الأعلى عقدت القيادات الميدانية للمناطق الخمسة مؤتمراً عرف بمؤتمر عراداييب.

¹ عبدالصبور الصادق، عابدين. *إريتريا والسودان تطوران العلاقات الإستراتيجية* سبتمبر 1961 م - ديسمبر 1982 م. (الخرطوم : مركز الدراسات الاستراتيجية ، 2012). ص 179 -180.

مؤتمر عرادايب العسكري

أن القيادات العسكرية في الميدان عقدة بتاريخ 16-6-1968م مؤتمرا في عرادايب وناقشت فيه المشاكل التي كانت تعاني منها الثورة وخرجت من المؤتمر بالقرارات التالية: إلغاء نظام المناطق، وتوحيد جيش التحرير وأجهزة الثورة المختلفة، ودعم المنطقة الخامسة التي كانت تعاني من نقص مادي وبشري، وعقد مؤتمر عسكري في أقرب فرصة.¹

مؤتمر عنسبا العسكري

في 10-9-1968م عقد مؤتمر عسكري آخر في أروتا في المنطقة الثانية والذي عرف بمؤتمر عنسبا لأسباب أمنية، حضرته المنطقة الثالثة، والرابعة، والخامسة، وفصيل المساعد، وهيئة التدريب، وغابت عنه المنطقتان الأولى، والثانية، دون أسباب واضحة.² وعلى الرغم من أن قياديهما أبدتا رغبتها في التوحد في المؤتمر السابق إلا أنهما لم يحضرا هذا المؤتمر لتعرضهما لضغوط من بعض عناصر المجلس الأعلى على الأرجح، وذلك وفق معطيات صراع أقطاب المجلس آنذاك. وكانت المنطقة الثانية قد دخلت في معركة مع العدو مع اقتراب انعقاد المؤتمر في منطقة لحل وخسرت فيها خيرة شبابها بما فيهم قائدها عمر حامد إزاز.³

وقد جاء المفوض السياسي للمنطقة الثانية حاملا رسالة إلى مكان المؤتمر من قيادة المنطقة تطلب فيه تأجيل المؤتمر لفترة وجيزة حتى تتمكن المنطقة من المشاركة فيه بعد ترتيب أوضاعها الداخلية التي كانت تعاني من آثار تلك المعركة، إلا أن المؤتمرين رفضوا ذلك الطلب.⁴ والسؤال الباقي إلى يومنا هذا لماذا لم تعط

¹ تركي، إرتريا والتحديات المصيرية، مصدر سابق، ص 318. إبراهيم محمد علي، مصدر سابق، ص 49

² المصدر السابق

³ إيلوس، إرتريا ومشكلة الوحدة الوطنية، مصدر سابق ص 120-122

⁴ إبراهيم محمد علي، مصدر سابق، ص 49-50

المنطقة الفرصة الزمنية التي طلبتها لحضور المؤتمر؟ يقول في ذلك إبراهيم محمد علي أحد القيادات التاريخية لجهة التحرير الإرترية "يبدو أن الأطراف المتنفذة في المؤتمر التابعة لجناح عثمان سبي أرادت إخراجها بالطريقة التي خرج بها لدرجة المنطقتين المحسوبتين على جناح إدريس محمد آدم، ثم اتهامهما بمعاودة الوحدة في إطار الصراع في المجلس الأعلى وهو ما حدث بالفعل".¹ ومهما يكن من أمر فقد توصلت المناطق الثلاثة التي حضرت مؤتمر عنسبا إلى وحدة ثلاثية وانتخبت قيادة عسكرية موقتة. وبدأت تتفاوض مع المنطقتين لعقد مؤتمر عسكري شامل لمعالجة القضايا العالقة في الساحة الإرترية.²

مؤتمر أدوجا العسكري

في أغسطس عام 1969م عقد مؤتمر أدوجا العسكري بحضور ممثلين من المناطق الخمسة المتمثلة في الوحدة الثلاثية والمنطقتين الأولى والثانية وبعد مداولات مطولة خرج المؤتمر بالمقرارات الآتية : توحيد جيش التحرير، وانتخاب قيادة موحدة عرفت بالقيادة العامة، وتكوين لجنة تحضيرية للمؤتمر العام للثورة الإرترية، وتشكيل لجنة للنظر في الأخطاء التي ارتكبت في حق الشعب وثورته، كما تمّ تشكيل لجنة لاستلام ممتلكات الثورة من جميع أجهزتها، وغيرها.³

وبعد شهور من هذا المؤتمر عقد عثمان صالح سبي وثلاثة آخرين من أعضاء المجلس الأعلى وهم طه محمد نور، وعثمان خيار وتدلا بايروا مؤتمر عمان -الأردن- في 15-11-1969م لمكاتب الجبهة في الخارج⁴، وتمخض هذا المؤتمر عن إلغاء المجلس الأعلى، وتأسيس الأمانة العامة، وكان قد تخلف عن هذا المؤتمر الأربعة الآخرون من أعضاء المجلس الأعلى وهم إدريس عثمان قلايدوس، وإدريس محمد آدم، ومحمد

¹ المصدر السابق ، ص 50-51

² المصدر السابق ، ص 67-68

³ جبهة التحرير الإرترية ، جيش التحرير الارترى بيان مؤتمر أدوجا الصادر بتاريخ 25-8-1969

⁴ تركي ، إرتريا والتحديات المصيرية ، مصدر سابق ، ص 321. إبراهيم محمد علي، مصدر سابق، ص 83

صالح حمد، وسيد أحمد محمد هاشم، بسبب خلافهم مع عثمان صالح سي، ورفضوا مخرجات مؤتمر عمان، وتمسكوا ببقاء المجلس الأعلى كقيادة عليا للجبهة¹.

وقد قلصت مقررات مؤتمر أدوبجا صلاحية المجلس الأعلى وقصرتها في المجال الدبلوماسي فقط²، وأوكلت جميع مهام الجبهة للقيادة العامة المنبثقة من المؤتمر، إلى أن اجتمعت القيادة العامة بعد شهر تقريباً من مؤتمر عمان، واتخذت قراراً بتجميد صلاحية المجلس الأعلى كاملة حتى انعقاد المؤتمر العام³.

وعلى الرغم من تلك القرارات والتدابير الهامة التي اتخذت في المؤتمر وما تبعها من عزل المجلس الأعلى من قيادة الجبهة، إلا أنّ مؤتمر أدوبجا كان بداية تفكك الجبهة، وذلك أن الخلافات في أجهزة الجبهة كانت قد نخرت في عظامها ووصلت إلى درجة يصعب علاجها، بدءاً من خلافات أقطاب المجلس الأعلى (القيادة السياسية) في زعامة الجبهة، وانتهاءً بالأطر التنظيمية والعسكرية والجماعية الخ - وتأثيرها في الصراعات الإقليمية، والطائفية، والفكرية السطحية، مع تخلف الآليات التنظيمية، والإدارية في أجهزة الجبهة، إضافة إلى وجود حساسيات وعدم الثقة التي خلفها نظام المناطق في نفوس المناضلين بدأت تطل برأسها مما عمق الانشقاقات الداخلية في الجبهة.

بداية الانشقاقات في داخل الجبهة

ما أن وصلت الجبهة إلى نهاية عقدها الأول وبداية عقدها الثاني تعرضت إلى الانشقاقات الداخلية التي حدثت من قدراتها القتالية ضد العدو، الأمر الذي تسبب في عرقلة عملية التحرير مبكراً في إرتريا، وعلى أية حال انقسمت الجبهة إلى عدة جبهات متصارعة على النحو الآتي⁴

1- جبهة التحرير الإرترية - القيادة العامة، بزعامة محمد أحمد عبده.

¹ تركي، إرتريا والتحديات المصرية، مصدر سابق، ص 323

² إبراهيم محمد علي، صدر سابق، ص 79

³ المصدر السابق، ص 83

⁴ المصدر السابق، ص 132. و تركي، إرتريا والتحديات المصرية، مصدر سابق، ص 324-325

2- قوات التحرير الشعبية، وكانت تتألف من الجناح العسكري في الميدان بزعامة محمد علي

عمرو. والجناح السياسي في الخارج الامانة العامة بزعامة عثمان صالح سي.

3- قوات التحرير الإرترية (عوبل) ، بزعامة أربعة من أعضاء القيادة العامة.

4- المجموعة المسيحية "سلفي ناطنت" (حزب التحرير) ، بزعامة إسياس أفورقي.

فانشقاق قوات التحرير الإرترية (عوبل) والمجموعة المسيحية (سلف ناطنت) حزب التحرر الإرتري

بزعامة إسياس أفورقي تزامن مع إرسال عثمان صالح سي قوى عسكرية إلى الميدان عبر البحر من اليمن

إلى مناطق دنكاليا، وكونت هذه المجموعات الثلاثة لاحقا قوات التحرير الشعبية¹.

مؤتمر عواتي

فقد عقدت القيادة العامة مؤتمر عواتي التداولي من 26 / 2 إلى 13 / 3 / 1971م واتخذت القرارات

الآتية²: ضرورة انعقاد المؤتمر الوطني العام في أقرب فرصة في فترة أفصاها أربعة أشهر، وتكوين لجنة تحضيرية

لهذا الشأن، وإبقاء القيادة العامة التي انتهت مدتها إلى حين انعقاد المؤتمر الوطني المزمع عقده، وتكليف

لجنة للاتصال مع قوات التحرير الشعبية للحوار بغية الوصول معهم إلى صيغة مشتركة تضمن مشاركة جميع

القوى الثورية في المؤتمر الوطني العام، إلا أنّ قوات التحرير الشعبية قد أعلنت رفضها لحضور المؤتمر، ورفضة

بذلك الطرق واللوائح والشروط التي وضعتها اللجنة التحضيرية المنبثقة من هذا المؤتمر الذي لم يكن فيه أي

مشاركة من طرف قوات التحرير الشعبية.

¹ المصدر السابق، ص 324-325

² إبراهيم محمد علي، مصدر سابق، ص 100

المؤتمر الوطني الأول

عقدت جبهة التحرير الإرترية القيادة العامة المؤتمر الوطني الأول في الفترة من 10/14 إلى 11/12 1971م بمعزل عن قوات التحرير الشعبية، وانتخبت فيه قيادة جديدة عرفت باسم المجلس الثوري بدلا من القيادة العامة¹. وقد اتخذت عدة قرارات من أخطرها حل الصراعات في الساحة الإرترية بالآلة العسكرية بحجة أن الساحة لا تتحمل أكثر من تنظيم واحد، وبناءً على ذلك حددت مدة محددة لجنود قوات التحرير الشعبية وفعاليتها الجماهيرية للعودة للجبهة الأم وإلا سوف يتعرضون للإجراءات العسكرية فور انقضاء المدة المحددة.

وعندما عجزت تلك التهديدات العنيفة إقناع المجموعات المنشقة من الجبهة. قرر المجلس الثوري لجبهة التحرير الإرترية في جلسته المنعقدة في 22-2-1972م تصفية قوات التحرير الشعبية التي أطلقت عليها الثورة المضادة².

وقد سخرت لذلك كافة آلياتها الإعلامية، والعسكرية، والسياسية، لتعبئة الشارع العام الإرتري حتى يقبل هذا الواقع السياسي الجديد في الساحة. ومن ثم بدأت جبهة التحرير الإرترية في نهاية فبراير عام 1972م مهاجمة معازل قوات التحرير الإرترية (عوبل) في مناطق بركة لعالي في المديرية الغربية، وتم تصفيتهم في فترة وجيزة³.

وبعد أيام من القضاء على قوات عوبل هاجمت قوات الجبهة معازل قوات التحرير الشعبية في مناطق الساحل واشتدت المعارك بينهما، ومالت القوة لصالح الجبهة مما أجبر قوات التحرير الشعبية للانسحاب إلى الأراضي السودانية الأمر الذي أدى إلى تدخل الحكومة السودانية والفصل بين الأطراف

¹ تركي ، إرتريا والتحديات المصرية ، مصدر سابق ، ص 348-349. وإبراهيم محمد على ، مصدر سابق ، ص 129

² بيان تصفية الثورة المضادة الصادر من المجلس الثوري لجبهة التحرير الإرترية، بتاريخ 15-5-1972. ونص البيان كاملا موجود في ملحقات كتاب إيلوس: إرتريا ومشكلة الوحدة الوطنية،

³ إبراهيم محمد على ، مصدر سابق ، ص 185-186

الإرترية المتقاتلة في أرضها، وطلبت من قوات جبهة التحرير الإرترية المنتصرة مغادرة أراضيها فوراً، وتركت قوات التحرير الشعبية التي لجأت إليها إلى حين وصول الطرفين إلى اتفاق. وبضغط من الحكومة السودانية توصل الطرفان إلى اتفاق في 26-2-1973م يقضى إلى وقف القتال بينهما، ومناقشة جميع نقاط الخلاف وحلحلتها، وبحث مسارات الوحدة بينهما¹.

وكانت جبهة التحرير الإرترية المنتصرة في تلك المعركة قد قبلت بتلك الاتفاقية للحفاظ على علاقاتها مع الحكومة السودانية، وأما قوات التحرير الشعبية فكانت تحتاج إلى مثل هذه الاتفاقية لالتقاط أنفاسها، وتستعيد قواها، وترتب أوضاعها الداخلية من جديد. وبالفعل استفادت قوات التحرير الشعبية من تلك الهدنة، وكثفت من تجنيدها للشباب الإرتري بوتيرة سريعة، إضافة إلى ذلك استطاع عثمان صالح سبي جلب الدعم لها من الدول العربية التي كانت تربطه بها علاقات جيدة².

وبعد أن تأكدت قوات التحرير الشعبية من مقومات بقاءها، والقوة التي تمكنها من موازنة قوة جبهة التحرير الإرترية المجلس الثوري عادت إلى الميدان ومرة أخرى اندلعت المعارك في مايو 1973م بينها وبين قوات المجلس الثوري لجبهة التحرير الإرترية في مناطق تبج في الساحل الشمالي ومناطق أخرى كثيرة فقدت فيها الثورة الإرترية خيرة شبابها، ولم تضع الحرب أوزارها بين الجبهتين إلا في نهاية 1974م في المرتفعات الإرترية³ للأسباب التالية:

أولاً - عندما تقدمت قوات المجلس الثوري جبهة التحرير الإرترية لمهاجمة قوات التحرير الشعبية في شمال العاصمة أسمرا في المرتفعات الإرترية خرجت جماهير أسمرا وضواحيها لإيقاف الحرب بينهما، وأوقفت جبهة التحرير الإرترية الحرب مخافة أن ينقلب الرأي العام في الهضبة ضدها.

¹ إيلوس، إرتريا ومشكلة الوحدة الوطنية، مصدر سابق ص 216

² إبراهيم محمد على، مصدر سابق، ص 186-187

³ إيلوس، إرتريا ومشكلة الوحدة الوطنية، مصدر سابق، ص 219-221

ثانياً - ظهور تملل أو تمرد داخل قوات جبهة التحرير الإرترية المهاجمة من تصفية قوات التحرير الشعبية عسكرياً الأمر الذي ساهم في إيقاف الحرب.

ثالثاً - ظهر توازن القوة لأول مرة بين الطرفين المتحاربين في تلك الفترة، وأن توازن القوة في الحروب دوماً تردع الأطراف المتخاصمة وتجنح بها إلى الواقعية أكثر منها من المغامرة، فلا ريب إن حسابات جبهة التحرير الإرترية التي كانت قائمة على تصفية أي تنظيم مناوئ لها في الساحة قد تغيرت منذ تلك الفترة حيث تعاملت مع قوات التحرير الشعبية بنجاحها إلى التفاوض وتغليب منطق الحوارات للوصول إلى صيغة وحدوية معها، وكان إذعاناً لمنطق توازن القوة في الساحة الإرترية، واعتبر ذلك أمراً جديداً في سلوك وأدب الخلاف بين الثوار الإرترين.

رابعاً - أجبرت الأزمات الداخلية التي كان يعاني منها كلا التنظيمين لأن ينشغل كل واحد منهما بحل مشاكله.

خامساً - استدعى التغيير الذي حدث في نظام الحكم في إثيوبيا باستيلاء الدرق على الحكم، وخطابه في الأشهر الأولى من حكمه والذي بدأ ينجح إلى الحل السلمي للقضية الإرترية عندما كان أمان عندوم على رأسه استدعى أطراف الثورة الإرترية إلى وقفة جادة وموحدة للتعامل مع تلك المستجدات.

سادساً - مبادرات الأشقاء لحل الخلافات بين جبهة التحرير الإرترية وقوات التحرير الشعبية الإرترية بالطرق السلمية كان لها صدى إيجابياً.

ونتيجة لتلك الأسباب سادت في تلك الفترة في الساحة الإرترية روح الحوار بين جبهة التحرير الإرترية وقوات التحرير الشعبية، والتنسيق في العمل العسكري لمقاتلة العدو جنباً إلى جنب، الأمر الذي نتج عنه انتصارات عسكرية وتحرير مدن كثيرة حتى وصلت قوات الثورة الإرترية إلى مشارف العاصمة أسمرا، وكادت

الثورة الإرترية أن تطبق على نظام منجستو في إرتريا، وكان النظام يتعرض أيضاً لحسائر فاضحة في الجبهة الصومالية في منطقة أوغادين لولا مدد الاتحاد السوفيتي لنظام منجستو الشيوعي بالعتاد النوعي، وبالخبراء العسكريين الأمر الذي أدى إلى قلب المعادلة العسكرية في الجبهتين.

المؤتمر الوطني الثاني

إنَّ جبهة التحرير الإرترية المجلس فقد عقدت مؤتمرها الوطني الثاني في الفترة من 6-27/5/1975م بحضور ممثلي كافة فعاليتها السياسية، والعسكرية¹. وكان هذا المؤتمر مسرحاً لصراعات التوجهات الفكرية المختلفة في داخل الجبهة، بين عناصر اليسار المنضوية أو غير المنضوية تحت حزب العمل الشيوعي والقوى المحافظة في داخل الجبهة كانت متمثلة في تيارات البعد القومي العربي، والاتجاه الإسلامي، إلا أنه في نهاية الأمر استطاع حزب العمل الشيوعي أن يحسم الصراع في هذا المؤتمر لصالحه وذلك بسيطرته على اللجنة التنفيذية والمجلس الثوري² بعد عزل العناصر المناوئة له من اليسار الماركسي بزعامة حروي تدلاييرو، وعناصر الاتجاهات العربية والإسلامية.

ولكنَّ الاتجاهات التي خسرت الجولة في المؤتمر الوطني الثاني لم تبق مكتوفة الأيدي، بل بدأت ترتب صفوفها في كيانات سياسية سرية لمواجهة حزب العمل. فأُسست القوى المسيحية الماركسية وغالبيتها كان ينحدر من المرتفعات الإرترية تنظيماً سرياً تحت اسم المجموعة الماركسية اللينينية وعرفت اختصاراً محلياً بحركة (ماقو) ، ومثلها بدأت العناصر الإسلامية والقومية العربية تنظم نفسها في كيان سياسي سري في داخل الجبهة³، إلى أن وصلت الأمور إلى إعلان هذه التيارات انشقاقها من كيان الجبهة. ففي عام 1977م خرجت قوى عسكرية تمثل ماقو من الجبهة باتجاه المرتفعات الإرترية، وبعد عام خرجت أيضاً

¹ إبراهيم محمد على ، مصدر سابق ، ص 186. إيلوس ، إرتريا ومشكلة الوحدة الوطنية ، مصدر سابق ، ص 238

² المصدر السابق ص 240

³ المصدر السابق ص 255

حركة سعيد حسين إلى دنكاليا عبر البحر، إلا أنّ أجهزة الجبهة الأمنية، والعسكرية، بقيادة حزب العمل كانت ترصد تحركات هذه المجموعات المنشقة منذ البداية، فسحقتها بالآلة العسكرية في وقت وجيز، واعتقلت من داخل الجبهة جميع العناصر التي تعتقد أن لها علاقة بهاتين القوتين اللتين صفيتهما¹.

وأما علاقاتها مع قوات التحرير الشعبية في تلك الفترة فكانت تدور في فلك الحوارات الوجدانية، ابتداء من عام 1975م من الاجتماع التمهيدي الأول الذي عقد بينهما ببغداد بمبادرة حزب البعث العربي الاشتراكي العراقي، والثاني في بيروت والذي اتفق فيه الطرفان على المبادئ العامة للحوار، والمكان الذي ستعقد فيه هذه الحوارات، وهي العاصمة السودانية الخرطوم بحضور وفود كل من العراق، وسوريا، وليبيا، والسودان، واليمن، والصومال ومنظمة التحرير الفلسطينية². وتمخضت عن تلك المساعي اتفاقية الخرطوم الأولى، وكان قد وقع هذه الاتفاقية من طرف قوات التحرير الشعبية-البعثة الخارجية، ولدآب ولدمايرام وعثمان صالح سبي، غير أن القيادة العسكرية في الميدان بزعامة رمضان محمد نور وإسياس أفورقي رفضت مخرجات تلك الاتفاقية، بحجة أن مسؤولي البعثة الخارجية غير مخولين لتوقيع مثل هذه الاتفاقيات³. ولتجاوز تلك الخلافات عقدت البعثة الخارجية، والقيادة الميدانية المعروفة آنذاك باللجنة الإدارية لقوات التحرير الشعبية في الميدان سلسلة لقاءات في عام 1976م، غير أنّهما لم يتوصلا إلى اتفاق، وتبعاً لتلك التطورات بدت الأمور تتمايز بينهما، وبدأت بينهما الاستقطابات بين قوات التحرير الشعبية التابعة للبعثة الخارجية، وبين قوات التحرير الشعبية التابعة للجنة الإدارية. وقد أعلنت اللجنة الإدارية أي القيادة الميدانية لقوات التحرير الشعبية آنذاك في اجتماع شمال بحري الثاني في 2-5-1976م

¹ المصدر السابق، ص 259 - 263. إبراهيم محمد علي، مصدر سابق، ص 226

² إيلوس، إزتريا ومشكلة الوحدة الوطنية، مصدر سابق، ص 242

³ إبراهيم محمد علي، مصدر سابق، ص 215

أنّ البعثة الخارجية كيان منشق لا يمثلها¹، ومن ثم عقب إعلان الانشقاق عقدت مؤتمرها الأول في يناير 1977م².

وخرجت منه بعدة قرارات في المجالات السياسية، والعسكرية، والتنظيمية، وانتخب من المؤتمر أعضاء اللجنة المركزية البالغ عددهم سبعة وثلاثين عضواً، ثلاثة عشر منهم أعضاء المكتب التنفيذي، كما اتخذ في هذا المؤتمر قرار بتغيير اسم قوات التحرير الشعبية، إلى الجبهة الشعبية لتحرير إريتريا. أمّا قوات التحرير الشعبية-البعثة الخارجية فقد عقدت هي أيضاً مؤتمرها في مارس 1977م، وأعلنت عن ميلاد تنظيم جديد تحت اسم قوات التحرير الشعبية المجلس المركزي³.

وهكذا أصبحت الساحة الإرترية منقسمة إلى ثلاثة فصائل متنافرة من بعضها، وهي على هذه الحال تقدمت ثلاث دول عربية هي السعودية، والسودان، والصومال بمبادرة لتوحيد فصائل الثورة الإرترية الثلاثة، وعقد مؤتمر في السودان لهذا الغرض وخرج باتفاقية عرفت في الساحة الإرترية باتفاقية الخرطوم الثانية في أكتوبر 1977م، وكانت الثورة الإرترية تحقق انتصارات في تلك الفترة على الصعيد العسكري ضد القوات الإثيوبية في إرتريا كما سبق الإشارة إليه. ورفضت الجبهة الشعبية منذ البداية التفاوض مع قوات التحرير الشعبية المنشقة عنها بزعامة عثمان صالح سي، وتمسكت بعدم مشاركتها في أي حوارات وحدوية يكون هذا الفصل جزءاً فيها. وعندما رأت قيادة قوات التحرير الشعبية المجلس المركزي تعنت الجبهة الشعبية لتحرير إرتريا في هذا الأمر، انسحبت من الحوارات لإفساح المجال بين جبهة التحرير والجبهة الشعبية، وأبلغت الوسيط السوداني بأنّ قوات التحرير الشعبية مستعدة لحل نفسها والانضمام إلى الجبهة الموحدة في حالة توصل الطرفين إلى وحدة أو إلى أية صيغة وحدوية⁴. وبعد انسحاب قوات التحرير

¹ المصدر السابق ، ص 222

² المصدر السابق ، ص 237

³ المصدر السابق ، ص 239

⁴ الخطاب الذي أرسله عثمان صالح سي رئيس المجلس المركزي واللجنة التنفيذية لقوات التحرير الشعبية إلى الوسيط السوداني النائب الأول لرئيس الجمهورية السودانية آنذاك أبو القاسم محمد إبراهيم بتاريخ 1977/10/11

الشعبية انحصرت الحوارات بين الجبهة الشعبية وجبهة التحرير الإرترية، وعقدت عدة لقاءات على مدى عامين، إلا أنّهما لم يستطيعا تحقيق الوحدة الوطنية بينهما، والجدير بالذكر هنا أنّ جبهة التحرير الإرترية كانت ترى الاندماج في جبهة وطنية واحدة بينهما، بينما كانت الجبهة الشعبية ترى التنسيق بين الفصيلين في الأجهزة العسكرية، والسياسية والاقتصادية تحت مظلة الجبهة الوطنية الديمقراطية المتحدة، مع إبقاء الهياكل التنظيمية والإدارية لكل تنظيم لفترة ممتدة إلى أن تزول الآثار السلبية التي تركتها الحروب الأهلية في نفوس المناضلين وتأتي الوحدة بشكل تدريجي عبر مراحل تنسيق في تلك الأعمال المتعددة وبعبارة أخرى¹. وعلى الرغم من تلك اللقاءات والحوارات لم تستطع الثورة الإرترية تجاوز خلافاتها التي أصابها في مقوماتها العسكرية والسياسية، والتي حدثت من قدراتها القتالية ضد الجيش الإثيوبي، الأمر الذي سهل للعدو الإثيوبي ليتقدم ويستولى على مدينة تلو الأخرى. ومن ناحية أخرى، بينما كانت الحوارات تراوح مكانها بين الجبهة الشعبية وجبهة التحرير الإرترية، كانت تحصل بينهما صدامات عسكرية في الميدان بين الحين والآخر، الأمر الذي يرجح أن مسألة التفاوض والحوارات كانت مجرد مناورات سياسية لكسب الوقت حتى يتمكن كل طرف من لانقضاض على الطرف الآخر، وهذا ما حصل بالفعل كما سيأتي بيانه لاحقاً.

وكانت قيادتا الفصيلين تتفقان على أرضية الفكر اليساري، ومحاربة وتصفية التيارات غير اليسارية، والتي كان يطلق عليها مصطلح التيارات الرجعية. وكانت هذه التيارات تشمل كما سلف الذكر عنها العناصر المحافظة المستقلة في داخل فصائل الثورة الإرترية، وعناصر الفكر القومي العربي، وعناصر الاتجاه الإسلامي، وقوات التحرير الشعبية المجلس المركزي. وكان التنظيمان لا يختلفان في عزل أو تصفية هذه المجموعات، وفي مقدمتها قوات التحرير الشعبية المجلس المركزي، باعتبارها في نظرهم قوى رجعية تعيق حركة مسار القوى التقدمية في الساحة الإرترية، والمتمثلة في حزب العمل الشيوعي في داخل جبهة التحرير

¹ تزكي، إرتريا والتحديات المصيرية، مصدر سابق، ص 431-432

الإرترية، وحزب الشعب الثوري الشيوعي في داخل الجبهة الشعبية لتحرير إرتريا. ولذلك تعرضت معسكرات قوات التحرير الشعبية المجلس المركزي في حشنت، ومعلاب في المديرية الغربية في إرتريا من أكتوبر عام 1978م لهجوم كاسح من قبل قوات جبهة التحرير الإرترية، ولم تستطع قوات التحرير الشعبية الصمود أمام تلك الهجمات القوية، فانسحبت إلى الحدود السودانية، ونتيجة لتلك المعارك أصابها الضعف في قواها العسكرية، والسياسية، والجماهيرية. وبعدها بعامين انفرط عقد الحوارات والتفاهات بين جبهة التحرير الإرترية، والجبهة الشعبية لتحرير إرتريا، وأصبحت الأمور تتجه نحو الحسم العسكري لبقاء الأقوى منهما بالساحة الإرترية. ولقد لخص الباحث الإرتري محمود عثمان إيلوس علاقة الفصيلين، ومراحل المد والجزر التي مرت بها في خلال عقد من الزمن، والمآلات التي انتهت إليها بقوله "ظل الفصيلان (جبهة التحرير الإرترية والجبهة الشعبية لتحرير إرتريا) من لدن الانشقاق الأول في 1970م يعيشان صراعات مستمرة عبر الوسائل الإعلامية، والاصطدامات العسكرية، بدءاً بالحرب الأهلية في (1972-1974م) ومرورا بالأحداث والمشاكل التي كانت تبرز أثناء اتفاقية 20 أكتوبر 1977م، وانتهاءً إلى فشل كل الجهود الرامية إلى التوحد، ومن ثم اللجوء إلى المواجهة العسكرية الشاملة بعد مرور عقد كامل على تجربة الفصيلين المستقلين عن بعضهما"¹.

ففي أغسطس عام 1980م اندلعت الحرب بين أكبر فصيلين في الساحة الإرترية، ودارت رحاها في جميع الجبهات لمدة عام كامل، ويبدو أن الجبهة الشعبية باغتت جبهة التحرير الإرترية باستراتيجيتها القائمة بالهجوم الشامل على جميع الجبهات، مستعينة في ذلك بجبهة تحرير تجراي الإثيوبية. وفي فترة وجيزة استطاعت من هزيمة وطرد جبهة التحرير الإرترية من الساحة، وإدخالها إلى السودان عام 1981م. ومن ثم تعرض جيش جبهة التحرير الإرترية الجرار إلى تجريده من أسلحته من قبل الجيش السوداني، وهكذا هزمت جبهة التحرير الإرترية عسكريا، وسياسيا، وفقدت مقوماتها البشرية والمادية، وانشطرت إلى عدة

¹ إيلوس، إرتريا مشكلة الوحدة الوطنية، مصدر سابق، ص 291-292

فصائل ومجموعات. وبالمقابل أصبحت الجبهة الشعبية لتحرير إرتريا المنتصرة في الحرب الأهلية الشاملة القوة الضاربة والمتحكمة في الساحة الإرترية منذ ذلك التاريخ، كما سيأتي بيان ذلك في المبحث السادس من هذا الفصل.

الخلاصة

أظهرت جبهة التحرير الإرترية منذ تأسيسها صعوداً مضطرباً في المجالات العسكرية، والجماهيرية، والسياسية، الأمر الذي مكّنها من استقطاب دعم وتأييد من القوى المحلية، والإقليمية، والدولية، وخاصة من المحيط العربي، غير أن جبهة التحرير الإرترية لم تستطع الحفاظ على صعودها، ومكانتها الراسخة، بل بدأت تتراجع بسبب تطبيق نظام المناطق الخاطيء، والصراعات الداخلية، والحروب الأهلية، وأمور كثيرة أخرى أدت بها إلى الهبوط بوتيرة سريعة حتى انحارت وخرجت من دائرة الفعل السياسي كقوة متماسكة عام 1981م، وظهرت الجبهة الشعبية لتحرير إرتريا كقوة ضاربة في الساحة الإرترية. إذاً ما هي الأسباب والعوامل التي أدت إلى هزيمة جبهة التحرير الإرترية عام 1981م؟ هذا ما سيتم الإجابة عليه في المبحث التالي.

المبحث الخامس

عوامل هزيمة جبهة التحرير الإرترية

كان ميلاد جبهة التحرير الإرترية في القاهرة عام 1960م. وفي 1 سبتمبر عام 1961م أطلق حامد إدريس عواتي ورفاقه الطلقة الأولى على العدو في جبل أدا، ونمت جبهة التحرير الإرترية نمواً مطرداً حتى بلغت وضعاً بالغ القوة والتأثير في الساحة الإرترية، وصارت من القوى المؤثرة في المعادلة السياسية في منطقة القرن الإفريقي. وكان صعود جبهة التحرير الإرترية مؤشراً على أنها تعبير عن صدقية وعدالة القضية الإرترية التي كانت تناضل من أجلها، لذا تعاطف معها العالم، الأمر الذي مكّنها من استقطاب الدعم والتأييد لخوض النضال سياسياً، وعسكرياً متكاملًا. إلا أنّ جبهة التحرير الإرترية لم تستطع الحفاظ على صعودها ومكانتها الراسخة، فبدأت مكانتها تتراجع في المعادلة السياسية في الداخل والخارج، وهزمت في الحرب الأهلية التي دارت بينها وبين الجبهة الشعبية لتحرير إرتريا عام 1981م، وخرجت من دائرة الفعل السياسي. إذًا ما الأسباب والعوامل التي أدت إلى تراجعها وأخيراً إلى انهيارها؟

يصعب على الباحث معرفة جميع العوامل التي ساهمت في هزيمة جبهة التحرير الإرترية وذلك لعدة

أسباب:

أولاً: لم تصدر دراسات رصينة تقيم تقييماً موضوعياً لتلك المرحلة بكل انكساراتها ومراراتها.

ثانياً: أن الفاعلين أو المشاركين فيها لم يجرؤوا على التفوه بالأسباب الحقيقية وراء تلك الهزيمة، وإثماً

يجنح كل طرف لتحميل الطرف الآخر وزر تلك الهزيمة.

لذا قد يكون من الصعوبة بمكان تحديد جميع الأسباب والعوامل الداخلية والخارجية التي ساهمت في هزيمة جبهة التحرير الإرترية في عام 1981م، ومن باب مالا يدرك كله لا يترك جله، يرى الباحث إنّ العوامل الآتية قد ساهمت في هزيمة الجبهة:

1- تشكلت الجبهة في البداية على المستوى القيادي من شخصيات وطنية مسلمة عامة ذات توجه عربي إسلامي، وكانت خليطاً من العناصر المحافظة، والعلمانية، ولحق بها عدد مقدر من الإخوة المسيحيين، لذا فإنّ مواقف الجبهة في بداية الأمر كانت داعمة للقيم الاجتماعية الحميدة، وكانت تشجع الناس عليها، ومؤكدة لهوية إرتريا وارتباطها بمحيطها العربي والإفريقي، لكن عند بروز تيارات الفكر اليساري فيها وخاصة بعد المؤتمر الوطني الثاني عام 1975م، ووسمه تلك القيم بالرجعية ومن ثم محاربتها، وتهميش دور تلك القيادات الوطنية ذات التوجه العربي الإسلامي، والرموز الدينية، والشخصيات المحافظة ذات خلفيات التعليم الديني، الأمر الذي أظهر الجبهة أمام المجتمع الإرترى ذي الأغلبية المحافظة بأنّ الجبهة قد تخلت عن القيم المجتمعية، فبدأ يتخلى عنها، ومن هنا كانت بداية هزيمة جبهة التحرير الإرترية داخلياً.

2- نظام المناطق: نقلت الثورة الإرترية في منتصف عام 1965م هذه التجربة من تجربة الثورة الجزائرية كما سبق الإشارة إليها، وبناءً عليها تمّ تقسيم الساحة إلى خمسة مناطق عسكرية، وتمّ تعيين قائد على رأس كل منطقة من أبنائها. وكان الهدف من ذلك تسهيل حركة الثوار، وانتشارهم جغرافياً، وتوسيع قاعدة الثورة عسكرياً وجماهيرياً، وتشتيت قوة العدو بفتح جبهات عديدة عليه، كما سبق تناوله في المبحث السابق. وقد تحققت تلك الأهداف بدرجات مختلفة، إلا أنّ السلبات التي صاحبت تطبيق نظام المناطق تفوق تلك الإيجابيات بكثير، بسبب إسقاط التجربة الجزائرية دون التأكد من ملاءمتها للواقع الإرترى، أو تعديلها لتناسب البيئة الجديدة، إضافة إلى غياب خطط وسياسات واضحة تنظم علاقات تلك المناطق ببعضها البعض، لتحقيق الانسجام والتعاون

والتكامل فيما بينها، وضبط مسيرة الثورة بوتيرة واحدة لتحقيق الهدف المنشود، وهو طرد المستعمر، وإعلان الاستقلال الكامل في البلاد. وبغياب الدليل السياسي، وتطبيق نظام المناطق الخاطئ قد تحولت هذه المناطق إلى كتونات، أو دويلات قائمة بذاتها، ولا علاقة لها ببعضها، الأمر الذي أدى إلى تعميق مفهوم المناطقية، والتناقضات القبلية والعشائرية في الثورة. وأصبح لكل منطقة نظمها الاجتماعية، والاقتصادية، والعسكرية، وأصبحت تواجه العدو بمفردها أيا كانت عدته وعتاده، في حين كانت تتفاوت الموارد البشرية، والمادية، من منطقة لأخرى، كما كانت تكثر مواجهات العدو في مناطق دون الأخرى. إضافة إلى أن المنطقة الأولى، والثانية، والرابعة، كانت تظفر بدعم من بعض عناصر المجلس الأعلى (القيادة السياسية العليا للجبهة) التي كانت تسعى لتعزيز دورها لزعامة الثورة في ظل غياب المؤسسة فيها. فكان إدريس محمد آدم يدعم المنطقة الأولى، وقلايدوس الثانية، وعثمان سبي الرابعة، والمنطقتين الثالثة والخامسة قد تركتا رغم كثرة مواجهات العدو فيها وقلة مواردها الذاتية، وعدم تحمس سكانها ذو الغالبية المسيحية للتعامل مع الجبهة، بسبب تأثرهم بالإعلام الإثيوبي الذي كان يصف الجبهة بأنها عناصر مسلمة، متمردة، خارجة على القانون¹، الأمر الذي كان له آثاراً سلبية في نفوس المناضلين، وفي مجريات الأحداث السياسية، والعسكرية في الساحة الإرتيرية. ولتجاوز تلك المعضلة تنادت القيادات الميدانية لإلغاء نظام المناطق، وعقدت من أجل ذلك ثلاث مؤتمرات، وهي مؤتمر عرداييب، ومؤتمر عنسبا، ومؤتمر أدوبجا العسكري الذي ألغي العمل بنظام المناطق.

ومن ناحية أخرى عقد المجلس الأعلى اجتماعاً للنظر في التطورات التي كانت تشهدها الساحة الإرتيرية، وقرر في الاجتماع إبقاء المجلس الأعلى كقيادة سياسية عليا للجبهة، مع توسيع العضوية فيها، وإبقاء هيكل الجبهة بما فيها نظام المناطق، وذلك للسيطرة وتعزيز مواقفهم القيادية في الجبهة،

¹ إيلوس. إرتيريا ومشكلة الوحدة الوطنية، مصدر سابق ص 112-115

عكس رغبات جيش التحرير، والمنظمات الجماهيرية للجبهة التي كانت تسعى لإزالة نظام المناطق، وتوحيد جيش التحرير الإرثري، وجميع أجهزة الجبهة التنظيمية والسياسية. وفي حقيقة الأمر كان المجلس الأعلى يعاني من صراعات داخلية بين أقطابه، لزعامة الجبهة، الأمر الذي انسحبت آثاره على الأطر السياسية والعسكرية، والفعاليات الجماهيرية في الميدان. لذا فإنّ صراعات القيادات السياسية العليا حول السلطة كان أحد أهمّ عوامل الانشقاقات التي أصابت الجبهة والتي ساهمت في هزيمتها لاحقاً.

3- كانت الثورة الإرترية تعاني منذ النصف الأخير في الستينيات من القرن الماضي من مشاكل الوحدة الوطنية في ظل صراع قياداتها، وعدم مواكبة مؤسساتها التنظيمية، والإدارية، للتطورات العسكرية والجماهيرية التي حققتها الجبهة، إضافة إلى المصاعب والمشاكل التي تعرضت لها الثورة بسبب تطبيق نظام المناطق الخاطئ على النحو الذي سبق بيانه، وفي لجة تلك المشاكل تسربت بعض الأفكار الأيدولوجية إلى الساحة الإرترية، ومنها الفكر اليساري عبر أشخاص تأثروا بالحزب الشيوعي السوداني، أو عبر اليمن الجنوبي، أو عبر البعثات التي رجعت إلى الميدان بعد تدريبها في الخارج في دول مختلفة، كالصين وكوبا وغيرها، فتأسست في بداية عام 1968م نواة حزب العمل الشيوعي الإرثري¹. وكانت خلايا هذا الحزب تنشط في المنطقتين الأولى والثانية وفي أجهزة الجبهة في السودان، وخلايا حزب الشعب الثوري في المنطقتين الرابعة والخامسة. وسعت عناصر حزب العمل منذ تأسيسها للسيطرة على مفاصل الجبهة، وتمّ لها ذلك في المؤتمر الوطني الثاني عام 1975م، فأصبحت اللجنة التنفيذية وغالبية عضوية المجلس الثوري، والكوادر المتقدمة في الجبهة تحت قبضته، والدليل على ذلك أنّ 37 من بين 41 من عضوية المجلس الثوري للجبهة كانوا أعضاء في حزب

¹ إبراهيم محمد علي، مصدر سابق، ص 59

العمل الثوري¹. وبعد سيطرة حزب العمل على مفاصل الجبهة تحول الصراع الخفي بين تيارات الجبهة إلى صراع علني. وبدأ منظرو حزب العمل يصنفون المقاتلين إلى ثلاثة قوى، قوى الطليعة يجب أن تسود، وقوى رجعية يجب التخلص منها، وقوى عامة يجب استغلالها، وبناءً على تلك التقييمات استخدم حزب العمل الآلة العسكرية في معالجة الخلافات الداخلية، ومشاكل التمرد، بدلا من حلها بصورة موضوعية وواقعية، فقامت بتصفية عسكرية للمجموعة الماركسية اللينينية (ماقو) المعروفة آنذاك في الساحة الإرترية (بالفالول)، وللمجموعة الإسلامية بقيادة سعيد حسين، وملاحقة واعتقالات وتعذيب القيادات الإسلامية، وقيادات التوجه العربي العاملة في أجهزة الجبهة المختلفة كما سبق بيانه. وكان من المأمول لهذه التيارات وخاصة اتجاهات الفكر القومي العربي والإسلامي أن يكونوا حلفاءها الاستراتيجيين في مواجهة الجبهة الشعبية التي كان يتعاضد دورها وقواها وقتئذ في الساحة الإرترية، وأن تصفية هذه القوى يعكس مدى ضحالة القراءة البعيدة لسياقات الصراع الإرتري-الإثيوبي، والإرتري-الإرتري لحساب التنظيمات المحسوبة على المسلمين فإنها صفت حلفاءها الاستراتيجيين بيدها، بدءاً من حركة تحرير إرتريا، والإسلاميين، والبعثيين، وقوات التحرير الشعبية المجلس المركزي، وبعدها هي نفسها صفت من قبل الجبهة الشعبية لتحرير إرتريا. ولم تكن مشكلة حزب العمل متوقفة عند تلك المشاكل التي ذكرت آنفاً، بل كان الحزب يعاني من ضعف ذاتي رغم أنه استطاع السيطرة على الجبهة بتطويع أجهزتها لصالحه، وعلى الرغم من حماس وتنظيم قياداته للفكر الشيوعي في إرتريا، إلا أنه كان واضحاً أنه يعاني من ضعف تنظيمي منذ تأسيسه عام 1968م، والدليل على ذلك لم تكن للحزب هياكل تنظيمية معروفة إلى أن عقد مؤتمره التنظيمي الأول عام 1973م بعد خمس سنوات من تأسيسه، كما لم يكن له قيادة مركزية

¹ المصدر السابق ص 295

حتى انعقاد مؤتمره الثاني عام 1978م¹، وبعدها دخوله في الصراعات الدامية مع اليسار اليميني، ومع تيارات التوجه العربي والإسلامي، وعدم تمكنه من احتواءها. كل هذه الأمور مجتمعة حالت دون تمكين الحزب لبناء نفسه تنظيمياً. وافتقار الحزب إلى قدر من الأسس التنظيمية فينسحب بالضرورة هذا الضعف إلى أجهزة الجبهة التي كانت في الحقيقة تعبر عن قراراته والتي كانت أصلاً تعاني من عجز تنظيمي وإداري. وتفاقم الأزمات، وازدياد الجراحات والمرارات بسبب لجوء حزب العمل إلى وسيلة العنف لمعالجة المشاكل الخلافية بدلاً من الحوارات السلمية، إضافة إلى الضعف التنظيمي أدى إلى تآكل الجبهة من الداخل، ولم تستطع الصمود أمام ضربات الجبهة الشعبية لتحرير إريتريا المتحالفة مع جبهة تحرير تقرأ الإثيوبية، فانهارت جبهة التحرير الإرترية عام 1981م².

4- إن العلاقات الخارجية غير المتوازنة التي تبنتها عناصر حزب العمل في الجبهة التي كانت تدور في فلك المعسكر الشرقي دون الأخذ في الاعتبار موقف الاتحاد السوفيتي من القضية الإرترية والذي كان يدعم نظام منجستو مادياً وعسكرياً، ومحارب معه جنباً إلى جنب لسحق الثورة الإرترية، وعدم استطاعتها إدانته على تدخله المباشر لصالح الجيش الإثيوبي ضد الثورة الإرترية، أو على الأقل ترك مساحة بينها وبين الاتحاد السوفيتي، بدل ذلك الخطاب الذي بدأ يصف نظام منجستو الشيوعي في إثيوبيا بثورة تقدمية، تحارب الإمبريالية العالمية، كما جاء في خطاب وفد جبهة التحرير الإرترية المجلس الثوري المشارك في تأييد كمال جنبلاط في لبنان 1978م³. وكان نظام منجستو الموصوف في ذلك الخطاب بالتقدمي منذ البداية كان قد قرر حسم القضية الإرترية بقوة السلاح والنار، الأمر الذي عرض الجبهة لانتقادات حادة من داخلها، من التيارات غير المنتمية إلى حزب العمل. ومن ناحية أخرى دخلت الجبهة بقيادة العناصر الشيوعية ضمن صراع المعسكر الغربي والشرقي دون

¹ إدريس أبيري، مصدر سابق، ص 52

² إبراهيم محمد على، مصدر سابق، ص 293. إيلوس. *إرتريا ومشكلة الوحدة الوطنية*، مصدر سابق ص 310-311

³ إيلوس. *إرتريا ومشكلة الوحدة الوطنية*. مصدر سابق ص 306

موازنة مواقف المعسكرين من القضية الرئيسية التي كانت تناضل من أجلها. ودخول الجبهة في مؤثرات المد والجذر للمعسكرين المتصارعين في المنطقة يتضح ذلك من زيارة قادتها لموسكو في عام 1978م و1980م، دون الأخذ في الحسبان لتلك التعقيدات الدولية والإقليمية بسبب التنافس الفكري، والاستراتيجي، بين المعسكرين والذي كان قد وصل أوجّه في تلك الفترة وما سيطرت على ذلك في نضال الشعب الإرتري بوجه العموم وانعكاساته في جبهة التحرير الإرترية على وجه الخصوص. وكان من غير المعقول ألا تتوقع عناصر حزب العمل، وألا تأخذ القوى المعادية للمعسكر الشرقي كالولايات المتحدة وحلفائها على المستوى الإقليمي والمحلي خطوة ضد جبهة تحرير إرتريا، وخاصة أن قوى المعسكر الغربي آنذاك كانت مهتمة بمحاصرة نظام "منجستو الشيوعي في إثيوبيا" وكانت تدعم المجموعات المعارضة لنظام منجستو في إثيوبيا والساعية لإسقاطه. وعندما ضعفت هذه المجموعات، يبدو أن النظام الغربي بدأ يدرس الخيارات الأخرى الكفيلة بإسقاط نظام منجستو في إثيوبيا.

ومن الخيارات التي كانت أمامه، التعامل مع الثورة الإرترية التي كانت تحمل السلاح ضد النظام الإثيوبي، وكانت تتمثل الثورة الإرترية آنذاك في جبهة التحرير الإرترية، والجبهة الشعبية لتحرير إرتريا، وبما أنّ جبهة التحرير الإرترية كانت قد صنفت ضمن المعسكر الشرقي كما سبق الإشارة إليه، فإنّ الأمور كانت تميل لصالح الجبهة الشعبية لتحرير إرتريا على حسب وجهة نظري وذلك لعدة أمور: أولاً: أنّ العنصر المسيحي المسيطر في الجبهة الشعبية لتحرير إرتريا كان أكثر قبولا من قبل الدوائر الغربية لدواعي حضارية في المقام الأول.

ثانياً: ضمان عدم تأثيره في سياقات الصراع العربي - الإسرائيلي في المنطقة. لهذه الأسباب وغيرها كانت الجبهة الشعبية الأقرب للاستفادة من الدعم الغربي ضمن معادلة صراع القوتين في المنطقة، بخلاف جبهة التحرير الإرترية التي كانت تنصدها آنذاك عناصر

اليسار، والعناصر ذات التوجه العربى والإسلامي بدرجة أقل، وإن سيطرة تلك التوجهات في تلك المنطقة الاستراتيجية لن يكون حتماً لصالح إسرائيل ولم ينسجم مع استراتيجية القوى الغربية وحرهما مع الاتحاد السوفيتى.

ثالثاً: على الرغم من أنّ الجبهة الشعبية كانت تحسب ضمن قوى اليسار إلا أنّها في برنامجها السياسى، وفي علاقاتها الخارجية لم تتبنى ذلك الخط بصورة صارخة، بعبارة أخرى أنّ العلاقات الخارجية للجبهة الشعبية كانت أكثر اتزاناً وغير متصادمة سواء مع المعسكر الغربى أو المعسكر الشرقى وما يتماشى مع متطلبات وضروريات النضال الوطنى، الأمر الذى جعلها والجبهة الشعبية لتحرير تجراى الإثيوبية أكثر الجهات المرشحة للدعم المادى، والسياسى من الولايات المتحدة في فترة الحرب الباردة.

وهكذا أصبح ميزان القوى يميل لصالح الشعبيتين وضد جبهة تحرير إرتريا. لكن شعار الاستقلال الكامل لإرتريا الذى كانت ترفعه الجبهة الشعبية وجميع فصائل الثورة الإرترية كان لا ينسجم مع الإستراتيجية الأمريكية في المنطقة. وللمدح بين شعار الاستقلال الذى كانت تحمله الجبهة الشعبية، والتعامل معها لمحاربة النظام الشيوعى في إثيوبيا، مع الحفاظ على استراتيجيتها في المنطقة، أو بعبارة أخرى للتوفيق بين تلك الأمور المتعارضة بما يناسب مصالحها في منطقة القرن الإفريقى أسندت الإدارة الأمريكية هذه المشكلة إلى الخبراء الأمريكين لرفضهم بأفضل السيناريوهات المستقبلية للتعامل مع إرتريا المستقلة¹. وكانت السيناريوهات التى قدمت على النحو التالى:

¹ تسفاطيون مدهانى. " إرتريا كوطن أم : المشكلات والتحديات التاريخية والراهنة. ترجمة زين العابدين محمد على. النهضة الإرترية ، 2012.

السيناريو الأول: قدمه في أغسطس 1975م الخبير القانوني في مجلس الشيوخ توم فيرر وخلاصة ما توصل إليه هو أنّ استقلال إقليم التجراي الإثيوبي واستقلال إرتريا، وربط تجراي بشكل من الأشكال بإرتريا، وحينها سوف يتشكل سكان الدولة الجديدة من الغالبية المسيحية وهو الأمر الذي لن يشكل تهديداً لأمن إسرائيل ولمصالح الولايات المتحدة الأمريكية في المنطقة.

أما السيناريو الثاني: فقد قدمه الخبير جون سبنسر والذي سبق أن عمل مستشاراً للإمبراطور الإثيوبي هيلي سلاسي وله اطلاع واسع بشؤون منطقة القرن الإفريقي، إذ توصل سبنسر في مقارباته إلى نتيجة مفادها أنّ القوى القادرة لإسقاط النظام الشيوعي في إثيوبيا هي الثورة الإرترية، لذا أوصى لترك شعار الاستقلال للثورة الإرترية ليستمر على الرغم من أنه لم يتماشى مع الرغبة الأمريكية، لكن استقلال إرتريا هذا يجب أن يكون لفترة قصيرة ثم يزول، ومن ثم تضم المرتفعات والشريط الساحلي من مصوع إلى باب المندب إلى إثيوبيا، مع إعطاء هذه المنطقة وضعية خاصة، وإلحاق مناطق المنخفضات ذات الغالبية المسلمة بالسودان.

وانطلاقاً من تلك الإستراتيجية بعيدة المدى بدأت الإدارة الأمريكية وحلفاؤها تربط الخيوط مع الشعبيتين، الجبهة الشعبية لتحرير إرتريا، والجبهة الشعبية لتحرير تجراي، وتم تعضيد العلاقة بينهما، وتقرر إقصاء جبهة التحرير الإرترية من الساحة حتى تكون السيطرة لتلك القوة في المنطقة. يقول تسفاطيون مدهاني في ذلك "تمّ الهجوم على جبهة التحرير الإرترية من قبل الجبهة الشعبية لتحرير إرتريا تساندها "الوياني" (الجبهة الشعبية لتحرير تجراي). وطبقاً للعيان اليوم، أولئك الذين كانوا داخل جبهة التحرير الإرترية من العناصر الذين قامت الجبهة الشعبية بتجنيدهم لصالحها، بالإضافة إلى العناصر الذين تمّ تجنيدهم من قبل قوى خارجية، فقد تأكلت جبهة التحرير الإرترية من داخلها

وتبعثرت، وخرج جزء كبير من مقاتليها من الميدان".¹ فلا شك أن العامل الخارجي ساهم في هزيمة الجبهة ضمن عوامل أخرى.

ويبقى هنالك سؤال مهم في هذا السياق: كيف كانت ستكون علاقة الولايات المتحدة الأمريكية مع جبهة التحرير الإرترية إذا لم تكن مصنفة ضمن المعسكر الشرقي؟

من الصعوبة بمكان الإجابة على هذا السؤال بالجزم، لأنه تتحكم فيه العوامل الذاتية، والموضوعية من قوة وضعف، ومدى حاجة الولايات المتحدة، والبدائل المتوفرة لديها، وموقفها من القضية الإرترية، وتعامل الجبهة معها بمرونة وبرغماتية مهما يكن موقفها. وعلى الرغم من كل ذلك، واستناداً للمعطيات التي سبقت، والأحداث التي لحقت، يميل الباحث إلى أن الولايات المتحدة الأمريكية كانت ترى أن جبهة التحرير الإرترية لا تنسجم مع استراتيجيتها في منطقة القرن الإفريقي الرامية إلى الحفاظ على مصالحها العسكرية في إرتريا والمتمثلة في القاعدة العسكرية في قاعدة قانيو استيشن في أسمرأ ونفوذها المطلق في المياه الإرترية في البحر الأحمر بما يضمن لها أمن إسرائيل، وانسياب البترول ونقله إلى الغرب، والحيلولة دون أن تكون المناطق الإرترية جبهة إسناد للعرب إذا نشبت معارك بينهم وبين إسرائيل، أو جهة داعمة لإقامة أي وحدة عربية وإسلامية في تلك المنطقة الاستراتيجية المهمة، وللحد من انتشار الشيوعية فيها. وأغلب هذه الأهداف لا تلتقي مع أهداف جبهة التحرير الإرترية، ولذلك فعدم التعامل معها يبدو هو كان الأرجح استراتيجياً. لكن إذا كانت تحدد علاقات جبهة التحرير الإرترية شروط ومتطلبات الداخل لا تقلبات المسرح الدولي على حسب تعبير فتحي عثمان² لربما خلقت علاقات متوازنة مع الأنظمة الثورية في المنطقة العربية كمصر، والسودان، والعراق، وسوريا، وليبيا، والصومال، واليمن الجنوبي، والأنظمة المحافظة كدول الخليج العربي، ولضمنت تلك العلاقة مع العرب استمرارية دعمهم لها، الأمر الذي كان يقوي من مبررات استمرارها بدل التبعر والتفتت الذي تعرضت له بتلك الصورة.

¹ المصدر السابق ص 14

² عثمان، فتحي، *إرتريا من حلم التحرر إلى كابوس الديكتاتور*، (فرنسا: الملتقى العربي الإروبي للإبداع، 2014) ص 38-39

5- تحالف الجبهة الشعبية مع قوى خارجية وهي جبهة تجراي الإثيوبية لضرب جبهة التحرير الإرترية، الأمر الذي رجح كفة موازين الجبهة الشعبية لتحرير إرتريا.

الخلاصة

انهارت جبهة التحرير الإرترية وتركت الساحة الإرترية بدخولها إلى السودان عام 1981م، وبعدها انقسمت كالتشظايا إلى عدة تنظيمات غير فعّالة منذ ذلك التاريخ، وسبب ذلك كانت أمور كثيرة منها: حداثة التجربة، والتطور العسكري السريع الذي لم يلائمه التطور في الأجهزة التنظيمية الأخرى، وإسقاط التجربة الجزائرية في نظام المناطق على الواقع الإرتري دون التأكد من ملاءمتها للواقع الإرتري، وخلافات القيادة السياسية في زعامة الجبهة، وصراع التيارات الفكرية، واللجوء إلى الحسم العسكري لحل الصراعات الداخلية بدل الوسائل السلمية، وتبنى الجبهة سياسات غير متوازنة في علاقاتها الخارجية، الأمر الذي أظهرها على أنّها جزء من الصراع الدولي، وأنها مصنفة من ضمن المعسكر الشرقي، مما جعلها مستهدفة من القوى الدولية وحلفائها من القوى المحلية، والإقليمية، وهزيمتها في الحرب الأهلية الشاملة التي شنتها الجبهة الشعبية لتحرير إرتريا ضدها بالتحالف مع الجبهة الشعبية لتحرير التجراي الإثيوبية.

كل هذه العوامل مجتمعة أدت إلى تآكل جبهة التحرير الإرترية من الداخل أولاً، وحصارها إقليمياً ثانياً، وعدم استطاعتها مقاومة المواجهة العسكرية التي تعرضت لها محلياً من قبل الجبهة الشعبية لتحرير إرتريا المتحالفة مع جبهة الشعبية لتحرير تجراي الإثيوبية ثالثاً. وبهذا هزمت جبهة التحرير الإرترية عام 1981م، وخرجت من المعادلة السياسية في إرتريا، وأصبحت الجبهة الشعبية القوة المتحكمة والفعّالة في الساحة الإرترية من 1981م إلى أن تحقق تحرير إرتريا على يدها عام 1991م، والاستقلال عام 1993م.

المبحث السادس

بروز الجبهة الشعبية لتحرير إرتريا في الساحة الإرترية

انفردت الجبهة الشعبية لتحرير إرتريا بالميدان من عام 1981م، وأصبحت قوة عسكرية ضاربة أحكمت سيطرتها على الساحة الإرترية بعد عزل فصائل الثورة الإرترية المناوئة لها عن الساحة، ومنذ ذلك الحين بدأت الجبهة الشعبية توجه الساحة الإرترية وفق رؤاها وفلسفتها، ومن موقع تفوقها العسكري، والسياسي، طلبت من الفصائل الإرترية إذا أرادت أن تمارس نضالاتها فلا بد أن تنطلق من داخل الوطن في إطار الجبهة الشعبية لتحرير إرتريا¹، وبعبارة أخرى أن الساحة الإرترية لا تتحمل أكثر من تنظيم واحد، وهي نفس السياسة التي كانت تبنتها جبهة التحرير الإرترية في عقد الستينات والسبعينات على النحو الذي سبق بيانه. وكانت نتائجه هي تلك الحرب الأهلية المدمرة. أما الصراع الإرتري الإثيوبي فقد قادته الجبهة الشعبية بكفاءة عالية، وأحدثت فيه تقدماً في مواجهة الجيش الإثيوبي، وحقت انتصارات كبيرة. ولما كان عام 1988م فقد هزمت جبهة "نادو از"²، وحررت مدينة افعبت ومناطق الساحل، والمديريات الغربية، وحصل تقدم في جبهة ححل إلى محاذة مدينة كرن عاصمة إقليم سنحيت، وبعدها بفترة وجيزة حررت الجبهة الشعبية ميناء مصوع الاستراتيجي من الجيش الإثيوبي، وبهذا لم يتبقى في يد الجيش الإثيوبي سوى كرن، وعصب، ومدن المرتفعات الإرترية بما فيها العاصمة أسمرا. وهذه الانتصارات الكبيرة والتقدم المذهل للجيش الشعبي في الجبهة الإرترية، وتقدم المعارضة الإثيوبية المتحالفة مع الجبهة الشعبية لتحرير إرتريا، وتبدل الخارطة السياسية في السودان بتولي جبهة الإنقاذ الحكم فيه، وظهور حركة الجهاد الإسلامي الإرتري

¹ إيلوس. إرتريا ومشكلة الوحدة الوطنية. مصدر سابق ص 370

² بادوري، أحمد طاهر. إرتريا رحلة في الذاكرة (د-م، د-د، د-ت)، ص 446

عام 1988م، وتآكل نظام منجستو من الداخل، لا شك كل هذه الأمور مجتمعة أدت إلى الاهتمام الغربي بالتطورات التي حصلت في منطقة القرن الإفريقي.

ومن هنا بدأ الرئيس الأمريكي الأسبق جيمي كارتر بمبادرة لحل الصراع الإثيوبي-الإرتري سلمياً، فجمع بين وفد الحكومة الإثيوبية، ووفد الجبهة الشعبية لتحرير إرتريا للتفاوض مرتين، في عام 1989م، الأولى في أتلنتا في الولايات المتحدة الأمريكية بتاريخ 7-9-1989م، والثانية في نيروبي في كينيا بتاريخ 20-29 نوفمبر 1989م، ولم يحصل أي تقدم بينهما في اللقاءين¹، والجدير بالذكر هنا أن الجبهة الشعبية لتحرير إرتريا كانت تفاوض وقتئذ من موقف عسكري قوي كانت قد حققت فيه انتصارات عسكرية كاسحة على النحو الذي سبق بيانه، وكانت في واقع الأمر قد تجاوزت تلك المراحل بكثير، وكانت تقف على أبواب النصر إلى أن تحقق لها ذلك في يوم 25 مايو 1991م²، بعد طردها آخر جندي للمستعمر الإثيوبي من إرتريا. هكذا طوت الجبهة الشعبية خواتيم النضال الإرتري بعد تحقيقها أشواق وأحلام الإرتريين.

الجبهة الشعبية لتحرير إرتريا والصراع الإرتري-الإرتري

انقسم الشعب الإرتري في مرحلة تقرير المصير في أربعينات القرن الماضي إلى جبهتين، وذلك على أساس ديني وثقافي حول مستقل إرتريا، فالأولى أيدت الانضمام إلى إثيوبيا بتأثير مباشر من الإمبراطور الإثيوبي هيلي سلاسي، وكانت الغالبية العظمى من عضويتها من المسيحيين، وأما الثانية فقد وقفت مع استقلال إرتريا، وكانت الغالبية المطلقة فيها من المسلمين كما سبق بيانه في المبحث الأول والثاني من هذا الفصل. وهكذا أخذ الاختلاف الديني طابعاً سياسياً في تلك المرحلة في ظل التخلف الاجتماعي الذي كان سائداً

¹ المصدر السابق ، ص 449

² إيلوس. إرتريا ومشكلة الوحدة الوطنية. مصدر سابق ص 374

حينئذٍ بفعل الاستعمار، وانطلقت ألامعبيه على الشعب الإرتري، وفي النهاية كان الشعب الإرتري الخاسر الأكبر من تلك الاصطفافات على خطوط دينية.

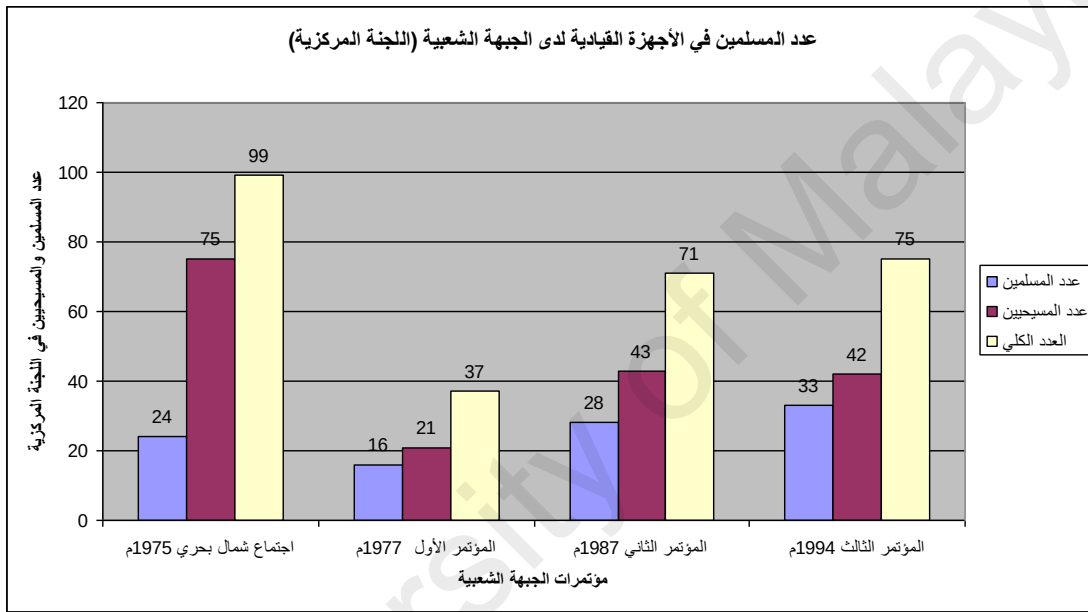
"وعلى الرغم من الجهود المبذولة من قبل عناصر حركة تحرير إرتريا منذ 1958م من أجل صهر المسلمين والمسيحيين في بوتقة وطنية موحدة، وما شكلته المراحل الأولى من ميلاد الثورة المسلحة في إطار الوحدة الوطنية، إلا أنّ ذلك الخلاف تسرب إلى مرحلة الثورة وظل مؤثراً فيها. وقد سخرت إثيوبيا لخلاف المسلمين والمسيحيين مقومات الاستمرارية من خلال الخطب الدينية، والدعاوى السياسية الرامية إلى إظهار الثورة في ثوب عربي إسلامي معاد للهوية المسيحية في المنطقة. وعلى هذا الأساس تمكن هيلي سلاسي من إيجاد تلك القوة المسيحية المسلحة من غالبية الإرتريين تحت اسم الكمنديوس¹. وأنّ أفعال هذه القوة كان لها آثار سيئة في ثقة المسلمين والمسيحيين بعضهم ببعض. كما أنّ المدرستين الثورتين في إرتريا (مدرسة جبهة التحرير الإرترية، ومدرسة الجبهة الشعبية لتحرير إرتريا) كانتا تعكسان أو تستبطنان في تفكيرهما وتنظيمهما تلك الخطوط بدرجات متفاوتة. وللتوضيح فإن جبهة التحرير الإرترية مثلاً سيطر على قيادتها أبناء المنخفضات المسلمين، وتشبه نظمها النظم الاجتماعية المتراخية السائدة في تلك المجتمعات، أما الجبهة الشعبية لتحرير إرتريا فكانت العناصر المؤثرة فيها من المرتفعات الإرترية المسيحية التي جاءت من بيئة اجتماعية منضبطة، وإن شئت قل من بيئة تسيطر عليها المركزية في نظمها الاجتماعية الأمر الذي كان له الأثر البالغ في تطورها كما سيأتي توضيحه. ولا يعني هذا بحال من الأحوال عدم وجود عناصر مسيحية فعالة في الأولى، وعناصر مسلمة مؤثرة في الثانية، بل أنّ الجبهة الشعبية تألفت في بداية الأمر من عناصر مسلمة من أبناء البحر الأحمر، والمجموعة المسيحية من المرتفعات الإرترية والتي عرفت وقتئذٍ بقوات التحرير الشعبية الجزء الأول والثاني. وكانت تلتقي هذه العناصر تحت مظلة الفكر اليساري والذي أسست له تنظيماً سرياً داخلياً عرف بحزب الشعب، وانخرطت فيه العناصر المؤثرة في الجبهة الشعبية المسلمة

¹ المصدر السابق، ص 469-470

والمسيحية على السواء. وعلى الرغم من ذلك فإن تأثير العنصر المسيحي يبدو كان أقوى في تطورات ومجريات الأحداث داخل الجبهة الشعبية لتحرير إرتريا، ويمكن رصد ذلك من خلال الأمور التالية:

أولاً: لئن كان من الصعب معرفة نسبة المسلمين في أجهزة الجبهة الشعبية العسكرية، والجماهيرية، إلا أنها تبدو في الظاهر أنها أقل من نسبة المسيحيين فيها. أما نسبتهم على مستوى القيادة فهي كالاتي كما هي

موضحة في شكل رقم 1، 2، 3.



شكل رقم 1، يوضح عدد المسلمين والمسيحيين في اللجنة المركزية للجبهة الشعبية. كان الحضور في

اجتماع شمال بحري التاريخي عام 1975م -الذي تقرّر فيه مسار هذا التنظيم- كما هو موضح في

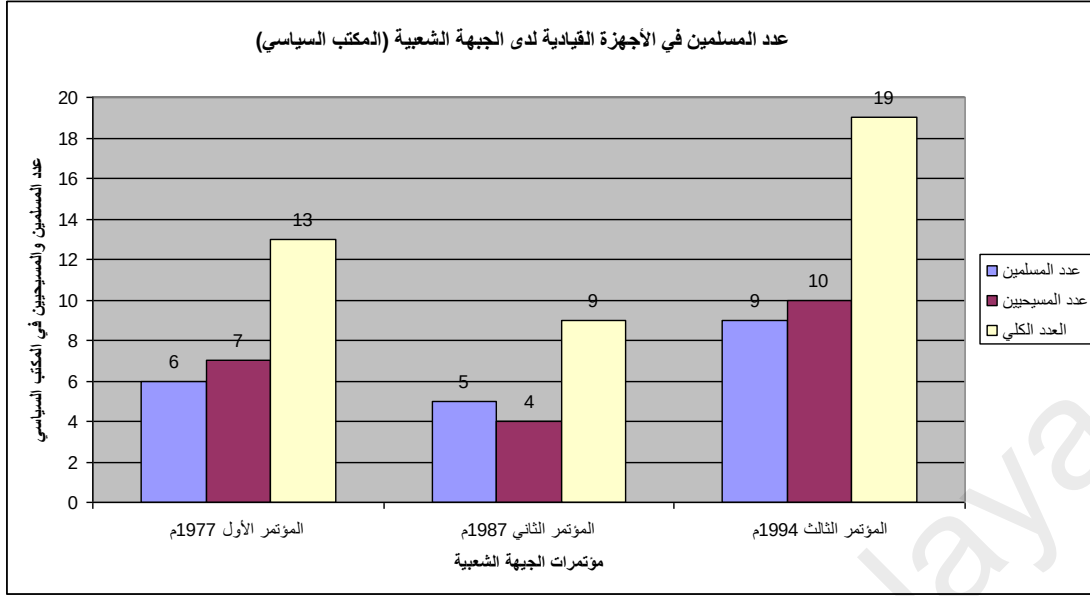
الجدول 99 شخصاً، وكان عدد المسلمين فيه 24 شخصاً و75 شخصاً من المسيحيين.

أما اللجنة المركزية المنبثقة من المؤتمر الأول للجبهة الشعبية عام 1977م فكان عدد المسلمين فيها 16

شخصاً وعدد المسيحيين 21 شخصاً، وفي اللجنة المركزية الثانية بعد المؤتمر الثاني عام 1987م كان عدد

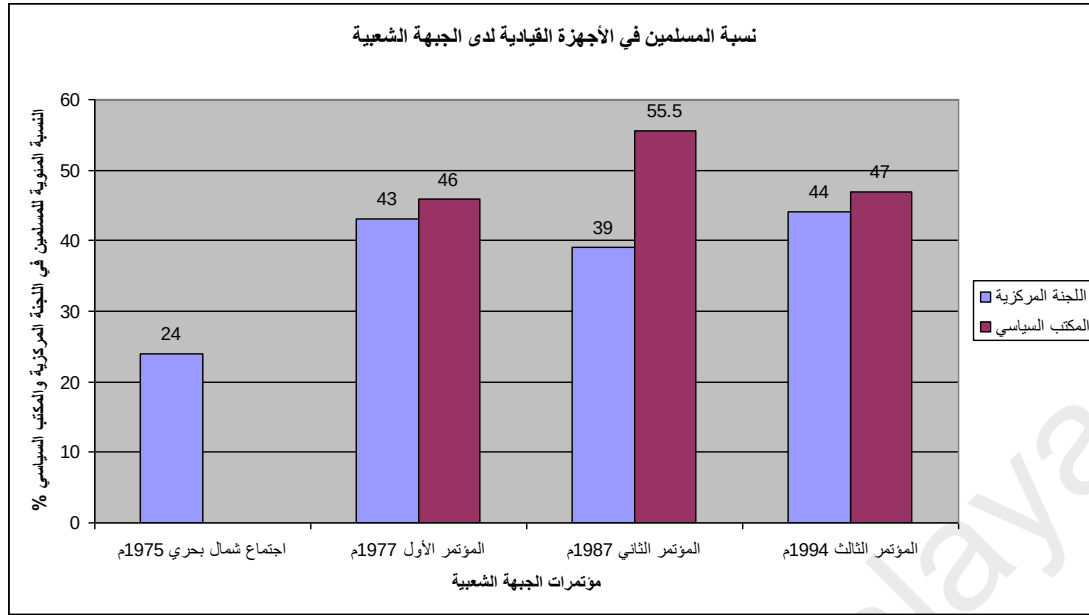
المسلمين 28 شخصاً وعدد المسيحيين 43 شخصاً، وفي اللجنة المركزية الثالثة بعد المؤتمر الثالث عام

1994م كان عدد المسلمين 33 شخصاً وعدد المسيحيين 42 شخصاً.



شكل رقم 2، يوضح عدد المسلمين والمسيحيين في المكتب السياسي للجبهة الشعبية.

وكان المكتب السياسي بعد المؤتمر الأول للجبهة الشعبية لتحرير إرتريا عام 1977م مكوناً من 13 شخصاً، ستة منهم من المسلمين وسبعة من المسيحيين، أما بعد المؤتمر الثاني عام 1987م فكان المكتب يتكوّن من 9 أشخاص، خمسة مسلمين وأربعة مسيحيين، وبعد المؤتمر الثالث عام 1994م فكان عدد أعضاء المكتب 19 شخصاً، تسعة مسلمين وعشرة مسيحيين.



شكل رقم 3 يوضح النسبة المئوية للمسلمين في اللجنة المركزية والمكتب السياسي للجبهة الشعبية لتحرير إرتريا من المؤتمر الأول إلى المؤتمر الثالث. كانت 43% في اللجنة المركزية و46% في المكتب السياسي. أما بعد المؤتمر الثاني عام 1987م فكانت النسبة 36% في اللجنة المركزية و55,5% في المكتب السياسي، وبعد المؤتمر الثالث عام 1994م كانت النسبة 44% في اللجنة المركزية و47% في المكتب السياسي.

والمتمعن في تلك الأعداد في الأجهزة القيادية في الجبهة الشعبية لتحرير إرتريا يجد أنّ نسبة المسلمين ليست بقليلة، غير أنّ هناك أسباباً ذاتية، وأخرى موضوعية حدثت من تأثيرها في مسيرة الجبهة الشعبية لتحرير إرتريا. ومن هذه الأسباب أنّ القيادات العليا في الجبهة الشعبية لتحرير إرتريا هم من أبناء البحر الأحمر، ويقل فيها التمثيل لمناطق المسلمين الأخرى، وهو ما أثر في موازنة الكثافة البشرية في داخلها بين أبناء المرتفعات والمنخفضات. ولذلك دأبت الجبهة الشعبية على أن تدخل شخصاً أو شخصين لكل من بركة والساحل والسنحيت في اللجنة المركزية لسد تلك الفجوة ولو ظاهرياً، وهذه المشاكل لم تكن من صنع العناصر المسيحية، بل كانت نتاج خلافات الزعامات المسلمة فيما بينها في زعامة جبهة التحرير

الإرترية، وهم عثمان صالح سي، وإدريس محمد آدم، وإدريس عثمان قلايدوس، وأخذت خلافاتهم طابعاً إقليمياً شرقياً بقيادة عثمان صالح سي، وغريباً بزعامة كل من إدريس محمد آدم، وإدريس عثمان قلايدوس.

وكانت المنطقة الشرقية تتفوق على المنطقة الغربية بالمال والعلاقات الدولية، بحكم براعة عثمان صالح سي في الدبلوماسية والعلاقات الدولية، في حين أن المنطقة الغربية كانت تتفوق في الكثافة البشرية في داخل الجبهة، لذا لجأ عثمان سي لسد تلك الفجوة إلى تحالف مع أسياش أفورقي، فعينه كانت على الكثافة السكانية في المرتفعات الإرترية. وكان أسياش أفورقي يتحين اغتنام تلك الفرصة وتوظيفها لصالحه بدهاء، وعند ما تقوى تخلص من سي، وكذلك فعل تدريجياً بالقيادات المؤثرة من أبناء البحر الأحمر، كمحمد على عمرو، وإبراهيم عافة وآخرين، وتخلص من جبهة التحرير الإرترية. وهكذا خسر الفريقان الشرقي والغربي على السواء بما كسبت أيديهما، وانفرد أسياش أفورقي بالسيطرة على الساحة الوطنية الإرترية، وأصبح الأمر والنهي في الجبهة الشعبية، وهيمن فيها عنصر الهضبة ذو الثقافة التجزئية المسيحية مع استخدام آلية المركزية الحادة، وتعميم قيم المرتفعات، ولغتها، على حساب قيم المنخفضات، ولغتها، على حسب تعبير فتحي عثمان¹. وبهذه السياقات المتحكمة في تنظيم الجبهة الشعبية لتحرير إرتريا تعرضت النخب المسلمة إلى إقصاء ثقافي، ولم يترك لها أي هامش حتى للمناورة، فوقع بين خيارين: إما الإقصاء السياسي، وإما التماهي مع تلك السياقات المتحكمة في التنظيم، وكان الخيار الثاني لغالبيتهم. وكان المظهر الخارجي يخدع عامة الناس حيث أنه كان يوحي بأنه تحالف بين النخبين، لكن في الحقيقة كان تماهياً مع السياقات المتحكمة التي تعزز دور طبقات الهضبة المسيحية، وتوغل في إقصاء أبناء المنخفضات المسلمة، وثقافتهم. وبعد الاستقلال شمل هذا الإقصاء جميع مناحي الحياة في الدولة الوليدة².

¹ فتحي عثمان ، مصدر سابق ، ص 123

² ارجع للمزيد في هذا الموضوع في المصدر السابق ، ص 120-124

وهكذا خدمت السياقات المتحركة في الجبهة الشعبية بلا شك الثقافة التجريبية، والنخب المسيحية في إرتريا، وهمشت المجتمعات المسلمة المنبسطة في المنخفضات وثقافتها. وحتى الذين عملوا مع الجبهة الشعبية من حملة الثقافة العربية الإسلامية عانوا من التهميش كما سبق الإشارة إليه آنفاً، ولكن السؤال الذي يتبادر إلى الذهن هنا هو كيف تمكنت الجبهة الشعبية أن تطبق منهجها الإقصائي في الواقع العملي؟. منذ البداية "حاولت الجبهة الشعبية من طبع بصمات فلسفتها على كثير من أوجه الحياة لدى المجتمع الإرتري، خاصة فيما يتعلق بالمجالات الثقافية، وفي مقدمتها نشر اللغة التجريبية، وتسخير فنون القوميات الإرترية على نمط ينسجم مع توجهها، وذلك بإنشاء فرق فنية متخصصة في ذلك"¹. وكانت من البداية شديدة النفور من الثقافة العربية، أو من أي شيء يمت بصلة إليها، بل شرعت في محاربتها بطرح مشروع تطوير لغات الأم في الداخل²، وخارجياً عملت على إبعاد إرتريا من محيطها العربي والإسلامي، ولم تكن لإرتريا حتى عضوية مراقب في منظمة التعاون الإسلامي (منظمة المؤتمر الإسلامي سابقاً)، وجامعة الدول العربية ومنظماتها. وحتى بعد استقلال إرتريا لم تطرح هذه المواضيع المصيرية في إرتريا لاستفتاء شعبي كثنائية الهوية، وثنائية الثقافة والدين، وثنائية اللغة وغيرها، بل شرعت تفصل بنفسها في تلك القضايا على حسب ما يتماشى مع برنامجها، وهذا يعتبر مصادرة للرأي العام. وإن كانت للجبهة الشعبية الشرعية الثورية في عهد الكفاح المسلح فإن ذلك لا يعطيها الحق في أن تنوب عن الشعب في قضاياها المفصلية في مرحلة الدولة.

وبعبارة أخرى فإن مشروع الجبهة الشعبية في ظل إرتريا المستقلة قد رجح كفة الطائفة المسيحية وثقافتها في إرتريا، وأوقع الظلم على المسلمين في أصعدة مختلفة، بمحاربة اللغة العربية ومحاضنها، كالمعاهد الإسلامية، والمدارس العربية التي حافظت على الثقافة العربية في عهد الاستعمار. وبسجن الدعاة، وأساتذة

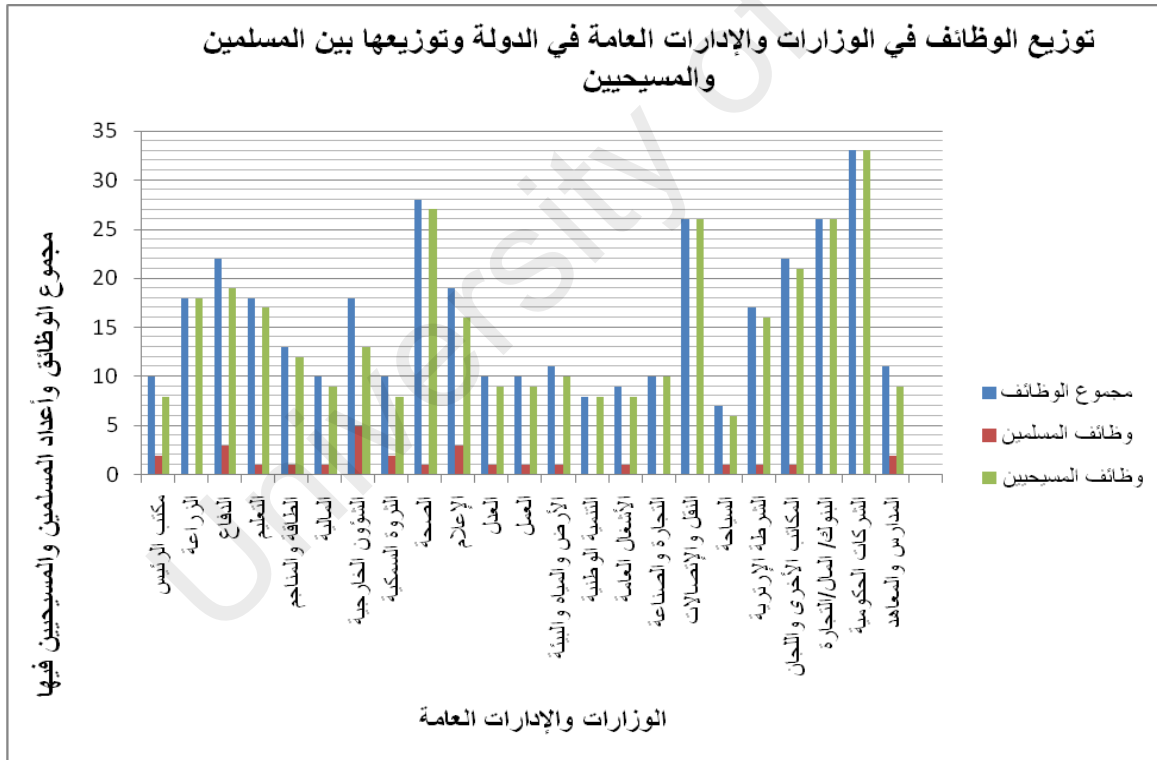
¹ إيلوس، مشكلة الوحدة الوطنية في إرتريا، مصدر سابق ص376

² سبقت جبهة التحرير الإرترية للجبهة الشعبية في ذلك أي في تطوير لغات الأم في إرتريا التي أقرته في مؤتمرها الأول عام 1971م وجاء ذلك تعرضت لانتقادات شديدة من المجتمع فتراجعت عن ذلك في مؤتمرها الثاني عام 1975م

المعاهد والمدارس العربية، وغيرهم من أصحاب التوجه العربي من سياسيين، وتجار، ووجهاء، وأعيان، ومهنيين، وحتى قيادات محتملة (potential leaders) إلخ، وبمنع دخول الهيئات الإسلامية الخيرية إلى إرتريا، ووضع عراقيل أمام بناء المساجد والمؤسسات الإسلامية، بينما تسمح ببناء كنائس حتى في المناطق الإسلامية.

وأما نسبة المسلمين في وظائف الدولة العليا، وأجهزتها المدنية، والعسكرية، فلا تتجاوز 5%. ولتوضيح ذلك سوف يترك الباحث لغة الأرقام تتحدث التي جاءت في وثيقة العهد التي أصدرها مجلس إبراهيم المختار في 21 فبراير 2010 م¹، وهي كالتالي:

جدول رقم 1: قائمة الوزارات والإدارات العامة في الدولة

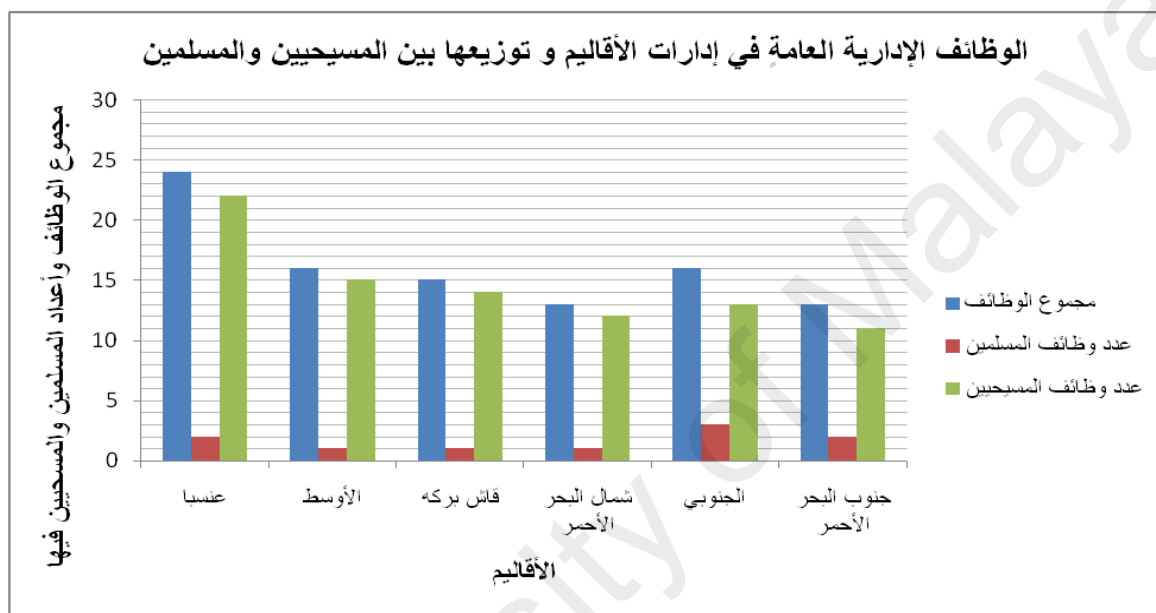


المصدر: مجلس إبراهيم المختار www.awate.com

¹ مجلس إبراهيم المختار مصدر سابق ص 17 وما بعدها

إنّ العدد الكلي للوظائف العليا في الدولة الإرترية قد وصل إلى 366 وظيفة، نصيب المسلمين منها فقط 28 وظيفة أي ما يعادل 7,65% و338 وظيفة للمسيحيين أي ما يعادل 92,35%

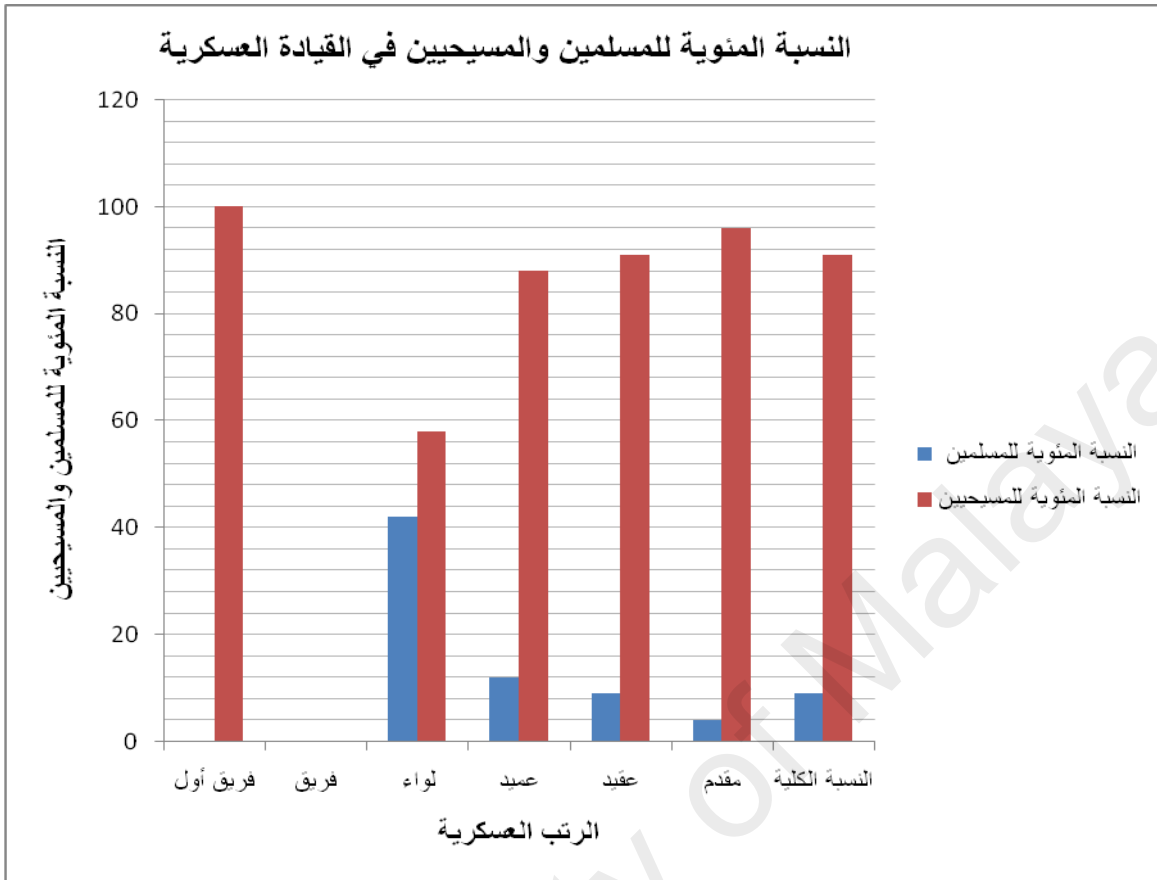
جدول رقم 2



المصدر: مجلس ابراهيم المختار www.awate.com

المجموع الكلي للوظائف الإدارية العامة في إدارات الأقاليم قد وصلت إلى 97 وظيفة 87 منها للمسيحيين أي ما يعادل 89,69% و10 منها للمسلمين أي ما يعادل 10,31%

جدول رقم 3: قائمة القيادات العسكرية العامة



المصدر: مجلس ابراهيم المختار www.awate.com

إن عدد الرتب العسكرية في مختلف المستويات العسكرية قد وصلت إلى 247 رتبة نصيب المسيحيين منها 224 أي ما

يعادل 90,69% و للمسلمين 23 أي ما يعادل 9,3%

الخلاصة

قادت الجبهة الشعبية لتحرير إرتريا الكفاح المسلح بكفاءة عالية حتى تحقق تحرير كامل التراب الإرتري على يدها عام 1991م، ثم إعلان الاستقلال عام 1993م، غير أنّ أفراد الجبهة الشعبية لتحرير إرتريا بالساحة عقد الصراع الإرتري-الإرتري، وبعبارة أخرى عمقت الشعبية الصراع التاريخي بين المسلمين والمسيحيين، وذلك بتعرض المسلمين لعملية الإقصاء التام في نظامها، وأن الصراع في إرتريا، ظل وما زال تدور رحاه بين حملة الثقافة التجزئية المسيحية، وبين حملة الثقافة الإسلامية العربية، وضمن هذه المعادلة يمكن فهم تطور الحركة الإسلامية، والتنظيمات ذات التوجه العربي الإسلامي الساعية في إرتريا لموازنة الصراع الإرتري-الإرتري.

خاتمة الفصل الثالث

أولاً: في مرحلة تقرير المصير انقسم الإرتريون إلى اتجاهين: اتجاه يدعو للاستقلال، وآخر يدعو للانضمام إلى إثيوبيا. وكان يمثل اتجاه الاستقلال حزب الرابطة الإسلامية، وكانت قاعدته الجماهيرية من المسلمين مع بعض الزعامات الوطنية من المسيحيين. وأمّا الاتجاه الثاني فكان بقيادة حزب الوحدة مع إثيوبيا، وكانت الغالبية العظمى لعضويته من المسيحيين. وهذه الانقسامات لم تكن بعيدة من التأثيرات الدينية والثقافية، فكان حزب الرابطة يرى أنّ الانضمام إلى إثيوبيا النصرانية سوف يضر بهوية مسلمي إرتريا، بينما كان يرى حزب الوحدة مع إثيوبيا أن الاتحاد مع إثيوبيا عامل قوة للمسيحية والمسيحيين في المنطقة، وسوف يرجع إليهم بمكاسب سياسية، ودينية، واقتصادية، واجتماعية.

ثانياً: بعد هزيمة إيطاليا في الحرب العالمية الثانية، وإحالة مستعمراتها (إرتريا، والصومال الإيطالي، وليبيا) إلى دول الحلفاء المنتصرة الذين وعدوا بتصفية هذه المستعمرات في خلال عام واحد، بعد الأخذ في الاعتبار رفاهية ورغبات سكانها، ومراعاة السلم والأمن الدوليين، والاستماع لآراء الدول التي لها مصلحة في تلك الدول. ولم يحقق شيء من ذلك في بادئ الأمر بسبب خلافات حول مصير تلك المستعمرات. وعندما احتدم الصراع بين الحلفاء أحييت هذه المستعمرات إلى الأمم المتحدة، وذلك تطبيقاً للملحق رقم 11 من معاهدة الصلح الموقعة مع إيطاليا 1947م، واختلفت مرة أخرى اللجنة في مصيرها، وبدأت القضية الإرترية في أروقة الأمم المتحدة مستعصية الحل، لذا تعددت فيها المواقف والمقترحات التي تجاوزت الإثني عشر مقترحاً. وعندما تعذر الوصول إلى اتفاق حول مصير إرتريا، تقدمت الولايات المتحدة الأمريكية باقتراح النظام الفيدرالي بين إرتريا وإثيوبيا كحل وسط بين المشروعين، الاستقلال الفوري أو الوحدة الكاملة مع إثيوبيا. وعلى الرغم من أنّ النظام الفيدرالي

كان يراعي المصالح الإثيوبية أكثر منها الإرترية، قبل الاستقاليون النظام الفيدرالي لفعل ما يمكن فعله في إطاره كأمر واقع ومفروض عليهم. وأما إثيوبيا فكانت ترى منذ البداية أنّ النظام الفيدرالي هو مسألة وقت فحسب، وبدأت تدريجياً تلغي مقوماته، وفي النهاية ألغت كل النظام الفيدرالي عام 1962م، وجعلت إرتريا الإقليم الرابع عشر لإثيوبيا.

ثالثاً: أنّ تغول إثيوبيا على النظام الفيدرالي قابله الشعب بمقاومة شرسة، واضطر كثير من ساسة الانضمام إلى إثيوبيا لمراجعة مواقفهم بسبب تلك الإجراءات الإثيوبية التعسفية. وبهذا أصبحت الأمور تتجه نحو التماسك الداخلي، وبدأ العقد مع إثيوبيا ينفطر بعد وصول القضية الإرترية مرة أخرى إلى نفق مظلم، ووصل النضال السياسي فيها إلى طريق مسدود، وتهيأت الأجواء لمرحلة جديدة وهي ميلاد ثورة لمقاومة الاستعمار. في ظل تلك الأجواء القائمة ولدت حركة تحرير إرتريا بتاريخ 2-11-1958م، ووظفت الظروف الموضوعية، والسياسية، والجماهيرية التي كانت سائدة وقتئذٍ بصورة جيّدة لصالح القضية، ولعبت الحركة دوراً وطنياً رائداً في نشر الوعي السياسي، وتعبئة الجماهير ضد نظام الإمبراطور هيلي سلاسي. وبذلت عناصر حركة تحرير إرتريا جهوداً حميدة لصهر المسلمين والمسيحيين في بوتقة وطنية واحدة، الأمر الذي كان له دوراً إيجابياً في مرحلة الكفاح المسلح التي تلت تلك المرحلة. وفي يوليو عام 1960م كان ميلاد جبهة التحرير الإرترية في القاهرة. وفي 1 سبتمبر عام 1961م أطلق القائد حامد إدريس عواتي ورفاقه الطلقة الأولى على العدو الإثيوبي في جبل أدال، ونمت جبهة التحرير الإرترية نمواً مطرداً حتى بلغت وضعاً بالغ القوة والتأثير في الساحة الإرترية، وصارت من القوى المؤثرة في المعادلة السياسية في منطقة القرن الإفريقي. وكان صعود جبهة التحرير الإرترية مؤشراً على أنها تعبير عن صدقية ومشروعية مطالب الشعب العادلة، ولذلك تعاطى معها العالم الأمر الذي مكّنها من استقطاب الدعم، والتأييد لخوض النضال سياسياً وعسكرياً متكاملًا. إلا أنّ جبهة التحرير الإرترية لم تستطع الحفاظ على صعودها، ومكانتها الراسخة، فبدأت

تتراجع مكانتها في المعادلة السياسية في الداخل والخارج، بسبب أمور كثيرة منها: حداثة التجربة، وصراع أقطاب قياداتها السياسية، وسوء تقدير لنظام المناطق المنقول من التجربة الجزائرية، والنمو العسكري السريع دون أن يوازيه تطور في الأجهزة التنظيمية، والإدارية الأخرى، وتغليب وسيلة العنف على الآليات السلمية في حل الصراعات الداخلية، وصراع التيارات الفكرية السطحية، والحرب الأهلية الشاملة والتي تحولت بعدها إلى كيانات منقسمة ضعيفة الهياكل والإمكانات. وتحولت عوامل القوة إلى الجبهة الشعبية لتحرير إريتريا والتي أصبحت فيما بعد القوة الضاربة في الساحة الإرترية على الأقل ابتداءً من عام 1981م، وقادت الجبهة الشعبية لتحرير إريتريا الكفاح المسلح بكفاءة عالية حتى تحقق تحرير كامل التراب الإرتري على يدها عام 1991م. غير أنّ انفراد الجبهة الشعبية لتحرير إريتريا بالساحة منذ بداية الثمانينات القرن الماضي عقّد الصراع الإرتري- الإرتري.

الفصل الرابع

□ جذور الحركة الإسلامية الإرترية

□ المبحث الأول : بوادر ظهور حركة الإخوان المسلمين في إرتريا

المبحث الثاني : دور العناصر الإسلامية في التجمع الوطني

الديمقراطي

□ في داخل الجبهة

□ المبحث الثالث : بداية العمل المنظم للإخوان المسلمين في إرتريا

□ المبحث الرابع : منظمة الرواد المسلمين الإرترية

□ المبحث الخامس : حوارات القوى الإسلامية من أجل التوحيد

المبحث السادس : الأحداث التي سبقت ظهور حركة الجهاد

الإسلامي

□ الإرتري عام 1988م

المبحث الأول

بوادر ظهور الحركة الإسلامية الإرتيرية

سبق تناول تاريخ الإسلام في إرتريا وصلته بالجزيرة العربية وبمسلمي وادي النيل ودور حركات البعث والتجديد فيه كالطريقة الختمية والطرق الصوفية الأخرى. وبقي هنا أن أشير إلى أنّ الطرق الصوفية القادمة من المغرب العربي عبر السودان كان لها تأثير محدود في إرتريا وحتى هذا التأثير المحدود يعتقد أنه حصل عندما سقطت دولة الأندلس عام 1492م وكان من بعض رعاياها من الأصول اليمنية التي عادت إلى اليمن سيراً على الأقدام عبر مصر مروراً بالسودان وإرتريا وقد تكون بقيت منهم بعض الأسر في إرتريا لكن هذا الموضوع يحتاج إلى مزيد من التدقيق والتحقيق للتأكد منه.

أمّا التأثير الكبير في إرتريا كان لمركزي الإشعاع المعرفي في زيلع وزولا اللذان كانت لهما ارتباطات وثيقة بزبيد في اليمن.

إن زبيد والمراكز التي ارتبطت بها في داخل الحبشة والسواحل الإرتيرية كانت تهتم بعلم الحديث والقراءات والمذاهب الفقهية أكثر من علم الكلام والفرق. وسبب هذا الاهتمام ربّما يعود إلى عدة أمور:

- أخذ العلم من مصادره الأصلية وهي مكة المكرمة والمدينة المنورة.
- صراع أهل السنة مع الزيدية في اليمن مما جعل أهل السنة يلجؤون دائماً إلى الاستدلال بالأدلة من النصوص الشرعية.

- ابتعاد أهل هذه البلاد عن الصراعات السياسية المختلطة بالشعبوية القومية التي كانت قائمة في شرق الجزيرة العربية ولذا يلاحظ دائماً أنّ هذه المنطقة كانت بعيدة عن صراع المذاهب الفكرية التي كانت موجودة في أجزاء الدولة الإسلامية الأخرى.

فغالباً ما نجد في هذه المنطقة أنّ الخلاف بين العلماء يرجع إلى المذاهب الفقهية لا إلى جوانب الملل والنحل. وكان تأثير هذه المدرسة واضحاً في زوايا التعليم للأسر الدينية المتوزعة في المناطق الإرتيرية المختلفة التي تصدت للتعليم الديني في إرتريا عبر التاريخ وحتى الطريقة الحتمية التي جاءت متأخرة إلى إرتريا كانت أقرب إلى المدرسة الزيدية لأنّ منبعها كان أيضاً من جنوب الجزيرة من منطقة الحجاز.

ويمكن تقسيم الاتجاهات التي ساهمت في نشر الوعي الإسلامي في إرتريا عبر التاريخ على النحو الآتي:

أولاً: الدور الكبير الذي لعبته الطرق الصوفية المتمثلة في الأسر الدينية¹ المنتشرة في المناطق الإرتيرية لا سيما المراغنة الحتمية.

ثانياً: الخلاوي القرآنية والمساجد وحلقاتها العلمية.

ثالثاً: دور الدولتين اللتين حكمتا أجزاء كبيرة من المناطق الإرتيرية على التوالي، الدولة العثمانية

والدولة المصرية واللّتين كانتا ترسلان علماء وفقهاء يقدمون خدمات شرعية في أمور

الدين والدنيا للمواطنين².

¹ وكان أشهر هذه الأسر عد شيخ (تعني كلمة عد باللغة المحلية آل — كأن تقول آل فلان) في سمهر وسيدنا مصطفى في بركة وعد معلم وعد درقي وعد أبو قاسم في غرب وشمال وشرق إرتريا وعد شيخ إبراهيم الخليل في طبعو دنكاليا وعائلة كبير في الهضبة

² 45-2, *Des Welt des Islams* 45-2, Miran, Jonothan. "A Historical overview of Islam in Eritrea." 2005: 178-215. p 183 & 191

رابعاً: تأثير أدبيات المدارس الإحيائية وخاصة مفكري المدرسة الإصلاحية في مصر كمحمد عبده ورشيد رضا وآخرين من الذين كانت تصل حواراتهم إلى إترتيا عبر مجلة المنار والإصدارات الأدبية الأخرى¹.

خامساً: تأثير البعثات الأزهرية من دعاة ومعلمين وخريجي الأزهر ومعهد أم درمان العلمي، وكذلك خريجي المعاهد الإسلامية في إترتيا ثم خريجي الجامعات السودانية والسعودية والدول العربية الأخرى من أبناء البلد والذين عادوا إلى الوطن لاحقاً بعد تخرجهم. كل هذه الأمور مجتمعة أدت إلى تشكيل نخب مسلمة معتدلة ومنفتحة على جميع المدارس الإصلاحية المعاصرة بشقيها الإخواني والسلفي. وهذا الانفتاح كان واضحاً في سلوك المصلحين الإترتيين الذين ظهروا في أربعينات القرن الماضي والعقود التي تلت تلك الفترة

ونذكر منهم علي السبيل المثال لا الحصر: مفتي الديار الإترتية السابق إبراهيم مختار، موسى آدم عمران، وجمال الدين الشامي، وعبد الله أزوز، ومحمد إدريس عثمان، وعمر مودوي، والداعية المشهور (الشيخ) محمد آدم، وأبو بكر صالح، ومحمد صالح حاج حامد، ومحمد علي زروم، وإدريس حامد سعد الله وآخرين. فتجد هؤلاء العلماء في قمة الوسطية، إذ ليسوا من السلفيين الذين يجنحون إلى التشدد ولا هم من المنغمسين في الشطحات الصوفية، بل والأكثر من ذلك إذا رجعنا إلى مكنتهم الخاصة نجدها تجمع كتب الإصلاحيين، كالأفغاني ومحمد عبده ورشيد رضا وغيرهم وكذلك كتب مفكري مدرسة الإخوان، كسيد قطب ومحمد قطب وعودة ورسائل البناء، وكتب المدرسة السلفية، ككتب ابن القيم وابن تيمية ومحمد بن عبد الوهاب وغيرهم. وأنا كباحث أذكر ذلك من واقع معاشتي وتلميذي على أيدي بعضهم، مثل أبوبكر صالح وإدريس حامد سعد الله وأعرف معرفة شخصية محمد إدريس عثمان ومحمد علي زروم

¹ جلال الدين محمد صالح. كرن الإصالة : التراث . (لندن ، المنتدى الثقافي الإترتي د-ت). ص 405

وآخرين. وعلى بيل الميثال محمد صالح حاج حامد على الرغم من أنه كان معروفاً بانتمائه إلى المدرسة السلفية إلا أن مكتبته الخاصة أو المكتبة العامة التي أسسها في كرن كانت تحوي من ضمن ما تحويه كتب الإخوان المسلمين¹ ومع ذلك لا ينعدم من كان أكثر ميلاً إلى هذه المدرسة أو تلك، ولكن موضوع دراستنا في هذا البحث سيقصر فقط على المدرسة الإخوانية ولا يشمل المدرسة السلفية إلا ما كان متصلاً منها بالمد الإخواني في إرتريا. وبالعودة إلى موضوع الدراسة وعلى الرغم مما سبق ذكره فإن بداية تغلغل فكر مدرسة الإخوان المسلمين في أوساط الإرتريين يعتره بعض الغموض.

الإخوان المسلمون في إرتريا

إن إرتريا لم تكن بعيدة عن التطورات التي كانت تحدث في المنطقة وخاصة في مصر والتي تعتبر الدولة المحورية في المنطقة والتي كانت تعتبر إرتريا منطقة نفوذها ومنها امتدت إليها أفكار الأحزاب اليسارية بمختلف مدارسها عبر الطلاب الإرتريين الدارسين في معاهدها وجامعاتها أو عبر السودان و اليمن الجنوبي. فلا غربة إذاً أن يكون هناك نصيب لحركة الإخوان المسلمين في التأثير على الطلاب الإرتريين في مصر مثلها مثل الأحزاب الفكرية الأخرى، بل يعتقد أن حركة الإخوان المسلمين كانت أكثر نشاطاً في استقطاب الطلاب الوافدين في صفوفها ونتيجة لذلك حققت انتشاراً واسعاً في العالم الإسلامي وأصبح لها فروع كثيرة في آسيا وإفريقيا وأروبا². وما يهمنا هنا هو انتشار فكر حركة الإخوان المسلمين في إرتريا. والحديث عن انتشار فكر حركة الإخوان المسلمين في إرتريا في العقد الرابع والخامس و السادس من القرن العشرين يبدو ذلك من الصعوبة بمكان لعدم وجود مصادر توثق لوجودها أو لعدمها.

¹ مقابلة جلال الدين محمد صالح أكاديمي و أستاذ جامعي إرتري ، أجرى المقابلة معه الباحث. في لندن (29 - 10 - 2012م)

² see the homepage of the organization <http://www.ikhwanonline.com>

ولعل ذلك يعود لطبيعة التكوينات الإخوانية السرية وعملها المعتمد على سياسة سرية التنظيم وعلنية الدعوة، بالإضافة إلى التعقيدات الداخلية والخارجية التي كانت تمر بها القضية الإترية في عقد الأربعينات والخمسينات من القرن الماضي.

إلا أنّ هنالك بعض الإشارات تقتضي متابعتها في هذا المقام وربط بعضها ببعض الأمر الذي قد يقربنا إلى مقارنة صحيحة منها:

أولاً: إنّ عدداً مقدراً من الطلاب الإترين الدارسين بالأزهر الشريف والمؤسسات التعليمية الأخرى في مصر ومعهد أم درمان العلمي في السودان، وكذلك في حلقات العلم التي تعقد في المساجد والمراكز في تلك البلدان قد عاد إلى إترتيا ويحتمل أن يكون عدد منهم قد تأثر بفكر الإخوان. وما يعضد ذلك ظهور علماء دين إترين ملمين بالعملية السياسية في تلك الفترة درسوا في مصر والسودان كمفتي الديار الإترية إبراهيم مختار وموسى آدم عمران وآخرين، وهذه الميزة كانت قلماً توجد في تلك الفترة إلا في المدرسة الإخوانية. ويجدر بنا هنا الإشارة إلى أنّ تبني فكر الإخوان لا يشترط بالضرورة الانتماء إلى تنظيم الإخوان المسلمين.

ثانياً: إنّ عدداً من الطلاب الإترين الدارسين في المعاهد والجامعات المصرية قد انتظم فعلاً في صفوف الإخوان المسلمين في العقد الخامس من القرن الماضي، وكان منهم سعيد حسين الذي اشترك متطوعاً مع كتائب الإخوان للقتال في فلسطين، ومحمد إسماعيل عبده وآخرين¹.

ثالثاً: لقد ذكر محمد إسماعيل عبده أحد القيادات الإخوانية الإترية البارزة إنّ عبد الحكيم عابدين أحد قيادات الإخوان المسلمين في مصر قد زار إترتيا في عهد مؤسسها حسن البنا عام 1948م

¹ محمد إسماعيل عبده ، "عضو القيادة الثورية في جبهة التحرير الإترية عام 1965م ، عضو المجلس الثوري 1975م ، رئيس منظمة الراود المسلمين الإترية عام 1981م ، نائب أمير حركة الجهاد الإسلامية الإترية عام 1988م، رئيس مجلس الشورى لحركة الخلاص عام 1996م ، ورئيس مجلس الشورى للحزب الإسلامي العدالة والتنمية عام 2004م إلى أن توفي عام 2008" أجرى المقابلة معه إخوان أون لاين بتاريخ (3-10-2001م). والمقابلة موجودة بالصوت والصورة في الرابط التالي: <http://ikhwantube.org/video>

وعقد لقاءات مع قيادات الرابطة الإسلامية الإرترية، ووعدهم بالوقوف إلى جانب قضيتهم العادلة، كما قدم محاضرات عامة في كل من أسمرا وكرن ومصوع¹. ويعتقد أنّ أفراداً من الإخوان المسلمين المصريين أيضاً كانوا يأتون إلى إرتريا مع الآخرين ضمن بعثات المؤسسات الرسمية في مصر وخاصة الأزهر الشريف، وإنّ هذه البعثات كما جاء في موقع إبراهيم مختار مفتي الديار الإرتري السابق لم تنقطع صلتهم بإرتريا إلى أن طرد النظام الإثيوبي آخر تلك البعثات عام 1966م².

رابعاً: إنّ اهتمام حركة الإخوان المسلمين بالقضية الإرترية لم ينقطع بل وجدت القضية الإرترية الدعم المعنوي والمادي منها ومن أفرادها في العالم العربي إبان الكفاح المسلح وخاصة في السودان أمثال المراقب العام في السودان الصادق عبد الله عبد الماجد و ياسين عمر الإمام والدعم المادي الكبير من إخوان الكويت وخاصة من عبد الله المطوع وأسرته³، كما أنّ المراقب العام للإخوان المسلمين في سوريا مصطفى السباعي كان مهتما بالشأن الإرتري، وقد تناول في بعض كتاباته مأساة الشعب الإرتري بسبب العدوان الإثيوبي، وطلب من الحكومات والشعوب العربية والإسلامية الدعم للشعب الإرتري الذي تربطهم به أوثق الصلات سواء كانت دينية أو تاريخية أو سياسية⁴.

¹ مقابلة محمد اسماعيل عبده في إخوان أون لاين <http://ikhwantube.org/video>

²

http://www.mukhtar.ca/contentN.php?type=viewarticle&id=161&category=documents_mukhtar

³ جلال الدين محمد صالح ، *الحركة الإسلامية والعمل السياسي*، مصدر سابق ، ص 71-73. عثمان دندن. *معركة إرتريا*، ج1 (د-م ، د-د، 1995). ص 111-112

⁴ مصطفى السباعي ، *رمضان الإسلام ، ورمضان المسلمين* ، مجلة الحضارة الإسلامية العدد السابع شباط فبراير عام 1963م نقلا من كتاب جلال الدين محمد صالح، *الحركة الإسلامية الإرترية والعمل السياسي* ، مصدر سابق. ص 72

خامساً: إنّ فكر الإخوان كان قد انتشر بقوة في نهاية أربعينات وخمسينات القرن الماضي في الدول المجاورة التي لها اتصال مباشر مع إرتريا كالسودان مثلاً ويعتقد أنّ تأثيرها قد امتد إلى إرتريا كغيرها من الطوائف الصوفية والأحزاب السياسية الأخرى العاملة على الساحة السودانية¹.

ورغم كل تلك المؤشرات إلا أنّها مازالت غير كافية لأن تكون دليلاً لإثبات أو نفي وجود تنظيم الإخوان المسلمين في إرتريا في العقود الثلاثة التي سبق الإشارة إليها. ولذا يظل السؤال قائماً: هل كان هنالك تنظيم للإخوان المسلمين في إرتريا كتنظيم الإخوان المسلمين في السودان واليمن أو الدول العربية الأخرى في العقود الثلاث؟.

إنّ الباحث لم يجد أيّ معلومات تدل على إذا كان هنالك تنظيم للإخوان المسلمين في إرتريا في العقد الرابع والخامس وحتى السادس من القرن الماضي، كما أنّه لم يجد أي إشارة إلى ذلك سواء في كتابات الإخوان المسلمين ولا في كتابات الإرتريين المنتمين أو غير المنتمين للإخوان المسلمين.

ولذلك قرّر الباحث بأن يجري مقابلات مع شخصيات إخوانية إرترية تاريخية لعله يجد منهم بعض المعلومات عن تلك الفترة الزمنية عن الإخوان في إرتريا. فكانت أولى محطات الباحث حامد صالح تركي²، فسأله عما إذا كان هنالك تنظيم للإخوان المسلمين في إرتريا في تلك الفترة؟ يقول تركي "كانت شعوب المنطقة في تلك الفترة تمر بمرحلة تقرير المصير وخاصة إرتريا والسودان بعد دحر الاستعمار الغربي. وفي تلك الفترة أنشأ الإرتريون الرابطة الإسلامية الإرترية التي رفعت لواء الاستقلال والحرية، وخاضت صراعات مبررة مع دعاة الانضمام إلى إثيوبيا من المسيحيين الإرتريين وعدد من المسلمين ومن يقف مع هذا الاتجاه من

¹ جلال الدين محمد صالح ، *كرن الإصالة : التراث*. مصدر سابق ص 407

² حامد صالح تركي، أحد العناصر المتعلمة التي واكبت العمل الثوري في إرتريا ، حيث عمل في مكاتبها الخارجية ثم قاضياً في المحكمة العليا فيها إلى أن سجن من قبل الجبهة عام 1978م بتهمة إنشاء تنظيم سري داخل الجبهة. ومن مؤسسي وقيادي منظمة الرواد المسلمين الإرترية 1981 ، حركة الجهاد الإسلامي الإرتري 1988م ، حركة الخلاص الإسلامية الإرترية 1996، الحزب الإسلامي الإرتري 2004 إلى أن توفي عام 2014. وكان يعتبر من السياسيين الحذقين المخضرمين القلائل الذين تتوفر فيهم إمكانيات التنظيم وخبرة العمل في الساحة الإرترية.

القوى الإقليمية والدولية. وقد شعر المسلمون الإرتريون آنذاك بأنهم مستهدفون في كينونتهم، فسعوا لحشد جميع المسلمين الإرتريين لمقاومة ذلك الخطر. واتصلت الرابطة الإسلامية بجميع الجهات المعنية في المنطقة بحثاً عن مناصر لقضيتهم. فاتصلت بالجامعة العربية وبالاتجاهات السياسية والرموز الدينية والحركات الإسلامية وعلى رأسها حركة الإخوان المسلمين. ومما ساعد في ذلك وجود شخصيات إرترية درست في مصر، وكانت هذه الشخصيات على علم بحركة الإخوان المسلمين والاتجاهات الأخرى. إذاً يتضح لنا من خلال ما سبق أنّ حركة الإخوان المسلمين لم تكن بعيدة عن الواقع الإرتري وأنّ التأثير بها تأثيراً عاماً ثقافياً وفكرياً وسياسياً أمر وارد ولكني لا يستطيع الجزم بالقول إن كان هناك في تلك الفترة تنظيمًا للإخوان المسلمين في إرتريا"¹.

أمّا محمد على محمود² أحد مؤسسي تنظيم الإخوان المسلمون في إرتريا لاحقاً عام 1973م قد ذكر للباحث: " بأنه قد تكون هنالك شخصيات منتمية للإخوان تنظيمياً وأخرى متأثرة بهم فكرياً غير أنّي لا أعرف إن كان هنالك تنظيم للإخوان المسلمين في إرتريا في الفترة التي ذكرتها"³.

ومن خلال ما سبق يبدو للباحث أنّ تأثير حركة الإخوان المسلمون في إرتريا كان تأثيراً عاماً وانتمايات أفراد لها، ولم تأخذ الشكل التنظيمي إلّا في نهاية 1973م كما سيأتي بيان ذلك لاحقاً.

وعلى الرغم من ذلك يبقى السؤال وهو أين ذهبت الشخصيات الإرترية التي انضمت إلى حركة الإخوان المسلمين أثناء دراستها في مصر في العقد الخامس والسادس من القرن الماضي ؟

¹ حديث تركي ، في المقابلة البحثية مع الباحث (2012-12-30م)

² محمد على محمود، " أحد مؤسسي العمل التنظيمي للإخوان المسلمين في إرتريا"، أجرى المقابلة معه الباحث في الخرطوم (11- 1- 2013م)

وبما أن الطبقة المثقفة والمستنيرة هي التي تنشط دوماً في العمل السياسي في أي مجتمع، وهذه الطبقة في المجتمع الإرتري أيضاً ليست استثناء، فهي التي قادت الحركة الوطنية بمختلف توجهاتها، بما فيها العناصر المتأثرة بفكر الإخوان وفي العقد الخامس والسادس أخذت الأوضاع تسوء يوماً بعد يوم في إرتريا وتأزمت الأمور وأصبحت إرتريا منطقة عسكرية مغلقة وسدت منافذها وحدودها مع التعتيم الإعلامي من قبل المستعمر الإثيوبي، ومن هنا فإنّ العناصر الإخوانية إمّا أنّها تحولت إلى الثورة المضادة لنظام هيلي سلاسي أو أنّها هاجرت إلى خارج البلاد إلى السودان ومصر والسعودية. وأصبح أفرادها يعملون ضمن العمل العام للإخوان المسلمين في تلك الدول. وما بقي في داخل إرتريا انقطعت به السبل بسبب الظروف الأمنية القاسية التي فرضها النظام الإثيوبي. وأمّا العناصر التي تحولت إلى الثورة المضادة لنظام هيلي سلاسي كأفراد يعملون تحت النضال الوطني العام مع غيرهم دون أن يكون لهم كيان يخصهم ونذكر منهم سعيد حسين ومحمد إسماعيل عبده وحامد صالح تركي وآخرين. وظل أفراد الإخوان يعملون ضمن الخط العام للنضال الإرتري، نظراً لأنّ القضية الكبرى التي كانت تشغل بال الإرتريين في تلك المرحلة كانت مواجهة الاحتلال الإثيوبي وتحرير إرتريا منه، إضافة إلى أنّ جبهة التحرير الإرترية كانت قد تشكلت في بدايتها على المستوى القيادي من شخصيات وطنية مسلمة عامة ذات توجه عربي وكان أغلب قوام جنودها في البداية من الأقاليم الإسلامية، وكان الرعيل الأول من الثوار يتحلّى بالصفات والقيم التي كانت تعكس وجود الطابع الإسلامي العام السائد في تلك البيئة المحافظة، الأمر الذي شجع العناصر الإسلامية على الانخراط في الجبهة.

حتى أنّ أعداء الثورة آنذاك وصفوها بالثورة الإسلامية العربية حتى يتسنى لهم إبعاد المسيحيين الإرتريين منها¹، إلّا أنّ هذه الدعاوى لم تنجح فامتد نشاط جبهة التحرير الإرترية بعد حين من نشأتها إلى جميع المناطق الإرترية، وضمت في صفوفها أبناء جميع القوميات والقبائل الإرترية من مسلمين ومسيحيين وهكذا

¹ إيلوس، إرتريا ومشكلة الوحدة الوطنية، مصدر سابق، ص 96

وسّعت جبهة التحرير الإرترية نضالاتها معتمدة على الأيديولوجية الوطنية المتغذية من الفكر المحلي ابتداءً، لكنّها ما لبثت أن أخذت بالأفكار الإقليمية والعلمية التي كانت سائدة آنذاك كالقومية العربية واليسار بمختلف اتجاهاته.

وهنا سوف أتعرض لليسار بقليل من التفصيل لما له من علاقة مباشرة في محاربة التوجه الإسلامي والعربي في داخل الثورة الإرترية. فقد بدأ فكر اليسار يتسلل إلى داخل جبهة التحرير الإرترية في نهاية ستينات القرن الماضي، وبدأت عناصره تكوّن خلايا سرية في داخل جبهة التحرير الإرترية في الساحة الإرترية وفي فروعها الخارجية¹، حتى طفحت الصراعات الحزبية في داخل جبهة التحرير الإرترية مما أدى إلى انشطار الجبهة إلى فصائل عدة. فخرجت عن الجبهة الأمانة الخارجية بقيادة عثمان صالح سبي، و"سلفي ناطنت" أي حزب التحرر بقيادة إسياس أفورقي ومجموعة عوبل ثم توالى الانشقاقات في الجبهة ومما زاد الحال سوءاً بدأت عناصر حزب العمل الثوري تحكم سيطرتها على مفاصل جبهة التحرير الإرترية، ابتداءً من المؤتمر الوطني الأول عام 1971م وانتهاءً بالسيطرة الكاملة على قيادة الجبهة ومؤسساتها التنظيمية في المؤتمر الوطني الثاني عام 1975م². يضاف إلى أسباب الانشقاق علاوة على سيطرة اليسار الجهل والتخلف والرواسب الاجتماعية والمناطقية التي كانت تعاني منها الجبهة آنذاك.

بوادر تحول الصراع الخفي إلى صراع مكشوف

ومنذ بداية المؤتمر الوطني الثاني أخذت مسائل الصراع الخفي تتجه نحو صراع مكشوف بين الأجنحة الثلاثة المختلفة داخل جبهة التحرير الإرترية، وهي تياري حزب العمل اليساري واليميني المعروف "بالفالول" في أدبيات الجبهة والتيار ذو التوجه العروبي والإسلامي الذي كان يتكوّن من تحالف البعثيين

¹ إبراهيم محمد على ، مصدر سابق ، ص 59

² حديث تركي للباحث في المقابلة (2012-12-30م)

والإسلاميين والمستقلين. وسعى كل من هذه التيارات الثلاثة لإنجاح قائمته في المؤتمر الثاني، إلا أنّ تيار اليسار المتمثل في حزب العمل كان له الغلبة والسيطرة على نتائج المؤتمر¹، ومن ثمّ بدأ حزب العمل -أخذاً بقاعدة الغالب والمغلوب- بخطوات جادة لإبعاد الأشخاص الذين لا يتفقون مع خطه من المناصب الحساسة داخل تنظيم جبهة التحرير الإرترية، وبناءً على ذلك بدأ بتقسيم المناضلين إلى فئات ثلاث: الطليعة والتي يجب الاعتماد عليها، والرجعية وهي التي يجب إبعادها من العمل الثوري واستغلال الفئة العامة لصالح مشروعه وفي توصيف الوضع السياسي في داخل جبهة التحرير الإرترية آنذاك، جاء في وثيقة حزب العمل² التيارات الآتية:

أولاً : التيار البعثي والإخوان المسلمون

ثانياً : التيار الفوضوي والمقصود بالتيار الفوضوي هنا "الفاول"

ثالثاً : هنالك تيار ثالث غير معادٍ إلا أنّه غير منظم في خط حزب العمل الثوري، ولا في صفوف التيارات الأخرى، وهو ما رمزت إليه الوثيقة بالقيادات التقليدية.

وما يهمنا هنا في سياق هذه الدراسة كيف تعاملت هذه الوثيقة مع عناصر التوجه الإسلامي والبعثي. وقد قررت الوثيقة في هذا الشأن الأمور التالية:

¹ إبراهيم محمد علي، مصدر سابق، ص 195

² نص هذه الوثيقة كاملاً موجود في كتاب: أحمد بن إبراهيم الحاج الحسين، *الإتحاد العام لطلبة إرتريا وتجاريه مع قيادات جبهة التحرير الإرترية بين قراري السحب والتجميدي في الفترة من 1977-1992 م*، (د-د). 2008 وعلى الرغم من أنه لا يوجد في الوثيقة ما يثبت إنّها صدرت من حزب العمل إلا أنّ من سياق الأحداث والأشخاص التي تناولتها ومجريات الأحداث اللاحقة التي تبناها حزب العمل إزاء تلك التطوّرات تكاد تكون هذه الوثيقة الدليل السياسي لحزب العمل بل الأكثر من ذلك أنّ جميع الخطط والتوصيات التي جاءت في تلك الوثيقة قد طبقت في أرض الواقع و يمكن تحديد تاريخ إصدارها من تحديد عمر الثورة التي ذكرت في طياتها وهو العام السادس عشر للثورة. والعام السادس عشر للثورة الإرترية كان عام 1977 م من كل ذلك يبدو للباحث أنّ مصدر هذه الوثيقة هو حزب العمل الثوري.

أ- إنّ تحالف التيار البعثي والإخواني سوف يستمر إلى مدى أبعد حتى بعد استقلال إرتريا، وذلك لاتفاق التيارين حول تعميق مفاهيم العروبة والإسلام في إرتريا، وحول فلسفة التحولات الاجتماعية والاقتصادية في البلاد.

ب- إنّ استخدام التيارين لآليات العروبة والإسلام في إرتريا من شأنهما أن تؤديا إلى توحيد المسلمين في إرتريا للوقوف في وجه التيارات الماركسية اللينينية، وعرقلة تقدم في الساحة الإرترية.

ج- حددت الوثيقة مكان القوة لهذين التيارين: خارجياً في الدعم الذي يأتي من البعث العراقي وداخلياً في أنّ قوات التحرير الشعبية - البعثة الخارجية بزعامة عثمان صالح سبي تمثل مصدر قوة، وحليفاً استراتيجياً لهذين التيارين في الساحة الإرترية.

د- إنّ الوثيقة حددت العناصر المحركة للتيارين، وفي هذا السياق إشارة إلى إدريس محمد آدم، وجعفر علي أسد، وإبراهيم إدريس محمد آدم، وحامد صالح تركي، وعمر حاج إدريس، ومحمد إسماعيل عبده، وإبراهيم عمار، وحامد حسين. كما أن الوثيقة أشارت إلى القادة العسكريين الذين بدأوا يتأثرون بأفكار هذين التيارين أمثال محمود ديناي، وصالح أبو بكر، ومحمد علي أبورجيله، وآدم قندفل، وبشير عبد القادر، وعثمان إزاز وآخرين.

و- إنّ التيارين يشكلان خطراً حقيقياً على سياسات حزب العمل التقدمية في الساحة الإرترية، لكون التيارين يقفان له بالمرصاد، وبإمكانهما حشد القوى ذات الميول اليمينية والرجعية - كما تسميها الوثيقة - داخل جبهة التحرير الإرترية وداخل الشعب الإرتري ضده وللحيلولة من حدوث ذلك يجب أولاً عدم تمكين عناصرهما من تولي مناصب حساسة داخل أجهزة التنظيم، وثانياً لا بد من وضع خطط وسياسات للقضاء على تلك التيارات في الساحة الإرترية مبكراً.

وبناءً على تلك التقييمات بدأت عناصر حزب العمل تُشيع جواً من الإرهاب الفكري والسياسي بين المناضلين، وتضييق الخناق على كل من يخالف توجهاتها. وأصبحت تبشر بنظريات اليسار في جميع المجالات ورمت الموروث الاجتماعي، والأعراف الحميدة، والأخلاق الدينية بالتخلف، وأظهرت أنماطاً من السلوك لا يرتضيها الدين والعرف على الرغم من ذلك يقول حامد صالح تركي أحد قيادات الاتجاه الإسلامي والخصم اللدود لحزب العمل الثوري في داخل جبهة التحرير الإرترية: "كان في داخل حزب العمل الثوري اتجاهان، اتجاه اندفاعي متهور في تبنيه للأفكار اليسارية، ويسعى لتطبيق مبادئ الشيوعية على الشعب الإرتري بكل الوسائل، وكان هذا الجناح لا يتردد لفرض آرائه بالقوة، واتجاه عقلائي يميل إلى الوسائل السلمية والحوار وإلى الإقناع بمبادئه اليسارية والاشتراكية كلما أمكنه ذلك، وكانت وسائل الحسم والقمع آخر أسلحته. وكان هذا الاتجاه منع تصرفات الجناح المتطرف من حزب العمل من ارتكاب جرائم قتل جماعي داخل جبهة التحرير الإرترية ضد كل من يعارض ويخالف خط حزب العمل الثوري في الساحة الإرترية.¹

وبما أنّ جبهة التحرير الإرترية كانت بوتقة عامة لجميع المناضلين من مختلف التوجهات السياسية والاجتماعية والفكرية فقد كانت هذه الصراعات في البداية تدور رحاها في الخفاء. يقول إدريس أبري في وصف تلك الصراعات والميولات السياسية والاجتماعية التي تقف وراءها: "وخلال الصراعات الخفية هذه فإنّ خوف كل جانب من سيطرة الجانب الآخر كانت تدفعه إلى المزيد من السلبية، وكان تخوف الإسلاميين قديماً، فالخوف من اجتياح الأفكار الشيوعية بدأت بعض عناصر ذات الخلفيات الدينية منذ الستينات، ورغم العفوية الشديدة التي اكتنفت تناقضات فترة الستينات إلا أنّه يمكن القول بأنّ وراء مختلف

¹ حديث تركي للباحث في المقابلة (2012-12-30 م)

الميولات السياسية والفكرية أصول اجتماعية. فكانت طبقة المتعلمين وعلى قلتها تتكوّن من ثلاث فئات ذوي جذور اجتماعية مختلفة، ومؤثرات ثقافية وبيئة متباينة تمثلت في:

أ- فئة الطلاب الأزهريين وجلها من أصول ريفية

ب- فئة طلاب الجامعات والمدارس والمعاهد الأكاديمية، من بلدان الشرق الأوسط، ومن

مصر على وجه الخصوص، وأغلبها من أصول حضرية.

ج- فئة طلاب المدارس الثانوية في إرتريا وقلة من العناصر الجامعية.

وبحكم تباين البيئات الاجتماعية واختلاف المؤثرات الثقافية فقد كان لكل من هذه الفئات سلوكيات خاصة، كما كانت كل منها تتميز بممارسات وتصورات تعكس خلفياتها الاجتماعية، وفهمها للواقع وتفسيرها للأحداث. وفي مسار النشاط العملي المكثف الذي امتازت به تلك الفترة، اتضح بأن لكل من هذه الفئات جماعات تلتصق بها، فبينما التصقت الأولى بالقيادات التقليدية وسلكت اتجاهها محافظا يكرس واقع التخلف الاجتماعي، نحت الفئتان الأخريتان نحو اليسار. وامتصت هذه الاتجاهات بسرعة المطالب المحلية، هذه الاتجاهات لم تتبلور على شكل أحزاب سياسية متوازنة، لكنها تضافرت مع المؤثرات الأخرى لترسم في منتصف السبعينات خارطة الصراع السياسي في الساحة عموما وداخل جبهة التحرير الإرتيرية على وجه الخصوص في تيارين أساسيين، تيار يساري وآخر إسلامي. وبينما كانت جماهير اليسار تتنامى في الأوساط الطلابية، كانت جماهير الإسلاميين تتأصل في أوساط الفئات ذات الأصول الرعوية والفلاحية، ووجد الاتجاه الإسلامي في أوساط الفئات التي تنفر من الشيوعية من منظور ديني وفلسفي إقبالا متزايدا¹ ولا أدري كيف توصل أبعري إلى تلك الخلاصات القائلة أنّ مؤسسي التيار اليساري كانوا من الأصول الحضرية بينما من أسسوا الحركة الإسلامية الإرتيرية من أصول ريفية وإنّ الناظر في قيادة التيارين يجدها خليطاً من أبناء الحضر والريف ولم يكن بينهما اختلاف من ناحية الأصول

¹ أبعري، مصدر سابق، ص 49-50

الاجتماعية. وعلى أية حال فإنّ العناصر الإسلامية والقومية العربية أصبحت تشعر بصعوبة التعايش مع هذا الوضع ومن ثمّ بدأت هذه العناصر تفكر في تأسيس كيان سري داخل جبهة التحرير الإرترية لمقاومة التيار اليساري الذي اعتبرته خطراً على الثقافة الإسلامية والعربية¹ ولمواجهة ما أسمتها بالتطورات الانحرافية داخل جبهة التحرير الإرترية عملت على تكتيل التيارات المعارضة لحزب العمل اليساري، وتكوين التجمع الوطني الديمقراطي الذي سيتم تناوله في المبحث الآتي.

الخلاصة

على الرغم من ندرة المصادر التي توثق بداية تغلغل فكر مدرسة الإخوان المسلمين في إرتريا، إلّا أنّ هذه الدراسة قد رصدت شخصيات إرترية انتظمت في تنظيم الإخوان المسلمين أثناء دراستها في مصر من العقد الخامس من القرن الماضي كسعيد حسين ومحمد إسماعيل عبده وآخرين، غير أنّ هذه الشخصيات عند رجوعها إلى إرتريا لم تؤسس عملاً إخوانياً منظماً بل انخرطت في الثورة الإرترية مع الآخرين، وحتى عندما استفحل الخلاف داخل جبهة التحرير الإرترية كان برنامجها إصلاح الوضع داخل جبهة التحرير الإرترية وإعادةّها إلى سيرتها الأولى قبل أن يسيطر عليها حزب العمل الثوري. وكان انتماءهم الفكري يعتبر انتماءً شخصياً ولم يكن تنظيمياً في تلك المراحل، مع أنّهم كانوا يعرفون بعضهم بصورة كبيرة وقد يتبادلون وجهات النظر.

¹ حديث تركي للباحث في المقابلة (2012-12-30 م)

المبحث الثاني

دور العناصر الإسلامية في التجمع الوطني الديمقراطي

بعد سيطرة حزب العمل الثوري على أجهزة جبهة التحرير الجزائرية بعد المؤتمر الثاني عام 1975 كما سبق الإشارة إليه في المبحث السابق والعمل بقاعدة الغالب والمغلوب، أصبحت العناصر الإسلامية والقومية العربية تشعر بصعوبة التعايش مع هذا الوضع و من ثمّ بدأت هذه العناصر تفكر في تأسيس كيان سري داخل جبهة التحرير الجزائرية لمقاومة حزب العمل الثوري داخل جبهة التحرير الجزائرية كما سبقت الإشارة إليها في المبحث السابق وعملت هذه العناصر على تكتيل الاتجاهات المعارضة لحزب العمل اليساري وتكوين التجمع الوطني الديمقراطي الذي تكوّن من تحالف العناصر الإسلامية برئاسة محمد إسماعيل عبده، والاتجاه المستقل برئاسة إبراهيم إدريس محمد آدم والاتجاه العروبي البعثي برئاسة جعفر علي أسد¹.

وبعد التكوين قامت قيادة التجمع الوطني الديمقراطي بالخطوات الآتية²:

- أ- كثف أعضاء التجمع من نشاطاته لعرقلة الأفكار اليسارية في داخل الجبهة كل في موقعه.
- ب- قام التجمع بإعداد تقرير شامل عن الساحة الجزائرية رصد فيه تصرفات حزب العمل الإقصائية وكان وراء ذلك هدفان: أولهما أن يكون هذا التقرير بمثابة موجه ودليل عمل لقيادة التجمع. وثانيهما كان لكشف وتعرية تصرفات اليسار المتطرفة أمام الشعب الجزائري وقواعد جبهة التحرير الجزائرية.

¹ حديث تركي للباحث في المقابلة (2012-12-30 م)

² المصدر السابق

ج- قامت قيادة التجمع بالاتصال ببعض الكوادر العسكرية الموثوق بها لتكون طرفاً في التغيير الداخلي الذي يسعى التجمع لإحداثه.

هـ- إصدار بيان موجه إلى كوادر وجماهير جبهة التحرير الإرترية لعكس فشل عناصر اليسار في حل الأزمات الداخلية وكشف ممارسات حزب العمل الإقصائية بقصد التعبئة.

وبما أنّ التيار العربي القومي خارج موضوع هذه الدراسة، فإنّ تركيز هذا البحث سيقصر على التيار الإسلامي. فعلى الرغم من تلك الجهود والخطوات التي قامت بها العناصر الإسلامية وحلفاؤها داخل جبهة التحرير الإرترية فإنّ أدائها كان ضعيفاً، ولم يصل لمستوى التحديات المتسارعة في الساحة الإرترية آنذاك، وذلك لعدة أسباب: منها تحرك تلك العناصر داخل جبهة التحرير الإرترية كان متأخراً حيث جاء بعد سيطرة حزب العمل الثوري على مجريات الثورة الإرترية. ومنها أن الاتجاه الإسلامي لم يكن مؤطراً تحت تنظيم وقيادة موحدة، ولذا ظهر هذا الاتجاه في تلك الفترة في عدة اتجاهات متفككة إزاء التغيير ومختلفة في شروطه هي:

- 1- اتجاه تبني تصحيح مسار جبهة التحرير الإرترية من الداخل بالتحالف مع العناصر القومية العربية وكان منهم محمد إسماعيل عبده وحامد صالح تركي وحامد حسين.
- 2- اتجاه ثانٍ قرّر مواجهة تيار اليسار المهيمن بقوة السلاح بقيادة سعيد حسين.
- 3- اتجاه ثالث نشط في النواحي الثقافية لمواجهة نشاطات الاتجاه اليساري من خلال إدخال المصاحف والكتب الإسلامية للمقاتلين وللشعب الإرترية المسلم في الداخل وكان على رأس هذا الاتجاه إبراهيم عمّار وإدريس حامد سعد الله وآخرون.
- 4- واتجاه رابع كان يقوم بالتجنيد والاستقطاب وسط الطلاب والعَمّال والتجار في الخارج في السودان والمنطقة العربية كما سيأتي بيانه.

ولم يكن ثمة تنسيق بين تلك الاتجاهات آنذاك¹. ومن هنا يمكن القول بأنه من بداية الثورة وحتى ذلك التاريخ لم يتبلور تيار إسلامي فكري منظم داخل جبهة التحرير الإرترية على الرغم أن القاعدة العريضة كانت فيها من المسلمين ذوي الميول العربية والإسلامية². ويُرجع محمد إسماعيل عبده -أحد القيادات البارزة للتيار الإسلامي في إرتريا في المقابلة البحثية التي أجراها معه عبد الوهاب الطيب بشير - تأخر ظهور التيار الإسلامي في إرتريا إلى عدة الأسباب:³

أولاً - النزعة السياسية الإرترية التي تميل إلى النضال الوطني المشترك بدلاً من الصبغة الأيديولوجية في مواجهة الاستعمار، ففي أربعينات القرن الماضي أثناء تقرير المصير حشدت الرابطة الإسلامية كافة المسلمين وتحالفت مع الوطنيين من المسيحيين الإرتريين لمواجهة خطر تيار الانضمام إلى إثيوبيا ومن يقف وراءه من القوي الإقليمية والدولية. وهذا النضال الموحد كان من أبرز عوامل القوة للكتلة الاستقلالية، كما أضحت تقليداً وحافزاً للنضال المشترك في مرحلة الكفاح المسلح والمراحل التي تلتها.

ثانياً - تأثر الثورة الإرترية بمبادئ داعميتها والتي كان يغلب عليها المبادئ الاشتراكية، وتمكن الاشتراكيون من سيطرتهم في الدول المجاورة لإرتريا اليمن الجنوبي، وإثيوبيا والسودان والصومال، وبرز اليسار بفرعيه الصيني والروسي في الثورة الإرترية. ومع سيطرة اليسار في دول الإقليم المجاورة لإرتريا وتحكم اليسار الإرتري في مفاصل الثورة الإرترية أصبح التيار الإسلامي الإرتري محاصراً وغريباً في تلك الديار.

¹ على محمد محمود " هو أول رئيس منتخب لقيادة الحركة الإسلامية الإرترية عام 1979 م و أحد العناصر القيادية في حركة الجهاد الإسلامي الإرتري 1988م ثم حركة الخلاص الإسلامية الإرترية 1996، ثم الحزب الإسلامي الإرتري 2004 والآن يشغل أمين الأمانة السياسية في الحزب الإسلامي الإرتري للعدالة والتنمية ". أجرى المقابلة البحثية معه الباحث عبر الوسائط الإلكترونية أسكاي بي بتاريخ 7-8-2014م وأجرى معه الباحث مقابلة ثانية في الخرطوم بتاريخ 10-15-2015 م

² الطيّب بشير، عبد الوهاب، مصدر سابق. ص 56

³ المصدر السابق ص 75-78 بشيء من التصرف

ثالثاً- عدم استقرار المناطق ذات الثقل الإسلامي في إرتريا بسبب اندلاع الثورة المسلحة فيها والتي تسببت في اضطراب البنية الاجتماعية الآمنة وأنماط الحياة المعيشية الاقتصادية من فلاحية ورعي وتجارة، وأنماط الحياة النفسية المستقرة، وهذا الضعف بلا شك أدى إلى تدني الوعي الإسلامي وتبع ذلك عدم بروز قيادات إسلامية لها القدرة في توطيد الفكر الإسلامي وإنتاج خطاب إسلامي متزن يتناسب مع الواقع الإرتري ويتحدى بصورة قوية الأفكار الأخرى الوافدة.

رابعاً- طبيعة النظام الاستعماري الإثيوبي الذي كان يحارب كل شئ يمت بصلة إلى الإسلام والمسلمين في إرتريا على وجه الخصوص وفي إثيوبيا على وجه العموم.

خامساً- قلة اهتمام المسلمين والحركات الإسلامية في العالم بأمر المسلمين في إرتريا وبمسلمي الحبشة بشكل عام.

سادساً - ومن الأسباب المباشرة في تأخر ظهور التيار الإسلامي في إرتريا كان جل اهتمام عناصر التيار الإسلامي كغيرهم منصبا على دحر الاستعمار الإثيوبي وتحقيق الاستقلال لإرتريا، وكانت تعمل هذه العناصر متوزعة داخل التشكيلات العامة لجبهة التحرير الإرترية التي كانت تضم جميع أفراد الثورة بمختلف توجهاتهم السياسية والفكرية دون أن يكون فيها لأيّ طرف كيان يخصصه.

كل هذه العوامل وغيرها مجتمعة أدت إلى تأخر بروز التيار الإسلامي السياسي في إرتريا دون أن يعني ذلك عدم وجود عناصر إسلامية في داخل جبهة التحرير الإرترية وأخرى موالية أو متعاطفة معها، ولذا كانت هذه العناصر في صراع خفي مع اتجاه اليسار إلى أن تحول هذا الصراع إلى صدام علني.

تحول الصراع الخفي إلى الصدام العلني

ظهرت الصراعات الفكرية في داخل جبهة التحرير الإرترية بين التيار اليسارى بمختلف مدراس من جهة والتيار الإسلامى والقومى العربى والوطنى العام الذى لا انتماء له في تلك التيارات من جهة أخرى. وحصل تحالف بين العناصر الإسلامية والقومية العربية والوطنية تحت مظلة التجمع الوطنى الديمقراطى الإرترى، للتصدى للتيار اليسارى وتصحيح مسار جبهة التحرير الإرترية من الداخل كما سبق الإشارة إليه. إلا أنّ أحد أجنحة التيار الإسلامى بقيادة سعيد حسين رأى غير ذلك وتبلور رأيه في أنّ تصحيح مسار الجبهة لن يتأتى إلاّ بحمل السلاح في وجه تيار اليسار المهيمن في مفاصل الجبهة، وبهذا انقسمت العناصر الإسلامية في داخل جبهة التحرير الإرترية بين من يرى التغيير من الداخل و من يرى الخروج عليها، وتصحيح مسارها من الخارج، وقد ذكر للباحث حامد صالح تركي وهو أحد العناصر التي كانت ترى التغيير من الداخل في هذا الشأن إذ يقول: "جلسنا أنا والأخ محمد إسماعيل عبده مع سعيد حسين أثناء خروجه من المعتقلات الإثيوبية التي قضى فيها 12 عاما وشرحنا له جميع التطورات التي شهدتها الساحة الإرترية أثناء غيابه ردحاً من الزمن في السجن، وأطلعناه على نشاطات التجمع الوطنى الديمقراطى الذى يسعى لإصلاح الجبهة من الداخل إلاّ أنّ سعيد حسين لم يقتنع بوجهة نظرنا، وقد نبهه محمد إسماعيل عبده إلى أنه قد لا يجد العون والمساعدة من المسلمين الذين يعرفهم بالمنطقة الشرقية وذلك بسبب ممارسات حزب العمل السلوكية والفكرية وسط المسلمين، و لذا لا ضمان لاستجابتهم له والوقوف معه، إلاّ أن سعيد حسين أصرّ في موقفه وعندها لم يكن عندنا ما نزوده به إلا ذلك التقرير الشامل الذى رصدت فيه انحرافات حزب العمل وهو بمثابة برنامج عمل سياسى للتجمع الوطنى الديمقراطى الإرترى"¹.

¹ حديث تركي للباحث في المقابلة (30-12-2012) مع شئ من التصرف

وبعد تلك اللقاءات التي أجراها سعيد حسين مع العناصر الإسلامية في الميدان ومثلها مع العناصر السياسية الإرترية في الخارج في السودان ودول الخليج العربي، وبعد أن أتمت له قوات التحرير الشعبية بقيادة عثمان صالح سبي ما يحتاجه من المؤمن والسلاح توجه إلى مناطق دنكاليا مع قوته المسلحة عن طريق اليمن "حيث كانت المرحلة الأولى من خطة المجموعة الإسلامية تتمثل في إيجاد قوة إسلامية مسلحة في المناطق البعيدة عن تأثير جبهة التحرير الإرترية بدنكاليا، ثم تنفيذ المرحلة الثانية المتمثلة في خروج كل القيادات والكوادر والجنود الإسلاميين من صفوف الجبهة، والالتحاق بالحركة الإسلامية المسلحة"¹ إلا أن تحركات هذه القوى كانت مرصودة منذ البداية من قبل استخبارات الجبهة. وما أن وصلت القوى الإسلامية إلى دنكاليا يوم 1978/5/19م تم تصفيتهم عسكرياً من قبل الجبهة بعد يومين فقط من تاريخ وصولها إلى منطقة عين بدنكاليا. وقد اغتالت أجهزة أمن الجبهة جميع أفراد هذه القوة بمن فيهم قائدها سعيد حسين بدم بارد وبطريقة مشينة². وتعتبر تصفية أجهزة جبهة التحرير الإرترية لمجموعة سعيد حسين عام 1978م في منطقة دنكاليا خسارة للحركة الإسلامية الإرترية-الاتجاه الإخواني لفقدانه كوادر عسكرية مقتدرة، وكان لتلك الحادثة آثار بعيدة المدى في مسيرتها العسكرية، وآية ذلك عندما أسست حركة الجهاد الإسلامي من إخوان وسلفيين بعد عشر سنوات من تلك الحادثة عام 1988م كما سيأتي بيان ذلك لاحقاً لم تجد كوادر عسكرية مقتدرة بذلك المستوى لتفقد العمل المسلح. فضلاً عن ذلك فإن تلك الحادثة لم تكن فقط عاملاً إضافياً خطراً في سلسلة التشرذمات في البنية التنظيمية لجبهة التحرير الإرترية، بل تسببت في تخلخل بنية المجتمع بكل كياناته الفكرية والسياسية والاجتماعية ومازالت آثارها وانعكاساتها حاضرة على مستوى بعض القطاعات الاجتماعية في إرتريا إلى يومنا هذا. وبعد فترة وجيزة من تعرض مجموعة سعيد حسين للتصفية الجسدية تعرض الاتجاه الذي كان يسعى للتغيير من الداخل أيضاً للاعتقالات والتعذيب.

¹ إيلوس، إرتريا ومشكلة الوحدة الوطنية. مصدر سابق ص 262

² حديث تركي للباحث في المقابلة (30-12-2012م)

تعرض تيار التصحيح من الداخل للاعتقالات والتعذيب

بعد حادثة دنكاليا في عام 1978م والتي تعرضت فيها مجموعة سعيد حسين للتصفية تتابعت الاعتقالات، فقد تعرض التيار الذي كان يسعى للتغيير من الداخل أيضاً للاعتقالات والتعذيب "وبذلك قضت عناصر جبهة التحرير الإرترية علي هذه الحركة في مهدها، كما تحصلت على الوثائق الدالة على قائمة العناصر الإسلامية في صفوف الجبهة وفي مقدمتهم عضو المجلس الثوري محمد إسماعيل عبده، وعضو المحكمة العليا في الجبهة حامد صالح تركي، وغيرهما من العناصر الإسلامية والقومية العربية بمن فيهم جعفر علي أسد وإبراهيم إدريس محمد آدم وعثمان إزاز وسليمان موسى حاج ومحمد حامد عشكراي وبشير عبد القادر، والذين زجت بهم الجبهة في سجونها العسكرية في الميدان".¹

وقد ذكر للباحث عضو محكمة العليا في جبهة التحرير الإرترية آنذاك حامد صالح تركي حيثيات اعتقالهم ومحاكمتهم حيث قال: "إنّ أمر اعتقالنا صدر ونحن نفصل في قضايا الخلافات في المرتفعات الإرترية فأرسلت قيادة الجبهة مجموعة لاعتقالنا، فتخالفنا في الطريق وعند وصولنا إلى مدينة تسني في طريقنا إلى كسلا سمعنا بخبر اعتقالنا عن شخص نعرفه إلا إنّنا أي أنا ومحمد إسماعيل عبده واصلنا طريقنا إلى كسلا. وبعد فترة وجيزة من وصولنا إلى مدينة كسلا السودانية، وصلت إلينا رسالة تطلب منا الرجوع فوراً إلى مناطق عملنا لأنّ هناك مستجدات جديدة تحتاج إلى الفصل فيها قبل موسم الأمطار. وعرفنا منذ البداية أن هذه الرسالة لم تكن بريئة، لكن قرّرنا مواجهة الأمر الواقع بدل الهروب منه، واتجهنا إلى الساحة فاعتقلنا في منطقة بركة، وبعدها أخذونا إلى سراي في المرتفعات الإرترية وحققوا معنا بقسوة، وتعرضنا لأبشع التعذيب من قبل الأجهزة الأمنية للجبهة وكانت الأدلة التي استخدمت ضدنا:

أ- التقارير الأمنية التي كانت ترصد تحركاتنا.

¹ إيلوس، إرتريا ومشكلة الوحدة الوطنية، مصدر سابق، ص 263

ب - الوثيقة التي وجدت مع سعيد حسين ورفاقه وهي عبارة عن برنامج عمل سياسي .

ج - انتزاع الاعترافات تحت التعذيب الشديد.

د - لقاءنا بإدريس محمد آدم في مدينة كسلا قبل رجوعنا إلى الميدان.

هـ - ومن الأشياء التي استخدمت ضدي حضور مؤتمر إسلامي في بغداد عندما كنت في مكتب

الجهة في العراق ومساعدة إدريس حامد سعد الله في مسألة المصاحف التي كانت محتجزة

منه.

و - مما أخذ على محمد إسماعيل عبده الصلاة بالجماعة في منطقة فورتو وغيرها أمور كثيرة¹

ويتابع تركي بقوله اختلفت أجهزة الجهة في أمرنا فمنهم من قال بالإعدام ومنهم من قال بالسجن

وأخيراً استقر أمرهم في الرأي الثاني هو السجن فحكم علينا بمدد متفاوت بين عشر وخمسة عشر عاماً.²

ولعل مرد ذلك أنّ جهة التحرير الإرترية كانت في حالة تفهقر عسكري أمام تقدم الجهة الشعبية

لتحرير إرتريا، وخافت الجهة من تطبيق حكم الإعدام بالألّا يعرضها لأزمات داخلية حيث كان في العناصر

المسجونة قيادات في المجلس وكوادر متقدمة في الأجهزة العسكرية والقضائية كما سبق الإشارة إليها، ومن

مختلف المناطق الإرترية مما قد يعرض الجهة لأزمة داخلية وإلى فقدان السند الشعبي لها. وكانت الجهة قد

وصفت مجموعة سعيد حسين التي صفتها في منطقة دنكاليا بمجموعة قبلية حتى تبرر موقفها.

وعلى أية حال ظلت عناصر التيار الإسلامي وعناصر تيار القومية العربية قابضة في سجون الجهة في

الميدان حتى انهارت جهة التحرير الإرترية في الحرب الأهلية الشاملة أمام الجهة الشعبية لتحرير إرتريا،

وتركت الساحة الإرترية مجبرة ودخلت إلى الأراضي السودانية وأطلق سراح تلك القيادات 1981م.

ويصف حامد صالح تركي في مقابله مع الباحث الأحداث التي سبقت خروجهم من السجن فقال: "إنّ

¹ حديث تركي للباحث في المقابلة (30- 2012- 12 م)

² حديث تركي للباحث في المقابلة (30- 2012- 12 م)

مجموعة من الفالول -أي الجناح اليمني من اليسار- كانت مسجونة معنا، وكانوا قد تمكنوا من اختراق الجهاز الصحي المصاحب لنا عبر أصدقائهم فدبروا لهم خطة لإخراجهم من المعتقل. فوزع الكادر الصحي عقاقير دوائية على الجميع بحجة الوقاية من الملاريا إلا أن الدواء كان مخدراً ومنوماً، فنام الجميع ما عدا المجموعة التي خطط لإخراجها من السجن. فهرب جميع أعضاء مجموعة الفالول من السجن ومن تعاون معهم إلى السودان. ولم يبق في السجن إلا العناصر الإسلامية والقومية العربية، مما وضع قيادة جبهة التحرير الإرترية في حرج إضافة إلى ذلك كانت الجبهة في حالة انسحاب وهزائم، وكان السجناء عبئاً عليها. ولذلك قررت قيادة الجبهة الإفراج عنا وخيرتنا بين مواصلة نضالنا في صفوفها أو أن نذهب حيث نريد"¹.

ويتابع حامد صالح تركي قائلاً: "فاخترنا أنا ومحمد إسماعيل عبده الخيار الأخير، وكنا قد ناقشنا وقررنا قبل خروجنا من السجن إنشاء تيار إسلامي يقوم على أسس تنظيمية، ورؤية سياسية واضحة، وأعدنا البيان التأسيسي لذلك، وحفظناه عن ظهر قلب، لأن أدوات الكتابة كانت ممنوعة في السجن. وعند خروجنا من السجن كان بيان (الإسلام الخير والسلام) جاهزاً. وبعد الاتفاق مع الإخوة في الحركة الإسلامية تمّ إعلان هذا البيان بمناسبة تأسيس حركة الرواد المسلمين الإرترية في عام 1981م بالسودان"².

الخلاصة

يمكن استنتاج الأمور الآتية من محاولات العناصر الإسلامية في صراعها في داخل جبهة التحرير الإرترية: أولاً: إنّ الالفت للنظر هو تواضع الكسب الذي حققته عناصر الاتجاه الإسلامي، وقلة عدد عناصرها في داخل جبهة التحرير الإرترية لذلك لم يصل إلينا أخبارهم ما عدا أسماء قليلة كسعيد حسين ومحمد

¹ حديث تركي للباحث في المقابلة (30-12-2012 م)

² حديث تركي للباحث في المقابلة (30-12-2012 م)

إسماعيل عبده وحامد صالح تركي وحامد حسين أو التشكيلات القليلة التي ميّزت صفوفها من الجهاز الجماهيري للجبهة في مدينة كسلا في تلك الفترة.

ثانياً: كان همّ العناصر الإسلامية داخل جبهة التحرير الإرترية منصّباً على محاربة حزب العمل الثوري ولذا لم يرصد في خطابها أي مفاهيم تدل على أنّها حركة أو تنظيم إسلامي.

ثالثاً: يؤخذ عليها أنّها لم تول الاهتمام لتأصيل مشروعها في داخل الثورة الإرترية منذ وقت مبكر، بخلاف الاتجاهات الأخرى بل إنّها تحركت متأخرة بعد سيطرة حزب العمل الثوري على مجريات الأحداث في الساحة، وبعد أن تأثر الكثير بأفكار الاتجاه المهيمن على الثورة وهجر البعض الآخر للثورة رافضين الشيوعية من منظور ديني أو فلسفي أو تم إقصاء البعض من قبل حزب العمل، وما بقي منها تعرض للاغتيال والاعتقال وهكذا استطاعت الجبهة أن تقضي على هذه الحركة في داخل الجبهة في مهدها.

رابعاً: سبق أن تمت الإشارة إلى ظهور الحركة الإسلامية في اتجاهات أربع، ويظهر من خلال الرصد أنّ الاتجاهات الثلاثة كان برنامجها إصلاح وضع جبهة التحرير الإرترية، بعكس الاتجاه الرابع الذي بدأ يعمل كتنظيم إسلامي ينشط وسط الإرتريين ولكن كان ينقصه القيادات التاريخية كما سيأتي تناوله في المبحث الآتي.

المبحث الثالث:

بداية العمل المنظم للإخوان المسلمين في إرتريا

بينما كانت العناصر الإخوانية وحلفاؤها من الاتجاه القومي العربي تمر بظروف صعبة، من تصفية وتعذيب في سجون جبهة التحرير الإرترية في الميدان، كانت هنالك حركة إسلامية تنتمي لنفس المدرسة تنمو نمواً طبيعياً في مسار آخر، بعيدة عن تلك التجاذبات السياسية داخل جبهة التحرير الإرترية وكان قوام أعضائها من الدارسين في المؤسسات التعليمية في السودان ومصر والسعودية والدول العربية الأخرى ومن العمال والتجار المقيمين في تلك البلدان. وبسبب هذا النمو الطبيعي الهادئ والمستوى التعليمي الذي كان يتمتع به أفرادها، استطاعت من تطوير رصيد تنظيمي من التجارب الذاتية، إلى جانب الاستفادة من تجارب الآخرين وخاصة من مدرسة الإخوان المسلمين. وكان قد نشأت نواة هذه الحركة في السودان في نهاية 1973م نتيجة لجهود أفراد من الطلاب الإرتريين الدارسين في مصر والسودان، وكان منهم محمد على محمود الذي كان يدرس في كلية الشريعة والقانون في جامعة الأزهر وعثمان إدريس عنجوت وآخرين من معهد أم درمان العلمي في الخرطوم، وكان اسمها الحركة الإسلامية الإرترية¹.

يقول أحد الطلاب الذين أسسوا العمل الإسلامي في تلك الفترة "عندما كنت طالباً في الأزهر الشريف كان يسكن بجواري طالب يمني، وكنا نناقش أحوال الإسلام والمسلمين في العالم وقد أعجبت بأفكاره وصادقته، وكنت آنذاك مغرمًا بالقراءة، فأصبح يعطيني كتب الإخوان ككتب سيد قطب وآخرين لقراءتها، وبعدها اقتنعت بفكر الإخوان، وفكرت في تأسيس عمل إسلامي إرتري يقوم على فكر الإخوان

¹ إدريس على نور محمد (أبو آمنة الدولي)، "أحد العناصر القيادية في الحركة الإسلامية الإرترية ثم حركة الجهاد الإرتري ثم في الحزب الإسلامي الإرتري للعدالة والتنمية" أجرى المقابلة معه الباحث بفندق مروي الخرطوم (2012/12/29م).

المسلمين وتوجهت إلى السودان لتأسيس هذا العمل هناك وأسست أنا وبعض الإخوة الإرتريين المؤطرين ضمن العمل السوداني أسرة، وكان منهم عثمان عنجوت وإبراهيم مبيتوت وآخرون. وبعدها عدت إلى القاهرة لإكمال دراستي، وعندما عدت مرة أخرى إلى السودان وجدت العمل أكثر استقراراً وانتشاراً¹.

ويذكر إدريس على نور وهو أحد أوائل الطلاب الذين انضموا إلى الحركة الإسلامية وعاصر تطورها - كيف بدأ تأثره بفكر الإخوان المسلمين إذ يقول: "قد التحقت في بداية السبعينات بحلقات الجامع الكبير في أم درمان أثناء دراستي هناك أصبحت أسمع بفكر الإخوان وأرى عملياً قيادات إخوان السودان تقود المظاهرات ضد نظام النميري العسكري، وأسمع أخبار اعتقالهم والإفراج عنهم من السجون. ومن هنا بدأت أتاثر بهم بطريقة غير مباشرة. وكان هذا التأثير نابعاً عن كونهم يدعون للرجوع إلى تحكيم شرع الله في الأرض. وبدأت أحضر بعض مناشطهم العامة كالمحاضرات والندوات العامة، وأصبحت أنجذب إلى فكر الإخوان. وأنا في تلك الحالة دعاني الأخ صلاح حمد كمبالا من إخوان السودان للدخول في تنظيم الإخوان، وعن طريقه جندت في صفوف الحركة الإسلامية السودانية. وبعد فترة وجيزة أخبرني نفس الأخ بأن هناك عمالاً منظماً للإخوان الإرتريين وعرفني بعثمان إدريس عنجوت، وعند اللقاء عرفت من عنجوت عن العمل الإرتري المنظم، ومنذ ذلك التاريخ انضمت إليه وعرفت من الإخوة أن العمل كان قد بدأ قبلي بفترة وجيزة عندما قدم محمد علي محمود من مصر، وكان طالباً بجامعة الأزهر كلية الشريعة والقانون، والتقى ببعض الطلاب الإرتريين في أم درمان وتناقش معهم حول تأسيس عمل إسلامي إرتري منظم، ومن ثم كوّنوا أسرة وكان منهم عثمان إدريس عنجوت ومحمد أحمد بابكر وإبراهيم مبيتوت وآخرين².

وتجدر الإشارة هنا إلى أن بعض الإخوة الذين كوّنوا الأسرة الإرترية في أم درمان كانوا يعملون قبلها ضمن العمل الإسلامي السوداني. وعلى أية حال هكذا بدأ ميلاد الحركة الإسلامية الإرترية بثلة من

¹ حديث محمد على محمود في المقابلة مع الباحث (2013-1-11م)

² حديث إدريس على نور محمد في المقابلة مع الباحث (2012/12/29م).

الطلاب من ذوي الالتزام الديني. وانطلقت هذه المجموعة تعمل في صمت وبدأت اتصالاتها لاستقطاب العناصر للحركة الفتية، على أساس قيم الإسلام وتعاليمه والعمل في سبيله.

وفي عام 1975م استقبل معهد أم درمان العلمي بالخرطوم طلاباً جددًا من إرتريا، وكان عددهم 37 طالباً، وكان من هؤلاء الطلاب علي محمد محمود وصالح علي صالح وإدريس الشيخ حامد وصالح أحمد محمد عثمان وآخرون.

ومنذ وصول هذه المجموعة إلى معهد أم درمان العلمي لمح بعض أفراد الحركة سمات الاستعداد في بعض أفرادها لتقبل الفكرة والعمل في سبيلها، فبدأت تتقرب إليهم وتصادقهم وخاصة عثمان إدريس عنجوت وبالفعل استطاع عنجوت ومن معه من أفراد الحركة في تجنيد عدد منهم.

يقول إدريس الشيخ حامد أحد الطلاب الذين جند وقتئذ¹ "كنا قد قدمنا من داخل إرتريا والتحقنا بمعهد أم درمان العلمي وعند حضورنا مناشط اتحاد الطلاب الإرتريين ومناقشاته أحسنا في النقاشات باتجاهات مختلفة في الاتحاد، وبدأنا نتساءل عن هذه الاتجاهات. وكان عثمان إدريس عنجوت في الغالب هو الذي كنا نلجأ إليه لمعرفة تلك الاتجاهات لأنه كان أقدم منا في الخرطوم. وما لم نكن نعرفه هو أنه كان مجتهداً في إحدى تلك الاتجاهات وهو الاتجاه الإسلامي. وكان يجب إلينا اتجاهاً، وكان يتمتع بميزات قلّ ما توجد في الآخرين، فهو شخصية متواضعة محبوبة لدى الناس، يسهل عليه أن ينشئ صداقات مع الكثير وبدون صعوبة. وكان معه إدريس علي نور الذي كان يتميز بالمواجهة وبالتحدي للتيارات الأخرى أثناء المناقشات في الاتحادات وخاصة التيار الشيوعي الذي كان يهيمن على الساحة السياسية الإرترية آنذاك. أمّا عنجوت فكان بخلاف إدريس علي نور يميل إلى العلاقات الاجتماعية الهادئة مع الشباب. وفي صيف تلك السنة في الإجازة زارنا محمد علي محمود وبدأ يزكي لنا قراءة كتب مدرسة

¹ إدريس الشيخ حامد، أحد أوائل الطلاب الذين انتظموا في صفوف الحركة الإسلامية الإرترية في سبعينات القرن الماضي ، أجرى المقابلة البحثية معه الباحث في لندن (2013/2/25 م)

الإخوان وخاصة في ظلال القرآن لسيد قطب. وبعدها بأشهر يبدو أنّ عثمان عنجوت ناقش علي محمد محمود وصالح علي صالح وأقنعهم بفكرة العمل الإسلامي في إرتريا، وهم بدورهم أقنعوني وأقنعوا آخرين غيري، وانضمت إلى العمل معهم. وعندها بدا لي أنّ عثمان عنجوت كانت له علاقات مع شخصيات إسلامية سودانية، وبدأ يرتب لنا لقاءات معهم كالأستاذ بشرى وغيره على ما أذكر. وهذه الشخصيات بدورها كانت تتحدث وتمتدح فكر الإخوان وتدين الأذى الذي كان يتعرض له الإخوان في مصر وفي أماكن أخرى. وبحكم قراءتنا لكتب وأدبيات الإخوان، والصدقات التي كوّناها مع أفراد الحركة الإسلامية الإرترية، ولقاءاتنا بالشخصيات الإسلامية السودانية أصبحنا جزءاً من عمل الإخوان المسلمين¹.. انتهى.

ومهما يكن من أمر فإن الحركة الإسلامية قد كسبت من تلك المجموعة قيادة شابة فاعلة نذكر منهم على سبيل المثال لا الحصر علي محمد محمود وصالح علي صالح وآخرين، انطلقت بالعمل إلى الإمام وكثفت من اتصالاتها بالتجمعات الإرترية الشبابية والطلابية، وطوّرت من خطط التجنيد والاستقطاب لتيار الإخوان المسلمين في إرتريا. ونتيجة لتلك الجهود شهدت الحركة الإسلامية الإرترية في وقت وجيز تطوراً تنظيمياً ملحوظاً في أوساط الإرتريين في المدن السودانية المختلفة حتى أصبح لها في نهاية السبعينات فروع في كل من الخرطوم - التكنية - قلع النحل - القصارف - كسلا - بورتسودان وغيرها. وأما في السعودية فقد أصبح لها ثلاثة فروع في الرياض - جدة - المدينة المنورة، وفرع في كل من القاهرة والكويت وليبيا وفي بعض الدول العربية الأخرى².

وأصبحت لها علاقات تعاون مع الحركات الإسلامية بشكل عام وجناحي الحركة الإسلامية السودانية على وجه الخصوص، حتى إن قيادة الحركة الإسلامية الإرترية كانت تحضر مناشط وتنويرات وتعميمات الحركة الإسلامية السودانية، للاستفادة من تجاربها وخبراتها في المجالات التنظيمية والسياسية

¹ حديث إدريس الشيخ حامد للباحث في المقابلة (2013/2/25م)

² على محمد محمود في المقابلة مع الباحث (2014-8-7م)

والتربوية... إلخ. كما أنّ الحركة الإسلامية السودانية كانت تدمهم بكوادر مقتدرة لتدريب أفراد الحركة الإسلامية الإرتيرية في قضايا مختلفة¹.

وعلى أية حال فإن الحركة الإسلامية الإرتيرية ما إن وصلت عام 1979م إلا وقد حققت كسباً مقدراً في أوساط الإرتيريين وأصبح لها فروع كثيرة في السودان وفي الدول العربية الأخرى. وعقدت الحركة الإسلامية الإرتيرية في السودان مؤتمرها الأول عام 1979م لتنظيم عملها إلا أن فروعها في السعودية رفضت مخرجات هذا المؤتمر بحجة أنّهم لم يحضروا المؤتمر وكان عددهم كبير، وبعد لقاءات ونقاشات اتفق الجميع على أن يكون هذا المؤتمر مؤتمراً تمهيدياً، وأن تعقد الحركة المؤتمر الأول في العام المقبل أي عام 1980م. وبالفعل وحسب ما اتفق عليه عقدت الحركة مؤتمرها الأول في ذلك العام، مثلت فيه فروع الحركة في السودان وخارجه، كما حضر في هذا المؤتمر وفد يمثل إخوان السودان، منهم داوود بولاد وأمين حسن. وناقش المؤتمر خلال يومين كاملين الجوانب التنظيمية والسياسية والإدارية للحركة. وانتخبت في نهاية المؤتمر قيادة جديدة مباشرة لعمل الحركة كان على رأسها على محمد محمود.²

وأخذت أمور الحركة بعد المؤتمر تتجه إلى وضع أكثر تنظيمياً، وبدأت الحركة تتأصل بصورة واضحة في أوساط الفئات التي كانت تنفر من أفكار اليسار من منظور ديني وفلسفي من طلاب ومعلمين ومثقفين وتجار إلخ... وساعدت الحركة في ذلك منهج التدرج الذي سلكته في عملها بدءاً بمرحلة التعرف على الأشخاص الذين يؤمنون بأهمية العمل الجماعي، ثم مرحلة التأسيس، وبعدها الانتقال إلى مرحلة تنظيم العمل في شكل مؤسسي. وهذا كله أكسب الحركة تجارب ذاتية بجانب الاستفادة من تجارب الآخرين، كما مكّنها من صناعة مجموعة متجانسة فكرياً وسياسياً من خلال المحاضرات التربوية والمؤتمرات والندوات والفعاليات الأخرى التي كانت تقوم بها عبر تلك المراحل المختلفة، إضافة إلى أنّ أفراد الحركة

¹ على محمد محمود في المقابلة مع الباحث (2014-8-7م)

² حديث إدريس الشيخ حامد للباحث في المقابلة (2013/2/25م)

كانوا متقاربين في العمر والمستوى التعليمي، ولم يكن فيها شيوخ وزعامات سياسية يكون لها فضل القيادة كأغلب الحركات الإسلامية الأخرى في المنطقة، ولذا كانت القيادة فيها قيادة جماعية، والسمة البارزة فيها التجانس الفكري والسياسي والعمرى.

وإذا وجد بعض التمايز في صفوفها فإن المجموعات التي درست في الجامعات السعودية كانت أكثر ميلا إلى الجوانب الدعوية والتأصيلية بينما كانت المجموعات التي درست في السودان أكثر ميلا إلى العمل السياسي والتنظيمي بحكم تجاربها مع التيارات الفكرية المتصارعة في داخل الاتحادات الطلابية والعمالية الإرترية في الأراضي المحررة أو في البنية السودانية المفتوحة¹.

ومع تلك التطورات السياسية والتنظيمية التي شهدتها الحركة الإسلامية الإرترية في تلك المرحلة إلا أنّ مسيرتها لم تخلو من بعض السلبيات التي تمثلت في أنّ تركيزها كان على فئة محدودة من الصفوة المتعلمة من أساتذة وطلاب ومثقفين في الداخل والخارج ولم تكن حركة جماهيرية تضم في عضويتها جميع الفئات الإرترية المسلمة من رعوية، وفلاحية، وقيادات تقليدية اجتماعية الخ...، إضافة إلى أنّها كانت حركة مغتربة ترعرعت في الخارج وكانت تنقصها قيادات تاريخية وكانت تعاني من ضعف إعلامي لإيصال رسالتها لعامة الناس ولذلك لم تكن معروفة إلا في أوساط الطبقة المتعلمة.

انخراط العناصر الإسلامية التي خرجت من السجن في الحركة الإسلامية

بعد هزيمة جبهة التحرير الإرترية ودخولها إلى السودان عام 1981م عقب الحرب الأهلية الشاملة، أفرجت عن العناصر الإسلامية التي كانت قابعة في سجونها في الميدان، فجاءت هذه القيادات من السجن تحمل مشروعا لتأسيس كيان إسلامي مختلف عن كيان جبهة التحرير الإرترية يتسع لتحالفات العروبيين

¹ على محمد محمود في المقابلة البحثية مع الباحث (2014-8-7م)

والمستقلين إلا أنّها فوجئت بوجود عمل إسلامي منظم تمثله الحركة الإسلامية الإرترية والتي كانت تنشط في وسط الإرتريين في السودان وفي بعض الدول العربية الأخرى.

ولم تكن بينهما اتصالات سابقة على المستوى التنظيمي وذلك لظروف نشأة كليهما من سرية في العمل وغيره، ماعدا المعرفة الشخصية لبعض القيادات بعضهم لبعض.¹

لذا كانت الصورة ضبابية في معرفة بعضهم البعض وكان لدى كل واحد منهم مخاوف من الآخر. يقول في ذلك إيلوس "وكانت الجماعة الإسلامية تنظر إلى قيادات وقواعد الحركة الإسلامية باعتبارها مجرد مجموعة من الطلاب الإرتريين المتحمسين الذين لا خبرة لهم في العمل الإسلامي السياسي. بينما كانت عناصر الحركة الإسلامية الإرترية تتوجس من عناصر الجماعة الإسلامية خوفاً ألا يكونوا شيوعيين أو قوميين بعثيين يتخذون الشعارات الإسلامية وسيلة لمجرد استقطاب الجماهير"²، إذ يقول على محمد محمود أحد قيادات الحركة "منذ البداية كان تقييمنا لبعضهم أي للعناصر القادمة من الميدان أنّهم إسلاميون مثلنا بينما كان يرتابنا الشك في البعض منهم، غير أنّ هذه المخاوف والشكوك لم تكن في محلها كما ظهر لاحقاً"³. و بعد جولة من الحوارات الصريحة بينهما، ومناقشة جميع الرؤى والأفكار لم تكن هذه المخاوف وغيرها في محلها، فوجدت المجموعتان نفسيهما متفقتين في الفكر والمنطلقات المتمثلة في فكر الإخوان المسلمين وفي المشروع الإسلامي في إرتريا، ومنسجمتين في الأطروحات السياسية. وإذا وجدت بعض الخلافات بينهما فكانت في الأساليب والوسائل النضالية كالسرية والعلنية وفي مفاهيم الديمقراطية والتحالفات مع الآخرين⁴، وكانت العناصر الإسلامية المفرج عنها من السجن متقدمة في تلك الأمور بحكم تجاربها السياسية، واحتكاكاتها بمختلف التيارات الفكرية المتصارعة في داخل الثورة الإرترية أثناء

¹ على محمد محمود في المقابلة مع الباحث (2014-8-7م)

² إيلوس ، إرتريا ومشكلة الوحدة الوطنية ، مصدر سابق ، ص 380 - 381

³ على محمد محمود ، في المقابلة مع الباحث (2014-8-7م)

⁴ على محمد محمود ، في المقابلة مع الباحث (2014-8-7م)

عملها في أجهزة جبهة التحرير الإرترية العليا، بخلاف عناصر الحركة الإسلامية الشبائية التي لم يكن لها ذلك الاختلاط مع مختلف التوجهات السياسية والفكرية في الساحة الإرترية ما عدا تلك الحالات التدافعية القليلة في الاتحادات الطلابية، غير أن القواسم المشتركة بين المجموعتين كانت أقوى من نقاط الاختلاف التي تتمثل في صقل التجارب وفي الوسائل والأساليب.

وفي الوقت ذاته كانت هناك خصائص لكل طرف لم تكن للطرف الآخر. وبعبارة أخرى كانت هناك خصائص في كل طرف مكملية للطرف الآخر. فكانت العناصر الإسلامية القادمة من الجبهة متقدمة في فهمها لتركيبية الواقع الإرترى الدينية والثقافية والقومية المعقدة بحكم مكتسباتها السياسية وخبرة تعاملها مع الأطراف السياسية والاجتماعية في الساحة الإرترية أثناء عملها في أجهزة الجبهة العليا ثم في التحالفات مع الفصائل ذات التوجه العروبي و الإسلامي لتصحيح اعوجاج جبهة التحرير الإرترية من الداخل بينما كان للحركة الإسلامية الإرترية رصيد تنظيمي اكتسبته عبر مراحلها المختلفة وكانت قياداتها وقواعدها من فئة هامة في المجتمع الإرترى وهي فئة الشباب التي تتدفق بالحياة والفعالية وكان على رأسها قيادة مباشرة للعمل اكتسبت شرعيتها السياسية من المؤتمرات.

ومهما يكن من أمر فإن العناصر الإسلامية والحركة الإسلامية الإرترية قد اتفقت بعد تلك المناقشات والحوارات على تكوين كيان إسلامي موحد في إرتريا. كما توصل الطرفان إلى اتفاق بشأن إبقاء الحركة الإسلامية بهيكلها وقيادتها كياناً سرياً، وأن ينشعوا منظمة الرواد المسلمين الإرترية كواجهة سياسية معلنة بقيادة محمد إسماعيل عبده وحامد صالح تركي وهما من القيادات الإسلامية المفرج عنها من السجن.

الخلاصة

إنّ العناصر الإسلامية في داخل جبهة التحرير الإرترية قد دفعت ثمناً باهظاً لتعرض مجموعة سعيد حسين للتصفية الجسدية ولتعرض تيار الإصلاح من الداخل للسجن والتعذيب من قبل أجهزة الجبهة في الميدان،

إلا أنّ نمو الحركة الإسلامية الإرترية في مسار آخر في الخارج بعيدة عن تلك الصراعات والتجاذبات السياسية في داخل الثورة الإرترية قد عوض الاتجاه الإسلامي عن تلك الخسائر التي تكبدها في الداخل، وباتفاق بين القيادة القادمة من سجن الجبهة وقيادة الحركة الناشطة في الخارج لتكوين كيان موحد بينهما عام 1981م استطاعت الحركة أن تمتص تلك الخسائر وبسرعة توجهت للتعامل مع متطلبات المرحلة، وتبلورت على شكل كيان سياسي له واجهة عامة ممثلة في منظمة الرواد المسلمين الإرترية وهيكل سرية أخرى، لترتسم خارطة الصراعات السياسية في الساحة إلى تيارين أساسيين تيار اليسار بمختلف مدارسهم والتيار الإسلامي.

المبحث الرابع

منظمة الرواد المسلمين الإرترية

تأسست منظمة الرواد المسلمين الإرترية بناءً على الحوارات والمناقشات والاتفاقيات بين الطرفين والتي سبقت الإشارة إليها وأعلنت بياها السياسي الأول بتاريخ 1981/11/7م للشعب الإرتري¹ وحددت فيه منطلقاتها ورؤاها، وأعلنت فيه عن نفسها على أنّها منظمة جماهيرية مستقلة تهتم بالعمل الإسلامي السياسي في إرتريا، وتسعى لتمتين التآخي والتعاون بين المسلمين والمسيحيين على مبادئ الأديان السماوية السمحة. كما تعنى بترسيخ مبدأ الوحدة الوطنية بين كافة أبناء الشعب الإرتري، وأن يكون مبدأ المساواة بينهم على أساس الحقوق والواجبات للمواطنين، والابتعاد عن استغلال تباينات المجتمع الإرتري في العمل السياسي. كما دعت فيه فصائل الثورة الإرترية إلى الالتزام بمبدأ ممارسة الديمقراطية التي تضمن تعايش التيارات الفكرية والسياسية في إرتريا باعتبارها وسيلة لإيصال القضية الإرترية إلى مبتغائها النهائي وهو التحرير من الاستعمار أولاً وضمان التعايش السلمي في المجتمع الإرتري ثانياً. كما نددت بالعنف والاقتتال بين جبهة التحرير الإرترية والجبهة الشعبية لتحرير إرتريا ودعت إلى نبذ العنف بينهما. وأدانت التدخل العسكري للجبهة الشعبية لتحرير تحراي الإثيوبية لصالح طرف في الخلافات الإرترية.²

ويرى الناظر في هذا التحليل عمق قراءة القائمين عليه للواقع الإرتري السياسي المعقد وقتئذ

لمعرفتهم المسبقة به كما لخص ذلك أحد الباحثين في الفقرات الآتية:

¹ إيلوس ، إرتريا ومشكلة الوحدة الوطنية ، مصدر سابق ص 382

² المصدر السابق، ص 382 - 383

"وبالنظر إلى هذه المواقف مجتمعة يتضح لنا مدى إحاطة قادة منظمة الرواد المسلمين بالمشاكل التي كانت تعاني منها الساحة السياسية الإرترية وقتئذ. وفي الوقت ذاته قد أظهر هذا الطرح الحديث المنظمة في موقف ينجح للسلم مع كافة القوى الإرترية، مع إعطاء صراعها الفكري بعداً سياسياً يدور في فلك الحوارات الديمقراطية"¹

إن خطاب منظمة الرواد كان منسجماً مع خطاب الثورة الإرترية والمطالبة بدحر الاستعمار الإثيوبي، وإن كانت لم تحدد في بيانها الأول الوسائل النضالية لتحقيق ذلك. ولم تحمل المنظمة شعارات تمكين الدين الإسلامي في إرتريا كالتى كانت ترفعه الحركات الإسلامية في البلدان العربية. وكانت مدارات خطابها تدور حول التعايش السلمي بين مختلف عناصر المجتمع الإرتري، واحترام الأعراف ومعتقدات المجتمع الإرتري، ونبذ العنف والاقتيال بين الثوار، والتمسك بمبدأ الحوارات وممارسة الوسائل الديمقراطية لحل الخلافات. وكانت هذه كلها هموماً عامة تشاركهم فيها القوى الثورية في الساحة الإرترية آنذاك.

ومهما يكن من أمر، فإن الحركة الإسلامية الإرترية وواجهتها العلنية منظمة الرواد المسلمين الإرترية عقدت مؤتمرها الثاني بعد تلك الترتيبات بعام أي عام 1982م²، بكامل هيكلها السرية والعلنية في السودان الخرطوم، وأقرت في ميثاقها السياسي الانفتاح على الجماهير والاهتمام بقطاع الشباب والطلاب وربط خلاياها في المدن الإرترية المختلفة بعملها في السودان. وفي نهاية المؤتمر انتخبت قيادة جديدة على رأسها محمد على إدريس عافة ولم يكمل محمد علي إدريس عافة دورته بسبب سفره بظرف العمل إلى المملكة العربية السعودية، فخلفه في القيادة محمد عثمان صالح المعروف بأمير المؤمنين.³

¹ المصدر السابق، ص 383

² إدريس على نور ، في المقابلة مع الباحث (2012/12/29م)

³ إدريس على نور ، في المقابلة مع الباحث (2012/12/29م)

وبعد المؤتمر الثاني تغلغل أفرادها في المؤسسات الخيرية العاملة في الشأن الإرتري في المدن الشرقية في السودان كما تغلغل أفرادها أيضاً في اتحادات الطلاب والعمال التابعة لفصائل الثورة الإرترية المختلفة، كما نشط أفرادها في الدعوة الإسلامية وفي النشاط التعليمي في الداخل وفي معسكرات اللاجئين الإرتريين في شرق السودان¹

وتجدر الإشارة هنا إلى إنّ منظمة الرواد المسلمين الإرترية على الرغم من أنّها كانت تتبنى منهج الإخوان المسلمين إلّا أنّها لم تكن تابعة تنظيمياً لتنظيم الإخوان المسلمين العالمي، وإن كان التعاون في المجالات العامة كان قائماً مع الإخوان المسلمين بشكل عام وجناحي الحركة الإسلامية السودانية بشكل خاص، مع الاستقلالية التنظيمية للمنظمة. وهذا يتضح من منطلقاتها والتركيز الشديد على الواقع الإرتري، ويتبين ذلك بصورة جلية في بيانها الأول الذي سبق تناوله، وفي بيانها الذي أصدرته في سبتمبر عام 1984م تحت عنوان "هجوم الإسلام والمسلمين في إرتريا"² والذي بيّنت فيه أهدافها ومنطلقاتها على النحو الآتي:

1. "اعتماد مبدأ التثقيف والتربية الإسلامية للمسلمين.
2. اعتماد مبدأ المشاركة في النشاطات الوطنية المختلفة.
3. الاهتمام بمجالات التعليم النظامي الموجه في الوسط الاجتماعي الإرتري.
4. الاسهام والعمل على تحقيق الوحدة الوطنية بين فصائل الثورة الإرترية على اعتبار أنّ ذلك يعتبر خطوة أولى لتحقيق النصر على العدو الإثيوبي.
5. كشف التوجهات السياسية والحزبية والعقائدية والمطالبة بحرية النشاطات السياسية وعلنيّتها"³

¹ على محمد محمود ، في المقابلة مع الباحث (2014-8-7م)

² نقلاً من الرسالة العلمية صالح ، بيان "الدعوة الإسلامية في إرتريا ما بين 1950-1990" بحث غير منشور قدم لنيل درجة الماجستير، (جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية ، المملكة العربية السعودية، 1992). ص 241

³ نقلاً من المصدر السابق ص 241

وخلال تلك الفترة استطاعت الحركة الإسلامية الإترتية بكيانها السري والعلني أن تستقطب أعداداً مقدرة من داخل إترتيا، ومن معسكرات اللاجئين الإترتيين في شرق السودان والمدن السودانية الأخرى، ومن الطلاب الجامعيين في السودان والسعودية وفي الدول العربية الأخرى في صفوفها.

وكانت منظمة الرواد توصل رسالتها إلى الناس عبر إصداراتها مثل "نشرة الرائد المسلم" التي بدأت عام 1983م والتي لم تستمر، كما كان اتحاد الطلبة والشباب للمنظمة يصدر نشرة البشير، إضافة إلى اللقاءات الخاصة، وإصدار البيانات في المناسبات، وإجراء المقابلات مع المجلات الإسلامية في الخارج والمشاركة في الندوات والسمنارات وغيرها¹.

إنّ اهتمام الحركة منذ البداية بعنصر الطلاب قد بدأ أثره يظهر للعيان في الساحة وخاصة تلك العناصر التي كانت تعمل في الاتحادات الطلابية والعمالية في فصائل الثورة الإترتية، وكانت هذه العناصر تدخل دوماً في صراعات مع عناصر اليسار في تلك الاتحادات أثناء الاجتماعات والمناشط التنظيمية العامة في القيم الدينية وخاصة المرتبطة بالشعائر التعبديّة كرفع الجلسات لأداء الصلوات وبالذات صلاة المغرب والجمعة لارتباطهما بزمان قصير، ومثله في صيغة وقفه الحداد للشهداء، ونظرية داروين للتطور التاريخي للإنسان في الدورات التثقيفية التي كانت تعقد².

ومع مرور الزمن استطاعت العناصر الإسلامية في هذه الاتحادات أن تتقلد فيها المناصب القيادية الأمر الذي أدى لتغيير سلوك العناصر اليسارية في الاتحادات في تلك الأمور، وأصبحت هذه الأمور حقوقاً مكفولة على المستوى اللائحي لمن يريد أن يمارسها بخلاف ما كان عليه الأمر سابقاً الأمر الذي له

¹ المصدر السابق

² عثمان محمد نور، أحد القيادات الشابة في الحركة الإسلامية الإترتية ثم في حركة الجهاد الإسلامي الإترتي ثم حركة الخلاص الإسلامي الإترتي ثم الحزب الإسلامي الإترتي للعدالة والتنمية. أجرى المقابلة البحثية معه الباحث في الخرطوم (2012-12-29م)

دلالات واضحة ألا وهي، أن العناصر الإسلامية رغم قتلها داخل تلك الكيانات استطاعت أن تشكل رأياً عاماً بالتأثير على الآخرين من ناحية وبالحد من تأثير اليسار من ناحية أخرى.¹

وعلى الرغم من أن كل هذه النشاطات للحركة الإسلامية الإرترية في السودان تحت مظلة الرواد المسلمين الإرترية إلا إنها لم تكن معروفة لدى الجهات الأمنية السودانية حتى عام 1984م، عندما كانت تعد منظمة الرواد المسلمين لمؤتمرها الرابع. وأثر معرفة المخابرات السودانية بنشاطها في داخل السودان على أدائها حيث تعرضت المنظمة لمضايقات أمنية مما جعلها تؤجل مؤتمرها لعام كامل.²

وفي عام 1985م عقدت مؤتمرها الرابع في مدينة بورتسودان السودانية.³ وقد نوقشت في هذا المؤتمر التطورات التنظيمية والسياسية التي شهدتها الحركة في تلك الفترة، كما ناقش المؤتمر كيفية تطوير ميثاق سياسي يتناسب مع تلك التطورات السياسية والتنظيمية التي تحققت، ولمواجهة التحديات التي كانت تواجه العمل الإسلامي في الساحة الإرترية، كما "تميز هذا المؤتمر بوضع الأسس والبرامج العملية لتوحيد المنظمات الإسلامية في الساحة الإرترية، مع وضع الشروط المتعينة لاستمرارية الوحدة وتجنب تكرار تجارب المنظمات الإسلامية التي فشلت في اتفاقاتها الوحدوية المتعددة"⁴. وفي نهاية المؤتمر انتخبت قيادة جديدة على رأسها ضياء الدين عبد الرحمن⁵ وواصلت في تحقيق كسب مقدر في أوساط الطلاب في الشرق الأوسط والفئات المتعلمة الأخرى كما اهتمت بتأصيل الأسس التنظيمية والإدارية. ثم في عام 1987م عقدت الحركة الإسلامية الإرترية مؤتمرها الخامس واختير محمد إسماعيل عبده على رأس قيادتها، وأقرت في هذا المؤتمر مواصلة الحوارات مع الجبهة الإسلامية الإرترية للتوحد معها، كما قررت فيه إنشاء كيان خاص

¹ عثمان محمد نور في المقابلة مع الباحث (2012-12-29م)

² حديث على محمد محمود للباحث في المقابلة (2014-8-7م)

³ حديث إدريس على نور للباحث في المقابلة (2012/12/29م)

⁴ إيلوس ، إرتريا ومشكلة الوحدة الوطنية ، مصدر سابق. ص 386

⁵ حديث إدريس على نور للباحث في المقابلة (2012/12/29م)

للطلاب والذي أسس لاحقاً في فبراير 1987م تحت مسمى الاتحاد الإسلامي للطلاب والشباب الإترتي¹.

وبالنظر في تاريخ الحركة الإسلامية الإترتية في مرحلتها الأولى وخاصة في الفترة ما بين 1980-1988م يمكن استنتاج الأمور الآتية:

أولاً: ضعف جبهة التحرير الإترتية بعد استفحال الخلافات والانشقاقات فيها في عقدها الثاني وخروجها النهائي من الميدان عام 1981م بفعل الجبهة الشعبية لتحرير إرتريا وحليفاتها الجبهة الشعبية لتحرير تقراي الإثيوبية، ونتيجة لذلك بدأ العد التنازلي لتنامي جماهير اليسار في أوساط الإترتيين المسلمين وخاصة الطلاب في منطقة الشرق الأوسط، الأمر الذي جعل الساحة مفتوحة أمام الحركة الإسلامية لاستقطاب أعضاء جدد في صفوفها ولم يمض وقت حتى ظهرت الحركة الإسلامية الإترتية وواجهتها المعلنة منظمة الرواد المسلمين تتأصل في أوساط الطلاب وتحقق مكاسب مقدرة في أوساط الفئات المتعلمة الأخرى التي كانت تنفر من الأطروحات اليسارية من منطلق ديني أو فلسفي.

ثانياً: بروز الجبهة الشعبية لتحرير إرتريا كقوة عسكرية في الساحة بعد انخيار جبهة التحرير الإترتية عام 1981م ومواقفها السلبية من بعض قضايا المسلمين وخاصة قضايا التجنيد الإجباري للبنات الذي يتنافى مع الموروث الديني والاجتماعي للمجتمع المسلم في إرتريا، الأمر الذي أدى إلى تقبل المجتمع المسلم لأي بديل آخر يواجه هذه الظاهرة.

¹ البيان الختامي للمؤتمر الأول للاتحاد الإسلامي للطلاب والشباب الإترتي ، 19 فبراير 1987م. و حديث إدريس على نور للباحث في المقابلة (2012/12/29م)

ثالثاً: إيجاد واجهة سياسية معلنة وعلى رأسها شخصيات متمرسة في العمل السياسي مع طرحها السياسي المرن، ساعدها للتواصل مع الآخرين وطرح الفكرة عليهم مباشرة أو عبر أديباتها على قلتها.

رابعاً: سيطرة الكوادر الطلابية للحركة الإسلامية على قيادة الاتحادات الطلابية في السودان بغض النظر عن تنظيماتها السياسية وبشكل جزئي في ليبيا ومصر¹.

خامساً: إنشاء مؤسسات تعليمية جديدة أو تطوير ما كان قائماً منها من قبل الجيل الأول من الحركة الإسلامية الإرترية في الداخل وفي معسكرات اللاجئين في السودان، مثل معهد النهضة الإسلامي في ودالحليو ثم بخشم القرية والمعهد الإسلامي في أم سقطة والتكافل في ودالحليو ودار تحفيظ القرآن ببورتسودان وغيرها. وهذه المؤسسات حققت للحركة أكثر من هدف: تعليمي، تربوي، دعوي وأوجدت وظائف للكادر. وأصبحت رافداً حيوياً وأساسياً لاستقطاب فئة مهمة من الشباب والطلاب من الجنسين للحركة الإسلامية². إضافة إلى وجود مؤسسات تعليمية إرترية ضخمة غير معادية للخط الإسلامي كجهاز التعليم الإرترية في السودان وغيره من المؤسسات والتي يعتقد بأنها لعبت دوراً حيوياً في رفق الحركة الإسلامية بكادر بشري.

سادساً: وجود لاجئين إرترين بأعداد كبيرة في معسكرات المهاجرين في شرق السودان، الأمر الذي سهل وصول عناصر الحركة الإسلامية إليهم والتأثير عليهم³.

سابعاً: تغلغل شخصيات من الحركة الإسلامية الإرترية إلى الهيئات الخيرية العاملة في الشأن الإرترية في الولايات الشرقية السودانية وتوجيهها لدعم المؤسسات التعليمية في الداخل وفي معسكرات

المهاجرين في شرق السودان.¹

¹ حديث على محمد محمود للباحث في المقابلة (2014-8-7 م)

² عثمان محمد نور في المقابلة مع الباحث في الخرطوم (2012-12-29 م)

³ عثمان محمد نور في المقابلة مع الباحث في الخرطوم (2012-12-29 م)

ثامناً: وضع الحركة الإسلامية السودانية القوي والفاعل والمؤثر في الساحة السودانية بعد اتفاق المصالحة مع حكومة نميري، مع وجود شيوخ وأفراد فيها من أصول القبائل المشتركة بين إرتريا والسودان في الولايات الشرقية أفاد الحركة الإسلامية الإرترية مادياً ومعنوياً.

تاسعاً: علاقات الحركة مع الإخوان المسلمين في العالم وتعاملها مع طرقي الحركة الإسلامية السودانية أفادها بتجارب تنظيمية وسياسية وتعليمية.

عاشراً: بروز الصحوة الإسلامية في العالم الإسلامي والعربي، فضلاً عن وصول الثورة الإيرانية إلى سدة الحكم وانتصارات المجاهدين في أفغانستان على الاتحاد السوفيتي، ووقوف المعسكر الغربي والعالم الإسلامي بأسره معها لمحاربة الشيوعية في أفغانستان ساهم في انتعاش الحركات الإسلامية في العالم بما فيها الإرترية.

حادي عشر: وجود مبدأ تداول السلطة في الحركة الإسلامية عبر مراحلها المختلفة، حيث عقدت الحركة خمسة مؤتمرات في خلال تسعة أعوام، وحيث تم تغيير القيادة فيها في كل مؤتمر.

ثاني عشر: اهتمام الحركة بالمشروعات التربوية والدعوية ساهم في تقوية الأواصر بين أفرادها، وقلص من الفروقات بينهم وأدى إلى التناغم والتجانس في رؤية الحركة، وهذه الأمور بحد ذاتها كانت جاذبة لبعض الأشخاص للانضمام إليها.

ثالث عشر: إنّ الحركة الإسلامية الإرترية وواجهتها منظمة الرواد المسلمين لم تتعرض إلى انشقاقات كالفصائل الإرترية الأخرى وكانت السمة البارزة فيها التجانس الفكري والسياسي، الأمر الذي يوحي بوجود هياكل تنظيمية وإدارية وآليات لإدارة الصراع في داخلها.

¹ إيلوس ، إرتريا ومشكلة الوحدة الوطنية ، مصدر سابق. ص 384

رابع عشر: إن الحركة الإسلامية الإرترية وواجهتها منظمة الرواد المسلمين بدأت منذ الوهلة الأولى في أوساط الطبقة المتعلمة من المدرسين والطلاب الأمر الذي جعل الحركة تتمتع بطبقة متوسطة من المجتمع الإرتري وبكادر متعلم يتميز بدراسة نظرية وعلمية للقضايا السياسية وللمفاهيم التنظيمية إلى حد ما، وهذه الأمور في حد ذاتها كانت ميزة جاذبة إليها من ناحية وسلبية من ناحية أخرى حيث أصبحت الحركة حركة صفوية ولم تكن حركة جماهيرية كما سيأتي بيان ذلك في فقرة مستقلة.

خامس عشر: إن تعرض العناصر الإسلامية في داخل جبهة التحرير الإرترية للاغتيالات والاعتقالات من قبل حزب العمل الثوري كان له تأثير كبير في تفكيرها النظري وأطروحاتها السياسية حتى بعد ضعف التيار اليساري في إرتريا حيث تجد أنّ أدبيات الحركة الإسلامية مثقلة بمعاداته.

سادس عشر: من المآخذ التي تؤخذ على الحركة الإسلامية الإرترية تركيزها على فئة محدودة من الصفوة المتعلمة من أساتذة وطلاب ومثقفين في الداخل والخارج ولم تكن حركة جماهيرية تضم في عضويتها جميع الفئات الإرترية المسلمة من رعوية وفلاحية وقيادات تقليدية اجتماعية الخ...، إضافة إلى أنّها كانت حركة مغتربة ترعرعت في الخارج وكانت تعاني من ضعف إعلامي لإيصال رسالتها لعامة الناس. لكل هذه الأمور أخفقت الحركة الإسلامية في أن تكون حركة جماهيرية، بل الأكثر من ذلك لم تكن معروفة إلا في أوساط الطبقة المتعلمة لدرجة أن جهاز الأمن السوداني التي تنشط الحركة الإسلامية الإرترية في أرضه لم يكن يعرف عنها شيئاً حتى عام 1984م.

الخلاصة

من مكاسب الحركة الإسلامية الإرترية وواجهتها منظمة الرواد المسلمين أنّها استطاعت أن تحقق كسباً مقدراً في أوساط الطلاب والعاملات والفئات المتعلمة الأخرى في الشرق الأوسط كما استطاعت تأصيل الأسس التنظيمية والإدارية، ومبدأ تداول السلطة حيث عقدت خمسة مؤتمرات خلال تسع سنوات وتمّ

تغيير القيادة في كل مؤتمر. ومن السلبيات التي صاحبت الحركة في تلك الفترة هي أنّها كانت حركة نخبوية ولم تستطع أن تضم في صفوفها جميع فئات المجتمع المسلم الإرتري، كما أنّ جُلّ نشاطها كان في خارج إرتريا وكانت تعاني من ضعف إعلامي لإيصال رسالتها إلى عامة الناس في إرتريا.

University of Malaya

المبحث الخامس

حوارات القوى الإسلامية من أجل التوحيد

لم تكن منظمة الرواد المسلمين الإرترية هي وحدها التي كانت تنشط في الساحة السياسية الإسلامية الإرترية في تلك الفترة، فكانت هنالك الجبهة الإسلامية لتحرير إرتريا وهي امتداد للمدرسة السلفية في إرتريا، وكانت تجري بين التنظيمين حوارات لفترة طويلة للتوحيد في كيان واحد. وقبل الخوض في الحوارات التي جرت بينهما فلا بد من معرفة ماهية التيار السلفي السياسي في إرتريا وفي مقدمته الجبهة الإسلامية لتحرير إرتريا التي كانت تتفاوض معها منظمة الرواد المسلمين التي سبق تناولها.

أولاً: الجبهة الإسلامية لتحرير إرتريا

الجبهة الإسلامية لتحرير إرتريا هي كيان سياسي أسسته عناصر الاتجاه السلفي في إرتريا. ويبدو أنّ فكرة تأسيس هذا التنظيم جاءت من عمر حاج إدريس الذي كان متفرغاً آنذاك لشؤونه الخاصة في المملكة العربية السعودية، بعد أن أبعدته جبهة التحرير الإرترية من جهازها الاقتصادي في منتصف السبعينيات من القرن الماضي بتهمة أنه من العناصر الإسلامية التي تعرقل تقدم حزب العمل اليساري في الساحة الإرترية¹. وبعد تفكك جبهة التحرير الإرترية المجلس الثوري، وإخلائه الساحة، ودخولها الأراضي السودانية عام 1981م، وانشطارها إلى عدة تنظيمات متصارعة. استأنف عمر حاج إدريس نشاطه السياسي وأعلن عام 1982م من المملكة العربية السعودية عن تأسيس تنظيم إسلامي يحمل اسم الجبهة الإسلامية الوطنية لتحرير إرتريا². وبعدها كثف من اتصالاته بالعناصر الإرترية المنضوية في جماعة أنصار السنة المحمدية في

¹ إيلوس ، إرتريا ومشكلة الوحدة الوطنية ، مصدر سابق. ص 388

² المصدر السابق. ص 388-389

كسلا بالسودان لحثهم على تبني هذا التيار. فاستجابت عناصر من جماعة أنصار المحمدية لهذه الفكرة، وبدأت تنشط لنشرها في أوساط الإرتريين. وعقد بهذا الخصوص لقاء تمهيدي بحضور 17 عضواً كلهم من جماعة أنصار السنة المحمدية، وقد أسفر هذا اللقاء عن تكوين لجنة مؤقتة تدير العمل برئاسة عبد الله آدم عيسى، ومحمد خير إدريس سكرتيراً، وآدم مجاوراي أميناً مالياً. ومن الأمور التي تم الاتفاق عليها في هذا اللقاء أيضاً تعديل الاسم من الجبهة الإسلامية الوطنية لتحرير إرتريا إلى الجبهة الإسلامية لتحرير إرتريا. وتم إبلاغ مؤسس الجبهة في السعودية بذلك والذي لم يكن من الحضور. وبالفعل صدر في 25-1-1983م بيان تصحيحي أسقطت منه عبارة الوطنية من اسم الجبهة¹.

وبدأت عناصر الجبهة الإسلامية لتحرير إرتريا تركز على توعية الجماهير الإرترية بالعمل السياسي الإسلامي في السودان وأماكن تجمعات الإرتريين في المهجر وكثفت من اتصالاتها بالتجمعات الطلابية والفئات الأخرى لبلورة أهداف تنظيم الجبهة الإسلامية لتحرير إرتريا ودعوة الناس للانخراط فيها، وتبني مبدأ الجهاد المسلح ضد الاستعمار الإثيوبي. ونتيجة لتلك الجهود التي قامت بها عناصر الجبهة الإسلامية لتحرير إرتريا استطاعت الجبهة الإسلامية أن تستقطب أعداداً مقدرة من الإرتريين في السودان وبخاصة من الطلاب الدارسين في المؤسسات التعليمية في السودان ودول الخليج العربي.

وفي 24-12-1985م عقدت الجبهة الإسلامية لتحرير إرتريا مؤتمرها الأول في السودان بحضور مؤسسها عمر حاج إدريس والذي أصدرت فيه بيانها السياسي الذي طرحت فيه البديل الإسلامي وصرحت في البيان أنّ هذا البديل جاء بعد فشل جميع مساعي الوحدة الوطنية والبدايل الأخرى في إرتريا².

¹ المصدر السابق ، ص 388-390

² المصدر السابق ، ص 390

والجدير بالذكر هنا أنّ الجبهة الإسلامية لتحرير إرتريا كانت تجد وقتئذٍ دعماً من الجهات السلفية بشكل عام ومن بعض قيادات جماعة أنصار السنة المحمدية في السودان من أمثال (الشيخ) محمد الحسن عبد القادر رئيس أنصار السنة المحمدية في كسلا، بحكم أنّ القائمين عليها ينتمون إلى تلك المدرسة، ولم يكن هذا الدعم بالإجماع في داخل جماعة أنصار السنة، وذلك لأنّ بعض قياداتها وكوادرها كانوا يرون أنّ الانشغال بالسياسة هو انحراف عن منهجها الدعوي، وانطلاقاً من هذا المبدأ عارضوا مشروع الجبهة الإسلامية لتحرير إرتريا¹.

وظلت الجبهة الإسلامية تراول نشاطها حتى دخلت في وحدة مع القوى الإسلامية في اغسطس عام 1988م كما سيأتي بيانه لاحقاً.

ثانياً: الاتحاد الإسلامي لطلبة إرتريا

ظهر كيان الاتحاد الإسلامي لطلبة إرتريا في الكويت في اغسطس 1985م، ونشط في العمل الطلابي النقابي كممثل للتيار السلفي، وحول أسباب نشأة الاتحاد الإسلامي لطلبة إرتريا يقول علي سليمان محمد وهو أحد المؤسسين للاتحاد: "جئنا إلى الكويت مبتعثين من قبل جبهة التحرير الإرترية ولم نستطع الانسجام مع اتحادها الطلابي والسبب في ذلك أننا جئنا من خلفيات مختلفة حيث أننا كنا ندرس معاهد أنصار السنة المحمدية وكنا نختلف في توجهاتنا عن التوجهات التي كانت مسيطرة في جبهة التحرير الإرترية وفي اتحاداتها ومن هنا جاءت فكرة إنشاء كيان يمثلنا"².

والسؤال الذي يتبادر إلى الذهن هو: كيف ترسل جبهة التحرير الإرترية وهي التي سيطر عليها حزب العمل الثوري طلاباً من معاهد إسلامية إلى المؤسسات الإسلامية؟ وهذا سؤال مهم: لأنّ حزب

¹ حديث جلال الدين محمد صالح في المقابلة مع الباحث في لندن (2012/10/29م)

² حديث علي سليمان محمد، أحد العناصر القيادية في الاتحاد الإسلامي لطلبة إرتريا ، ثم حركة الجهاد الإسلامي الإرتري ثم حركة الإصلاح الإسلامي الإرتري ، أجرى المقابلة البحثية معه الباحث في كسلا السودان (2012/12/15م)

العمل الثوري الذي سيطر في مفاصل جبهة التحرير الإرترية كان يخوض معارك ضارية مع الشخصيات المتدنية بشكل عام والإسلامية على وجه الخصوص، وكان يعتبر الأعراف الحميدة ومسائل الدين من أمور الرجعية والتخلف، فكيف يرسل طلاباً من معاهد دينية إلى مؤسسات إسلامية؟! ولعل الإجابة تكمن في تنافس فصائل الثورة الإرترية، وخاصة أنّ جبهة التحرير الإرترية كانت آنذاك في خلاف شديد مع الجناح المنشق منها بزعامة عثمان صالح سبي، وكان سبي موثقاً لدى الدوائر العربية وبخاصة الخليجية منها، فرأت جبهة التحرير الإرترية اغتنام الفرصة وقبول هذه المنح المقدمة إليها وأن ردها سوف يقوي الجناح الآخر حيث يمكن أن يغتنمها عثمان صالح سبي ويستفيد منها من ناحية، كما يثبت شيوعية جبهة التحرير الإرترية التي كانت متهمّة بها ومحاربتها للمفاهيم الدينية في إرتريا للجبهة المانحة من جهة أخرى.

ومن هنا بادرت كما يبدو للباحث بإرسال الطلاب لهذه المنح من معاهد أنصار السنة المحمدية ومن معاهد أخرى، إلى كل من قطر والكويت والسعودية. وكما يظهر لي فإن ابتعاث هؤلاء الطلاب غير المنسجمين مع أفكار التيار اليساري المهيمن في مسار اتحادات جبهة التحرير الإرترية آنذاك جاء ضمن هذه المعادلة. وعلى كل حال فإن الاتحاد الإسلامي لطلبة إرتريا نشأ في الكويت وأصبحت له فروع في السودان وفي السعودية، وفي الفترة ما بين 1985-1989م عقد مؤتمرين في السودان، وكان غالبية عضويته من خلفيات معاهد أنصار السنة المحمدية، لكنه كان منفتحاً على الجميع، وكان يلتقي مع القيادات الوطنية كعثمان صالح سبي، وعبد الله إدريس، ومحمد إسماعيل عبده وآخرين¹.

ومن الإنجازات التي حققها الاتحاد الإسلامي لطلبة إرتريا²:

أ- التوجه الإعلامي الواضح عبر نافذة مجلة الغراء.

¹ المصدر السابق

² حسن محمد سلمان أحد العناصر القيادية في الاتحاد الإسلامي لطلبة إرتريا ، ثم حركة الجهاد الإسلامي الإرتري ثم حركة الإصلاح الإسلامي الإرتري ثم رئيساً للمؤتمر الإسلامي الإرتري ، أجرى المقابلة البحثية معه الباحث في الخرطوم السودان (2012/12/12م) . وعلي سليمان محمد المقابلة مع الباحث (2012/12/15م)

ب- النشاط في العمل الإغاثي وخاصة أثناء تعرض مناطق المهاجرين الإرتريين في شرق السودان للمجاعة عام 1985م.

ج- دعم مالي للجهة الإسلامية لتحرير إرتريا.

د- محاولة لصناعة مجموعة متجانسة من خلال السمنارات، وإخراج التيار السلفي من الفهم التقليدي للسياسة إلى التعاطي الإيجابي مع الجانب السياسي.

هـ- اكتساب عضوية مراقب في الاتحاد الإسلامي العالمي للمنظمات الطلابية.

و- السعي لتأسيس عمل إسلامي في الساحة وأخذ بعض الخطوات للإعداد للعمل العسكري بإرسال بعض الشباب للتدريب في أفغانستان.

ز- وبعد انتفاضة 1988م اشترك الاتحاد مع الجميع في التعبئة العامة، ودفع بقوة لكي ينجح مؤتمر 1988م الذي انبثقت منه حركة الجهاد الإسلامي الإرتري.

وعلى العموم فإن من بعض السلبيات التي صاحبت مسيرة العمل السلفي السياسي كان تباعد قياداتها مكانياً، فكان مؤسس الجبهة الإسلامية عمر حاج إدريس يعيش في السعودية، بينما كانت قياداتها المباشرة للعمل التنظيمي في السودان، وكانت قيادات الاتحاد الإسلامي لطلبة إرتريا في دولة الكويت¹. وإنّ الجبهة الإسلامية لتحرير إرتريا لم تعقد طوال مسيرتها السبع سنوات إلا مؤتمراً واحداً، وكان ذلك بعد أربع سنوات من تأسيسها، الأمر الذي يدل على أنّها كانت تفتقد إلى بعض المعايير التنظيمية المساعدة لتقييم الأداء من عدمه².

وعلى الرغم من " أن الجبهة الإسلامية كانت قوّة إسلامية تتبنى مبدأ الجهاد الإسلامي المسلح مثلها مثل منظمة الرواد المسلمين الإرترية إلا أننا نجد أنّ منظمة الرواد المسلمين والجبهة الإسلامية لتحرير

¹ إيلوس ، إرتريا ومشكلة الوحدة الوطنية، مصدر سابق، ص 390-391

² المصدر السابق ، ص 390-391

إرتريا لم تتمكن من المشاركة في المواجهة العسكرية للاستعمار الإثيوبي، بل ظل نشاطهما منحصراً في توجيه المسلمين الإرتريين وتحريضهم على تبني الجهاد الإسلامي ضد الاستعمار الإثيوبي¹.

ثالثاً: حوارات منظمة الرواد المسلمين الإرترية والجهة الإسلامية لتحرير إرتريا

وأقصد هنا بالحوارات سلسلة اللقاءات والحوارات التي دارت بين الجهة الإسلامية لتحرير إرتريا ومنظمة الرواد المسلمين في الفترة ما بين 1982-1988م من أجل توحيد الفصيلين الإسلاميين في الساحة الإرترية، لمواجهة التحديات الداخلية المتمثلة في التيارات العلمانية، وفي مواجهة الاستعمار الإثيوبي الذي كان جاثماً في إرتريا.

ومن المعلوم أنّ منظمة الرواد المسلمين تأسست عام 1981م وبعد شهور من تأسيسها ظهرت الجهة الإسلامية لتحرير إرتريا في الساحة²، وكان ظهورها في وقت متقارب. وفي تلك الظروف الحالكة وبعد هزيمة جبهة التحرير الإرترية، وخروجها من الساحة، أثارت تخوفات لدى كثير من الناس من أن تتسبب هذه المجموعات في تمزيق ما تبقى في الساحة الإسلامية الإرترية الممزقة أصلاً بسبب الحرب الأهلية بين فصائل الثورة الإرترية حينئذ. ويبدو أن عناصر الفصيلين كان قد انتابهم أيضاً نفس الشعور، لذا بدأت اللقاءات بينهم على مستوى الأفراد ثم على مستوى اللقاءات الرسمية بين قيادات الفصيلين، للتغلب على تلك المخاوف وتهدئتها، وبعد جولة من الحوارات ومناقشة جميع الرؤى والأفكار وجدت المجموعتان نفسيهما تتفقان في المشروع الإسلامي في إرتريا، مع اختلافهما في الفكر والمنطلقات، لكونهما جاءتا من مدرستين مختلفتين، المتمثلتين في مدرسة الإخوان التي كانت تتبناها منظمة الرواد المسلمين، وفي المدرسة السلفية التي كانت تتبناها الجهة الإسلامية لتحرير إرتريا. وهذا التباين في المنطلقات الفكرية وعدم

¹ المصدر السابق ، ص 391

² المصدر السابق ، ص 388

الانسجام في بعض المفاهيم والأطروحات السياسية بين الفصيلين حال دون الوصول إلى رؤى مشتركة تمهد للوحدة الكاملة بينهما من خلال حواراتهم في المرحلة الأولى التي استغرقت عامين كاملين¹.

وفي سبتمبر عام 1985 تقدمت وساطة شخصيات إرترية لتقريب وجهات النظر بينهما، وقد حضر هذ اللقاء ثلاثة أعضاء من كل طرف، وبعد نقاشات مستفيضة اتفق الطرفان على أنّ الوحدة ضرورة دينية، ولتحقيق ذلك وضع الطرفان بعض الثوابت والشروط المتعينة لتحقيقها، ومن ثم تم اختيار اللجنة العليا للإشراف على تهيئة وتنفيذ برنامج الوحدة².

وعلى الرغم من أنّ اللجنة العليا قد بذلت جهوداً كبيرة إلا أنّها لم تستطع أن تخترق تلك الاختلافات المرجعية بين المدرستين، ولذلك لم تستطع تسوية الخلافات القائمة في جملة من المفاهيم السياسية، والوسائل والأساليب النضالية، الأمر الذي أدى مرة أخرى إلى عدم وصول الطرفين إلى الوحدة المنشودة. وبالرغم من أنّ حوارات الطرفين كانت تراوح مكانها بسبب التعصب الحزبي حتى وصلت أحيانا إلى حد الجمود إلا أنّ رغبة التوحيد بينهما كانت باقية في جميع المراحل، ويظهر ذلك من اللقاءات المتكررة بينهما، ومن طرح المبادرات ووضع التصورات المتعلقة بالوحدة الإسلامية في إرتريا، ومن أبرزها ورقة الوحدة الإسلامية التي قدمتها منظمة الرواد المسلمين في مؤتمرها التنظيمي الرابع في عام 1985م والتي حددت فيها التصورات، والرؤى، والهياكل المناسبة للكيان الموحد، كما حددت الخطوات العملية لتنفيذ الوحدة مع الجبهة الإسلامية لتحرير إرتريا على النحو التالي:

" 1 - عقد المؤتمر التأسيسي لتوحيد الطرفين، حيث يمثل الفصيلان فيه بأعضاء متساوين، كما يتم

فيه إجازة البرنامج السياسي الموحد، وتغيير الاسم إلى: (الجبهة الإسلامية الرائدة في إرتريا)

واختيار قيادة جديدة مشتركة للتنظيم الجديد.

¹ المصدر السابق ، ص 418

² البيان المشترك الصادر من الاجتماع بتاريخ 11-9-1985م

2- عقد المؤتمر الأول للتنظيم الإسلامي الموحد، حيث يتم فيه إختيار القيادة الجديدة عبر الانتخابات المباشرة مبنية على الكفاءات، والمؤهلات دون الالتفات إلى الانتماءات الحزبية القديمة"¹.

وظل الحال بين الفصيلين في دائرة اللقاءات وطرح المبادرات دون إحراز تقدم في تحقيق الوحدة المنشودة بينهما، إلى أن توسطت الجبهة الإسلامية القومية السودانية عام 1987م لمساعدة الطرفين لإتمام الوحدة بينهما، وبسبب جهود الوساطة السودانية توصل الطرفان في 24-2-1987م في مدينة كسلا إلى اتفاق وحدوي.

وقد تقرر في ذلك الاجتماع تكوين لجنة عليا لتقوم بمهام تعبئة قواعد التنظيمين والإعداد للمؤتمر التوحيدي بينهما في أقرب وقت ممكن². وبينما كانت أعمال هذه اللجنة تسير ببطء داهمتهم أحداث الانتفاضة الشعبية العفوية ضد الجبهة الشعبية لتحرير إرتريا لشروعها في التجنيد الإجباري للفتيات المسلمات والذي اعتبره المسلمون منافياً لدينهم ولموروثهم الاجتماعي، فحدثت عدة مواجهات مع منفذي التجنيد الإجباري من قوات الجبهة الشعبية لتحرير إرتريا في منطقة شعب ودنكاليا وبركة³.

وهذه الأحداث رفعت نسبة الكراهية للجبهة الشعبية وسط عامة المسلمين، وأصبحت المدن السودانية الحدودية التي تقطنها أعداد كبيرة من الإرتريين، ومعسكرات اللاجئين الإرتريين في شرق السودان تغلي بسبب تلك الأحداث، ولاستغلال تلك الأوضاع المتفجرة سياسياً تحرك خصوم الجبهة الشعبية لتحرير إرتريا وفي مقدمتهم عناصر الجبهة الإسلامية لتحرير إرتريا التي قادت الانتفاضة الشعبية في مدينة كسلا بطريقة نشطة وفعالة تحت مسمى (اللجنة الشعبية للدفاع عن المستضعفين الإرتريين) بقيادة آدم مجاوراي مسؤول الجبهة في السودان.

¹ إيلوس، إرتريا ومشكلة الوحدة الوطنية، مصدر السابق، ص 420

² المصدر السابق، ص 419

³ أبعري، مصدر سابق، ص 64. و إيلوس، إرتريا ومشكلة الوحدة الوطنية، مصدر سابق، ص 420-421

كما نشطت عناصر منظمة الرواد المسلمين في معسكرات اللاجئين للغرض نفسه تحت مسمى (لجنة الوفاق الإسلامي للمهاجرين الإرتريين) بقيادة عرفة أحمد محمد عضو منظمة الرواد المسلمين¹. وعلى أية حال، رأى الفصيلان استغلال تلك الانتفاضة واستيعابها على المستوى السياسي، وقد دعت اللجنة العليا المنبثقة من الفصيلين في ظرف أسابيع للمؤتمر التوحيدي في منطقة سمس بالسودان، حيث توحدت المجموعات الإسلامية وأصدرت بيانها الأول في 30 نوفمبر 1988م تحت اسم "حركة الجهاد الإسلامي الإرتري"². وسيأتي تناول حركة الجهاد الإسلامي بالتفصيل لاحقاً.

الخلاصة

صاحبت حوارات الطرفين ظاهرتان الأولى سلبية وهي على الرغم من اتفاق الطرفين في المشروع الإسلامي في إرتريا إلا أنّهما كانا مختلفين في المنطلقات الفكرية، وفي المفاهيم السياسية كونهما ينتميان إلى مدرستين مختلفتين المتمثلتين في مدرسة الإخوان المسلمين التي كانت تتبناها منظمة الرواد المسلمين والمدرسة السلفية التي كانت تتبناها الجبهة الإسلامية لتحرير إرتريا. وهذه الاختلافات في المنطلقات والمفاهيم السياسية أدت إلى عدم وصول الطرفين إلى الوحدة المنشودة بينهما. وأصبحت حواراتهما تراوح مكانها حتى وصلت أحياناً إلى حد الجمود. والظاهرة الثانية إيجابية وهي أنّ الرغبة في التوحد كانت باقية في جميع المراحل، ويظهر ذلك من اللقاءات المتعددة لبحث سبل التوحد بينهما، وطرح المبادرات ووضع التصورات المتعلقة بالوحدة الإسلامية في إرتريا حتى تكللت تلك المساعي عام 1988م بالوحدة بينهما وذلك استجابة للشارع الذي كان يغلي بسبب أحداث دنكاليا وبركة كما سيأتي تناول ذلك في المبحث القادم.

¹ عرفة أحمد محمد "أمير حركة الجهاد الإسلامي الإرتري السابق" أجرى المقابلة البحثية معه الباحث في الخرطوم السودان (30-12-2012م)

² البيان الختامي للمؤتمر الأول لحركة الجهاد الإسلامي الإرتري الصادر بتاريخ 30-11-1988م

المبحث السادس

الأحداث التي سبقت ظهور حركة الجهاد

كانت في الساحة الإرترية منظمة الرواد المسلمين الإرترية والجهة الإسلامية لتحرير إرتريا كما سبق الإشارة إليهما، وكان تدور بينهما حوارات لمدة طويلة للتوحد، غير أن هذه الحوارات كانت تراوح مكانها، لذا لم تؤت أكلها إلى أن داهمت هذه القوى الإسلامية الأحداث التي عرفت وسط الإرتريين في شرق السودان بالانتفاضة الشعبية عام 1988م، إثر قيام الجهة الشعبية لتحرير إرتريا بتجنيد إجباري للفتيات، الأمر الذي اعتبره المسلمون في إرتريا ضد موروّتهم الديني والاجتماعي، فقاموا بمقاومة تلك الحملة التجنيدية. فنشبت مواجهات بين مقاتلي الجهة الشعبية لتحرير إرتريا وبعض المواطنين الراضين للتجنيد الإجباري للفتيات في المناطق الذي سبق ذكرها¹.

وقد سقط ضحية تلك الأحداث عدد من المواطنين الراضين لتلك الحملة حيث استخدم مقاتلو الجهة الشعبية في تلك المواجهات الذخيرة الحية، بينما لم يملك المواطنون للدفاع عن أنفسهم عدا السلاح الأبيض كالسيوف والعصي.

وإنّ مواجهة الجهة الشعبية للمواطنين العزل بتلك القسوة أججت مشاعر المواطنين ضد الجهة الشعبية، وأصبح لهذه الأحداث وقع كبير في أوساط الإرتريين المسلمين بشكل عام وفي أوساط الإرتريين القاطنين بأعداد كبيرة في مدن شرق السودان وفي معسكرات اللاجئين الإرتريين على وجه الخصوص. والسبب في ذلك أنّ هذه المجموعات كانت امتداداً اجتماعياً لتلك القطاعات الاجتماعية التي كانت

¹ إيلوس ، إرتريا ومشكلة الوحدة الوطنية. مصدر سابق ، ص 420-421. و أبيري ، مصدر سابق ، ص 64

مسرح الأحداث وخاصة في غرب إرتريا. وبدأت هذه القطاعات تشعر بمرارة من تعرض امتداداتها للظلم في تلك المناطق من ذوي القرى، الأمر الذي كان له التأثير السلبي على سوسيولوجيتها تجاه الجبهة الشعبية، وترتبت عليه تداعيات، وانعكاسات سلبية في علاقتها مع الجبهة الشعبية لتحرير إرتريا التي لم تكن في الأصل علاقات حسنة، لأنّ هذه المناطق بشكل عام كانت محسوبة على جبهة التحرير الإرترية التي كانت مناوئة للجبهة الشعبية قبل هزيمتها عام 1980م.

ومن هنا بدأت الأمور تغلي في مناطق تجمعات المسلمين الإرتريين في شرق السودان وخاصة في مدينة كسلا السودانية الحدودية، ومعسكرات اللاجئين المنتشرة في شرق السودان ومناطق تجمعات الإرتريين في دول المهجر الأخرى لنصرة تلك القطاعات.

وقد سعت قواعد التنظيم الإسلاميين اللذين سبق ذكرهما وتنظيمات أخرى معادية للجبهة الشعبية لتحرير إرتريا استغلال تلك الأحداث المتفجرة وتوظيفها سياسياً لصالحها، ولاستيعاب تلك الأوضاع بادرت القوى الإسلامية بإجراءات عملية متمثلة في تشكيل لجنة الدفاع عن المستضعفين الإرتريين في مدينة كسلا وبتحرك أعضاء لجنة الإصلاح والوفاق الإسلامية في معسكرات اللاجئين الإرتريين في السودان لتسويق مشروعها.

والسؤال الذي يطرح نفسه هو: لماذا وكيف تشكّلت هذه اللجان في تلك الفترة بالذات؟

أولاً: لجنة الدفاع عن المستضعفين الإرتريين

تشكلت لجنة الدفاع عن المستضعفين الإرتريين في مدينة كسلا بقيادة آدم مجاوراي، القيادي في الجبهة الإسلامية لتحرير إرتريا ومسؤولها في السودان ، وقد تميّزت هذه اللجنة بقوة الاندفاع، والفعالية، وتأليب قطاع كبير من المجتمع ضد الجبهة الشعبية لتحرير إرتريا، والتأثير في وجهة تلك الأحداث في المدن الشرقية السودانية وخاصة في مدينة كسلا، الأمر الذي مهد لتقبل قطاعات كبيرة من المجتمع من تلك المناطق لنداء حركة الجهاد الإسلامية الإرترية التي ظهرت بعد فترة وجيزة من تلك الأحداث وكانت لجنة الدفاع عن المستضعفين أحد مكّونات¹.

ثانياً: لجنة الإصلاح والوفاق الإسلامي للمهاجرين الإرتريين

بدأت لجنة الإصلاح والوفاق الإسلامي للمهاجرين الإرتريين بقيادة عرفة أحمد محمد عضو القيادة في منظمة الرواد المسلمين الإرترية تنشط في معسكرات اللاجئين الإرتريين الكائنة في شرق السودان. وكانت لجنة الإصلاح والوفاق الإسلامي قد تأسست إثر النزاع القبلي في منطقة سمسم بين الساهو والأساورتا حول التسمية².

وبناءً على الخلاف في التسمية كادت أن تقع فتنة قبلية مدمرة بين الطرفين وذلك أثناء قدوم الفرقة الفنية للجبهة الشعبية لتحرير إرتريا إلى منطقة سمسم القريبة من مدينة القضايف، وأرادت الفرقة الفنية أن تقدم أعمالاً فنية باسم الساهو دون الأسارتا ودون أن تكثر تلك النزاعات القائمة بينهما في التسمية.

¹ البيان الختامي للمؤتمر الأول لحركة الجهاد الإسلامي الإرتري بتاريخ 30-11-1988م.

² عرفة أحمد محمد في المقابلة مع الباحث في الخرطوم السودان (2012-12-30م)

في تلك الظروف برزت لجنة الإصلاح والوفاق، لإصلاح ذات البين بين القبيلتين بزعامة عرفة أحمد محمد، وهو من خريجي الجامعات السعودية، وكان يعمل داعيةً ومعلمًا في منطقة سمسسم وسط اللاجئين الإرتريين، وبالفعل نجحت مساعي هذه اللجنة في إخماد تلك الفتنة. وقد ذكر للباحث رئيس لجنة الإصلاح والوفاق عرفة أحمد محمد في مقابلة "عندما حدثت الفتنة بين الأساورتا والساهو في منطقة سمسسم بسبب فرقة الجبهة الشعبية لتحرير إرتريا قمنا أنا وآخرون لدراء تلك الفتنة، وبما أنّ المجموعتين المتنازعتين مسلمتان استخدمنا آليات القواعد الإسلامية لحل تلك المشكلة، كتأكيد مفهوم واجب الوحدة بين المسلمين، وأنّ المسلمين أمة واحدة لا فضل لأحد على الآخر، وأن مسائل أسماء القبائل والقوميات هي مجرد وسائل للتعارف، وأن هدف من يسعى إلى تعميق وتقسيم المسلمين إلى قوميات وقبائل متقاتلة أن هدفه هو فقط تمزيقهم إلى مجموعات ضعيفة ومن ثم يهيمن عليهم"¹.

ويبدو أن الفقرة الأخيرة من كلامه هي إشارة إلى فرقة الجبهة الشعبية التي كاد أن يقع المخطور بسببها في منطقة سمسسم. وهنا تجدر الإشارة إلى شئ مهم في هذه المسألة ألا وهو إن الفرقة الفنية للجبهة الشعبية وإن كان يؤخذ عليها عدم الأخذ في الاعتبار تلك الحساسيات الموجودة بين المجموعتين، إلا أنّ الجبهة الشعبية لتحرير إرتريا لم تكن هي السبب في النزاع بينهما كما يعتقد البعض، بل إنّها مسألة خلاف اجتماعي قديم متشابكة الأسباب وغير معروفة للباحث جذورها.

وعلى أية حال فإنّ نجاح لجنة الإصلاح والوفاق في تلك المهمة، كان له صدّى طيباً في نفوس المتنازعين بشكل خاص وعلى عموم الجماهير الإرترية المسلمة في تلك المنطقة. وعندما وجدت لجنة الإصلاح والوفاق قبول الرأي العام لجهودها ودعوتها في منطقة سمسسم، سعت لتعميم الفكرة في جميع معسكرات اللاجئين الإرتريين في السودان. وقد ذكر لي رئيس لجنة الإصلاح والوفاق الإسلامي آنذاك عرفة أحمد محمد قائلاً: "إن أعضاء لجنة الإصلاح والوفاق بعد إخماد تلك الفتنة رأوا تطوير تلك الفكرة

¹ حديث عرفة أحمد محمد في المقابلة مع الباحث (2012-12-30م)

وتعميمها في باقي معسكرات اللاجئين الإرتريين في السودان، وقد زارت اللجنة 27 معسكراً للاجئين الإرتريين في السودان لهذا الغرض، وعقدت عدّة لقاءات وندوات عامة تدعو فيها المسلمين بالتماسك والابتعاد عن الفرقة وأسبابها¹.

يبد أنّ هدف زيارة لجنة الإصلاح والوفاق لتلك المعسكرات ودعوة المسلمين للتوحد ونبذ أسباب الفرقة بينهم لم تكن هي الرسالة الوحيدة التي كانت تحملها هذه اللجنة كما ظهر لاحقاً، بل كانت تحمل معها عدة رسائل سياسية منها:

أولاً: التأكيد على أنّ التقسيم والتصنيف الذي اتبعته الجبهة الشعبية للتكوينات البشرية للشعب الإرتري هدفه هو تفتيت المسلمين الإرتريين، وكسر شوكتهم، ومن ثمّ فرض الهيمنة عليهم في نهاية الأمر على الرغم من أنّ تلك التصنيفات لم تكن الجبهة الشعبية هي من أتت بها بل هي سابقة لها.

ثانياً: تعبئة الرأي العام لقبول الأمر القادم التي كانت هذه اللجنة وآخرون تعتزم الإعلان عنه وهو تأسيس تنظيم سياسي إسلامي في إرتريا كما سيأتي بيانه لاحقاً.

وبالعودة إلى تحركات لجنتي (المستضعفين والإصلاح) أصبحت هاتين اللجنتين تتصدران قيادة أحداث الشارع الملتهب، وتلعبان أدواراً مختلفة. وظهر في تلك الأحداث إتقان أعضاء لجنة المستضعفين لغة الخطاب الحماسي الذي يتناسب مع تلك الأحداث وأدى إلى تأليب الرأي العام ضد الجبهة الشعبية لتحرير إرتريا. وكانت لجنة الإصلاح والوفاق أكثر قدرة في ملمة شمل المسلمين في معسكرات اللاجئين الإرتريين في السودان مستفيدة من تجاربها الإيجابية السابقة في منطقة سمس من ناحية ومن تلك الأحداث

¹ عرفة أحمد محمد في المقابلة مع الباحث (2012-12-30م)

الجارية من ناحية أخرى لتوجيه الرأي العام وفق ما تملّيه متغيّرات المشهد الداخلي وما يقتضيه مشروعها القادم.

وبهذا يمكن القول إن تحركات اللجنتين وإن كانت تشبه متعددة إلا أنّها من الناحية العملية كانت مكتملة بعضها لبعض وذلك بتوظيف البعدين العاطفي، والموضوعي في تلك الأحداث وهذان العنصران مهمان لأيّ مشروع سياسي ناجح وخاصة إذا كان المشروع مشروعاً ثورياً.

اتجاهات أحداث الشارع الملتهب

فعلى الرغم من كل تلك الجهود المبذولة فإن أحداث الشارع الملتهب لم تكن معروفة إلى أي اتجاه ستسير، الأمر الذي جعل بعض قيادات منظمة الرواد المسلمين الإرتيرية تتعامل معها بحذر، مبرّرة ذلك على بأن هذه الأحداث هي من صنع الشارع وليست من صنعهم، وقد تتواصل بالوتيرة نفسها أو أسرع وقد تخمد، لذا يجب التعامل معها بحذر وقد ذكر للباحث إدريس على نور عضو منظمة الرواد المسلمين آنذاك في المقابلة البحثية معه "أنه عندما اشترك في فعاليات الانتفاضة وجدت الشارع يفرور وأن بعض الجهات تسعى للاستفادة من هذا الوضع وعندها ذهبت إلى رئيس منظمة الرواد المسلمين آنذاك محمد إسماعيل عبده وأخبرته بما هو حاصل، وطلبت منه أن نتجاوب مع الشارع الملتهب، وكان رده هذا التساؤل، هل يقودنا الشارع أم نحن نقوده؟ فقلت له أنّ الأمر أكبر من ذلك فإن لم نتجاوب مع الشارع فإنه قد يتجاوزنا"¹.

وقد نقل محمود عثمان إيلوس كلاماً مشابهاً عن آدم مجاوراي الذي اتصل بقيادة الرواد ليطلب منهم اتخاذ قرار للوحدة بين منظمة الرواد والجهة الإسلامية عبر استغلال تلك الهبة الشعبية حيث يقول: "بأنه -أي آدم مجاوراي- قد اتصل شخصياً برئيس منظمة الرواد المسلمين محمد إسماعيل عبده،

¹ حديث إدريس على نور في المقابلة مع الباحث (2012-12-29م)

وطرح عليه فكرة اتخاذ موقف إيجابي رسمي نحو الوحدة الإسلامية عبر استغلال الانتفاضة الشعبية، إلا أنه قد أكد له أن منظمة الرواد تدعو إلى وحدة التنظيمين الإسلاميين وفق أسس مدروسة، ووفق الخطة والمشاريع الموضوعة لها، وأن الانتفاضة لم تكن من صنعهم، وبالتالي لن تغير مواقفهم، ولن تؤثر في حيثيات الوحدة سواء من الناحية الكيفية أم النوعية بين التنظيمين"¹.

أما حسن سلمان أحد قيادات الاتحاد الإسلامي لطلبة إرتريا آنذاك ورئيس المؤتمر الإسلامي حاليا يقول عند حديثه عن تلك الأحداث والكيفية التي تمّ التعامل معها يقول: "إنّ وجود منظمة الرواد والجبهة الإسلامية جاء نتيجة للفراغ الذي حدث بعد انهيار جبهة التحرير الإرترية، وكنا ندرك أنّ الوضع بحاجة إلى وقت وترتيب لتكتمل الوحدة بينهما، لكن جاءت أحداث كبيرة وهبة شعبية، ورد فعل قوي. والسؤال المطروح آنذاك كان: كيف نتفاعل مع هذه الهبة؟ واختلف الناس حولها، فممنهم من كان يرى التعامل معها بدون تردد بينما كان الآخرون يرون التعامل معها بحذر، وبالتحديد أذكر هنا أنّ الإخوة في قيادة منظمة الرواد كانت لهم بعض التحفظات حول تلك الأحداث، وكانوا يميلون للتعامل معها بالتأني"². ويستنتج من تلك الأقوال أن قيادة الرواد كانت ترى أن تتم وحدة التنظيمين وفق خطط وأسس مدروسة وأن تعطى وقتاً كافياً والترتيب اللازم، وليس أن تتم نتيجة ضغط من الشارع أو تأثير من الأحداث التي تحصل هنا أو هنالك. ويفهم من هذا أيضا أنّ قيادة منظمة الرواد لم تكن متأكدة من مجريات تلك الأحداث والاتجاهات التي ستؤول إليها.

أما فيما يتعلق بلجنتي الدفاع والإصلاح فقد "عقدت قيادتا التيارين الاجتماع الأول بينهما بمنزل آدم مجاوراي بكسلا في سبتمبر 1988، ولم يواجه التياران أية صعوبات دون الإعلان عن الشروع في الخطوات العملية الرامية لتوحيد العمل الإسلامي الإرتري. وفي الفترة ذاتها أعلن كيان جماهيري آخر في

¹ إيلوس، إرتريا ومشكلة الوحدة الوطنية. مصدر سابق، ص 421-422

² حديث حسن محمد سلمان في المقابلة مع الباحث (2012-12-10م) بشئ من التصرف

المملكة العربية السعودية تحت مسمى هيئة نصر الانتفاضة، بتحريك مجموعة من العناصر المقيمة بالمملكة العربية السعودية، والمنتمين إلى منظمة الرواد المسلمين، حيث أعلنوا عن انخيازهم للوحدة الفورية بين كافة التيارات الإسلامية الإترية"¹

تبني منظمة الرواد والجبهة الإسلامية للانتفاضة رسمياً

وقد فرضت الأحداث المتسارعة على التنظيمين، منظمة الرواد المسلمين والجبهة الإسلامية لتحرير إترية الوحدة الفورية ودون تأخير. ومن هذه الأمور التي حتمت الوحدة على القيادتين: تعزيز مساعي الوحدة على المستوى القاعدي بين التنظيمين ولتسارع رقعة الأحداث والحراك الشعبي الواسع من عامة الناس، وتصدر قواعد التنظيمين الإسلاميين فيها، وبروز قوى أخرى في المشهد لتوجيه تلك الأحداث لصالحها، والتحويلات السريعة والمتغيرات المتلاحقة بسبب تلك الأحداث في الساحة الإترية، وما تلتها من تداعيات وانعكاسات على سوسيولوجية المشهد الاجتماعي في الواقع الإترية وانسحابه على المشهد السياسي داخل الحركة الإسلامية الإترية بمختلف تياراتها المتباينة مرجعياً وفكرياً. هذه الأمور وغيرها مجتمعة حتمت على قيادة منظمة الرواد المسلمين الإترية والجبهة الإسلامية لتحرير إترية التعامل مع تلك التطورات المتسارعة بدون تأخر أو تردد، ومن هنا شرعت قيادة التنظيمين في إعادة النظر في هذه المسألة وتبنت الانتفاضة الشعبية رسمياً وهي تحدوها آمال وطموحات لتأسيس فصيل إسلامي في الساحة، ليملاً الفراغ التي تركته جبهة التحرير الإترية بخروجها من دائرة العمل السياسي والعسكري عام 1981م. ولاستغلال تلك الهبة الشعبية على الوجه الأكمل دعت قيادة التنظيمين الإسلاميين إلى عقد مؤتمر توحيدى بين التيارات الإسلامية الإترية المختلفة، وطلبت من اللجنة العليا للتنظيمين (منظمة الرواد والجبهة الإسلامية) اختصار مدة الإعداد للمؤتمر التوحيدي إلى أسابيع معدودة. وبالفعل أنجزت اللجنة أعمالها في وقت وجيز

¹ إيلوس، إترية ومشكلة الوحدة الوطنية، مصدر سابق، ص 422

وأعلنت عن عقد المؤتمر التوحيدي للقوى الإسلامية في الفترة ما بين 28-30/11/1988م في منطقة سمس الواقعة بالقرب من مدينة القضارف السودانية¹.

الخلاصة

أولاً: إنّ منظمة الرواد المسلمين الإرترية والجبهة الإسلامية لتحرير إرتريا جاءت نتيجة الفراغ الذي تركته جبهة التحرير الإرترية بعد انهيارها وخروجها من دائرة التأثير السياسي والعسكري في الساحة الإرترية عام 1981م. والحقيقة أن هذين التنظيمين لم يستطيعا ملء ذلك الفراغ الذي استدعى وجودهما في الفترة ما بين (1981-1988) حيث بدا للناس أنّ تأثيرهما كان ضئيلاً في العمل الثوري وفي العملية السياسية في إرتريا في تلك الفترة. وذلك لعدم تمكّنهما من التوحد في كيان واحد على الرغم من الحوارات المتعددة التي جرت بينهما ولذا بدا للبعض أنّ المجموعتين هما من ضمن تشرذمات الجبهة وليست بديلاً لها.

ثانياً: على الرغم مما ذكر أعلاه فإنّ هذه الفترة لم تكن خالية من بعض النجاحات للقوى الإسلامية منها: أنّها كانت تتحرك بهدوء وتنفيذ مشاريعها في شكل برامج دعوية دينية وتعبوية سياسية، ولذا حققت مكسباً مقدراً من الأتباع والمتعاطفين لمشروعها في تلك الفترة، وفي الوقت نفسه استطاعت أن تحافظ على حقوق ومكتسبات المسلمين التاريخية كما يقول قادتها². واستطاعت أيضاً أن تصوغ العمل الإسلامي السياسي بما يلائم الواقع الإرتري، ثم الانتقال إلى استراتيجية المرحلة الثانية وهي إعلان حركة الجهاد الإسلامي في نوفمبر عام 1988م بعد توظيف الأحداث التي لم تكن من صنع القوى الإسلامية، بل كان سببها أحداث عرضية بسبب رفض المواطنين في بركة ودنكاليا للتجنيد الإجباري للفتيات ثم تحولت إلى انتفاضة شعبية في شرق السودان لنصرة تلك القطاعات في إرتريا.

¹ البيان الختامي للمؤتمر الأول لحركة الجهاد الإسلامي الإرتري الصادر بتاريخ 30-11-1988م.

² الطيّب بشير ، مصدر سابق ، ص 60

للاستفادة من تلك الهبة الشعبية عجلت القوى الإسلامية في عقد مؤتمرها التوحيدي وإعلان ميلاد

حركة الجهاد الإسلامي في نوفمبر 1988م¹.

University of Malaya

¹البيان الختامي للمؤتمر الأول لحركة الجهاد الإسلامي الإرتري بتاريخ 30-11-1988م

خاتمة الفصل الرابع

لا شك أنّ إرتريا لم تكن بعيدة من تأثير حركات البعث والتجديد كالطرق الصوفية، ومراكز الإشعاع الإسلامي في زبيد باليمن، والحجاز، والأزهر الشريف، والمسجد الأموي في الشام ، ومن بعدها المدارس الإصلاحية المعاصرة ، بشقيها السلفي والإخواني وغيرها كلها لعبت دوراً في مسيرة تشكّل الإسلام والمسلمين في إرتريا، وإنّ موضوع هذه الدراسة كان فقط في رصد تغلغل المدرسة الإخوانية في إرتريا، ووجد الباحث في ذلك صعوبة لعدم وجود مصادر توثق بداية دخولها وتفاصيل انتشارها في إرتريا في العقد الرابع والخامس والسادس من القرن الماضي.

وربما ذلك راجع إلى احتمالين: إلى طبيعة حركة الإخوان المسلمين السرية القائمة على علنية الدعوة وسرية التنظيم، أو إلى عدم وجود تنظيم للإخوان المسلمين في إرتريا في تلك العقود الثلاثة. وما كان موجوداً كان انتماءات أفراد ولم يأخذ الشكل التنظيمي، ويرجح الباحث الاحتمال الأخير وذلك حتى الأفراد الذين نشطوا في جماعة الإخوان المسلمين في مصر أثناء دراستهم في المؤسسات المصرية في خمسينات القرن العشرين كسعيد حسين ومحمد إسماعيل عبده وآخرين، عند عودتهم، التحقوا بالثورة الإرترية، وأصبحوا يعملون تحت راية النضال الوطني العام مع غيرهم دون أن يكون لهم كيان يخصهم. وظلت هذه العناصر تعمل داخل جبهة التحرير الإرترية إلى أن دخلت في صراع مع حزب العمل الثوري داخل الجبهة في النصف الثاني من العقد السابع من القرن الماضي وتعرضت إلى تصفيات واعتقالات وخاصة بعد المؤتمر الوطني الثاني عام 1975م.

وبينما كانت العناصر الإسلامية وحلفائهم يتعرضون للاعتقالات والتعذيب في داخل جبهة التحرير الإرترية، بدأت الحركة الإسلامية الإرترية تتشكل في الخارج بدءاً من 1973 وظلت تنشط وسط الإرتريين في المهجر وخاصة التجمعات الطلابية حتى انحيار جبهة التحرير الإرترية عام 1981م عقب الحرب الأهلية الشاملة وعندها أطلق سراح العناصر الإسلامية والقومية العربية القابعة في سجون الجبهة في

الميدان. و عندما خرجت هذه العناصر من السجن جاءت تحمل مشروع قيام عمل إسلامي منظم يتسع لتحالفات العربيين والمستقلين إلا أنها فوجئت بوجود عمل إسلامي منظم تمثله الحركة الإسلامية الإرترية، ولذا دخلت معها في نقاشات لتأسيس كيان إسلامي موحد، وبعد جولة من الحوارات توصل الطرفان إلى اتفاق عام 1981م يقضي بإبقاء الحركة الإسلامية بقيادتها وهيكلها كيانا سريا، وتأسيس واجهة سياسية معلنة بقيادة العناصر القادمة من السجن وقد أُعلن عن منظمة الرواد المسلمين في 7-11-1981م لهذا الغرض.

وبعد تلك الترتيبات استطاعت الحركة أن تحقق مكاسب مقدرة باستقطاب أعضاء جدد في صفوفها من الطلاب والعَمال في الشرق الأوسط، كما عُنيت الحركة بتأصيل الأسس التنظيمية والإدارية في هيكلها، وعقدت خمس مؤتمرات تنظيمية في الفترة ما بين 1979-1988م. كما دخلت الحركة في حوارات وحدوية مع الجبهة الإسلامية لتحرير إرتريا تكللت بالنجاح عام 1988م بميلاد الكيان الموحد تحت مسمى (حركة الجهاد الإسلامي الإرثري).

الفصل الخامس

حركة الجهاد الإسلامي الإرثري

المبحث الأول : حركة الجهاد الإسلامي الإرثري النشأة والتطور

المبحث الثاني: حركة الجهاد والتصدعات الداخلية

المبحث الثالث: المؤتمر الثالث لحركة الجهاد وتغيير اسمها إلى حركة

الخلاص

المبحث الرابع: المؤتمر الرابع من الخلاص إلى الحزب الإسلامي الإرثري

المبحث الخامس: المنظمات الجماهيرية للحزب الإسلامي الإرثري

المبحث السادس: موقف الحزب الإسلامي من قضايا هامة في إرثريا

المبحث الأول

حركة الجهاد الإسلامي الإرتري: النشأة والتطور

إنّ بداية نشاط الإسلاميين في العملية التعليمية والتربوية يمكن إرجاعها كما سبق الإشارة إليها إلى عقد السبعينيات والثمانينيات من القرن الماضي، حيث بدأت تنتشر المعاهد الدينية، ومراكز تحفيظ القرآن، ومراكز دعوية في إرتريا وفي معسكرات اللاجئين الإرتريين في شرق السودان¹. كما شهدت تلك الفترة تزايد الوعي الإسلامي في وسط الطلاب الإرتريين الدارسين في الجامعات والمعاهد العليا في الدول العربية المختلفة بسبب احتكاكهم المباشر مع الحركات الإسلامية في تلك الأقطار وتبعاً لذلك بدأ الحس الإسلامي الحركي ينتشر وسط الإرتريين في الداخل وفي معسكرات اللاجئين في السودان وكذلك بين المقيمين في الدول العربية الأخرى. وبدأت تظهر آثار هذا الوعي في مسارين، مسار الدعوة والتعليم في داخل إرتريا وفي معسكرات اللاجئين ومسار آخر في الخارج في شكل جماعات وحركات إسلامية²، كمنظمة الرواد الإسلامية، والجهة الإسلامية والاتحاد الإسلامي لطلبة إرتريا والاتحاد الإسلامي للطلاب والشباب الإرتري كما سبق الإشارة إلى هذه المنظمات في الفصل السابق من هذا البحث. وكان مركز نشاطات هذه الجماعات في معسكرات اللاجئين الإرتريين في السودان، وفي المدن السودانية وفي مناطق تجمعات الجالية الإرترية في دول الخليج والدول العربية الأخرى وذلك لعدة أسباب:

¹ حركة الجهاد الإسلامي الإرتري. *نداء الجهاد في إرتريا المرحمة*. (مكتب الإعلام لحركة الجهاد الإسلامي الإرتري، د-ت). ص 14-15

أ- كان النظام الإثيوبي القمعي يسيطر في معظم المدن الإرترية، وكان يقف بالمرصاد لأيّ تجمعات سياسية في إرتريا أياً كانت اتجاهاتها.

ب- أمّا الأراضي المحرّرة فكانت تحت سيطرة الجبهة الشعبية لتحرير إرتريا من عام 1981م بعد هزيمة جبهة التحرير الإرترية، وهي أيضاً كانت لا تسمح فيها بممارسة العمل السياسي إلا تحت مظلتها.

ج- وجود بيئة حاضنة لهذه الجماعات الإسلامية في السودان، وذلك لوجود الحركة الإسلامية السودانية التي كانت قد بلغت آنذاك درجة كبيرة من القوة.

وعلى أية حال فإنّ القوى الإسلامية الإرترية في تلك الفترة قد حققت نجاحات مقدّرة في مجالات التعبئة السياسية والتجنيد وكسبت أتباعاً من مختلف الفئات وخاصة في أوساط الطلاب وعموم الفئات المتعلمة من الجنسين، إلا أنّ أقوى كسب حققته هذه القوى كان في عام 1988م وذلك عندما قامت الجبهة الشعبية لتحرير إرتريا بالتجنيد الإجباري للفتيات، ودخلت في اشتباك مع المواطنين الراضين للتجنيد القسري للبنات في وادي بركة ومثلها في دنكاليا وشعب كما سبقت الإشارة إلى ذلك، وتجاوب مع تلك الانتفاضة في تلك المناطق قطاعات من الشعب الإرتري في معسكرات اللاجئين الإرتريين في شرق السودان¹، وأنّ تلك الأحداث "أثارت كوامن وحفيظة التنظيمات الإسلامية، وأدت إلى إحداث تطوّرات أخرى في مسيرة التيار الإسلامي الإرتري"² وقمة تلك التطورات كانت في اتفاق هذه الجماعات لعقد مؤتمر توحيدى بينها في أقرب فرصة، وفي خلال أسابيع معدودة استطاعت اللجنة العليا للتنظيمين (منظمة الرواد والجبهة الإسلامية) من إجراء التحضير والترتيبات اللازمة لعقد المؤتمر، والإعلان عن عقد المؤتمر التوحيدي للقوى الإسلامية في الفترة مابين 28-30/11/1988م في معسكر اللاجئين في منطقة

¹أنظر المبحث السابق في تفصيلات هذه الأحداث

²الطّيب بشير ، مصدر سابق ، ص61

سمسم الواقعة بالقرب من مدينة القضايف السودانية¹. وقد حضر هذا المؤتمر كل من منظمة الرواد المسلمين الإرتريّة، والجهة الإسلامية لتحرير إرتريا، وأعضاء لجنتي الإصلاح والوفاق، واللجنة الشعبية للدفاع عن المستضعفين، وبما أنّ المؤتمر كان مفتوحاً فقد حضره لفيّف من الإرتريين إلى جانب وفود من المنظمات الإسلامية والجهادية ومراقبين آخرين². وقد ناقش المؤتمر عدة قضايا سياسية وفكرية وعسكرية وتنظيمية عبر الأوراق الثلاث المقدمة من اللجنة التحضيرية وهي³:

-الورقة السياسية

-الورقة التنظيمية

-الورقة الجهادية

وعلى ضوءها حدّدت المنطلقات السياسية والفكرية والجهادية للفصيل الجديد في الساحة الإرتريّة⁴. وقد شهدت قاعة المؤتمر نقاشات حادة في التصورات والمنطلقات الفكرية والسياسية، وكانت النقاشات تخرج أحياناً من إطار أجندة المؤتمر، ومرد ذلك يرجع إلى وجود مجموعات ميسّسة في الحضور لكنّها كانت تستبطن الاختلافات الفكرية والمنطلقات القائمة بين مدرستي الإخوان والسلفية، ومجموعات أخرى لم يكن لها تعاطي مع العمل السياسي، لهذا أو ذلك احتدم النقاش في المؤتمر، لكن في نهاية الأمر قد أجمع القوم على تأسيس حركة الجهاد الإسلامي الإرتري، وصدر البيان الختامي للمؤتمر بتاريخ 30-نوفمبر 1988م جاء فيه ما يلي⁵:

1. قد تقرر في هذا المؤتمر تسمية التنظيم الجديد حركة الجهاد الإسلامي الإرتري.

¹البيان الختامي للمؤتمر الأول لحركة الجهاد الإسلامي الإرتري بتاريخ 30-11-1988م

² جمعت هذه الأوراق في كتاب : من وثائق المؤتمر العام الأول لحركة الجهاد الإسلامي الإرتري. (مكتب إعلام الحركة، د- ت)

³ المصدر السابق

⁴ البيان الختامي للمؤتمر الأول لحركة الجهاد الإسلامي الإرتري بتاريخ 30-11-1988م

⁵البيان الختامي للمؤتمر الأول لحركة الجهاد الإسلامي الإرتري بتاريخ 30-11-1988م

2. رؤية الحركة تقوم على عقيدة أهل السنة والجماعة على فهم السلف الصالح.

3. اعتبر البيان أن حركة الجهاد الإسلامي الإرترية هي امتداد لمجاهدات المسلمين من لدن مرحلة

تقرير المصير مروراً بمرحلة الكفاح المسلح حتى امتدت إليها الأيدي الخفية والأفكار الهدامة

المستوردة بواسطة أبنائها على حسب البيان.

4. انتخب المؤتمر مجلس الشورى، وأوكلوا إليه أمانة الدعوة الإسلامية ورفع راية الجهاد في إرتريا،

كما تم تكليفه بتوجيه النداء إلى كافة الإرتريين ومناشدة المسلمين لنصرة الجهاد في إرتريا باعتباره

معبراً عن آمال وطموحات المسلمين الإرتريين.

5. اعتبر البيان أن المواطنين الذين رفضوا تجنيد الفتيات في دنكاليا وبركة وشعب وقتلوا في سبيل ذلك

من قبل مقاتلي الجبهة الشعبية بأنهم شهداء سقطوا وهم يدافعون عن دينهم وعرضهم.

6. وصف البيان الجبهة الشعبية بالجبهة الصليبية.

وأما عن معاملها الفكرية ووسائلها العملية فقد عبرت حركة الجهاد الإسلامي الإرترية عن فكرها بأنها

"حركة إسلامية جهادية جمعت شمل جميع الجماعات الإسلامية العاملة في الساحة الإرترية، وقامت ليتعاون

أعضاؤها على البر والتقوى، والجهاد في سبيل الله لتمكين دينه في أرض إرتريا، وإقامة حكم الله عليها.

وعقيدتها هي عقيدة أهل السنة والجماعة من السلف الصالح رضي الله عنهم. ومنهجها هو اتباع كتاب الله

وسنة رسوله صلى الله عليه وسلم على فهم السلف الصالح رضي الله عنهم، وفق منهج تربوي شامل،

عقيدة وعبادة وسلوكاً، علماً وفهماً وتطبيقاً¹ وتعتمد حركة الجهاد في تحقيق أهدافها وسائل الدعوة

والتربية والجهاد المسلح².

¹ حركة الجهاد الإسلامي الإرترية.. نداء الجهاد في إرتريا المرحجة، مصدر سابق، ص 16

² المصدر السابق، ص 16

وعلى الرغم من هذا الإفصاح عن منطلقاتها الفكرية يجد المرء صعوبة لتحديد اتجاه فكري واضح تعتمد عليه هذه الحركة، وأنّ تلك المنطلقات هي منطلقات عامة وربما كان اللجوء إليها مقصوداً نظراً لتعدد المدارس الفكرية في داخلها. وأنّ الحاضرين في المؤتمر التأسيسي كانوا من مشارب فكرية مختلفة، من إخوان وسلفيين مسيسين ومجموعات أخرى حديثة العهد بالعمل السياسي كما سبق الإشارة إليه. وبناءً على تلك الاختلافات الفكرية حدثت إشكاليات كثيرة في الاسم وفي مناقشة التصورات والمنطلقات الفكرية والسياسية، وللخروج من ذلك يبدو أن المؤتمرين قد لجأوا إلى العموميات المسلم بها حيث اتفقت الأطراف على أن يقوم منهج الحركة على عقيدة أهل السنة والجماعة، وعلى فهم السلف الصالح. وهذه مضامين عامة تحتاج إلى توضيح.

"ولم يكن هناك شرح واضح لهذا المنهج، والدليل عملي منضبط ينطلق من الفهم المشترك للجماعتين. والواقع أن المسلمين على العموم لا يختلفون حول ثوابت القرآن الكريم، كما لا يختلفون حول ثوابت السنة النبوية، ولا حول منهج السلف الصالح المستنبط من الكتاب والسنة، وإنما الخلافات قائمة على تفسير النصوص وكيفية إنزالها في واقع عملي عبر منهج تطبيقي، كل حسب اجتهاده ومداركه المذهبية"¹. وربما كانت قيادة حركة الجهاد الإسلامي تراهن على أن يحصل تمازج شديد عبر عملية تبادل مشترك تساهم في تطوّر علاقة تأثر كل طرف بالأخر، ينتج عنه قوى سياسية هجين كنتاج (للتأخون السلفية) من جهة (وتأسلف الإخوان) من جهة أخرى، وفي النهاية تشكل نموذج جماعة إسلامية موحدة في الرؤى والتصوّرات في الساحة الإرترية. وهذا لم يحصل في سيرورة الحركتين السلفية والإخوانية في التاريخ المعاصر على حسب علمي، ولذا فإنّ مآل هذه التجربة كان الفشل بسبب التباينات الفكرية غير المنضبطة بدليل عملي واضح في داخل الحركة. وكان المراقبون لا يجدون صعوبة لملاحظة تباينات المرجعيات الفكرية الصارخة على المستوى القيادي والقاعدي في حركة الجهاد الإسلامي الإرتري، وبمرور الزمن فإنّ تلك

¹ إيلوس، إرتريا ومشكلة الوحدة الوطنية، مصدر سابق، ص 428

التنوّعات الفكرية في داخل الحركة بدل أن تكون مصدر ثراء للعملية، انقلبت إلى نقمة مما أدى إلى تصدع الحركة وانتهت بالانقسام إلى تيارين، تيار إخواني وآخر سلفي كما سيأتي تفاصيل ذلك لاحقاً.

أسباب قيام حركة الجهاد الإسلامي الإرثي

تباينت الآراء حول أسباب نشأة حركة الجهاد عام 1988م وهذا التعدد في الآراء على العموم غير بعيد من استبطان مواقف أصحابها من الظاهرة تأييداً أو رفضاً لها كما سيتضح أثناء مناقشتها، واعتماداً على قادة الحركة يقول عبد الوهاب الطيّب بشير "يظهر من الخطاب الإعلامي وفي أدبيات الحركة نفسها أنّ حركة الجهاد الإسلامي الإرثي تعتبر تطوراً جديداً في التاريخ السياسي الإرثي عامة، والإسلامي خاصة. وهي في اعتقاد الإسلاميين الإرثيين تمثل ذروة العمل الإسلامي المنظم، أتت بعد تجارب عديدة وحاجة شديدة للترباط والتضامن الإسلامي، ولذلك هي أشبه ما تكون بحزب الرابطة الإسلامية الذي تكون في منتصف الأربعينات. و يجمع بين الرابطة الإسلامية وحركة الجهاد قاسم مشترك هو تحقيق الانصهارات الإسلامية، مع ملاحظة الفارق في الأبعاد الفكرية والتنظيمية في التجمعين"¹.

في الاتجاه نفسه يذهب الباحث محمود عثمان إيلوس بقوله: في القوى الإسلامية التي تكونت منها حركة الجهاد لاحقاً أنها امتدادات لجهود المسلمين ونضالاتهم السياسية منذ الأربعينات، والكفاح المسلح منذ الستينات في سبيل استقلال إرتريا². أمّا عثمان محمد نور فيرى أنّ الجهاد في إرتريا وسيلة لدفع الظلم الذي وقع على الإرثيين ككل إلا أنّ النصيب الأكبر من الظلم وقع ولا يزال يقع على المسلمين، بسبب الاستبداد السياسي حيث يقول "بدأت الجبهة الشعبية ظلماً وقهرها للمسلمين، حيث استهدفتهم في دينهم وأعراضهم، وفي كافة حقوقهم السياسية والاقتصادية والاجتماعية وبشكل متعمد ومقصود، مما جعلهم يفكرون وبشكل جاد في وسائل عملية لدفع الظلم عن أنفسهم، والدفاع عن

¹ الطيّب بشير ، مصدر سابق ، ص 63

² إيلوس ، إرتريا ومشكلة الوحدة الوطنية ، مصدر السابق ، ص 377

حقوقهم ومكتسباتهم، وأعتقد أن هذا مقبول شرعاً وعقلاً¹. أمّا باسم القرى يقول إنّ الجهاد في إرتريا بدأه العامة ونشأ نشأة اضطرارية بسبب مرارات الجبهة الشعبية لتحرير إرتريا ، ثم التحق بهم الخاصة ووجهوا الجهاد ليواكب الواقع²

ويرجع جلال الدين محمد صالح أسباب ظهور حركة الجهاد إلى شعور المسلمين بالتهديد في كينونتهم، وكان الطرف المسلم في إرتريا دوماً ينهض لمقاومة الأخطار التي تهدده، وكان هذا ديدنه في مرحلة تقرير المصير بنضالاتهم السياسية تحت راية الرابطة الإسلامية، وبتأسيس جبهة التحرير الإرترية في عام 1961م لخوض الكفاح المسلح ضد الاستعمار الإثيوبي، وكانت تلك المواقف الصلبة من المسلمين هي السبب في وجود الكيان الإرتري. وأنّ حركة الجهاد لم تكن مفصولة عن ذلك السياق التاريخي وقانون التراكم بالإحساس المبكر بالمخاطر إذ يقول "والحركة الإسلامية وإن لم تكن رد فعل من الناحية الفكرية، فهي تعبير صادق عن الإحساس المبكر بالمخاطر التي استهدفت المسلمين في خصائصهم الثقافية والاجتماعية، وحاولت أن تجعل منهم حقل تجارب فكري، تارة باسم التنظير الماركسي، وتارة باسم التنظير القومي، شعوبياً كان أو عربياً"³.

أمّا قايم كبرآب فيرجع أسباب ظهور حركة الجهاد الإسلامي الإرتري إلى عدة أمور منها:

أولاً: عدم تمكن جبهة التحرير الإرترية من علمنة كوادرها، كون أن القيادات الأساسية في حركة الجهاد كانت تعمل في أجهزتها العليا قبل هزيمتها عام 1981م.

¹ عثمان محمد نور. "الإرهاب في إرتريا بين الحقيقة والإدعاء". مجلة دراسات القرن الإفريقي، العدد 2، 2005: 20-34. ص 26

² باسم القروي " أحد العناصر القيادية في حركة الجهاد الإسلامي الإرتري ثم حركة الخلاص الإسلامي الإرتري ثم الحزب الإسلامي الإرتري للعدالة والتنمية ". أجرى المقابلة البحثية معه الباحث في الخرطوم (2012-12-24)

³ جلال الدين محمد صالح، الحركة الإسلامية الإرترية والعمل السياسي، مصدر سابق، ص 87

ثانياً: تصرفات الجبهة الشعبية في تعاملها مع بعض القضايا الحساسة كتجنيد البنات قسراً

لحمل السلاح في جيش الجبهة الشعبية لتحرير إريتريا.

ثالثاً: وجود الجبهة الإسلامية السودانية والتي وصلت لاحقاً إلى سدة الحكم عام 1989 كان

أحد العوامل المساعدة لانتعاش حركة الجهاد الإسلامي الإرتري¹.

أمّا تسفازيون مدهاني فقد ناقش الظاهرة على أنّها من التفاعلات المحلية ما لها وما عليها، ولم

يورد أي سبب خارجي لظهورها².

ويظهر من التحليل السابقة أنّ آراء كل من عبد الوهاب الطيّب ومحمود عثمان إيلوس وعثمان

محمد نور وباسم القروي وجمال الدين محمد صالح هي أقرب من رؤية حركة الجهاد نفسها القائلة أنّها

امتدادات لجهود المسلمين في سياق متصل من مرحلة تقرير المصير، ثم الثورة والآن في مرحلة الدولة لدفع

الظلم عن المسلمين، أمّا قايم كبرآب فيرى أنّها ظاهرة وليدة لتلك العوامل التي ذكرها ولم يرى لها أيّ جذور

تاريخية أو على الأقل لم يذكر لها ذلك كالقراءات السابقة، أمّا تسفازيون لم يتحدث في النشأة وأسبابها

لكن ناقش الظاهرة بما تطرحه الآن نقداً وتقييماً دون إقصائها.

رؤية الجبهة الشعبية لتحرير إريتريا لحركة الجهاد الإسلامي الإرتري

وصف الأمين العام آنذاك للجبهة الشعبية لتحرير إريتريا ورئيس دولة إريتريا الحالي أسيس أفورقي في لقائه

الجماهيري في الولايات المتحدة عام 1989م حركة الجهاد الإسلامي الإرتري بأنّها شرذمة متناثرة في الوطن

الإرتري، ومدعومة من أجهزة الأمن الإثيوبية³ وبعدها بعام وصفها بأنّها فتنة قادمة من الخارج تسعى

¹ Kibreab, Gaim.Opcit, P, 316-319

² Medhani, Tesfatsion. Opcit, p. 82-94

³ جمال الدين محمد صالح، الحركة الإسلامية الإرترية والعمل السياسي مصدر سابق ، ص76

لإشعال الفتنة الطائفية بين الإرتريين¹، وبعد تحرير إرتريا عام 1991م "قدّمها أسياح إلى الناس على أنّها توجه سياسي يجهل تركيبة الشعب الإرتري، ومؤلفة من ناشئة إرترية نمت وترعرعت خارج أرضها، في ظروف الهجرة واللجوء، وأنّها مدعوة إلى معاشة شعبها ومساكنته، حتى تتحرر مما لامسها من مس فكري لا يستسيغه الشعب الإرتري، فضلا عن أن يرتضيه"². أمّا إدريس أبيري فيرجع ظهور حركة الجهاد الإسلامي إلى عدة عوامل منها المناهج التعليمية في المعاهد الإسلامية وجهاز التعليم الإرتري، وتأثير الجبهة الإسلامية القومية السودانية، وإلى البرنامج التعليمي للجبهة الشعبية الذي همّش دور اللغة العربية وتبنى التعليم باللغة الأم، الأمر الذي أدى إلى هجر المسلمين لها والتوجه إلى المعاهد الإسلامية وجهاز التعليم الإرتري الذين وصفهما أبيري بأنهما محاضن نشر أفكار التطرف والعزلة في النشء، ويرى أبيري كل هذه العوامل مجتمعة أدت إلى ظهور حركة الجهاد الإسلامي الإرتري³، أمّا سكرتير الجبهة الشعبية لتحرير إرتريا الأمين محمد سعيد فيرجع ظهور الحركة من ضمن ما ذكر إلى أنّها من صناعة عبد الحق شحادة المدفوع من المملكة العربية السعودية⁴، وعبد الحق شحادة هذا هو ضابط سوري كان يعيش في القاهرة لاجئا وكان له ارتباط بالثورة الإرترية.

واللافت في تحليلات قيادة ومنظري الجبهة الشعبية لظاهرة حركة الجهاد الإسلامي الإرتري يظهر فيها الاضطراب والاختلاف في توصيف ماهيتها، والأمور التي تقف وراءها، كما أنّها لم تناقش التصورات والإيديولوجية التي تطرحها، ولم تتحداها وتنتقدها بقوة المنطق والحجة الدامغة، بل لجأت قيادات الجبهة الشعبية إلى تصويرها بأنّها فتنة قادمة من خارج البلاد، من دون ذكر الأدلة التي تثبت ذلك، ولئن استطاعت أن تمرر تلك المقولات، وتحجم تأثير حركة الجهاد الإسلامي في المدى القريب مستفيدة من

¹ المصدر السابق ، ص 76

² المصدر السابق ، ص 76-77

³ أبيري ، مصدر سابق ، ص 117 والتي بعدها

⁴ الأمين محمد سعيد. الثورة الإرترية: الدفع والتردي. (د-م ، د-د ، 1992 م). ص 333

شرعيتها الثورية، وقوتها العسكرية إلا أنّها لم تستطع أن تفعل ذلك في المدى البعيد حيث أنّ تلك الاستراتيجية التي اعتمدتها كانت غير مجدية في المدى المتوسط والبعيد كما ظهر لاحقاً، بل في الواقع العملي فإنّ تصرفات الجبهة الشعبية بعد الاستقلال من سجن العلماء والدعاة والوجهاء والتجار وقيادات سياسية، ومحاربة المؤسسات الإسلامية، هذه التصرفات أثبتت العكس بل أضفت نوعاً من الشرعية والمصادقية لما كانت تقوله قيادات حركة الجهاد الإسلامي ضد الجبهة الشعبية عن محاربة الإسلام والمسلمين.

وبعبارة أخرى فإنّه قد يفهم من تلك التحليلات إنّها تنطلق من قاعدة الإقصاء التي مفادها نفي كل شيء دون الاعتراف بما يستحق الاعتراف به، وتحاول بذلك تضليل العقل النقدي بحيث يأخذ موقفاً مبدئياً ضد تلك العملية، ويضعها في موقف دفاعي، وتستبطن في ثناياها موقفاً استراتيجياً يطمح إلى الهيمنة ولو من غير وجه حق على المجتمع وقطع الطريق أمام الجهود الرامية إلى بدائل سياسية وأشكال اجتماعية مغايرة.

ومهما يكن من أمر وبالرغم من وجهات النظر المختلفة التي عبّرت عنها قيادة الحركة والمؤيدون أو المعارضون لها فإنّ انتقال القوى الإسلامية بتلك السرعة إلى المرحلة الجديدة وهي مواجهة الجبهة الشعبية لتحرير إرتريا التي كانت متهمة سلفاً من قبل القوى الإسلامية بتخطيطها لإضعاف وتهميش دور المسلمين في الحياة العامة في إرتريا يمكن إرجاعه إلى عدة أمور:

1. إنّ قيادتي منظمة الرواد والجبهة الإسلامية رأّت الوقت مناسباً لإيجاد بديل إسلامي يملأ الفراغ

الذي تركته جبهة التحرير الإرترية، يوازي قوة الجبهة الشعبية لتحرير إرتريا في الساحة الإرترية،

مستفيدة من نقمة قطاعات واسعة من الشعب على الجبهة الشعبية.

2. شعرت القوى الإسلامية بأن الشارع قد يتجاوزها وتصبح معزولة عنه ما لم توحد صفوفها وتعامل

مع تلك الأحداث بصورة جدية، وأقصد هنا أحداث الانتفاضة الشعبية ضد الجبهة الشعبية بسبب سياساتها التجنيدية القسرية للفتيات.

3. "وصول التنظيمات الإسلامية الإرترية التي نشأت خلال فترة الثمانينات إلى قناعة تامة بمسألة

الوحدة في "تنظيم إسلامي" يبرز الهوية الإسلامية ويدافع عن حقوق المسلمين ومكتسباتهم في ظل سياسة الجبهة الشعبية التعسفية"¹.

4. وجود كادر مقدر، وقاعدة جماهيرية لا بأس بها.

5. بلوغ الجبهة الإسلامية القومية السودانية إلى درجة من القوة وخاصة بعد دخولها في المصالحة مع

حكومة النميري، الأمر الذي بعث بالاطمئنان إلى القوى الإسلامية الإرترية إلى تأسيس فصيل إسلامي سياسي إرتري.

6. تسامح الأجواء الإقليمية والدولية مع الحركات الإسلامية في العالم، الأمر الذي شجع القوى

الإسلامية الإرترية لأخذ خطوات نحو تأسيس فصيل سياسي إسلامي إرتري.

هذه العوامل وغيرها يعتقد بأنها ساعدت التيارات الإسلامية المختلفة في الساحة الإرترية لتتجمع في

وعاء واحد تحت مسمى حركة الجهاد الإسلامي الإرتري عام 1988م وفور انتهائها من المؤتمر بدأت

تعبئة الجماهير الإرترية المسلمة في معسكرات اللاجئين الإرترية في السودان وفي أماكن تجمعات الجاليات

الإرترية في دول المهجر الأخرى من أجل تحقيق أهدافها، وقد تبنت الحركة لذلك فقهاً سياسياً مثقلاً

بمفردات إسلامية. أمّا وسائلها فكانت تعتمد على الخطباء المفوهين في منابر المساجد، واللقاءات العامة

¹ الطيّب بشير، مصدر سابق، ص 64

كالدوات والمحاضرات، وإصداراتها كنشرة النفير الشهرية، ومجلة الإنابة الدورية، ورسالة الإسلام الدورية باللغة التجزئية بالإضافة إلى المطبوعات، والبيانات، وأشرطة الكاسيت والفيديو، كما كان لفرق الأناشيد والشعراء دور في تحريض الجماهير. وكان يغلب على خطابها الجانب الحشدي بتأجيح المشاعر الحماسية للجماهير، الأمر الذي مكّنها من التأثير على قطاعات كبيرة من المسلمين، واستقطاب قاعدة جماهيرية عريضة منهم، فوجدت الحركة أينما يوجد المسلمون الإرتريون، إذ جاء في أدبياتها أن الحركة "تمكّنت من تنظيم عضويتها في كل من أمريكا وكندا ودول أوروبا وأستراليا، بالإضافة إلى المهاجرين في شرق السودان ومنطقة الشرق الأوسط"¹.

وأظهرت الحركة تباعاً في وقت وجيز قوة في المجالات السياسية وفي الأجهزة الجماهيرية في الساحة الإرترية "كما سجلت الحركة حضوراً في معظم المؤتمرات الإسلامية في شمال أمريكا، وكندا، وأوروبا، وآسيا، كما حظيت باهتمام المسلمين والدعاة والمحسنين"².

ومن ناحية أخرى نشطت حركة الجهاد الإسلامي الإرتري منذ البداية في العمل العسكري "وأطلقت على جيشها اسم سرايا المجاهدين، ودفعت به إلى الساحة الإرترية منذ عام 1989م، وهناك اصطدمت بجيش الجبهة الشعبية في مناطق غرب إرتريا في اقتتال داخلي مثله كمثل تلك الحروب الأهلية الماضية في الساحة الإرترية التي صرفت الإرتريين دون مواجهة الاستعمار الإثيوبي، والسبب الأساسي لهذا الاقتتال كان يتركز من جانب على طبيعة سياسة الجبهة الشعبية الراضية لوجود أي كيان إرتري سياسياً كان أم عسكرياً في الساحة الإرترية، وطبيعة التعبئة السياسية التي كانت تنتهجها الحركة ضد الجبهة الشعبية من جانب آخر"³.

¹ حركة الجهاد الإسلامي الإرتري ، نداء الجهاد في إرتريا المخرجة ، مصدر سابق ص 16

² المصدر السابق ، ص 16

³ إيلوس ، إرتريا ومشكلة الوحدة الوطنية ، مصدر سابق، ص 423- 424

"ومهما يكن من أمر فإن الحركة ظلت على هذا المنوال تقدم أعداداً كبيرة من الشهداء من خيرة شبابها بمن فيهم خريجو الجامعات. وكذلك لم يمض وقت طويل على الحركة إلا وأصبح لها ثقل سياسي وعسكري ومكانة جماهيرية على مستوى الساحة الإرترية، وعلى مستوى حسابات القوى الإقليمية والدولية المعنية بأوضاع المنطقة. كما كانت لها جولات واسعة وحوارات وتحالفات مع القوى الإرترية الأخرى منذ مطلع التسعينات"¹.

وبإمعان النظر إلى التطورات التي شهدتها حركة الجهاد الإسلامي الإرتري يمكن استنتاج الأمور الآتية:

1. إنّ حركة الجهاد الإسلامي الإرتري الموحدة استطاعت توحيد جهود المسلمين، وإعادة روح المقاومة وإصباغ الصفة الإسلامية على أشكال المقاومة المسلحة، وساهمت في ازدياد الوعي السياسي لكثير من التيارات الإسلامية التي لم يكن لها تعاطي واضح مع العمل السياسي، كما خلقت علاقات خارجية ساعدتها للحصول على دعم مادي وعيني، وخاصة في المجالات الإنسانية، وأوجه العمل الخيري المختلفة الذي كان لأفرادها فيه جهد مقدر، ومن حيث الكسب فقد كسبت الحركة أعداداً كبيرة من الشعب من جميع فئات المجتمع عمالاً، وطلاباً، وشباباً، وشباباً، وعامة، وعلماء، وصوفيين، وإخوان، وسلفيين وغيرهم. ومن حيث التمدد وجدت الحركة أينما يوجد الإرتريون المسلمون، واستطاعت خلق رأي عام ضد سياسات الجبهة الشعبية ذات التأثير في المكوّن الثقافي والديني الإسلامي في إرتريا.

2. إن المشاركين في المؤتمر كانوا من خلفيات فكرية مختلفة، إخواناً، وسلفيين مسيسين، ومجموعات أخرى حديثة العهد بالعمل السياسي. وبناءً على تلك الاختلافات في الفكر والخبرة العملية حدثت إشكاليات كثيرة في مناقشات التصورات والمنطلقات الفكرية والسياسية، وللخروج من

¹ المصدر السابق ، ص 424

ذلك يبدو اتفقت الأطراف على أن يقوم منهج الحركة على عقيدة أهل السنة والجماعة وعلى فهم الصلح الصالح، من دون أن يكون هناك شرح ودليل عملي واضح لهذه المضامين العامة الفضفاضة، الأمر الذي كان له تأثير سلبي لاحقاً في سيورة حركة الجهاد كما سيأتي ذلك فيما بعد.

3. إن توحيد القوى الإسلامية جاء تحت ضغط تلك الأحداث الكبيرة، والهبة الشعبية، لذا فإن الصورة الحماسية والعفوية كانت هي السائدة أكثر من النزعة التفكيرية والتخطيطية القائمة على عمل ذهني واع، وعلى قراءات سليمة بعيدة من الانطباع والنزوع العاطفي.

4. يلاحظ تراجع في قراءة الواقع الإرثري المعقد، وتشابكاته، والأمور التفصيلية الأخرى فيه وخاصة من منظمة الرواد المسلمين الإرثرية التي كانت أظهرت في بيانها التأسيسي عام 1981م قراءة متقدمة في فهمها لتشخيص الواقع الإرثري المعقد دينياً، وثقافياً، وسياسياً، بحكم أن عناصرها الأساسية كانت لها مكتسبات سياسية وخبرة تعامل مع جميع الأطياف السياسية والاجتماعية في الساحة أثناء عملها في الأجهزة العليا في جبهة التحرير الإرثرية كما سبق الإشارة إليها في الفصل السابق.

5. إن تحليلات الواقع الإرثري في أوراق المؤتمر وأدبيات الحركة بعد المؤتمر صاحبها كثير من الإشكاليات¹، حيث تم فيها تغييب الطرف المسيحي الشريك في الوطن، كما حصل تجاهل المعركة الأساسية مع إثيوبيا وكان يتم الإشارة إليها عرضاً، وكان التأكيد والتركيز لإثبات المعركة مع الجبهة الشعبية لتحرير إرتريا التي وصفها بيان المؤتمر الختامي بالجبهة الصليبية. وإن تجاهل المعركة الأساسية مع المستعمر الإثيوبي وتثبيت المعركة مع الجبهة الشعبية لتحرير إرتريا يعتبر مصادرة للرأي

¹ يمكن الرجوع لهذه الأوراق في كتاب : من وثائق المؤتمر العام الأول لحركة الجهاد الإسلامي الإرثري ، مصدر سابق

العام الإرتري من ناحية، وترك لدى المسيحيين الإرتريين صورة سلبية عن الحركة من ناحية أخرى، بل أصبح المسيحيون يبدون انزعاجهم منها بل الأكثر من ذلك فهم الكثير منهم أن الجهاد هو ضد كل من يخالف ملة المجاهدين. وكان حري على قيادة حركة الجهاد الإسلامي الإرتري توضيح المسائل الآتية:

- أن تفرق بين المسيحيين وتنظيم الجبهة الشعبية لتحرير إرتريا، وترسل رسائل واضحة للمسيحيين وتبناه في خطابها بأنهم ليسوا ضد المسيحيين بل أنهم يناضلون من أجل إرجاع حقهم وتحقيق العدل لجميع المواطنين الإرتريين، وبذلك كانت قللت من الفرز الصارخ بين المسلمين والمسيحيين أو على الأقل لحيدتهم.
- كان من الضروري توضيح نقاط الاختلاف والاتفاق مع الجبهة الشعبية لتحرير إرتريا، وأن الجبهة الشعبية لتحرير إرتريا لم تكن كلها شراً محضاً كما كانت تعكسها أدبيات الحركة، بل كانت فصيلاً وطنياً يكافح من أجل تحقيق أمان وطموحات الشعب الإرتري الاستقلالية، وكان يدير تلك المعركة ضد الاستعمار الإثيوبي بكفاءة عالية. بعبارة أخرى أن عموم الشعب الإرتري بما فيها حركة الجهاد لم يختلف مع الجبهة الشعبية لتحرير إرتريا حول أهداف الاستقلال ولم يختلف حول وسائل الكفاح المسلح المحققة لتلك الأهداف، بل اختلف معها البعض حول المنطلقات الفكرية وأسلوب تعاملها مع القضايا الداخلية الحساسة، كتغليب الثقافة التجزئية المسيحية ورجالها على أصحاب الثقافة الإسلامية العربية لو كانت هذه الأمور واضحة في خطاب ورؤية حركة الجهاد ربما لكان لها صدى إيجابيا على العموم، ولتعاطف مع مطالبها قطاعات واسعة ولحققت بذلك أكثر مما حققتها.

6. وعلى صعيد العمل العسكري لحركة الجهاد الإسلامي الإرترية فقد كان يعتريه الضبابية في تحديد

العدو على أساس واضح، العمل العسكري ضد من؟ ويقا تل من، ولمن، ولماذا؟

إضافة إلى ذلك كانت تعاني حركة الجهاد الإسلامي من قلة كفاءات ومهارات عسكرية في صفوفها المقاتلة، ومن عدم الانسجام بين أعضاء إدارتها العسكرية، وقد يرجع ذلك إلى عدم وجود كواد ر عسكرية مقتدرة لأسباب:

أ- أنّ القوى الإسلامية وخاصة الاتجاه الإخواني قد خسر كواد ره العسكرية في التصفية التي تعرضت لها مجموعة سعيد حسين عام 1977م في دنكاليا من قبل جبهة التحرير الإرترية.

ب- عدم قدرة القوى الإسلامية لاستيعاب الكواد ر العسكرية لجبهة التحرير الإرترية التي كانت تعج بها المدن السودانية، ومدن الدول العربية الأخرى بعد خروجها من دائرة الفعل العسكري والسياسي عام 1981م عقب الحرب الأهلية الشاملة.

لكل هذا يبدو أن حركة الجهاد الإسلامي الإرترية لم تكن موفقة في التخطيط للعمل العسكري، فكان من تدرب فيها ليكون مقاتلا أصبح قائداً، كما كان تدخل المدنيين فيها أكثر من اللازم، وكانت الجبهة الشعبية لتحرير إرتريا في المقابل في غاية من القوة العسكرية، عدداً وعتاداً، وتدريباً ومعرفة لحرب العصابات، وأن المناخ الإقليمي والدولي كان يميل لصالحها سياسياً. وبهذا تكون حركة الجهاد ربّما انجرت وراء إستراتيجية الجبهة الشعبية التي كانت تريد حسم المعركة في الميدان القتالي التي تحيده أكثر من الطرف المناوئ لها. وبناءً على ما سبق يتبادر إلى الذهن جملة من التساؤلات منها: هل كان إعلان العمل العسكري في تلك الفترة مستندا على قراءات صحيحة للواقع المحلي المتمثل في الضعف الذاتي للحركة، مع تفوق الطرف المناوئ لها الذي لا يدع مجالا للشك في حسم المعركة لصالحه؟ وهل كان مستنداً على تقييمات رصينة للتحويلات المتسارعة التي

كانت تحدث على المستويين الدولي والإقليمي لصالح الجبهة الشعبية لتحرير إرتريا والجبهة الشعبية لتحرير تجراي في إثيوبيا؟ أم حدثت تحت ضغط الثقافة السياسية الإرترية التي ترى عدم جدوى قيام أي تنظيم مالم يكن له عمل عسكري؟ أم كان العمل المسلح عامل جمع للمجموعات المتنافرة التي كوّنت حركة الجهاد الإسلامي الإرتري؟ وعلى أية حال فإن الأجوبة لهذه الأسئلة تبدو خليطاً من هذا وذاك كما سيأتي توضيحها في المباحث القادمة.

الخلاصة

إنّ حركة الجهاد الإسلامي الإرتري تكوّنت عام 1988م من مجموعات متعددة المشارب من سلفيين وإخوان وصوفية وغيرهم، ومن ناحية الممارسة العملية فإن البعض منهم كانت له خبرة عملية في المجال السياسي بينما البعض الآخر لم يكن له تعاطي مع العمل السياسي، فالأول أفاد الحركة عملاً وفقهاً سياسياً، بينما الثاني أفادها زخماً جماهيرياً، لذا فإنّ الحركة قد حقّقت في خلال أربع سنوات ونيف مكاسب في المجالات السياسية والجماهيرية والعسكرية، وعلى الرغم من تلك التطوّرات السريعة في المجالات المختلفة إلا أنّه في الوقت نفسه ظلت الحركة تعاني من أزمات داخلية بسبب تجاذبات التيارات المختلفة في داخلها، وأدت في النهاية لتصدعها وانقسامها على أساس المرجعيات الفكرية فظهرت في الساحة الإرترية حركتين إحداهما تمثل الاتجاه الإخواني والأخرى تمثل الاتجاه السلفي في إرتريا.

المبحث الثاني

حركة الجهاد والتصدعات الداخلية

وعلى الرغم من تلك التطورات السريعة في المجالات السياسية والعسكرية والكسب الجماهيري فإن حركة الجهاد ظلت تعاني وتواجه مصاعب كثيرة في أجهزتها التنظيمية والإدارية بسبب الاختلافات في المنطلقات الفكرية للتيارات المكونة لها، الممثلة في مدرستي الإخوان والسلفية حديثة التوحد بسبب الضغط الجماهيري والانتفاضة الشعبية دون أن تكتمل مراحل الحوارات والعمل التنسيقي بينهما، الأمر الذي كان له الأثر السلبي في تطورها الفكري، وفي جانبها التنظيمي والإداري "وهي في ذلك شبيهة بالتحالفات والوحدة الاندماجية السابقة لها بين مختلف التنظيمات في الساحة الإرترية، الأمر الذي جعل الحركة تعيش صراعات بين مكوناتها الداخلية التي ألفتها عن بناء الأسس التنظيمية والإدارية المتكافئة مع النمو السريع الذي حدث في بنيتها السياسية والعسكرية والجماهيرية"¹.

وبسبب ذلك التباين في الرؤى والتصورات مع عدم وجود دليل عملي واضح ومنضبط للتعامل مع تلك الاختلافات أصبحت تبرز خلافات في استخدام الصور الفوتغرافية في إعلام الحركة وحول الكتب المقررة للدروس التربوية والفكرية في داخل الحركة، كما أصبحت تنشأ اختلافات في الإدارة العسكرية، وفي أولويات العمل السياسي، والدبلوماسي، والإعلامي، وفي الحوارات مع التنظيمات العلمانية الإرترية².

¹ إيلوس ، إرتريا ومشكلة الوحدة الوطنية ، مصدر سابق، ص 424

² أبو حامد المدني " أحد العناصر القيادية في حركة الجهاد الإسلامي الإرترية ثم حركة الخلاص الإسلامي الإرترية ثم الحزب الإسلامي الإرترية للعدالة والتنمية". أجرى المقابلة البحثية معه الباحث في الخرطوم (2013-1-10). و إيلوس ، إرتريا ومشكلة الوحدة الوطنية ، مصدر سابق ، ص ، 426-429

ومع الزمن أصبحت هذه الاختلافات تتسع بين هذه المكونات حتى وصلت إلى مرحلة الانشقاقات، لتثبت مرة أخرى مقولة إنّ التعدد قاعدة والوحدة استثناء، حسب تعبير محمد سعيد برحتو في مسيرة فصائل الثورة الإرترية بمختلف مذاهبها الفكرية.

وعلى أية حال فإنّ جملة من المؤثرات التي أشير إليها أعلاه وغيرها أدت إلى الشرخ في جسم حركة الجهاد الإسلامي الإرترى بعد ما كانت كيانا موحداً لأربع سنوات ونيف، وتمثلت الخطوط لهذا التصدع على النحو الآتي:

— تيار هجر الحركة على شكل أفراد ونأى بنفسه عن تلك الصراعات ولم يعد له أي نشاط سياسي منذ ذلك التاريخ.

— أعلنت حركة الجهاد الإسلامي الإرترى القيادة العسكرية انشقاقها في أغسطس عام 1993م بزعامة محمد أحمد صالح (أبو سهيل) الذي كان يشغل وقتها نائب المكتب العسكري ويمثل العناصر الأساسية لهذا الجناح أي المجموعة السلفية وهي امتدادات لعناصر الاتحاد الإسلامي لطلبة إرتريا والجهة الإسلامية لتحرير إرتريا، ومن الناحية الاجتماعية فإنّ أغلب قيادات هذه الاتجاه تنحدر من قبائل البني عامر من المنطقة الغربية في إرتريا¹.

— أمّا حركة الجهاد الإسلامي الإرترى القيادة التنفيذية بقيادة عرفة أحمد محمد ومكوناته الأساسية فتنتهي إلى المدرسة الإخوانية وهي امتدادات لمنظمة الرواد المسلمين الإرترية إلى جانب بعض عناصر سلفية من خلفيات الجهة الإسلامية لتحرير إرتريا²، أما التركيبة

¹المصدر السابق ، ص 425،

²مصدر السابق ، ص 245-424،

القيادية لهذا الاتجاه يتجلى فيها التعدد من ناحية الأقاليم والتنوع من ناحية الانتماءات القبلية بدرجات متفاوتة.

وعلى أية حال في يوم 1993/8/1م أصدرت حركة الجهاد الإسلامي الإرتري جناح أبو سهيل بيانها الأول الذي سمته ببيان الخطوة التصحيحية والتي أعلنت فيه عزل قيادة الحركة بعد اتهامها بالانحراف عن طريق الجهاد، وجنوحها للحوارات مع الفصائل العلمانية، وسعيها للتصالح مع نظام الجبهة الشعبية لتحرير إرتريا الحاكم في إرتريا، مع تهميش دور الجهاز التشريعي للحركة المتمثل في مجلس الشورى، وممارسات أعمال حزبية داخل الحركة¹.

وفي المقابل يوم 1993/8/13م أصدرت حركة الجهاد جناح عرفة محمد أحمد بيانها أدانت فيه ما أسمته بالانشقاقين، وما قاموا به من تخريب، ومن شق الصف والأضرار التي ترتبت عليه، والتفريط بالمسؤوليات المنوطة بهم، وتبديد المال العام. وردت على الاتهامات الموجهة إليها، ودعتهم إلى التوبة والالتزام بوحدة الحركة الجهادية ، وأعلنت عن تحذيرها الصريح لهم للجلوس معهم أمام قواعد وجماهير حركة الجهاد للمكاشفة والمحاسبة وجها لوجه². وفي ظل تلك الأجواء المتوترة دخلت مساعي خيرية كثيرة للإصلاح بينهما.

مساعي الإصلاح بين الطرفين

في ظل تلك الأجواء المتشاحنة بين الطرفين تقدمت أربع لجان إرترية من مختلف الخلفيات السياسية والاجتماعية للإصلاح بين طرفي الصراع إلى جانب مبادرة (الشيخ) عبد العزيز بن باز مفتي الديار السعودية حينئذ. إلا أن جهود هذه اللجان ومبادرة مفتي الديار السعودية لم تتكلل بالنجاح بسبب حدة

¹ بيان حركة الجهاد القيادة العسكرية 1-8-1993م.

² بيان حركة الجهاد القيادية التنفيذية 13-8-1993م

الخلاف بين الجناحين "وبهذا كانت تجربة الوحدة الإسلامية الإرترية بكل ما فيها من إيجابيات وسلبات وخصائص، إضافة جديدة إلى التجارب الفاشلة في مسألة الوحدة الوطنية الإرترية، كما أن الانشقاق الذي حدث في الحركة أثبت في المقام الأول فشل جميع حلقات الوحدة بين الفصائل الإرترية بمختلف توجهاتها الفكرية، فضلا عن أنه كان عاملا إضافيا خطراً في سلسلة التشرذمات في البنية التنظيمية الإرترية، وتخلخل الفرق في المجتمع بكل كياناته الفكرية والسياسية والاجتماعية، وتعذر الإصلاح القائم على مبادئ الحوار بالوسائل السلمية، وترتيب الأولويات وفق المصالح والأهداف العليا"¹.

وقد تسبب الانشقاق في صف القوى الإسلامية الإرترية في تليد الأجواء باليأس والإحباط لأنصار التيار الإسلامي والمتعاطفين معه، وتبددت آمالهم وطموحاتهم التي علقوها فيه لما آلت إليه مسارات وحدة القوى الإسلامية في إرتريا. وظهر لعامة الناس أنّ قيادات حركة الجهاد رفعت سقف الصراع بين الجبهة الشعبية القوة الضاربة في الساحة الإرترية آنذاك وقطاع كبير من المسلمين، لكن في الوقت نفسه لم تتقن معادلة حسم الصراع بل أنّها كانت بارعة في الخلافات الموغلة فيما بينها وكأنّها لا تحمل همّاً ولا رسالة وفي النهاية تركت تلك القطاعات لتواجه مصيرها لوحدها.

وهذه الأحداث أثارت الشبهات في العملية كلها وقدرة استمراريتها لتحقيق الأهداف التي قامت من أجلها، الأمر الذي أدى إلى فقدان التيار الإسلامي تدريجياً الزخم الشعبي الذي حققه قبل الانشقاق، وفي فترة وجيزة لم يبق معه ماعدا تلك القواعد المرتبطة حزبياً بهذا الجناح أو ذاك، وخارجياً بدأت تندهور علاقة الجناحين بالداعمين والمتعاطفين الذين وقفوا مع حركة الجهاد الموحدة ولم يبق لهما إلا تلك الجيوب الضيقة التي كانت تدعم من منطلق حزبي هنا أو هناك. وبسبب الشقاق والمرارات وتعذر الصلح بينهما تهيئت الظروف للاحتكاك والمواجهات بينهما، وكان كل منهما يملك جناحاً عسكرياً إلا أنّ الطرفين في

¹ إيلوس ، إرتريا ومشكلة الوحدة الوطنية ، مصدر سابق، ص 426

الأخير جنحا إلى الموضوعية وتجنبنا الصدام ولذا لم ترق قطرة دم بينهما، وهذه من الحسنات التي تحسب لهما. وعلى العموم اتجهت الأمور بعد تلك الفترة نحو تشكيل كيانين أحدهما سلفي والآخر إخواني.

تمايز الصفوف بين جناحي حركة الجهاد

بعد فشل جميع المساعي لوضع حد لهذا الانشقاق وتعذر المعالجات والحلول عبر الوساطات المحلية

والمبادرات الخارجية أصبح كل واحد يعمل على شاكلته وبهذا أصبح في الواقع الإرترى حركتان:

أولاً: حركة الجهاد جناح أبوسهيل والتي عقدت مؤتمرها العام في الفترة مابين 17-19-10-1995م

ولم تغيّر اسمها في هذا المؤتمر على الرغم من أنّ الطرف الآخر كان يحمل نفس الاسم، ثم ما لبثت

أن دبّ فيها الخلاف فانشقت منها مجموعة غير قليلة بقيادة إبراهيم مالك والتي كوّنت عقب ذلك

مجلس الدعوة والإصلاح في إرتريا ولم يسعف الوقت هذا الفصل ليظهر بشكل مواز لغريمه التقليدي

وبعد المؤتمر العام في إبريل 2003 والذي تغيّر فيه اسمها من حركة الجهاد إلى حركة الإصلاح

الإسلامي الإرترى، تعرضت للتصدع للمرة الثانية فانشقت إلى شقين إلى حركة الإصلاح بقيادة

محمد أحمد (أبو سهيل) والمؤتمر الإسلامي الإرترى بقيادة حسن محمد سلمان وقد انضمت عناصر

الإصلاح والدعوة إلى المؤتمر الإسلامية ، ومازالت هذه الأطراف تعمل على هذه الشاكلة إلى يومنا

هذا، وسوف يكتفي الباحث بهذا لأنّ الحركة الإسلامية السلفية الإرترية خارج موضوع هذا البحث

زمننا وموضوعاً إلّا ما اتصل منها بموضوع البحث.

ثانياً: حركة الجهاد الإسلامي جناح عرفة أحمد محمد فبعد فشل جميع مساعي الإصلاح بين هذا الجناح وحركة الجهاد جناح أبو سهيل بعد الانشقاق عام 1993م قد اتخذت عدة قرارات وخطوات حيال ظاهرة الانقسام التي أصبحت تنخر في جسم الصف الإسلامي¹ :

أ- قامت بالتنوير لقواعدها وأنصارها في الداخل والخارج لتوضيح الأسباب الحقيقية للانشقاق، ودحض الشبهات التي أثارها الطرف الآخر.

ب- قامت بإجراء مسح عام لعضوية الحركة لمعرفة من هو باقي في بيعته ولم يذهب مع الطرف الآخر، فوجدت أن أعداداً كبيرة من العضوية العامة ومثلها من العاملين في أجهزتها المختلفة أكدت الثبات والالتزام في بيعتها

ج- إنّ قيادة حركة الجهاد جناح عرفة بعد أن أذانت قيادة الانشقاق تركت الباب مفتوحاً لكافة المجهودات الإصلاحية وأوضحت استعدادها لحل هذه المشكلة بالتفاهم بقدر المستطاع

د- عقد مجلس الشورى للحركة اجتماعاً في الفترة مابين 18 - 20 مارس 1994م واتخذ القرارات الآتية²:

— الاستمرار في الجهاد المسلح وإعادة تنظيم سرايا المجاهدين إلى الميدان.

¹ ملف الانشقاق الذي أعدته آنذاك حركة الجهاد الإسلامي الإرتري جناح عرفة ، ص 91-93 ، وقد إطلع الباحث على هذا الملف في إرشيف الحزب الإسلامي الإرتري للعدالة والتنمية.

² حديث تركي للباحث في المقابلة البحثية معه ، الخرطوم (2012-12-30). وعبد الله محمد إدريس ، أحد العناصر القيادية في حركة الجهاد الإسلامي الإرتري ثم حركة الخلاص الإسلامي الإرتري ثم الحزب الإسلامي الإرتري للعدالة والتنمية ، أجرى المقابلة البحثية معه الباحث في كسلا (2012-12-19). وحامد أحمد اسكول ، أحد العناصر القيادية في حركة الجهاد الإسلامي الإرتري ثم حركة الخلاص الإسلامي الإرتري ثم الحزب الإسلامي الإرتري للعدالة والتنمية " . أجرى المقابلة البحثية معه الباحث في كسلا (2012-12-19)

- إسقاط عضوية مجلس الشورى من الذين ذهبوا مع الطرف الآخر، وتصعيد

أمناء المكاتب التنفيذية ملئ المكاتب الشاغرة.

- إكمال عضوية اللجنة التحضيرية التي كانت قد كوّنت قبل الانقسام، وعقد

مؤتمر الحركة في أقرب وقت ممكن.

- وضع السياسات والخطوط العامة للحركة إلى حين انعقاد المؤتمر المزمع عقده.

وبعد هذه القرارات تمايزت الصفوف والمسارات واتضحت الصورة بين الجناحين غير أنه بقي

هناك مشكلة الاسم حيث كان كلاهما يحمل اسم حركة الجهاد الإسلامي الإرتري الأمر الذي سبب إرباكا

والتباساً للناس في كثير من الأحيان. ولذا بدأ عامة الناس يطلقون حركة الجهاد الإسلامي عرفة وحركة

الجهاد أبو سهيل للتمييز. وظل كل طرف يعمل وحده على هذا المنوال. وبعد اكتمال مهام الإعداد

للمؤتمر فقد دعت اللجنة التحضيرية في ديسمبر 1994م للمؤتمر الثاني لحركة الجهاد الإسلامي الإرتري

جناح عرفة أحمد محمد، وكانت أوضاع الحركة أثناء انعقاد المؤتمر في غاية الدقة والتعقيد، بسبب الأزمات

الداخلية والخطر الخارجي كما ورد في التقرير المنشور في مجلة الخلاص التابعة لهذا الجناح إذ يقول التقرير إنّ

المؤتمر عقد "في ظروف استثنائية للغاية إذ كانت تعيش الحركة أزمات داخلية بالغة الدقة والتعقيد بسبب

الانقسام الذي حدث في أغسطس عام 1993م، وظروف الخطر الخارجي من السودان منذ تحرير إرتريا

في عام 1991م"¹.

وكان هذا المؤتمر مرحلة تقويم وتقييم شامل لمرحلة حركة الجهاد الإسلامي الإرتري الموحدة من

1988م إلى 1993م بكل إيجابياتها وسلبياتها، كما تناول تقرير القيادة التنفيذية مجمل القضايا وأداء

¹ أبو أيوب. " المؤتمرات التنظيمية. المضامين والتطلعات. " مجلة الخلاص من منشورات الحزبي الإسلامي الإرتري للعدالة والتنمية العدد 85،

حركة الجهاد الإسلامي الإرتري في مسيرتها التي امتدت إلى أربع سنوات ونيف، مبرزاً الإيجابيات فيها وما صاحبها من سلبيات، وأما الورقة السياسية التي قدمت من قبل اللجنة التحضيرية سعت لمعالجة تلك السلبيات، وتخفيف آثار الانقسام، وتلافي حدوثه في المستقبل، إذ جاء في مجلة الخلاص المجلة الرسمية لحركة الجهاد جناح عرفة "المؤتمر العام الثاني كان محطة للتقييم والتقييم لمجمل الأداء في مسيرة العمل الإسلامي الجهادي من خلال تقرير أداء القيادة التنفيذية ومن خلال الورقة السياسية التي قدمتها اللجنة التحضيرية للمؤتمر حرصاً على استبيان الطريق ووضع المعالجات الناجمة لكل سلبيات الماضي وتحسباً لكل الطوارئ في المستقبل، فكان بحق المؤتمر تثبيتاً للتنظيم وانطلاقة للبناء، ووضع المؤتمر خطاً وبرامج، وأقر وسائل وآليات تتناسب وتلك المرحلة، كما أقر المؤتمر الانفتاح على الشعب، والحوار مع كافة القوى السياسية الوطنية"¹.

ويبدو أنّ حركة الجهاد جناح عرفة قد تجاوزت تلك الأزمات الداخلية التي سببها الانقسام، والخارجية المتمثلة في حظر السودان لنشاطاتها، وبدأت الحركة مرة أخرى تخطو خطوات نحو الأمام بعد تثبيت عضويتها وترتيب هياكلها التنظيمية والإدارية، وبعدها أصبحت أكثر استقراراً في نظمها الداخلية، وانسجاماً في خطابها السياسي، والإعلامي، وأكثر اهتماماً في ترتيب أولويات عملها، وانفتاحاً على قطاعات الشعب الإرتري وقواه السياسية²، إذ دخلت الحركة في حوارات ثنائية مع جبهة التحرير الإرترية القيادة المركزية، وجبهة التحرير الإرترية المجلس الوطني، وجبهة التحرير الإرترية المجلس الثوري، ومن ثمار تلك الحوارات تكوّن لاحقاً التحالف الثلاثي في عام 1999م من حركة الجهاد الإسلامي الإرتري جناح عرفة

¹ المصدر السابق ، ص 21

² حركة الجهاد الإسلامي الإرتري ، ورقة سياسة الانفتاح الشامل ، الصادرة في 17 إبريل 1995م ، من أرشيف الحزب الإسلامي الإرتري للعدالة والتنمية

وجبهة التحرير الإرترية المجلس الوطني وجبهة التحرير الإرترية القيادة المركزية¹. كما أولت الحركة اهتماما بالغاً بقطاعات الطلاب والمرأة، ودعم التعليم والصحة، وتقديم يد العون للفئات الضعيفة. كما أصبح خطابها السياسي أكثر اتزاناً ووضوحاً، واقترباً من التشابكات المعقدة، والأمور التفصيلية الأخرى المتداخلة في الواقع الإرترى، وبعيدة من المفاهيم الإطلاقية، أو مفردات إسلامية مطاطة وفضفاضة، كما كان الحال في عهد حركة الجهاد الموحدة. وفي الحقيقة هذه الأمور لم تكن جديدة بل كانت عودة إلى مبادئ المؤسسة لمنظمة الرواد المسلمين عام 1981م التي كانت شديدة الاهتمام بالوحدة الوطنية، وبتمتين التآخي الديني بين المسلمين والمسيحيين في الواقع الإرترى. غير أن هذا الخطاب كان قد تراجع عندما دخلت المنظمة في الوحدة مع الجماعات الأخرى في عام 1988م نزولاً على رغبة الوحدة، بحكم أن هذه المبادئ لم تكن محل إجماع بين تلك الأطياف التي تكونت منها حركة الجهاد الإسلامي الإرترى، فكانت السمة الغالبة في خطاب حركة الجهاد الإسلامي الإرترى الموحدة الخطاب الحماسي الجارف، ولغة التحدي والإثارة، والانفعال وردة الفعل، دون العناية بالعمق وتعقيدات الواقع. إلا أنه وبعد الانقسام رجعت إلى سيرتها الأولى وأصبح خطابها أكثر نضجاً.

وبعد استبيان طريقها، وتنظيم أوضاعها الداخلية، وترتيب أولوياتها العملية، وانفتاحها على الشعب، ودخولها في حوارات مع القوى السياسية الوطنية، ووجود متنفس سياسي في أجواء السودان بعد أن ساءت العلاقة بين الخرطوم وأسمرا بعد اتهام الأخيرة للسودان بدعم الإرهاب في إرتريا، بدأت الحركة في نهاية تلك المرحلة تتوجه نحو مرحلة جديدة من البناء، ويظهر ذلك من خطابها المطمئن والمتفائل، إذ جاء في أدبياتها آنذاك "بفضل الله ثم بحكمة قيادة الحركة في ذلك الوقت وخبرتها واتزانها استطاعت أن تخرج

¹ محمود عثمان إيلوس. "القيمة المفقودة في حوارات القوى السياسية الإرترية المعارضة." مجلة دراسات القرن الإفريقي، العدد 2، 2004:

بالعمل إلى بر الأمان، وتعاملت مع المشكلة بالحكمة والحسم اللازمين، فلم تزهق أرواحاً، ولم تهدر أموالاً،
فلله الحمد والمنة من قبل ومن بعد"¹.

بيد أن المرحلة التي تلت الانقسام الداخلي للحركة وإن كان بدت مرحلة انحسار، إلا أنها كانت
مرحلة الوقوف مع الذات، ومراجعة الخطوات السابقة التي كانت تضاعفت كماً بسعة الانتشار والتضحية،
وقوة التأييد مع النقص في العمق والإدراك ومع ذلك فإنه مما لا شك فيه أنّ الحركة قد أهدرت أموالاً وزمناً
لتجاوز آثار أزمة الانقسام التي عصفت بها، لذا فإنّ المكاسب التي حققتها في أوساط المجتمع الإرتري
كانت ضئيلة مقارنة بالمراحل السابقة واللاحقة كما سيأتي.

تحليل أسباب الخلاف

من الطبيعي أن يتساءل المرء عما إذا كان انقسام حركة الجهاد الإسلامي الإرتري يرجع إلى العوامل
الداخلية المتمثلة في تباين المنطلقات الفكرية، وفي ترتيب أولويات العمل في المجالات السياسية، والإعلامية،
والدبلوماسية؟ أم أنه يرجع إلى تطوّر الحركة السريع في المجالات السياسية، والجماهيرية، والعسكرية، دون أن
يواكبها تطوّر في أجهزتها التنظيمية والإدارية؟ أم أنه كانت هناك طموحات شخصية لبعض العناصر سعت
لتكوين كيان يخصصها وتكون على رأسه للاستفادة منه مادياً واجتماعياً؟ أم يعود الأمر إلى تأثيرات
خارجية؟ ويمكن طرح هذه الأسئلة بطريقة مختلفة: لماذا ولمصلحة من انقسمت حركة الجهاد الإسلامي
الإرتري؟ ولماذا في تلك الفترة بالذات؟ يتعسر على الباحث مهما بلغ من الحرص، لفهم الأسباب والحقائق
الكامنة وراء ذلك الانشقاق، وخاصة أنّ قيادة كل جهة تحمل الطرف الآخر وزر الانقسام. وعلى الرغم
من عدم توفر المعلومات الكافية للباحث حول أسباب انقسام حركة الجهاد الإسلامي الإرتري إلى كيانين
إلا أنه يعتقد أنّ عدة معطيات أدت إلى ذلك ويمكن تلخيصها على نحو الآتي:

¹ أبو أيوب، مصدر سابق، ص 21

1. تباين المنطلقات والمرجعية الفكرية وأقصد بذلك أن العناصر الأساسية المكونة لحركة الجهاد الإسلامي الإرتري ترجع إلى الاتجاهين الإخواني والسلفي فكان يمثل الاتجاه الأول منظمة الرواد المسلمين الإرترية ويمثل الثاني الجبهة الإسلامية لتحرير إرتريا والاتحاد الإسلامي لطلب إرتريا. وكان لكل منهما كسبه السياسي وال جماهيري على درجات متفاوتة، وينظر للواقع الإرتري من منطلقات مختلفة، كما أنّ هذه المجموعات لم تكن بعيدة عن تأثيرات الصراعات القائمة بين المدرستين في المنطقة. وعلى صعيد التعامل السياسي الداخلي فإنّ اتجاه الإخوان كان يرى منذ تأسيسه لمنظمة الرواد المسلمين مبدأ الحوار مع الفصائل الوطنية الإرترية، باعتبار أن هذه الفصائل لا تختلف معه في الأهداف الكلية. بينما الاتجاه السلفي كان يرى عدم جدوى أي حوار ما لم يتم على المنهج الإسلامي، وأن هذه الفصائل كلها ملة علمانية يجب عدم التعامل معها. وهذا المنطق الذي يرفض عدم التعامل مع الفصائل الوطنية ظل قائما حتى بعد الانقسام عام 1993م، إذ جاء في برنامجه السياسي المنبثق من مؤتمره الثاني المنعقد في أكتوبر 1995م تأكيد رفض "أي شكل وحدوي لا يقوم على أساس المنهج الإسلامي، ويحقق المصالح الشرعية المعترية"¹. وهذا التباين في المرجعية الفكرية والتعامل السياسي انسحب حتى في ترتيب الأولويات السياسية والدبلوماسية، وفي الخطاب الإعلامي، والتعامل بالمرونة مع بعض الأحداث الجارية على حسب ما تقتضيه المصلحة. كل هذه الأمور مجتمعة كانت سبب تصدع الحركة.

2. كانت حركة الجهاد الموحدة قد أخذت الجوانب الإيجابية من الجهاد الأفغاني دون الالتفات إلى الجوانب السلبية التي كان يعاني منها الجهاد الأفغاني، من تشرذمات داخلية، وتدخلات القوى الإقليمية والدولية كدروس وعبر لتجنبها وأنّ بعض القيادات العسكرية لحركة الجهاد الإسلامي

¹ نقلا من إيلوس ، إرتريا ومشكلة الوحدة الوطنية ، مصدر سابق، 427

الإرتري كانت لها تجارب في الجهاد الأفغاني وربما نقلت معها بعض تلك الظواهر المرضية إلى الجهاد الإرتري.

3. توحيد هذه القوى في المؤتمر الأول إلى وحدة اندماجية فورية تحت ضغط الشارع دون أن تكتمل عوامل الوحدة بينهما، وبعبارة أخرى قامت الوحدة على مفهوم الحشد وذلك للتجاوب مع الأحداث المتسارعة دون أن تمر بمراحل التدرج والتجربة العملية لذا جاء برنامجها فضفاضا عاما غير منضبط بدليل عملي واضح ويبدو أن ذلك كان مقصوداً لاستيعاب تلك الأطراف المتباينة إلا أنّ هذه النشأة الهلامية لحركة الجهاد كانت في النهاية أحد أسباب التصدع.

4. يبدو أنّ الطرف السلفي في داخل حركة الجهاد قابلته صعوبات عندما دخل في صراعات مع أنصار السنة المحمدية والتي منعتهم من استخدام منابرهم التي كان هذا الطرف ينفذ برنامجه عبرها من ناحية كما أنه فيما يبدو لم يكن له برنامج تربوي وتنظيمي وسياسي واضح للتعامل مع تلك التطوّرات السريعة لحركة الجهاد ومن هنا يبدو للباحث أنّ المخططين في حركة الجهاد استعانوا ببرنامج الإخوان مع إدخال بعض التعديلات عليه ليتماشى مع واقع الحركة و الدليل على ذلك إنّ تشكيلات حركة الجهاد كانت تشبه التشكيلات الإخوانية المتعارف عليها مؤتمر، مجلس شورى، أمير (مراقب عام)، أمارات، مناطق، شعب، أسر. إضافة إلى كتب المقررات الفكرية والسياسية والتربوية الأمر الذي بدأت بعض الأطراف السلفية معارضته وخاصة لبعض كتب الإخوان الفكرية كما سبق الإشارة إليها الخ — فكان هذا الخلاف أحد أسباب الانقسام

5. إنّ تحرير إرتريا عام 1991م كعامل غير مباشر سحب جزءاً كبيراً من شرعيتها الجهادية وأصبح كثير من الإرتريين يتساءل في ماذا تتقاتل حركة الجهاد الإسلامي الإرتري والجهة الشعبية لتحرير إرتريا؟ هل هو استمرار لمرحلة الثورة؟ أم هو صراع في السلطة والثروة؟ أم هو اختلاف في كيف

ومن يحكم إرتريا؟ وإنّ انخيار إثيوبيا بتلك الطريقة السريعة، واعتقال السودان قيادات حركة الجهاد لم تعط لحركة الجهاد الفرصة لمراجعة سياساتها للتعامل مع التطوّرات الجديدة، وهنا تضعضعت الثقة بين الأطراف ممّا أدى في النهاية إلى الانقسام.

6. إن استقلال إرتريا فرض على دول الجوار التعامل مع الدولة الإرترية التي كانت وما زالت على رأسها الجبهة الشعبية لتحرير إرتريا. وهذا أدى إلى تراجع تعاملاتها مع حركة الجهاد الإسلامي الإرتري، وبهذا وقعت الحركة في خطوط معادلة العلاقات الخارجية لهذه الدول، وإن شئت قل في خطوط الصفقات والتوازنات الإقليمية والدولية، فمثلا قد استدعى زعيم الحركة الإسلامية السودانية حسن عبد الله الترابي قيادة حركة الجهاد الإسلامي الإرتري مع قيادات إرترية معارضة أخرى وخيّرهم بين ثلاث خيارات: الأول - الدخول إلى إرتريا والعمل من الداخل، ثانياً- البحث عن بديل آخر غير السودان تنطلق منه، وثالثاً- العيش كلاجئين في السودان من دون ممارسة أي نشاط سياسي أو عسكري. وعقب هذا الإشعار تحركت السلطات الأمنية السودانية وأغلقت جميع مكاتب المعارضة الإرترية، وصادرت ممتلكاتها. وكانت حركة الجهاد الإسلامي أكثر المتضررين من تلك الحملة، حيث تمت مصادرة ممتلكات كثيرة منها، من أسلحة، وعربات، وتجهيزات مدنية أخرى¹، وفي ظل هذه الأجواء ازدادت الأزمات الداخلية بين الأطراف المكونة لها، وانتهت في النهاية بالانقسام.

7. في ظل الاختناق الداخلي والخارجي لحركة الجهاد الإسلامي الإرتري فإن مسألة الحوار مع الدولة الإرترية والفصائل الإرترية الأخرى كانت تطرح بقوة، وكان اتجاه الإخوان يؤمن بالحوار منذ تأسيس منظمة الرواد المسلمين عام 1981م، بينما الاتجاه السلفي كان يرى غير ذلك ويجنح إلى عدم التعامل مع الحكومة وفصائل الثورة الإرترية، وفي بيان الانفصال كان أحد المبررات أن قيادة

¹عثمان محمد نور ، الإرهاب في إرتريا بين الحقيقة والادعاء، مصدر سابق ، ص 33

الحركة تحالفت مع تنظيمات غير إسلامية وهذا غير مبرر شرعاً ولا واقعاً. وكان هذا واضحاً في برنامجه السياسي حتى بعد الانقسام. وبهذا أصبح ثمة اختلاف في داخل صف حركة الجهاد في الرؤية للتعامل مع الواقع المعقد، والأحداث الجارية، فكان ذلك أحد عوامل التشرذمات الداخلية للحركة.

8. سيطرة الإخوان والسلفيين في مجلس شورى الحركة مع غياب قوى محايدة التي لو وجدت لكانت ستساعد في كبح جماح الاتجاهين، ولموازنة القوة في داخل الحركة.

9. حادثة تجربة الوحدة في العملية السياسية بين الإخوان والسلفيين في إرتريا.

10. ميول عرفة أحمد محمد أمير حركة الجهاد الإرتري آنذاك للحفاظ حول الوحدة مع كل عيوبها وعدم أخذ قرارات حاسمة في بعض المواقف في وقتها فاقم المشكلة، يقول عرفة أحمد محمد "كنت أتعامل بروح التعاون وحسن النية حتى لا يحدث ما حدث، لكن للأسف الشديد أن المجموعة السلفية لم تكن تتعامل معي بتلك الروح وانتهت بشق الصف الإسلامي في إرتريا"¹.

11. لا يستعبد أن تكون هناك أيضاً طموحات شخصية لبعض العناصر الشابة تسعى للوصول إلى المناصب القيادية للاستفادة منها مادياً واجتماعياً، ورأت عدم الوصول إلى ذلك عبر المؤتمرات

الخلاصة

إن تنظيم حركة الجهاد الإسلامي الإرتري الموحد كان تنظيماً متعدد الولاءات والانحياز الفكرية، لذا كانت تطفو على السطح بين حين وآخر سجلالات بين مكونات الحركة في عدة قضايا سياسية وإعلامية

¹ حديث عرفة أحمد محمد في المقابلة مع الباحث (2012-12-30م)

وفكرية. وهذه العوامل وغيرها أحدثت ما يمكن تسميته بالشرخ في الجسد الحركي الإرترى بعد ما كان يبدو لوقت قريب متماسكا إلى حد ما، فانقسم إلى كيانين وبدا التناحر والسجال السمة البارزة بينهما. وأن تلك الأحداث كانت بمثابة إعادة تشكل الخريطة السياسية للتيار الإسلامي على خطوط المدارس الفكرية في الساحة الإرترية. وكان لهذا الانشقاق تداعيات مجتمعية، خاصة أنه لم يقف في الجانب الفكري والسياسي بل تخطت آثاره إلى سوسيولوجية المجتمع الذي علّق الآمال على مشروع الحركة، وعندما رأى المجتمع تلك الانقسامات وتداعياتها وتلك التصرفات من قادتها بدأ ينسحب منها، الأمر الذي بدأ يزلزل أقدام الحركة، وهدد مستقبلها، وأذن بأفولها السياسي ولقد أدركت قيادتا الطرفين ما تعرض له مشروع الحركة، فسعوا لتدارك ما تبقى منه، ورّتب كل منهما أوضاعه للتعامل مع هذه التطوّرات، فبدأت مرحلة جديدة من العلاقات، من حوار وتنسيق وتعاون مع الاعتراف بأن لكل تنظيم كسبه، وأصوله الفكرية، ومع تحديد محاور الاتفاق والاختلاف، وما زال الفتور يصيب علاقتهما من حين لآخر ويصل أحيانا إلى حد الجمود. ولم يستطع الاتجاهان استعادة ذلك الزخم الشعبي، والسياسي الذي كانت تتمتع به حركة الجهاد الموحدة.

المبحث الثالث

المؤتمر الثالث لحركة الجهاد وتغيير اسمها إلى حركة الخلاص

انعقد المؤتمر الثالث لحركة الجهاد الإسلامي الإرتري جناح عرفة أحمد محمد في أغسطس عام 1998م، وكانت الظروف السياسية في إرتريا آنذاك في غاية الصعوبة والتعقيد بسبب الحرب الحدودية بين إرتريا وإثيوبيا التي كانت على أعتاب الانفجار. في ظل تلك الأوضاع المحلية المعقدة "عقد المؤتمر تحت شعار لنبني تنظيماً إسلامياً رائداً في إرتريا، ووضح من الشعار أن الحركة في هذه المرحلة كانت أكثر ترتيباً وتنظيماً لصفوفها الداخلية، وأكثر امتداداً وتوصلاً مع القوى السياسية الوطنية، وأكثر استعداداً لمتطلبات تحديات المستقبل"¹.

وكان المؤتمر عبارة عن تظاهرة سياسية كبرى، حضره لفيف من قطاعات الشعب الإرتري المختلفة، حيث شمل جميع الفئات بتنوعاتها المختلفة سياسياً واجتماعياً، عمالاً وطلاباً، وشباباً، ونساءً ورجالاً. إلا أن اللافت للنظر في هذا المؤتمر كان مشاركة المرأة ولأول مرة في مؤتمرات الحركة حيث جاءت ممثلة للقواعد النسوية للحركة عبر التصعيد المباشر منهن. وكان قد سبق مشاركتها نقاش حاد ومحتدم في اجتماع مجلس الشورى للحركة حول مشاركتها من عدمه. وقد أحال المجلس موضوع مشاركة المرأة إلى لجنة بحثية برئاسة خليل محمد عامر عضو مجلس الشورى وأعضاء آخرين لتنظر في الموضوع من الجوانب الشرعية

¹ أبو أيوب، مصدر سابق، ص 16

وجاءت نتائج الدراسة بأن مشاركة المرأة في العمل السياسي لا يتعارض مع قواعد الشريعة الإسلامية ومن ثم خضع الموضوع للتصويت في مجلس الشورى ونجح رأي المشاركة بأغلبية بسيطة¹.

وبعد وقوف المؤتمر في مجمل الأداء في الدورة المنتهية، تقييماً وتقويماً لعدة قضايا، سياسية كانت أو تنظيمية أو اجتماعية أو اقتصادية، اتخذ المؤتمر جملة من القرارات منها²:

- قرار تغيير اسم التنظيم من حركة الجهاد الإسلامي الإرتري إلى حركة الخلاص الإسلامي الإرتري
- تمييزاً عن حركة الجهاد الإسلامي الإرتري جناح أبو سهيل، ومنعاً للبس بينهما.
- تقرر في هذا المؤتمر تأسيس كيان خاص للمرأة والذي تمخض عنه لاحقاً عام 1999م ميلاد الاتحاد الإسلامي للمرأة الإرتري³.
- تم انتخاب أمين عام جديد وهو خليل محمد عامر بعد أن طلب الأمير السابق عرفة أحمد محمد إعفائه عن هذا المنصب.
- اتخذ قرار بعدم فصل أي عضو من الحركة إلاً بقرار من المؤتمر، لكن من حق القيادة تجريد العضوية إذا تطلب ذلك إلى حين انعقاد المؤتمر.
- إقرار مفهوم الشورى الملزمة
- إقرار برنامج الوحدة المتدرجة بين حركتي الخلاص والجهاد الإسلامي الإرتري الإصلاح حالياً.
- مواصلة الحوارات والتحالفات مع جميع القوى الوطنية المعارضة للنظام الحاكم.

¹ أحمد الدين صالح " أحد العناصر القيادية في الحزب الإسلامي الإرتري للعدالة والتنمية " أجرى المقابلة البحثية معه الباحث في كوالالمبور ماليزيا (2014-3-1م). وعبدالله إسماعيل "أحد العناصر القيادية في الحزب الإسلامي الإرتري للعدالة والتنمية " أجرى المقابلة البحثية معه الباحث في الخرطوم (2012-12-24)

² حديث أحمد الدين صالح في المقابلة البحثية معه (2014-3-1م)

³ البيان الختامي للمؤتمر الأول للاتحاد الإسلامي للمرأة الإرتري الصادر بتاريخ 11-4-1999م

وبعد مناقشات لأوراق المؤتمر، واتخاذ تلك القرارات، انتهى المؤتمر إلى خلاصات بنيت عليها الاستراتيجية المستقبلية لحركة الخلاص الإسلامي الإرثي، والتي عبر عنها ميثاقها السياسي الذي جاء فيه أهم الفقرات الآتية¹:

أولاً: حركة الخلاص الإسلامي الإرثي هي حركة دعوية، سياسية جهادية شورية عضويتها مفتوحة لجميع المسلمين الإرثيين ويقوم منهجها على منهج الكتاب والسنة، وتنطلق من فهم الواقع الذي يراد تغييره والذي يحيط بها محليا وإقليميا ودوليا. وفي دعوتها للناس إلى الإسلام تتبع أسلوب الموعظة الحسنة، ومبدأ عدم الإكراه، وفي علاقتها تتعامل مع المسلمين شعوبا، وجماعات، ودولا من مبدأ الأخوة الإسلامية، كما تقيم علاقات تعاون مع الشعوب والدول الأخرى. وتدعم القضايا الإسلامية والعربية وقضايا الشعوب المستضعفة في العالم.

ثانياً: أهدافها

- إعلاء كلمة لا إله إلا الله وإقامة الدولة الإسلامية المرتكزة على دعائم العدل والرحمة والتعاون.
- توحيد المسلمين من أجل رفع شأن الإسلام والدفاع عن حقوقهم التاريخية المكتسبة.
- تمكين اللغة العربية باعتبارها اللغة الوطنية الرسمية.
- مقاومة كافة أشكال التآمر على السيادة الوطنية.
- إزالة الظلم وإقامة العدل، والسعي مع القوى السياسية الأخرى لإيجاد المناخ السياسي الملائم لتحقيق التعايش والاستقرار في إرثنا.

¹ حركة الخلاص الإسلامي الإرثي. الميثاق السياسي. 1998. ص 22-30

- محاربة أسباب الفرقة والشتات في المجتمع الإرتري.
- العمل مع كافة المنظمات، والدول الإسلامية على أساس التعاون على البر والتقوى، كما تعمل مع كافة المنظمات والدول المحبة للسلام لتحقيق الاستقرار والسلم الإقليمي والدولي.

ثالثا: الوسائل:

تعمل حركة الخلاص بكل الوسائل المتاحة والمشروعة لتحقيق أهدافها.

رابعا: أوضحت حركة الخلاص موقفها من القضايا الآتية:

- موقفها من الحكومة الإرترية، فهي تعتبر حكومة الجبهة الشعبية حكومة ديكتاتورية طائفية، وتعادي الإسلام والمسلمين في إرتريا على حسب الميثاق. وبناءً على ذلك فإن حركة الخلاص غير ملزمة بجميع السياسات والقوانين والمراسيم التي تصدر عن الحكومة الإرترية الحالية.
- تدعو وتعلن دعمها للتعددية السياسية، والوسائل السلمية لتداول السلطة، وأن تكون مؤسسات الجيش والشرطة والخدمة المدنية مؤسسات الدولة، وبعيدة عن التجاذبات الحزبية.
- تدعو حركة الخلاص المسلمين للتوحد، وتمتين الرابطة بينهم من ناحية، وتطوير الروابط الوطنية بين المسلمين والمسيحيين على أساس مبدأ التعايش والتساوي في الحقوق والواجبات من ناحية أخرى.
- أوضحت حركة الخلاص موقفها من الوحدة مع الفصائل الإسلامية والوطنية في إرتريا، وهي تؤمن بتطوير صيغ الوحدة والتحالفات السياسية مع التنظيمات الإرترية المعارضة.
- تناشد حركة الخلاص المجتمع الدولي والمفوضية السامية لشؤون اللاجئين لمساعدة اللاجئين الإرتريين في السودان وخاصة في مجالات الرعاية الصحية والتعليم ومكافحة الفقر.

أما هيكلها التنظيمية فقد جاءت بالترتيب الآتي:

المؤتمر العام، مجلس الشورى، الأمين العام، المكتب السياسي، الأمانات وكانت تسعة في تلك الدورة، المناطق، الشعب، الوحدات، الحلقات¹.

ويامعان النظر في تلك التطورات من منظور تحليلي يمكن استنتاج الأمور الآتية:

1. انفتاح حركة الخلاص على قطاعات المجتمع الإرتري المختلفة وأكثر اهتماماً بالتعددية السياسية، والتحالفات مع القوى السياسية الإرترية،

2. انتقال القيادة إلى جيل الشباب من جيل الشيوخ، بعد طلب الأمير السابق إعفائه من هذا المنصب، وتحول القيادة بتلك الطريقة السلسة كانت لها مضامين ودلالات سياسية. فمن ناحية إنّ هذه الإجراءات تعتبر نادرة في أدبيات الثورة الإرترية، ومن ناحية أخرى فإنّ حركة الخلاص استطاعت أن توائم بين حماسة الشباب، وحكمة الشيوخ في القيادة والقاعدة.

3. تم تغيير بعض المفردات والمفاهيم السياسية في النظام الأساسي في المؤتمر الثالث، ككلمة الأمير بالأمين العام، والدستور بالنظام الأساسي، والورقة السياسية بالميثاق السياسي، والمكتب التنفيذي بالأمانة العامة. وهذه المفردات لها دلالات مختلفة عن سابقتها. فكلمة الأمير مثلاً توحى الطاعة والانقياد له، بينما كلمة الأمين العام أقل وقعاً في النفس، ويمكن معارضته ونقده واحتمال عزله. والدستور كلمة عامة وبهذا فإن النظام الأساسي ربما أكثر دقة وتعبيراً وأقرب للفهم في تلك الظروف. والورقة السياسية تغيرت إلى الميثاق السياسي وهو ما يعني التوافق فيما اتفق عليه القوم.

¹المصدر السابق ، ص 36

4. من الناحية الفكرية فإن حركة الخلاص أخذت بفكر الإخوان ومن ناحية الممارسة السياسية فقد

أخذت خطأً مستقلاً حسب ما ذكر للباحث أحد قادتها¹.

5. يلاحظ أنّ بعض القرارات كان فيها التكلف، وغير قابلة للتطبيق كقرار عدم أهلية القيادة لعزل

أيّ عضو يؤثر في مسيرة الحركة، وتعقيدات هذا القرار ظهرت لاحقاً عند التعامل مع قضية

(الشيخ) آدم مجاوري القيادي البارز في الحركة وآخرين، وللخروج من ذلك المأزق لجأت القيادة

إلى مجلس الشورى لتجميد عضوية الأشخاص إلى انعقاد المؤتمر العام الذي سوف يكون الحكم

بين الطرفين. لكن هل كان من الحق انتظار الأشخاص الذين طاهم التجميد لسنوات حين عقد

المؤتمر العام والذي كان يعقد كل أربع سنوات لرفع تظلماتهم؟ كان من المفترض أن تكون هناك

آليات عاجلة تنظر في هذه الأمور في وقتها قبل أن تتفاقم.

6. يبدو أنّ الأمانات التي كوّنت بعد المؤتمر الثالث كانت كثيرة كونها أولاً تفوق قدرة الحركة المادية

والبشرية وثانياً أنّها تعمل خارج أرضها وخاضعة للتقلبات السياسية للدولة المضيفة لها.

7. إن الخطاب السياسي لحركة الخلاص بعد مؤتمرها الثالث ظهر أكثر اتزاناً واهتماماً بالواقع الإرتري،

وبعيداً عن المفاهيم العامة أو مفردات إسلامية مطاطة أو فضفاضة خلافاً لعهد حركة الجهاد

الإسلامي الإرتري الموحدة، كما سبق الإشارة إليه في موقع آخر من هذا البحث.

8. وعلى الرغم من أنّ حركة الخلاص دعت إلى التعايش السلمي بين المسلمين والمسيحيين، وإلى

تطوير صيغ تحالفات مع الأحزاب السياسية، والتحاكم إلى آليات سلمية سبيلاً لتداول السلطة

في إرتريا، غير أن جل اهتمامها كان موجهاً إلى المسلمين الإرتريين، وهو ما جعلها عاجزة عن

مخاطبة الشريك الوطني الآخر (الطرف المسيحي) في إرتريا، بل أكثر من ذلك فإنّ تبنيها إقامة

¹ حديث على محمد محمود في المقابلة مع الباحث (2014-8-7م)،

دولة إسلامية في بلد يتقاسمه المسلمون والمسيحيون منذ قيامها والتأكيد عليه في هذا المؤتمر أظهرها في موقف مضاد للقوى المسيحية في إرتريا. وبعبارة أخرى فإن مسائل مثل ترسيخ قيمة المواطنة، والوحدة الوطنية، وحب الوطن والدفاع عنه، واحترام كرامة المواطنين، وتعزيز الهوية الإرترية، وتأكيد احترام الآخر المختلف دينياً وثقافياً، وتأكيد قيمة الحوار، وترسيخ أدب الخلاف في الرأي، ونبد العنف لم تكن واضحة في برنامجها بصورة لا لبس فيه.

9. وحسبما يبدو للباحث فإن حركة الخلاص في هذا المؤتمر استطاعت إعادة صياغة خطابها في بنيته وأولوياته مستفيدة من تجاربها السابقة، واستطاعت أيضاً إيصال هذا الخطاب إلى قواعدها بطريقة مباشرة عبر أطرها التنظيمية، من خلال عدة مداخل تربوية وثقافية وسياسية، وآية ذلك أن حركة الخلاص استطاعت تشكيل قوة متجانسة وبدت بذلك أكثر تنظيماً وانسجاماً سياسياً، وفكرياً، ولم تتعرض إلى أي أزمات داخلية تذكر حتى الآن. غير أنّ مرحلة الانتقال هذه لم تكن خالية من الحيرة والمعاناة التي تصحب دوماً مثل هذا الانتقال حتى تتكيف معه ولكنها نضجت واستقرت في نهاية المطاف. أما خطابها الموجه إلى الجمهور العام من خلال مدخل معلوماتي، ومدخل آخر إقناعي، وثالث تصحيح الصورة الذهنية والتاريخية فيبدو أنّها لم تنجح في ذلك، والدليل على ذلك أن المعلومات عنها في أوساط عامة الإرتريين شحيحة أو مغلوطة، بل إن البعض أصبح يعتقد أنّ نموها قد توقف منذ الانقسام، وقد يرجع هذا إلى عدة أمور:

- صاحب هذا التطور قصور إعلامي كبير مما أدى إلى تغييب معلوماتها وحقائقها عن الشارع، لذا فإنّ ماهية حركة الخلاص كانت مجهولة عند كثير من الناس، وإنّ أيّ شيء يجهل حقيقته فإنه معرض للمعارضة حتى من أقرب الناس إليه.

- وإن كانت حركة الخلاص جاءت بخطاب بناء إلا أنها لم تحدد وسائل تطبيقه وتطوير قدرات حامليه لتلبية احتياجاتها في الظروف الراهنة التي كانت تعيشها، والتحديات التي كانت تواجهها في سياق التفاعل مع ما يجري حولها في العالم من أحداث.

- الركون إلى استعمال الوسائل التقليدية المباشرة كالخطب المنبرية والندوات العامة والحوارات مع عدم الاهتمام بالتطورات التكنولوجية التي حدثت في علم الاتصال وخاصة أدوات التواصل عبر شبكة الإنترنت والفضائيات المفتوحة عابرة القارات.

- عدم الاهتمام بالتكامل والتوازن وترتيب الأفكار والمشاركة والمناقشة، وملاينة المخالفين ومداراتهم، والجاذبية في العرض أقول ذلك إن حركة الخلاص أنتجت عدداً مقدرًا من الكتاب والصحفيين غير أن كتاباتهم مشتتة ولم يوجد فيها السمة التكاملية إلا نادراً.

10. إن فشل حركة الجهاد في هدف التوحيد وإصلاح ذات البين في الفترة التي سبقت حركة الخلاص، والضعف العام الذي عانت منه في فترة حركة الجهاد الإسلامي الموحدة في المضمون والمحتوى، والارتجال والعفوية الناتجتين عن التقصير في التخطيط، وضيق الأفق، والتركيز على القضايا الطارئة، وانعكاسات الخلافات الفكرية المتأثرة بالصراعات المحلية والإقليمية، كل هذه الأمور كانت لها انعكاسات سلبية في مجمل العملية التي أدت بالنتيجة إلى إعراض كثير من الناس عنها وعن خطابها، وإن إعادة ثقة الرأي العام فيها مازالت تحتاج إلى جهود متراكمة ومتدرجة لمدة طويلة.

11. على الرغم من أنها أحدثت تغييراً كبيراً في هياكلها التنظيمية، وفي خطابها السياسي، وخطتها الدعوية، وفي شحذ الطاقات البشرية للتزود بالعلم والمعرفة إلا أنّ هناك قيمة مفقودة في استراتيجيتها وهي إنزال تلك الأهداف والوسائل إلى الواقع المراد تغييره، وتحويل تلك الطاقات العلمية من مرحلة التزود بالعلم إلى مرحلة الانتاج التي تحقق فائدة سياسية واقتصادية واجتماعية للتنظيم.

12. إن أحد المشاكل التي واجهت حركة الخلاص الإسلامية الإرترية والحركة الإسلامية بشكل عام منذ نشأتها أنها لم تنجح في حل أزمتها المالية وتوظيف كوارها المقتدرة في الأماكن المناسبة لها، ويسند ما ذهب إليه أنّ أعداداً مقدرة من كوارها المتعلمة قد هاجرت إلى الخارج وتفرغت لشؤونها الخاصة، ولعل هذا ما حمل محمود عثمان إيلوس من واقع متابعته للحياة السياسية الإرترية وتنظيماتها المعارضة للقول "إنّ من بين مشكلات الحركة الإسلامية الإرترية أنها لا تزال غير مدركة حجم كادها وإمكانياتها البشرية، فهي بذلك لم تتمكن من أن تخوض بكادها وجماهيرها العريضة معارك سياسية حقيقية على أرض الواقع، وهو يشكل فقدان رؤية، وفقدان استراتيجية"¹.

13. يعتقد أن وجود الاتجاه الإخواني الذي تمثله حركة الخلاص الإسلامي الإرتري ولاحقاً الحزب الإسلامي للعدالة والتنمية قد تقلص في داخل إرتريا منذ استقلال إرتريا عام 1993م بعد أن شن النظام الحاكم في إرتريا حملات اعتقالات واسعة في المدن والقرى الإرترية شملت الأشخاص الذين ينتمون أو تحوم حولهم شبكات الانتماء إلى هذا الاتجاه أو الأشخاص الذين يتوقع أن

¹ محمود عثمان إيلوس، "النخب الثقافية الإسلامية في إرتريا"، مقال منشور في موقع (النهضة الإرتري بتاريخ 25-10-2013م

<http://www.alnahda1.8m.com/2012/04.htm>

يكون لهم دور فيها ولو في المستقبل، وقد طالت الاعتقالات العلماء، والدعاة، ومعلمي المعاهد الإسلامية، والتجار والوجهاء والأعيان، وغيرهم ولا يعرف مصيرهم إلى يومنا هذا¹

14. ومن مشكلات حركة الخلاص هي أنّها حركة مغتربة تنشط في الخارج وتنطلق منه وبالتحديد من دول الجوار، وأنّ أفرادها ينتشرون في مناطق شتى، ومتأثرون بثقافات تلك البيئات المختلفة، وهذا بلا شك قد يؤثر في أنماط حياتهم المعيشية، وسلوكهم السياسي، وتكوينهم الفكري، ونظرتهم للذات والآخر، وللعادات والتقاليد الإرترية وهو ما ينتج عنه سؤال مهم حول مدى فهمها وإدراكها للواقع الذي تسعى إلى تغييره، وهو ما فطن له أحد قياداتها في مقابلة منشورة في موقع الخلاص إذ يقول " لا ننكح نبيين لكوادرنا أن واقع إرتريا وتكويناتها الاجتماعية والدينية واللغوية وبل وحتى مزاج مجتمعاتها يختلف عن المجتمعات التي حولها، فلا ينبغي أخذ وصفة (روشيّة) مجتمع آخر مهما كان قربه لمعالجة قضايانا"².

ومهما يكن من أمر فإن البقاء لفترة طويلة خارج الوطن لا محال سوف يؤثر في معالجات قضايا الوطن، بل سوف تصبح تلك الحلول والمقترحات الواردة من الخارج بمرور الزمن مجرد تصورات من بعيد دون الاقتراب من الواقع المعاش، وإن أي تصورات مهما كانت قوّة وجاقتها فإنّها لا تعرف مدى صلاحيتها وملاءمتها للواقع المعاش ما لم تمر بمحك التجارب العملية.

¹ مركز دراسات القرن الإفريقي. *إرتريا خلال عقدين 1991-2011*. التقرير الشامل، (مركز دراسات القرن الإفريقي، 2013). ص

² حوار على محمد محمود "أمين الشؤون السياسية والإعلام للحزب الإسلامي الإرتري للعدالة والتنمية" أجرى المقابلة معه موقع (الخلاص) (<http://www.al-khalas.org>) (2012-2-23م)

الخلاصة

إنّ حركة الخلاص قد عقدت مؤتمرها الثالث في أغسطس عام 1998م في قاعة الصداقة في الخرطوم، وكانت أكثر تنظيماً وترتيباً لصفوفها الداخلية وأكثر تأصلاً في أوساط الطلاب والمرأة، وأكثر تواصلاً مع الجماهير والقوى السياسية الوطنية الأخرى. وأكثر قدرة للتجديد في القيادة والتدقيق في المفاهيم والمضامين. والدعوة إلى التعايش السلمي بين جميع الفئات الإرترية، وتبنت التعددية السياسية والوسائل السلمية سبيلاً لتداول السلطة. كما أوضحت موقفها من الحكومة الإرترية التي قالت فيها أنّها حكومة ديمقراطية طائفية تعادي الإسلام والمسلمين. وعلى الرغم من تلك التطوّرات حتى الآن لم تتمكن من خوض معارك سياسية حقيقية تؤثر في المعادلة السياسية القائمة في إرتريا، وأنّ مستوى خطتها ونشاطها السياسي مازال لم يصل بها إلى النتائج المطلوبة.

المبحث الرابع

المؤتمر الرابع من الخلاص إلى الحزب الإسلامي

مما جاء في التقرير الذي كتب عن المؤتمر الرابع لحركة الخلاص الإسلامي الإرتري بعد أن أكملت اللجنة التحضيرية الاستعدادات للمؤتمر دعت لعقد المؤتمر العام الرابع لحركة الخلاص الإسلامي الإرتري بتاريخ 2004/8/17م في المقر القومي للمعسكرات بضاحية سوبا جنوب العاصمة السودانية الخرطوم¹.

وكانت فعاليات افتتاح المؤتمر تظاهرة سياسية كبرى، فقد حضر الافتتاح "أبناء الشعب الإرتري بمختلف فئاتهم، وبكل مكوناتهم وقطاعاتهم ومستوياتهم، قيادات وقواعد رجالاً - شياً وشباباً، طلاباً وعمالاً، وعلماء وقدامى المناضلين، ورموز المجتمع وقادة الفكر والرأي - ونساء ربّات بيوت وطالبات"². وتميز هذا المؤتمر بحضور واسع لعضوية الحركة في الخارج³. كما حضر المؤتمر عدد من المراقبين والضيوف. كمثل المؤتمر الوطني السوداني الحزب الحاكم، وأصدقاء الحركة من قيادات ورموز العمل الإسلامي، ولغيف من رؤساء وشخصيات تنظيمات المعارضة الإرترية، وشخصيات وطنية إرترية، وأعداد مقدرة من قيادات الاتحادات الطلابية، والمراكز الإعلامية، والأكاديمية ومثلي منظمات المجتمع المدني⁴، وفي أوّل بادرة لافة للنظر على مستوى الحركة الإسلامية الإرترية خاطب الحضور القس بيطروس حقوص راعي الكنيسة الأرثوذكسية الإرترية في الخرطوم⁵ وسوف يتم الإشارة إليه في موقعه لاحقاً.

¹ عبد الإله الشيخ. "تقرير عن المؤتمر." في مجلة الخلاص العدد 85، 2004: 34-39، ص 34

² المصدر السابق، ص 35

³ المصدر السابق، ص 35

⁴ المصدر السابق، ص 35

⁵ المصدر السابق، ص 35

وقد افتتح أعمال المؤتمر رئيس اللجنة التحضيرية على محمد محمود بكلمات الشكر للضيوف، وأعضاء الحركة الحاضرين، وبعدها تناول مراحل الإعداد والمحطات التي مرت بها اللجنة التحضيرية من الاطلاع على وثائق الحركة ومناقشة القضايا مع قواعد الحركة عبر السمنارات والورش التي عقدت في كل المستويات، والإشراف على إجراء تصعيد عضوية المؤتمر وغيرها. كما أوضح أنه بناءً على الوثائق واستصحاب آراء القواعد معها استنتجت اللجنة معالم ورقة خريطة العمل المستقبلية للحركة. وأن الأوراق المعدة للمؤتمر تشمل اللوائح والنظم الإدارية، والهياكل التنظيمية والبرامج التربوية، وأمور أخرى تتعلق بأولويات المرحلة، كما تشمل الأطروحات الفكرية والسياسية، والمبادئ والمنطلقات وأن مناقشة هذه الأوراق مفتوحة للمؤتمرين¹.

ثم ألقى ياسر عثمان جاد الله كلمة الحركة الإسلامية السودانية ومن بعده ألقى ياسين محمد عبد الله كلمة التحالف الوطني الإرتري والذي جاء فيها "أن حركة الخلاص سباقة في العمل الوطني، ورائدة بأفكارها في الوسطية والاعتدال، وأنها لعبت دوراً مميزاً في تأسيس التحالف الوطني"². ثم خاطب المؤتمرين القس ديمطروس الذي أكد في كلمته أنّ التعايش الديني في إرتريا كان ولا يزال محل إجماع من أصحاب الديانتين. ولا توجد في المجتمع الإرتري مشكلة تعمق خلافاته، بل إنّ الشعب الإرتري عرف عنه مساعدة بعضه البعض، وناضل أبنائه معا لنيل إرتريا استقلالها. وأن إزالة الظلم والغبن الذي طال الجميع من قبل النظام المستبد واجبنا جميعا ويتطلب منا نضالا مشتركا لإرساء دولة ديمقراطية تتحقق فيها الحرية والاستقرار والرفاهية والتعايش السلمي³.

أما الأمين العام لحركة الخلاص الإسلامي الإرتري خليل محمد عامر فقد عدد في كلمته ما تحقق في الدورة من انفتاح على الجماهير، وإقامة جسور التواصل مع كافة القوى السياسية الإرترية المعارضة، وما

¹ المصدر السابق ، ص 35-36

² المصدر السابق ، ص 36

³ المصدر السابق ، ص 37

حصل من تطوّر في بناء التنظيم في مختلف مفاصله الداخلية، وبناء علاقاته الخارجية. كما أشار إلى العوائق التي صاحبت الدورة بسبب التحديات والعوامل الداخلية والمحيطية على المستوى الإقليمي والدولي وقد وصف الأمين العام النظام الإرتري بالنظام الدكتاتوري الانعزالي الذي أذاق الشعب ألواناً من الظلم والاضطهاد والقهر، وقد نجم عن سياسته محلياً انهيار الأوضاع الاقتصادية والأخلاقية في إرتريا، وعلى المستوى الإقليمي والدولي فقد أصبح النظام مصدر شغب واستفزازات مع دول الجوار المباشرة، والدول الإقليمية، والمنظمات الإغاثية والحقوقية، الأمر الذي أظهر إرتريا كدولة شاذة عن القوانين والأعراف الدولية، في ظل هذه الظروف المعقّدة تعقد حركة الخلاص مؤتمرها الرابع بغية الوقوف على ما حقته ومعالجة القصور والأخطاء التي وقعت فيها، وبعد ترشيد الحركة مسيرتها سوف تكثف من جهودها، وآليات مقاومة النظام بكل الوسائل المتاحة. كما ستعمل مع التحالف الوطني الإرتري لإسقاط النظام، ولإقامة دولة العدل والقانون التي ينعم فيها الجميع دون إقصاء أو إرهاب¹.

وبعد انتهاء الكلمات الافتتاحية دخل المؤتمر في أعمال المؤتمر، وناقشوا الأوراق المعدة من قبل اللجنة التحضيرية بإسهاب تقييماً ونقداً، وتقويماً للأخطاء والقصور التي وقعت فيها الحركة في الدورة، ثم انتقلوا إلى اعتماد الخطة المستقبلية. واتخذ المؤتمر العديد من القرارات والتي من بينها تغيير الاسم من حركة الخلاص الإسلامي الإرتري إلى الحزب الإسلامي الإرتري للعدالة والتنمية، وتجديد الثقة لخليل محمد عامر أميناً عاماً للحزب للدورة الجديدة، وتخصيص 10% من مقاعد مجلس الشورى للمرأة². وتضمن الميثاق السياسي الجديد موقف الحزب من النظام الحاكم في إرتريا والذي وصفه بأنه نظام دكتاتوري، طائفي، دموي، غير شرعي، ورؤية الحزب لتطوير الثقافة والإعلام، والمرأة، والأسرة، والشباب، ومنظمات المجتمع المدني، والإدارة الأهلية، وإعادة اللاجئين الإرتريين إلى بلادهم، وكيفية التعامل مع الجاليات الإرترية

¹ المصدر السابق ، ص 37-38

² أبو أيوب ، مصدر سابق ، ص 24

المقيمة في الخارج، وبناء علاقات خارجية إترية متميزة مع جيرانها ودول العالم أجمع. وأما الإضافات الجديدة في الميثاق السياسي كانت في الممارسة السياسية، وفي سياسة الاقتصاد، والتعليم، وملكية الأراضي، ورؤية الحزب لمؤسسات الجيش، والشرطة، والأمن¹. وبما أنّ أغلب هذه المواقف كانت تكراراً لمواقفه السابقة وسبق تناولها سوف يكتفي الباحث هنا بتناول الإضافات الجديدة فقط وهي:

أولاً: الممارسة السياسية

جاء في الميثاق السياسي للحزب أن الحزب الإسلامي الإترية للعدالة والتنمية يلتزم بممارسة العمل السياسي بشكله العلني والسلمي، وفي إطاره الأخلاقي، ويؤمن بالتعددية السياسية والحزبية على اعتبار أنّ التعدد الفكري والحزبي سيسهم في الاستقرار والتنمية وسيجعل من إترية دولة متحضرة. وحدد الحزب ممارسته للسياسة وفق المحددات الآتية²:

- يمارس الحزب العمل السياسي بشفافية ووضوح ويدعو جميع القوى السياسية الإترية إلى ذلك.
- يسعى ويشجع الحزب التحالفات السياسية، والاندماج مع الأحزاب المتقاربة من أجل تقليل مساحة الاختلاف.
- يعمل من أجل تمكين الشعب الإترية أن يختار حكامه وممثليه ديمقراطياً.
- يهتم برفع الوعي السياسي والقانوني للشعب، والعمل على ترسيخ الشورى والديمقراطية على كافة المستويات، سلوكاً وممارسةً.
- خلق الشفافية والوضوح والثقة بين الحاكم والمحكوم.

¹ المصدر السابق، ص 24. و الحزب الإسلامي الإترية للعدالة والتنمية. الميثاق السياسي. 2004. ص 19-29

² المصدر السابق. ص 19-20

- التداول السلمي للسلطة.

ثانياً: الاقتصاد

تنمية الموارد البشرية المختلفة، وتطوير الزراعة والرعي مع الحفاظ على البيئة، وتشجيع السياحة للاستفادة من التنوع المناخي، ومحاربة جميع أنواع الفساد والإفساد، وتوفير فرص كسب الحلال، كإيجاد فرص العمل للقادرين، ورعاية الفئات الضعيفة، واعتماد سياسة نقدية ومالية متوازنة، وتشجيع المراجعة والمضاربة، ووضع سياسة ضريبية عادلة تراعي ظروف الشرائح المختلفة¹

واعتماد اقتصاد السوق، وتحرير الأسعار التي تساعد للدخول في المنافسة المحلية والعالمية. وتشجيع القطاع الخاص بتقديم بعض التسهيلات له حتى ينشط في السوق ويستطيع المنافسة في السوق مع رأس المال الأجنبي ووضع قوانين مرنة لاستقطاب الاستثمارات الأجنبية وكسب ثقة المؤسسات المالية الدولية، مع السعي لتحقيق التكامل الاقتصادي مع دول الجوار.²

ثالثاً: التعليم³

- جعل التعليم في إرتريا باللغة العربية والتجزية والإنجليزية.

- الاهتمام بالمحاضن التربوية ورياض الأطفال.

- أن يكون التعليم ملزماً حتى المرحلة المتوسطة.

- الاهتمام بالتعليم الفني والمهني.

¹المصدر السابق. ص 20-21

²المصدر السابق. ص 22

³المصدر السابق. ص 23-24

- الاهتمام بالبحث العلمي.
- الاهتمام بكادر التعليم علميا ومعيشيا.
- الاستفادة من الخدمة الوطنية في برنامج محو الأمية للجنسين على حد سواء.
- الاهتمام بالمنشط الثقافية والتربوية والترفيهية.
- مراعات أولويات احتياج الوطن من العملية التعليمية.

رابعاً: ملكية الأراضي¹

إنّ مسألة ملكية الأرض في إرتريا اليوم هي من أحد القضايا الشائكة وذلك لتداخل حقوق الأفراد والدولة فيها وتحتاج إلى سياسة حكيمة، ويقترح الحزب الإسلامي في حلها الموجهات الآتية:²

- أن تعود ملكية الأرض لأصحابها.

- أن تكون الأولوية في الأرض البور لأهل المنطقة، وما زاد يمكن توظيفه لصالح المشروعات الوطنية

الكبرى.

- أن يكون الحق في التعويض العادل والمجزي لأصحاب الأراضي المنزوعة للصالح العام.

خامساً: الجيش والشرطة والأمن³

إنّ مؤسسات الجيش والشرطة والأمن يجب أن تشكل على أسس وطنية بعيدة عن التجاذبات السياسية التي تحدث بين فترة وأخرى بين الأحزاب السياسية وأن تكون مهمة هذه المؤسسات حماية البلاد من

¹المصدر السابق. ص 22-23

²المصدر السابق.

³المصدر السابق. ص 28-29

الأخطار الخارجية، وحماية المؤسسات الدستورية، وضبط النظام العام في البلاد. بعد إفصح الحزب عن سياساته و تحديد مواقفه من عدة أمور في مؤتمره الرابع، قام بعقد الندوات والمهرجانات واللقاءات الجماهيرية في المدن السودانية المختلفة؛ لشرح مقررات المؤتمر للجماهير وتعميق مضامينها سواء كان على مستوى قطاعات الشعب في معسكرات اللاجئين في السودان أو على مستوى تجمعات الجاليات الإترية في الخارج، أو على مستوى الجماهير الإترية في الداخل عبر وسائل الاعلام الإنترنت والصحافة وغيرها¹.

كما تواصل الحزب مع تنظيمات المعارضة الإترية للغرض نفسه "بالإضافة إلى حركة الوفود الخارجية التي زارت العديد من دول العالم والتقت بأعداد كبيرة من الأصدقاء والأشقاء على مختلف المستويات؛ لعكس تلك المقررات، وإبراز تلك النقلة التي واكبت تطورات الحزب، والتبشير بنتائج المؤتمر وإظهار الشعارات الجادة والعملية، والانفتاح على الساحة، والالتزام بمقررات المقاومة من الدعوة إلى إقامة حياة ديمقراطية عادلة، واعتماد التعددية، وإتاحة الحرية للجميع بمختلف أشكالها"²، وكانت ساحة المعارضة الإترية تشهد في تلك الفترة انتعاشاً، وتطوراً ملحوظاً بعد الخلافات الداخلية التي ضربت النظام الحاكم، وخروج وزراء وسفراء وكوادر عليا منه وانضمامهم إلى صفوف المعارضة الأمر الذي بدأ يعيد الأمل إلى المعارضة، لإحداث الضغط الشديد على النظام، والتقدم نحو معادلة حسم الصراع، وإحداث تغيير جذري في إتريا. ويبدو أنّ الحزب الإسلامي للعدالة والتنمية كان مدركاً لهذا المشهد، ولذا بدأ يطور من صيغ تحالفاته مع فصائل المعارضة الإترية، والانفتاح الشامل على الجماهير والتعامل مع محور صنعاء الذي استفادت منه المعارضة الإترية مجتمعة سياسياً ومادياً والجدير بالذكر أنّ محور صنعاء كان يتكوّن من إثيوبيا واليمن والسودان. والسؤال هنا يكمن في كيفية استفادة الحزب الإسلامي من محور صنعاء وخاصة من

السودان وإثيوبيا؟

¹ حامد صالح تركي، "المستشار السياسي للأمين العام للحزب الإسلامي الإترية للعدالة والتنمية". أجرت المقابلة معه مجلة (الخلاص العدد 86 أكتوبر 2005). ص 10-14

² المصدر السابق ، ص 10

أولاً علاقة الحزب بالسودان

بمجرد إلقاء نظرة سريعة على علاقة الحزب بالسودان يتبين لنا أن علاقة الحزب بالسودان تسبق علاقته بمحور صنعاء وأنّ ملف حركة الجهاد الإسلامي الإرتري الحزب الإسلامي حالياً في السودان مرّ بعدة مراحل بين تعامل الحكومة السودانية معه حيناً وبالتضييق عليه حيناً آخر، فقد تعاملت معه من عام 1988-1992 وضيق عليه في عام 1993م وذلك بإغلاق مكاتب حركة الجهاد ومصادرة ممتلكاتها العسكرية وتجهيزاتها المدنية ثم عادت للتعامل معه من جديد من 1996-1999م عندما ساءت العلاقة بين أسمر والخطوم، ثم اختلف الوضع مرة أخرى بعد اتفاقية الدوحة بين الدولتين على الملفات السياسية والاقتصادية والأمنية، وكانت استراتيجية إرتريا من تلك الاتفاقية تحييد السودان من الوقوف مع إثيوبيا أثناء حربها مع الأخيرة بسبب الخلاف الحدودي بينهما، كما أنّ السودان كان يرغب إبعاد إرتريا من دعم المعارضة السودانية، وبعد فترة تعرضت علاقتهما للفتور، ومرة أخرى بدأ السودان يتعامل مع الحزب الإسلامي والمعارضة الإرترية الأخرى من 2004 وحتى 2007م. ثم تم إغلاق مكاتب الحزب الإسلامي والمعارضة الإرترية الأخرى عام 2007م عندما حصل انفراج في العلاقات الإرترية السودانية، ويعود سبب إغلاق مكاتب المعارضة الإرترية في السودان إلى مساومته بملف شرق السودان الذي كانت إرتريا ممسكةً به والذي انتهى باتفاقية شرق السودان، ومازال الوضع كما هو إلى يومنا هذا¹.

ثانياً علاقة الحزب بإثيوبيا

وأما علاقات الحزب الإسلامي الإرتري للعدالة والتنمية بإثيوبيا فلم تنقطع منذ أن بدأت بعد الحرب الإرترية -الإثيوبية (1998-2000)، وهي تعتبر علاقات عادية، ويقال إن الحزب ترك مساحة في

¹ حديث عبدالله إسماعيل في المقابلة مع الباحث في الخرطوم (2012-12-24)

علاقاته مع إثيوبيا بتصرّحاته الواضحة ضد إثيوبيا في مسألة الحدود أثناء الحرب ومواقف أخرى¹، وهو ما جعل إثيوبيا حينها تعتبر حركة الخلاص آنذاك والحزب الإسلامي حالياً مسكونة بهواجس الوطنية أكثر مما ينبغي، ويفرق الحزب أثناء تعامله مع إثيوبيا بين المكاسب السياسية، والمواقف الآنية، والمبادئ الثابتة² للأسباب المذكورة أعلاه، ولأسباب أخرى دينية واجتماعية وسياسية وتاريخية يعتقد أنّ إثيوبيا لا ترى في الحزب الإسلامي حليفاً استراتيجياً طبيعياً لها في إرتريا.

وعلى الرغم مما صاحب المؤتمر من الزخم الإعلامي و الانفتاح على الشعب الإرتري بمختلف مكوناته، والتواصل مع الأصدقاء في الخارج، وتطوير صيغ التحالف مع القوى السياسية الإرترية، والتعامل مع المتغيّرات الإقليمية وخاصة مع محور صنعاء التي تقاطعت مصالحه مع مصالح الحزب في إسقاط النظام في إرتريا، إلّا أنّ تلك الفترة في الوقت نفسه لم تكن خالية من تحديات وعوائق تعيق وتحد من فاعلية العمل فيها كما لاحظ ذلك المستشار السياسي للحزب آنذاك حامد تركي إذ يقول "ويأتي على رأس تلك العوائق البعد عن الوطن، حيث أن الحزب يعمل خارج أرضه، وكذلك الظروف الاستثنائية التي تعيشها البلاد، ثم عوامل الظروف الإقليمية والدولية المحيطة بالمنطقة والتي دون شك تؤثر على عمل كل المعارضة الإرترية، كل ذلك يشكل عوائق تعترض مسيرتنا وتحوّل دون الانطلاق كما ينبغي وكما نطمح"³. ويضيف علي عبد العليم "على الرغم من الجهود الكبيرة التي يبذلها الحزب من كفالة الأيتام ودعم الفقراء وتقديم خدمات صحية وتعليمية للإرتريين والتواصل مع المجتمع عبر الاتحادات والروابط والواجهات العامة الأخرى

¹ بيان حركة الجهاد الإسلامي الإرتري جناح عرفة، حول عدوان إثيوبيا ضد إرتريا ، الصادر بتاريخ 7-6-1998م . وحديث محمد طه توكّل ، "صحفي ورئيس مركز الخليج العربي في أديس أبابا" في المقابلة البحثية مع الباحث في لندن (2013-5-10م)

² الرباط نشرة شهرية تصدرها أمانة الشؤون السياسية والإعلام بالحزب الإسلامي الإرتري للعدالة والتنمية ، العدد 48 مارس 2007، ص 13-14

³ حامد صالح تركي، "المستشار السياسي للأمين العام للحزب الإسلامي الإرتري للعدالة والتنمية". أجرت المقابلة معه مجلة (الخلاص العدد 86 أكتوبر 2005). ص 10

وتطوير صيغ التحالفات السياسية وغيرها الا أنّ هذه الأمور غير معكوسة في الإعلام وبالتالي غير معروفة للشارع".¹

من منظور تحليلي لما سبق سرده يمكن استنتاج الأمور الآتية:

1. يظهر من الحضور في المؤتمر تمدد الحركة في مختلف فئات المجتمع حيث أصبحت محل الاهتمام لقادة الفكر والرأي، والاتجاهات السياسية، والدينية.

2. كما يظهر من التظاهرة السياسية التي أبدتها الحزب في المؤتمر، وفي تحركاته اللاحقة أنه استفاد حدٍ ما من الظروف الإقليمية التي كانت ضد النظام الإرتري وخاصة في إثيوبيا والسودان، كما استفاد الحزب من حركة الإخوان المسلمين في العالم عموماً، والحركة الإسلامية السودانية خصوصاً باعتبار تواجد الإرتريين بأعداد كبيرة في السودان، وانتشارهم في المدارس والجامعات التعليمية السودانية، إلى أن انقطعت هذه الصلة بالحركة الإسلامية السودانية عام 2007م بعد إغلاق مكاتب الحزب الإسلامي الإرتري في السودان.

3. ومن الناحية التنظيمية فإن الترتيبات التنظيمية للحزب الإسلامي تبدو قوية ومتماسكة، إذ يقول في ذلك باسم القروي " من ناحية السلوك السياسي أنّ الحزب الإسلامي يوجد فيه تجانس وهذا الميزة حفظت التنظيم من المشاكل الداخلية وهذا شيء إيجابي وفي نفس الوقت إنّ هذه الميزة قد تكون نقطة ضعف لأنّ أفراد التنظيم قد لا يتمكنوا من معاشة والتعرض على للحراك الشديد و

¹ على عبد العليم، "أحد العناصر القيادية في حركة الجهاد الإسلامي الإرتري ثم حركة الخلاص الإسلامي الإرتري ثم الحزب الإسلامي الإرتري للعدالة والتنمية"، أجرى المقابلة البحثية معه الباحث في الخرطوم (1-15-2013)

الاحتكاكات السياسية الحادة الذي يجعلهم يتدربون على الحجج والجدال لمواجهةها¹ ويعزو الأمين

العام السابق للحزب خليل محمد عامر سبب هذا التماسك بين القيادة والقاعدة في الحزب إلى:

أولاً: عدم وجود انفصال بين القيادة والقاعدة، فالقيادة تأخذ قراراتها بالشورى الموجودة في فهم الحركة الإسلامية منذ وقت مبكر وبعدها تقوم بتنوير العضوية عبر التنويرات المكتوبة أو عبر التواصل المباشر.

ثانياً: تفاعل العضوية وتمسكها ببرنامج الحزب في الغالب الأعم، ولا يعني ذلك أنه لا يعترى بعضها فتور نسبي لعوامل كثيرة، منها الاستعجال لتحقيق الأهداف، وما يلحق العملية السياسية من فتور في بعض الأحيان، أو الحالة الاقتصادية التي يمر بها العضو إماً أنه يتعرض إلى ضائقة اقتصادية أو أنه يعمل ويستغرق كل وقته فيه وأمور أخرى غيرها. ومع هذا كله فإنه إذا طلب منه واجب يتجاوب.

ثالثاً: إن حرية التعبير والنقد البناء الممارس في داخل الحزب، مع احترام الضوابط العامة للتنظيم ساعد في حلحلة المشاكل، وتجويد العمل، والتواصل الإيجابي بين الأعضاء فعلى سبيل المثال يقول خليل محمد عامر "قد ينتقد رأي الأمين العام من عضو عادي، ولا يوجد حرج في ذلك وفي النهاية الكل يلتزم بالقرار الجماعي، والرأي المخالف يلزم صاحبه وهذا كان صمام الأمان لعملنا"².

وما يرى للباحث إضافته إلى ما سبق أن هذا الاستقرار التنظيمي يرجع إلى طرق التربية التي يسلكها الحزب، والمراحل التي يمر بها العضو العامل، وهي مراحل كافية لفحص قناعات وولاء العضو للحزب،

¹ باسم القروي، أجرى المقابلة معه الباحث. (12 23 ، 2012م)

² خليل محمد عامر ، "الأمين العام السابق للحزب الإسلامي الإرتري للعدالة والتنمية " أجرى المقابلة البحثية معه الباحث في الخرطوم السودان، (29-12-2012)

إضافة إلى ذلك فإن عضوية الحزب الإسلامي يطغى عليها الفئة المتعلمة بدرجات مختلفة، والقيادة الجماعية، ووجود قيادات مرنة متمرسة في العمل السياسي وخاصة تلك التي عملت في أجهزة الجبهة العليا، والتمثيل المعتبر للشعب الإرتري المسلم، إضافة إلى أمر آخر ألا وهو أنّ أبناء الحزب لم يفتنوا حتى الآن بالثروات الكبيرة، وفتنة الحكم، كل هذه العوامل وغيرها أدت حتى الآن إلى الاستقرار السياسي والتنظيمي في داخل الحزب¹.

4. المتتبع لمسيرة الحركة الإسلامية للحزب الإسلامي حالياً يلاحظ بشكل عام أن أعضاء الحزب في مستوى متقارب في التعليم، وفي الجوانب المالية، وإن كان بعض الأعضاء دخلوا السوق الآن ونشطوا فيه، وتوجه البعض إلى الاغتراب لتطوير جوانبه المهنية والوظيفية، وإحراز البعض الدرجات العلمية العليا التي حسنت من مكانتهم الاجتماعية، والمالية، وعلى الرغم من ذلك فإنه يبدو أنّ الحزب مازال في بداية الطريق ولم يحقق القدر المطلوب حتى الآن في تلك الجوانب من ناحية، وترتيب علاقات تلك القطاعات بالحزب حتى يستفيد منها مادياً ومهنياً من ناحية أخرى.

5- في تلك الفترة حصل تقارب بين الحزب الإسلامي، وحركة الإصلاح الإسلامي، وجبهة التحرير الإرترية، والحركة الفيدرالية، نتج عنها تكوين مظلة التضامن وإن لم تنجح تلك المظلة لظروف موضوعية وذاتية، إلا أنّها تبرهن على إمكانية العمل والتعاون بين المجموعات المتقاربة.

6- تطورات ساحة المعارضة الإرترية بخروج مجموعات من النظام الحاكم، وتحرك محور صنعاء ضد النظام الإرتري حيث أضفت الأولى الشرعية على ما كانت تقوله المعارضة بما فيها الحزب الإسلامي ضد النظام الحاكم والثانية قد فتحت لها أفاق التحرك والدعم المالي واللوجستي، وعلى الرغم من التحرك الجماعي للمعارضة الإرترية المدعومة من محور صنعاء بما فيها الحزب الإسلامي الإرتري لم يحصل أي

¹ محمد داود الأمين " أول رئيس للإتحاد الإسلامي للطلاب والشباب الإرتري عام 1986م و أحد العناصر القيادية في الحزب الإسلامي الإرتري للعدالة والتنمية" أجرى المقابلة البحثية معه الباحث في الخرطوم (2012-12-20م)

تحويلات ذات معنى لصالح القوى المعارضة الإرترية، وحسب ما يبدو للباحث يعود ذلك إلى سببين:
الأول الصراعات الداخلية للتحالف الإرتري المعارض، والثاني أن محور صنعاء وخاصة إثيوبيا
والسودان لم يتعاملا معها كحليف استراتيجي، بل تعاملتا معها كورقة ضغط على النظام الإرتري فقط
ومن ثم مارسا التقدير في دعمها. إنّ هذين العاملين وغيرهما أثرا بلا شك بصورة سلبية في مسارات
التغيير في إرتريا.

7- بسبب العوامل المذكورة في الفقرة السابقة، وبتقارب دولة السودان والحكومة الإرترية، والتحديات
الإقليمية والدولية التي كانت ومازالت تواجهها الحركات الإسلامية في العالم، والصراعات الداخلية
للمعارضة الإرترية التي لم تستطع بما فيها الحزب الإسلامي تطوير وسائل نضال تحقق الضغط الشديد
على النظام وتضعفه ومع عدم حدوث اختراق نحو التغيير في الساحة الإرترية وصل الحزب الإسلامي
إلى نقطة تتساوى فيها المكاسب والتراجع إلى أن ظهر الربيع العربي في عام 2011م، وانتعش الحزب
مرة أخرى؛ لأنّ امتداداته الفكرية كان لها الدور الكبير في تغيير الأنظمة في تلك الفترة، وفي
اكتساحها الانتخابات التشريعية والرئاسية في مصر، وفي تونس، وليبيا، كما ظهر تجمع الإصلاح
أكثر الأحزاب تنظيما وقوة في اليمن، وإن كانت هذه القوى قد ضربت في نهاية المطاف في مصر وتمّ
تجميعها في البلدان الأخرى بفعل تحركات القوى الدولية والإقليمية وحلفائها المحليين.

8- إن الحزب الإسلامي الإرتري للعدالة والتنمية كان يتبنى إقامة دولة إسلامية في إرتريا قبل مؤتمره الرابع
أما بعد ذلك فإنه استقرّ الأمر عنده بتبني دولة القانون والعدالة وبالوسائل المحققة لذلك من كتابة
دستور دائم، وتبني الديمقراطية، وفتح الحريات العامة والخاصة، وتشكيل الأحزاب السياسية، وإقامة
نظام برلماني ونظام حكم لامركزي،

9- على الرغم من أنّ خطاب الحزب تطوّر في فكرة الحوارات السياسية وتطوّر في التواصل مع التنظيمات، والانفتاح الشامل على مكونات الشعب الإرتري بكل أفكاره وقناعاته، على أساس أنّ هناك هدفاً كبيراً يجمع الناس عليه وهو إقامة نظام حكم ديمقراطي، وعادل في إرتريا، إلا أن تلك الحوارات والتحالفات لم تتجاوز حتى الآن الحد الأدنى من التفاهات، والحفاظ على المطالب الحقوقية، ولم تحدث حتى الآن أيّ قفزات نحو تغيير الوضع القائم في إرتريا، وتحقيق تلك المطالب في أرض الواقع في إرتريا.

10- يبدو أنّ الحزب الإسلامي لم يهتم بخلق كادر مؤهل يجيد اللغات الحية؛ لإيصال رسالته إلى المراكز التي ترفد بالمعلومات لصانعي القرار في الغرب والشرق، وإنّ المعلومات عنه على الأقل في الغرب تأتي إلى يومنا هذا من المناوئين له، أو في أحسن الأحوال من المختلفين معه في خطه السياسي، أقول ذلك بحكم تواجد الباحث في الغرب حيث وجد إشارات تدل على ذلك في عدة دراسات وتقارير لمراكز بحثية غربية مهتمة بشؤون القرن الإفريقي.

11- إن مسألة حمل السلاح أصبحت مكلفة وخاصة بعد 11 سبتمبر، وإعلان الولايات المتحدة الحرب على الإرهاب، وتعرضت الحركات الإسلامية التي تحمل السلاح إلى ضغوطات سياسية، واقتصادية، وإلى ضربات عسكرية في بعض الأحيان، وبناءً على ذلك أصبح المناصرون لحمل السلاح قلة، ومن جراء ذلك يبدو أن الحزب الإسلامي بدأ يقلص نشاطه في هذا المجال وإن كان لم يتوقف تماماً حتى الآن، وأصبح تركيزه أكثر على العمل السياسي والوسائل الأخرى التي تمنحه التمدد في المجتمع كالجمعيات المدنية، والعمل الإنساني كالتعليم، والصحة، والإغاثة عبر المنظمات الناشطة في هذا المجال كجهات منفذة وخاصة في معسكرات اللاجئين الإرتريين في شرق السودان.

12- يلاحظ أنّ الاسم الجديد "الحزب الإسلامي الإرتري للعدالة والتنمية" اسم طويل والعناوين الطويلة في الغالب غير محبذة، إضافة إلى ذلك يبدو أن هذا الاسم فيه تقليد لأحزاب موجودة كحزب العدالة

والتنمية في تركيا ومثله في المغرب وغيره، هل هذا التقليد تيمناً بهما أم هو عجز في الإتيان بأسماء تناسب البيئة الإرترية.

13- يبدو أن السودان وإثيوبيا يتعاملان مع الحزب الإسلامي والمعارضة الإرترية بشكل عام كعناصر متغيرة وليست ثابتة تستخدمه كورقة ضغط للنظام لا كحليف استراتيجي وبعبارة أخرى فإنه يتم التعامل مع ملف المعارضة الإرترية كملف أمني لا سياسي وبين الاثنين فرق كبير.

الخلاصة

إن الحزب الإسلامي الإرتري للعدالة والتنمية أوضح مواقفه المفصلة من قضايا كثيرة مطروحة في الواقع الإرتري كالديمقراطية وغيرها. وعلى المستوى العملي إنفتح الحزب على الجماهير، وطور من صيغته التحالفية مع القوى السياسية الإرترية، وتعامل بالتوازن مع الدول المجاورة وخاصة إثيوبيا والسودان. وعلى الرغم من كل تلك التطورات الإيجابية لم يستطع الحزب الإسلامي والمعارضة الإرترية بشكل عام تطوير وسائل نضال ناجحة تحقق الضغط وإضعاف النظام الحاكم في إرتريا، وعدم قدرتهم حتى الآن في ذلك جعل عملية التغيير في إرتريا ما زالت تراوح مكانها وهي بيت القصيد التي قامت المعارضة من أجله.

المبحث الخامس

المنظمات الجماهيرية للحزب الإسلامي الإرتري

إنّ أعضاء الحزب الإسلامي الإرتري للعدالة والتنمية ينشطون في عدة جهات فئوية، ومراكز إعلامية، وأطر أكاديمية، ومنظمات إنسانية إقليمية ومحلية. والمنظمات المحلية البعض منها هي منظمات غير تابعة للحزب تنظيمياً لكن لا تختلف معه إستراتيجياً، كالاتحاد العام للطلاب الإرتريين في السودان، والجمعية الطبية الإرترية، وغيرها من المؤسسات التي تنشط في العمل الإنساني، كالتعليم، والصحة، والإغاثة، والعمل الدعوي وغيرها، إلّا أنّ هناك منظمات تابعة للحزب تنظيمياً ومن أهمّها الاتحاد الإسلامي للطلاب الإرتريين، والاتحاد الإسلامي للمرأة الإرترية وهاتان المنظمتان تعتبران من أهمّ روافد الحزب الإسلامي، وقواه الحية ووسائل تمدده في المجتمع.

أولاً: الاتحاد الإسلامي للطلاب الإرتريين¹

بعد انخيار جبهة التحرير الإرترية عام 1981م انهارت معها أيضاً منظمتها الجماهيرية ومنها الطلابية، والتي انقسمت إلى كيانات هذه تتبع هذا الفصيل، وتلك تتبع الفصيل الآخر.

ويبدو أنّه من هنا بدأ تفكير الطلاب ذوي التوجه الإسلامي إلى إيجاد كيان إسلامي طلابي يمثلهم، تحت مظلة الحركة الإسلامية الإرترية وواجهتها المعلنة منظمة الرواد المسلمين الإرترية آنذاك، وكانت هذه المجموعات الطلابية تعمل وسط الكيانات المختلفة في داخل فصائل الثورة الإرترية، إلى أن عقدت

¹ في البداية كان اسمه الاتحاد الإسلامي للطلاب والشباب الإرتري عام 1987م ثم أمانة الطلاب 1994 ثم الاتحاد الإسلامي للطلاب الإرتريين من عام 1997

مؤتمرها الأول عام 1986م لتأسيس كيان خاص بها تحت اسم الاتحاد الإسلامي للطلاب والشباب الإترتي¹، وكان قد حضر المؤتمر الأول ممثلون من الطلاب الإترتيين الدارسين في المؤسسات التعليمية السودانية، والسعودية، والقطرية وغيرها وكانوا جميعهم من أعضاء الحركة الإسلامية الإترتية وواجهتها المعلنة منظمة الرواد المسلمين الإترتية كما سبق الإشارة إليه آنفاً ومع أنّها أسست هذا الكيان الجديد ابقت منظمة الرواد أعضائها العاملين وسط كيانات الفصائل الإترتية المختلفة تعمل في مكانها².

وبعد المؤتمر كثفت اللجنة المنبثقة من المؤتمر من جهودها وكوّنت فروعاً في الجامعات والمعاهد التعليمية في السودان وفي بعض الدول العربية الأخرى³. كما نشط الاتحاد في التواصل مع الاتحادات الطلابية المماثلة له في السودان والخارج وخاصة مع الكيانات الطلابية التابعة لحركة الإخوان المسلمين في العالم، أو الاتحادات القريبة منها بحكم أن الاتحاد الإسلامي للطلاب والشباب الإترتي كان يتبع فكراً للمدرسة الإخوانية، ولم تكن له علاقات مع الاتحادات السلفية، بل كانت العلاقة بينهما أحياناً تتسم بالتوتر بسبب التنافس القائم بينهما⁴.

و داخلياً كان يقوم الاتحاد بتجنيد أعضاء جدد للحركة الإسلامية الإترتية وواجهتها منظمة الرواد المسلمين الإترتية، وكان يتم تهيئة المجند عبر المناشط العامة وبعدها يتم استقطابه، وكانت الأوساط الإترتية مصدومة بعد هزيمة جبهة التحرير الإترتية، ولذا كانوا مستعدين للاستجابة لأي صوت بديل يملأ ذلك الفراغ الذي تركته الجبهة، إضافة إلى أنّ الأجواء السودانية كانت مساعدة لوجود الحركة الإسلامية

¹ البيان الختامي للمؤتمر الأول للاتحاد الإسلامي للطلاب والشباب الإترتي ، 19 فبراير 1987م

² حديث محمد داود الأمين في المقابلة مع الباحث في الخرطوم (2012-12-20)

³ المصدر السابق

⁴ المصدر السابق

السودانية القوية مما سهل للإتحاد التحرك من دون تضيق من قبل السلطات السودانية. وكانت الاستجابة لبرنامج وسط الطلاب الإرتريين على مستوى جيد.¹

النشاطات²

1. ساهم الاتحاد الاسلامي في التثقيف والوعي السياسي وبناء جسور التواصل مع الآخرين لفئة

الشباب في إرتريا.

2. خلق مجموعة متجانسة فكرياً وسياسياً.

3. الاتصال مع المنظمات المماثلة له في الوطن العربي والإسلامي، وخلق علاقات معها والاستفادة من تجاربها مادياً ومعنوياً.

4. استقطاب عدد مقدر في صفوف الاتحاد الإسلامي من الطلاب الإرتريين.

5. نشاط إعلامي واضح عبر نافذة مجلة البشير الدورية التي كانت ترسل للداخل والخارج، وكانت تحمل وتنشر الأفكار الإسلامية.

6. وبما أن الاتحاد الإسلامي كان رافداً من روافد منظمة الرواد المسلمين الإرترية كان له فيها إسهامات مشهودة في تطوير الرؤى والتصورات الفكرية والسياسية، والتطورات التنظيمية، والجوانب العملية فيها.

7. استطاع الاتحاد جمع أفراد الاتجاه الإسلامي الإخواني الذين كانوا ينشطون في التنظيمات الإرترية المختلفة في كيان واحد.

¹المصدر السابق

²المصدر السابق

8. قام الاتحاد الإسلامي بتقديم خدمات مختلفة للطلاب.

9. قام الاتحاد الإسلامي كأداة من أدوات الحركة بتنفيذ برنامجها، وتجنيد الأفراد، وجمع المعلومات لها.

10- على العموم نشط الاتحاد الإسلامي في العمل الطلابي النقابي كممثل للتيار الإخواني في إرتريا.

واصل الاتحاد الإسلامي للطلاب والشباب الإرتري نشاطاته المتنوعة كرافد للحركة الإسلامية الإرترية -

الاتجاه الإخواني، وممثل نقابي لها في القطاع الطلابي في إرتريا إلى أن حل للإنخراط في الوحدة الجهادية أثناء

قيام حركة الجهاد الإسلامي الإرتري عام 1988م.¹

الاتحاد الإسلامي وقيام حركة الجهاد الإسلامي الإرتري

أثناء قيام حركة الجهاد الإسلامي الإرتري في نوفمبر عام 1988م اتفق المؤتمرون وكان منهم منظمة الرواد

المسلمين الإرترية على أن يحلوا جميع الكيانات الممثلة للأطراف المشاركة في المؤتمر، وأن تنصب الجهود في

تقوية الكيان الموحد وهو كيان حركة الجهاد الإسلامي الإرتري، وبناءً على ذلك الاتفاق تقرر حل منظمة

الرواد والاتحاد، وتحولت نشاطات الاتحاد مع الآخرين إلى الكيان الموحد وعمل بكل ما يستطيع لإنجاح

حركة الجهاد وظلت جهوده في الفترة مابين 1988 - 1994م متوجهة إلى تقوية حركة الجهاد وساهم

الاتحاد الإسلامي في تلك الفترة مع آخرين في نشر الوعي السياسي والثقافي والاجتماعي والخدمي.²

إعادة الكيان الطلابي من جديد عام 1994م تحت الأمانة الطلابية

في عام 1994م تم إعادة الاتحاد الإسلامي ككيان طلابي تابع لحركة الجهاد تحت اسم أمانة الطلاب

وكانت الظروف قد اختلفت كثيراً من قبل، فقد زاد عدد الطلاب، والخدمات المطلوبة كانت كبيرة، كما

¹ الورقة التي أعدها الإتحاد الإسلامي للطلاب الإرتريين عام 2015 بمناسبة مرور 27 عاما من التأسيس تحت عنوان: الإتحاد الإسلامي

للطلاب الإرتريين في 27 عاما الكسب والتطور ، ص 2

² حديث محمد داود الأمين في المقابلة مع الباحث (20-12-2012)

أنّ التنظيم الذي كان ينتمي إليه هذا الاتحاد أصبح كبيراً، ومن هنا رأى التنظيم إعادة هذا الكيان للقيام بتلك الواجبات. وبعد إعادة التأسيس بدأ الاتحاد بالسعي الحثيث لتوفير بعض تلك الخدمات، كالمناهج الدراسية، والخدمات المختلفة للطلاب، وبالفعل تمكن الاتحاد من إيجاد المنهج بدولة المقر السودان. إذ جاء وصف تلك المرحلة في ورقة الاتحاد " عندما كانت الإنقاذ بكرة فتحت للاتحاد أفقاً واسعة في كل المستويات وتعتبر هذه الفترة من أزهى سنوات عمر الاتحاد حيث اكتسب في هذه المرحلة أغلب العضويات والمشاركات الخارجية وتدفقت فيها المنهج الدراسية بدولة المقر وأكثر أعضائه المنضمين كانوا أيضاً الذين استقطبوا في هذه الفترة إلا أنّ بريق تلك الفترة بدأ يخبو بعد عودة تحسن علاقات الحكومتين الإترية والسودانية في العام 1997م".¹

وبما أنّه كان كياناً تابعاً لتنظيم سياسي ينشط خارج بلده -في السودان- كانت تواجهه أحياناً صعوبة في تنفيذ مهامه، عندما يطاله المنع والحظر كالتنظيمات المعارضة الأخرى. وفي تلك الحالة كان الاتحاد الإسلامي يلجأ لتنفيذ برنامجه عبر الجهات العامة مثل الاتحاد العام للطلاب الإترين والمنظمات الأخرى. ومن المجالات العديدة التي نشط فيها الاتحاد الإسلامي وقام بتنفيذ مشاريع وبرامج فيها بعد إعادة تكوينه عام 1994م مشاريع المعارض، الإعلام، الرحلات، تسيير قوافل، فرق رياضية، كورسات تقوية التدريب لرفع القدرات، توثيق العلاقات مع المنظمات الأخرى، رعاية المصالح العلمية للطلاب من إيجاد منح وتوفير السكن وغيرها. وهذه الخدمات كان الاتحاد الإسلامي يقوم بتنفيذها مباشرة أو عبر المنظمات العامة الأخرى كجهة منفذة². وفي عام 1997 تم تغيير الاسم من الأمانة الطلابية إلى الاتحاد الإسلامي للطلاب الإترين. على العموم إنّ الاتحاد الإسلامي للطلاب الإترين منذ تأسيسه يجري

¹ ورقة الاتحاد ، مصدر سابق ، ص 3

² أحمد سليمان " رئيس الاتحاد الإسلامي للطلاب الإترين " أجرى المقابلة معه الباحث في الخرطوم السودان (2012-12-20م)

تقييمات ومراجعات عبر السنمات والمؤتمرات الدورية المنظمة فقد عقد الاتحاد في مسيرته الممتدة لـ 27

عاما 8 مؤتمرات عامة¹

النشاطات من عام 1994²

- نشط وينشط الاتحاد الإسلامي للطلاب الإرتريين في العمل الطلابي النقابي كممثل للتيار الإخواني

الممثل حالياً في الحزب الإسلامي الإرتري للعدالة والتنمية.

- إيجاد منح في الجامعات.

- توفير سكن جامعي للطلاب.

- التدريب والتأهيل للعضوية في المجالات المختلفة بالتنسيق مع المعاهد المتخصصة كمعهد مبارك

قسم الله، وإدارة الوافدين وغيرها لرفع القدرات الذاتية.

- تسيير قوافل صحية وثقافية إلى معسكرات اللاجئين الإرتريين للتعرف على معاناتهم، وتقديم العون

لهم بقدر المستطاع وقد استفاد من هذه القوافل عدد 45000 من الإرتريين في معسكرات

اللاجئين في السودان.³

- القيام بالمشروعات الموسمية - كإفطار صائم في شهر رمضان وتوزيع الأضاحي على الشرائح

الفقيرة.⁴

¹ ورقة الاتحاد ، مصدر سابق ، ص 6

² حديث أحمد سليمان في المقابلة مع الباحث (2012-20-12م)

³ ورقة الاتحاد ، مصدر سابق ، ص 5

⁴ المصدر السابق

- كسب عضوية في عدد من المنظمات الإقليمية والدولية كالدوة العالمية للشباب الإسلامي
- المملكة العربية السعودية، والاتحاد الإسلامي العالمي للمنظمات الطلابية (الأفسوا) في تركيا ومنظمة رعاية الطلاب الوافدين بالسودان وغيرها.¹
- تقديم كورسات تقوية للممتحنين لشهادة مرحلتي الأساس والثانوية السوداني.
- إقامة أسابيع ثقافية وترفيهية.
- قام الاتحاد بتنوع الإيرادات وتوسيع الموارد.
- تمثيل المرأة في الاتحاد.
- نشط الاتحاد في النشاط الإعلامية كإصداره مجلة الرائد - والمحاضرات الثقافية، والدورات المتخصصة وغيرها.
- كسب عضوية جديدة للإتحاد من الطلاب الجدد حيث بلغت العضوية التي مرت بالاتحاد منذ تأسيسه حوالي 5000 عضوا والتي أطرها الاتحاد تحت برنامجه التربوي، من عقد أسر أسبوعية ومروراً بالمخيمات التربوية وقد وصلت المخيمات التي أقامها أكثر من 27 مخيماً تربوياً استهدفت الطلاب بالجامعات والثانويات.²
- دعم خزينة الحزب الإسلامي مالياً في حالة الظروف الصعبة.
- تأهيل الكادر للحزب.

¹ المصدر السابق

² المصدر السابق ، ص 7

- الدور السياسي للاتحاد الإسلامي: إقامة علاقات سياسية مع الجهات المماثلة في الاتحادات والمنظمات، وإقامة مخيمات ذات طابع سياسي، كذلك القيام بالتنويرات السياسية لأحداث في الساحة، وإقامة تحالفات سياسية والمشاركة في المنابر السياسية والورش والمؤتمرات وغيرها.

ومما تقدم يتضح بأن مسيرة الاتحاد الإسلامي للطلاب الإرتريين لا تختلف عن مسيرة الحركة الإسلامية "الحزب الإسلامي حالياً" كسباً وتراجعاً وخضوعاً للتطورات الأمنية والسياسية لدولة المقر السودان كما أنّ سودنة الإرتريين في السنوات الأخيرة في السودان تعتبر من أحد مهاداته إضافة إلى شح موارده المالية إضافة إلى مشاكل أخرى¹.

ثانياً: الاتحاد الإسلامي للمرأة الإرترية

إن المرأة الإرترية كان لها دور بارز في مسيرة الحركة الوطنية الإرترية وخاصة في فترة الكفاح المسلح حيث أُنْهكت كانت تحمل البندقية مع الرجال، وتداوي الجرحى، وتشارك في العمليات الفدائية الخطيرة وغيرها. وعلى العموم كان دور المرأة لا يختلف عن دور الرجال في تاريخ الثورة الإرترية.

أما دورها في الحركة الإسلامية فلم يكن بأقل مما كانت تقوم به داخل الثورة الإرترية في عهد الكفاح المسلح فكانت جزءاً من منظمة الرواد المسلمين ولم تكن المرأة غائبة من نشاطات حركة الجهاد الإسلامي الإرتري من جمع التبرعات والمشاركة في النشاطات العامة الأخرى. وهكذا كانت المرأة الإرترية جزءاً من العمل الإسلامي الإرتري، وكانت مشاركتها ضمن الشرائح الأخرى ولم يكن لها دور منفصل أو كيان مستقل².

وكانت تنشط الطالبات في الاتحاد الإسلامي للطلاب الإرتريين التابع لحركة الخلاص الحزب الإسلامي حالياً وكان تصعيدها يأتي من الشعب المشاركة في المؤتمر، وكانت نسبة الطالبات في الاتحاد تمثل

¹ حديث أحمد سليمان في المقابلة مع الباحث (12-20-2012م)

² آمنة محمد نور " رئيسة الإتحاد الإسلامي للمرأة الإرترية " أجرى المقابلة البحثية معها الباحث في الخرطوم السودان (22-12-2012)

الثالث وشاركت في المؤتمر الأول للاتحاد بـ25%، ونسبة مقدرة في المؤتمر الثاني حيث مثلت في المجلس بـعضوية عضوين، وفي المؤتمر الثالث بأربعة أعضاء في المجلس بالانتخابات المباشرة. ولم تدخل المرأة في تنفيذية الاتحاد باعتبار أنَّها كان لها مكتب منفصل داخل الاتحاد وهو مكتب المرأة. كما كانت تنشط المرأة في الاتحاد العام للطلاب الإرتريين والذي كان واجهة لتنفيذ مشاريع كثيرة للاتحاد الإسلامي¹.

العلاقة التنظيمية بالحزب الإسلامي الإرتري للعدالة والتنمية

كانت العلاقة التنظيمية للمرأة بحركة الجهاد الإسلامي الإرتري ثم حركة الخلاص والآن الحزب الإسلامي الإرتري للعدالة والتنمية كانت تنضوي تحت مكاتب الفئات التي تتضمن العمال والطلاب والمرأة وغيرهم، وبقي التعامل معها ضمن شعب الفئات إلى أن تبنت حركة الخلاص الإرتري عام 1998م الحزب الإسلامي حالياً الانفتاح الشامل على الجماهير الإرترية والذي احتاج إلى وسائل التمدد إلى المجتمع، ومن هنا جاءت فكرة خلق منظمات وواجهات شبه مستقلة لتساعد في ذلك، ومن ضمن هذه الواجهات تم تأسيس كيان مستقل للمرأة. وقد تم عقد أول مؤتمر لهذا الكيان عام 1999م² وكانت المشاركة فيه من جميع المناطق، وقد نوقشت ورقتان في هذا المؤتمر³: سيرة ومسيرة المرأة الإرترية، خطة عمل المرأة، كما أقر المؤتمر الهيكل للكيان الجديد المكوّن من المؤتمر، المجلس الإداري يتكون من 30 عضواً، والأمانة العامة تتكون من 7 مكاتب، وبعد انتهاء المؤتمر كثفت الإدارة المنبثقة من المؤتمر جهودها لترتيب العمل وتحسين أدائه في مختلف الميادين، وقد أنشأت فروعاً في كل ولايات السودان وخاصة في معسكرات اللاجئين

¹المصدر السابق

²البيان الختامي للمؤتمر الأول للاتحاد الإسلامي للمرأة الإرترية، 11-4-1999

³حديث آمنة محمد نور في المقابلة مع الباحث (12-22-2012)

الإريتريين في شرق السودان وقد بلغ عددها أكثر من 15 فرعاً، موزعة في السودان ودول الخليج والدول الأوروبية وقد وصلت العضوية العاملة أكثر من ألفين وأغلبيتهن يتمركز في أرياف مدن شرق السودان¹.

ومن التطورات الملفتة للنظر في المؤتمر الرابع للحزب الإسلامي الإريتري عام 2004م أن نسبة المرأة في مجلس شورى الحزب قد وصلت إلى 10% و15% في المؤتمر الخامس عام 2012². ومن النماذج القيادية التي ظهرت عبر هذا الكيان، عمارية إبراهيم ، فاطمة كادماي ، أميرة حسن ، رحمة عبد الباقي، سعاد موسى فرج ، رحاب موسى، أمونة عبد القادر ، آمنة محمد نور، سلمى يعقوب دنكلاي، سلوى محمد إدريس، وأخريات³

النشاطات⁴

- ساهم الاتحاد في إحياء دور المرأة الإرتيرية في نشر الدعوة الإسلامية وخاصة وسط العنصر النسوي والتي أصبح لها فيه دور مشهود.

- ساهم الاتحاد في زيادة الوعي السياسي للمرأة وخاصة داخل مجلس شورى الحزب الإسلامي للعدالة والتنمية والذي أصبح للمرأة فيه دور فعال في اتخاذ القرارات والتأثير على سياسات الحزب الاستراتيجية.

- تقديم الخدمات المختلفة للمرأة ككفالة الطالبات الجامعيات، وكفالة الأيتام في مرحلتي الأساس والثانوي عن طريق الهيئة الخيرية كجهة منفذة.

- الاهتمام بتأهيل كادر المرأة في الحزب الإسلامي الإرتيري للعدالة والتنمية.

¹المصدر السابق

²المصدر السابق

³المصدر السابق

⁴المصدر السابق

- خلق الاتحاد علاقات طيبة مع المنظمات المشابهة على المستوى المحلي والدولي.
- بجهود الاتحاد وبالتعاون مع الآخرين يوجد تحسن في جانب التعليم العالي للمرأة الإرترية في السودان، فهناك الآن مجموعة مقدرّة من الأخوات يدرسن في مرحلة الماجستير والدكتوراه.
- مشاركات الاتحاد الإسلامي للمرأة الإرترية في ملتقيات الاتحادات النسائي العالمي وغيره لعكس دور المرأة الإرترية المسلمة وإيصال صوتها للعالم الخارجي.
- التقى ويلتقي الاتحاد بالداعيات الإسلاميات في العالم الإسلامي للاستفادة من تجاربهن في الحقل الدعوي.
- وعلى العموم يعقد الاتحاد الإسلامي للمرأة الإرترية مؤتمرات عامة راتبة يقيم أداءه في نهاية كل دورة. وفي التقييم الأخير وجد الاتحاد الإسلامي للمرأة تحسناً في المجال التعليمي للمرأة وفي الوعي الدعوي، والسياسي، والتنظيمي وفي تأهيل كادر المرأة، وتعاضد تأثيره في الحزب الإسلامي في مختلف أصعده التي تمثل المرأة 15% في قيادته العليا.

الخلاصة

إن الاتحاد الإسلامي للطلاب الإرتريين والاتحاد الإسلامي للمرأة الإرترية هما من أهم روافد الحركة الإسلامية الإرترية " الحزب الإسلامي حالياً " عبر التاريخ ومن أهم أضلعه في تنفيذ مشاريعه الخدمية، وأدوات من أدواته في جمع المعلومات والتجنيد، ويمثله في العمل النقابي وفي عدة نشاطات مختلفة ويرفدانه بكادر بشري مدرب، وبدعم مالي لخزينته في حالة الظروف الصعبة. على العموم فإن مسيرتهما لا تختلف عن مسيرة الحركة الإسلامية، الحزب الإسلامي حالياً، فيصيبهما ما يصيبه من القوة والضعف ومن المضايقة والمنع وغيره.

المبحث السادس

موقف الحزب الإسلامي من قضايا هامة في إرتريا

موقف الحزب الإسلامي الإرتري للعدالة والتنمية من القضايا العديدة المطروحة في الساحة الإرترية منها موقف الحزب من النظام الحاكم في إرتريا، قضية التعايش السلمي في إرتريا، الديمقراطية وعلمنة الدولة.

أولاً: النظام الحاكم في إرتريا

موقف الحزب من النظام القائم في إرتريا يرى الحزب أن النظام الحاكم في إرتريا هو نظام دكتاتوري، غير شرعي، ومنتهك لحقوق المواطنين الإرتريين وخاصة المسلمين منهم وبناءً على ذلك فإن القوانين والمراسيم المجحفة الصادرة منه باطلة وغير ملزمة للحزب الإسلامي الإرتري للعدالة والتنمية. وأن الحزب سوف يكثف من جهوده لتطوير آليات المقاومة المتاحة مع كافة أبناء الوطن لإسقاطه وإرساء دولة العدل والقانون التي ينعم فيها الجميع¹.

¹ حركة الخلاص الإسلامي الإرتري. الميثاق السياسي 1998. ص 14 و 25. والحزب الإسلامي الإرتري للعدالة والتنمية. الميثاق السياسي

ثانياً: موقف الحزب من التعايش السلمي في إرتريا

إن الدولة القومية في العصر الحديث قامت على نمطين اثنين: دول الغالب فيها مجموعات متجانسة لغوياً، وثقافياً، وعرقياً في رقعة جغرافية معروفة مثل الدول الأوروبية كالفرنسيين أو الإيطاليين والألمان والإنجليز وغيرهم أما النوع الثاني من الدول القومية فهي التي تتنوع مكوّناتها من ناحية اللغة أو العرق أو الدين أو الثقافة وغيرها، وهي في الغالب نتاج الاستعمار الغربي حيث دمج المناطق التي كان يستعمرها دون اكتراث بتلك التنوعات المختلفة، لذا فإنّ غالبية هذه الدول يطغى عليها التنوع العرقي والثقافي والديني كما ذكر آنفاً، وعبر التاريخ يتكوّن لهذه المجموعات المتنوّعة تاريخ مشترك، وتتوحد في محاربة العدو الخارجي¹، غير أن تماسكها بعد رحيل العدو المشترك يصبح مرهوناً بمدى قدرة هذه الجماعات للتعايش السلمي فيما بينها والقائم على العلاقات الإيجابية بين الأطراف المختلفة على أساس المساواة في الحقوق والواجبات، والاعتراف المتبادل للتنوع والحفاظ عليه.

وعند البحث عن كُتب فإن الغالبية الساحقة من تلك الدولة القومية التي يوجد فيها التنوعات يوجد فيها أيضاً انقسامات كبيرة في داخلها، ونوعية هذه الانقسامات تختلف من بلد إلى آخر، وتختلف أيضاً على نطاق واسع، من حيث تسييسها من النخب السياسية والشرائح الاجتماعية²، ومن حيث التعامل معها هناك مساران: مسار يراهن في تذويب هذه التنوعات في كيان واحد، وفي الغالب يكون في كيان المجموعة المهيمنة وظهر خلل هذا المسار بصورة لا لبس فيها في عدة مناطق في العالم، بل تسبب في نتائج عكس النمط المتوقع وأدى إلى بروز صراعات الهويات الدينية والعرقية وغيرها فعلى سبيل المثال لا الحصر ظهر ذلك جلياً في يوغسلافيا السابقة وفي رواندا وغيرها.

¹أحمد صالح. "التعايش في إرتريا بين الثنائية والتعددية اللغوية والثقافية." مجلة القرن الإفريقي العدد 4، 2004: 56-74. ص 60-61

²كومار ريسنكة ترجمة ذاكر آل حبيب : ماهو التعايش؟ مجلة الكلمة العدد 68 نوفمبر 2010 www.kalema.net

وأما المسار الثاني فقد حاول إرساء التعايش السلمي بين مختلف الشعوب والأعراق والجماعات الدينية والعشائر والقبائل، فخلق بين تلك المجموعات المختلفة علاقات إيجابية، وجعل من التنوع ثراء لاصرا مثل سويسرا مثالا على مستوى الدولة الواحدة والاتحاد الأوروبي على مستوى المنطقة وغيرها.

وإنّ إرتريا تعد من دول النمط الثاني التي دمج الاستعمار الايطالي أقاليمها المختلفة وخلق منها ما عرف بإرتريا والتي بدأت تتبلور فيها مشاعر الهوية، والوحدة والمصير المشترك بين هذه المجموعات في عهد الاستعمار، إلا أن تلك التطورات لم تكن خالية من مشاكل ذات أبعاد ثقافية، وطائفية تلميحاً أو تصريحاً.

وكان لتلك الانقسامات تأثير سلبي في مرحلة تقرير المصير التي أخرت تحقيق الاستقرار والاستقلال الناجز آنذاك، وخفّت حدة تلك الانقسامات أثناء الكفاح المسلح إلى حد ما، إلا أن أبعادها عميقة ومتأصلة في الفلسفة السياسية الإرترية التي قام عليها مشروع الحركة الوطنية الإرترية في أربعينات ومطلع الخمسينات من القرن الماضي، وحتى يكون التحليل قريبا للموضوع فإنّ تلك الانقسامات كانت ومازالت تدور رحاها بين الثنائية الدينية الإسلام والمسيحية، والثنائية الثقافية، الثقافة العربية الإسلامية والثقافة التجزئية المسيحية، وثنائيات المرتفعات والمنخفضات، وصراعات أخرى في الغالب تتفرع منها كصراع في الثروة والسلطة بين تلك المجموعات وينتج عن ذلك تهميش بعض القوميات. مازالت سياسة أكسب الكل أو اخسر الكل تلقي بظلالها في العملية السياسية الإرترية (Zero game). فهل هناك من سبيل للخروج من هذا المأزق وتحويل تلك التنوعات إلى تفاعلات إيجابية وجعلها عامل نعمة الثراء لا نقمة الصراع؟.

وحتى لا تأخذنا التفاصيل بعيداً عن موضوع البحث أعود وأقول ما هو موقف الحزب الإسلامي الإرتري للعدالة والتنمية من التعايش السلمي في إرتريا؟ وسوف يتناول الباحث مواقف الحزب من واقع وثائقه وكتابات نخبه، ومن مشاهدة واقعه السياسي، وسلوك أعضائه.

وبالرجوع إلى وثائق الحركة الإسلامية الإرترية - الحزب الإسلامي حالياً يجد المرء اهتمام الحركة بهذا الموضوع في البيان الأول لمنظمة الرواد المسلمين الإرترية عام 1981م¹، ولم يكن لحركة الجهاد (1988-1993) اهتماماً يذكر بهذا الموضوع² إلى أن جاء الاهتمام به مرة أخرى في عهد حركة الخلاص الإسلامي الإرتري عام 1998م والتي عبّرت عنه في ميثاقها السياسي كالآتي "إن تنمية وتطوير الروابط الوطنية بين المجتمع الإرتري بشقيه المسلم والمسيحي على أساس الالتزام بمبدأ التعايش الوطني الذي يقوم على الاحترام المتبادل والحفاظ على حقوق الطرفين الدينية، والسياسية، والثقافية، والاقتصادية، والاجتماعية يحقق الاستقرار والسلام في إرتريا، ويجنب الوطن ويلات المؤامرات والتدخلات الأجنبية التي تستهدف النيل من السيادة الوطنية، كما يساعد على النهضة الاقتصادية السريعة، ولهذا فإنّ الحركة ستبذل قصارى جهدها لإزالة كافة الحساسيات القائمة بين المسلمين والمسيحيين في إرتريا بكل الوسائل المتاحة"³.

وجاء البرنامج السياسي للحزب الإسلامي الإرتري للعدالة والتنمية عام 2004م مؤكداً تلك المواقف من التعايش السلمي "يعتبر الحزب الوحدة الوطنية حجر الزاوية في بقاء إرتريا كدولة وشعب، وهو إحساس بوحدة الأهداف والمشاعر، كما هو إحساس بوحدة الأرض، ولذا سيعمل الحزب في على ما يحقق الوحدة الوطنية من احترام الأديان وإقرار الحقوق والمساواة أمام القانون، والتنمية المتوازنة في كل مناطق إرتريا، والتوزيع العادل للسلطة والثروة بالصورة التي يحس فيها الجميع بالرضا، وتحقيق الذات ونشر ثقافة التسامح والتعايش، وبناء الثقة من خلال انخراط الجميع في الحوار الجاد، والبرامج العملية المشتركة من أجل تمتين الوئام الوطني"⁴.

¹ إيلوس، إرتريا ومشكلة الوحدة الوطنية، مصدر سابق ص 382

² أرجع للمزيد في هذا الموضوع في كتاب: من وثائق المؤتمر العام الأول لحركة الجهاد الإسلامي الإرتري. مصدر سابق

³ حركة الخلاص الإسلامي الإرتري. الميثاق السياسي 1998. ص 27

⁴ الحزب الإسلامي الإرتري للعدالة والتنمية. الميثاق السياسي 2004. ص 10

وأما أهم دراسة في هذا الموضوع والتي حدّدت الأفكار الأساسية للتعايش السلمي في إرتريا والمعوقات التي تحول دون تحقيقها، الورقة التي قدمها أحد أبرز منظري الحركة الإسلامية الإرترية حامد صالح تركي في سمنار الجمعية الإرترية للسلام والديمقراطية بالسويد عام 2002 بعنوان "الثوابت الوطنية الإرترية والعوائق التي تحول دون الإجماع الوطني حولها" وتناولت هذه الدراسة الأهداف والغايات المشتركة بين المجتمع الإرتري وحاولت تلمّس ركائز التعايش السلمي في إرتريا منها:

كرامة الانسان

وإنّ كرامة الانسان متفق عليها في الديانتين التي يعتنقها الشعب الإرتري والقوانين الدولية وعرف المجتمع المحلي وإنّ هذه الميزة سوف تكون ركيزة مهمة في التعايش السلمي في إرتريا¹.

تعايش الديانتين في إرتريا

إن الشعب الإرتري اعتنق الديانة المسيحية والإسلامية بقناعة وترحاب لا تحت حروب دينية أو تهديد الفتوحات، ولما كان دخول الديانتين إلى هذه البقعة بالسلم فإن معتنقيهما أيضا اتسموا بالتسامح الديني ولم يسجل التاريخ أي حروب دينية بين الطائفتين في إرتريا. وما حصل من استقطابات لاستغلال الدين في الصراعات السياسية في مرحلة تقرير المصير في مسيرة الكفاح المسلح، وما يقوم به الآن نظام الجبهة الشعبية بمعاداة الدين واضطهاد، يجب إدانة تلك التصرفات ولا صلة لها بالديانتين، وإنّ التدين في الشعب الإرتري تدين أصيل ويعتبر الدين من عناصر قيمه وثقافته، وبهذا يكون دور الدين دورا إيجابيا في تطوير المجتمع الإرتري وعامل من عوامل الوئام الاجتماعي والتعايش السلمي في إرتريا².

¹ حامد صالح تركي ورقة : الثوابت الوطنية الإرترية والعوائق التي تحول دون الإجماع الوطني حولها، المقدمة إلى سمنار الجمعية الإرترية للسلام والديمقراطية بالسويد عام 2002م، ص 2

² المصدر السابق، ص 5

مكونات الأصول العضوية (العرقية) للشعب الإرتري

إن مكونات الشعب الإرتري كغيره من شعوب منطقة القرن الإفريقي نتاج تزاوجات واختلاطات للشعوب المعروفة (بالحامية والسامية) وبمرور الزمن ونتيجة للتداخل العضوي والثقافي والديني نتج عنه وشائج اجتماعية وعنصر مترابط ببعضه، ومتشابه في اللون والشكل، مما أسهم وسيسهم في دعم التماسك الداخلي وهو أحد أهم ركائز التعايش السلمي¹.

التربط الثقافي

الاعتراف بثقافات ولغات المجموعات اللغوية والقومية على المستوى الخاص وبالثقافتين الرئيسيتين على مستوى الوطن وهما الثقافة العربية الإسلامية، والثقافة التجزئة المسيحية، ولثقافتين تأثير واضح في مجمل الأعراف والقيم المتبادلة بين المجتمع الإرتري. ولهما دور إيجابي في تآلف وتجانس الشعب الإرتري عبر التاريخ، وإن الاعتراف بحقائق الشعب الإرتري، وتوظيفها توظيفاً حسناً بحكمة وواقعية سيسهم في التعايش السلمي في إرتريا².

التطورات السياسية الإرترية

إنّ الاستفادة من التطورات السياسية في إرتريا من مرحلة تقرير المصير، وفترة الكفاح المسلح وبعدها مرحلة الدولة، وما صاحب تلك المراحل من سلبيات وإيجابيات سوف تكون دروساً وعظات وعبراً لتلافي السلبيات في المستقبل وتدعيم الإيجابيات، إضافة إلى الاستفادة من تجارب الآخرين من الأمم والشعوب من حولنا لبناء إرتريا دولة ديمقراطية تتاح فيها كامل الحقوق لكافة شرائح المجتمع الإرتري³. وإن التجارب السياسية لدى المجتمع الإرتري قامت على جملة من المبادئ الوطنية دار عليها نقاش منذ أربعينات القرن

¹المصدر السابق، ص 3

²المصدر السابق، ص 5

³مصدر السابق، ص 8-9

الماضي واتفق في البعض منها، ومازال يدور الجدل في بعضها، يقول تركي "تلك المبادئ والحقوق المطروحة في الساحة الإرترية هي كما يلي: مبدأ حق الاستقلال الوطني ووحدة الشعب والتراب الإرتري، وضروة التعايش بين الإسلام والمسيحية واعتبار العربية والتجربية لغتين وطنيتين رسميتين، وحل الخلافات بطرق سلمية ونبد العنف، وتطوير اللغات وثقافات القوميات وحق تقرير المصير، واستقلال القرار السياسي وإقرار التعددية السياسية وتداول السلطة سلمياً واستقلال المؤسسات الدينية ومؤسسات المجتمع المدني، وعلمنة الدولة وحق الشعب في تحكيم الشرائع الدينية، والثروة والسلطة، والمساواة والعدل في التنمية الوطنية، ومكونات الهوية الإرترية والانتماء الوطني".¹

إن الاتفاق على تلك المبادئ والحقوق سوف تكون نتائجها أمناً وسلاماً واستقراراً للشعب الإرتري. وإن أغلب تلك المبادئ كانت مطروحة، وقد تجاوزها الشعب الإرتري في المراحل السابقة، وقد لا يجد صعوبة لتجاوزها الآن أيضاً، إلا أنّ هناك بعضاً من هذه المبادئ والحقوق المذكورة مستجدة الطرح في الواقع الإرتري، ولم تنل ما يكفيها من النقاش، ويتوقع أن تدور عليها نقاشات بين قطاعات المجتمع المختلفة من هذه المبادئ علمانية الدولة، وشخصن المعتقدات والممارسات الدينية، ومبدأ حق الشعب في تحاكمهم في شرائعهم الدينية، وحق تقرير المصير للقوميات، وتطوير اللغات وغيرها، سوف تكون محل جدل واسع بين التيارات السياسية، والفكرية، وسوف يكون التحاكم على الشعب بشأن تلك المبادئ في جو ديمقراطي حقيقي.²

أمّا أحمدين صالح أحد كوادر الحزب فيتناول في مقاله الأكاديمي المنشور في مجلة القرن الإفريقي³ النقاط المضيفة من التسامح والتعايش بين مختلف الشرائع الإرترية، وفي الوقت نفسه أيضاً يتناول

¹ المصدر السابق، ص11

² المصدر السابق، ص12

³ أحمدين صالح. "التعايش في إرتريا بين الثنائية والتعددية اللغوية والثقافية". مجلة القرن الإفريقي العدد 4، 2004: 56-74.

الاستقطابات الطائفية في الصراعات السياسية في مرحلة تقرير المصير، وانسحابها على الثورة وبعدها إلى مرحلة الدولة الإرترية. كما أنه يتساءل حول أسباب الخلافات الإرترية اليوم، أهى إفرازات لنظام اجتماعي عليل؟ أم أن سببها اختلافات النخب السياسية؟ وأياً كان من الأمر يقول: فإن مظهر هذه الخلافات تتمحور حول ثلاثة قضايا رئيسية: الثنائية اللغوية والثقافية، والتعددية اللغوية والثقافية، ودور الدين في السياسة¹

ويقول تختلف معالجة تلك الخلافات باختلاف النخب ورؤيتها وتحليلها للواقع الاجتماعي، والثقافي الإرتري، وما تملّيه مصالح كل طرف من دوافع سياسية وثقافية واقتصادية إلخ. ولمعالجة مشكلة التعايش السلمي في إرتريا يرى أحمد دين صالح الاعتراف بالثنائية اللغوية والثقافية، ومنحها فرصة متكافئة، وفتح الحريات العامة وإقرار التعددية الحزبية وانتخابات حرة ونزيهة، والسماح بتكوين المنظمات المدنية المستقلة، وإقرار نظام المركزي يعطي أهل كل إقليم الأولوية في الخدمة وفرص العمل المتوفرة في منطقتهم. ودفع النخب والباحثين لدراسة قضايا المجتمع، ووضع حلول لها، وإقامة منتديات ومنابر لمناقشة هذه القضايا، وتكوين رؤية مشتركة حولها².

ومما سبق سرده من مواقف الحزب يمكن ملاحظة الأمور الآتية:

1. أن نقطة البداية في مسألة التعايش السلمي في إرتريا تكمن حول الأسس التي قامت عليها العملية السياسية، والآليات التي اعتمدت عليها لصياغة المشروع الوطني الإرتري ولم ينتج المشروع من إجماع داخلي بل كان نتاج مجتمعات ومناطق تم إلحاقها ببعض عن طريق القوى الاستعمارية، أي أنها علاقة إدراجية بين تلك الكيانات ولم تكن قائمة على أساس عقد اجتماعي متفق عليه

المصدر السابق، ص 67

المصدر السابق، ص 73

يلعب تأسيس دولة ذات حكومة تمثيلية تعكس تلك المكونات في جهازها الإداري، وصولاً إلى خلق هوية وثقافة وطنية جامعة. وعلى العموم فإن مسألة التعايش السلمي تميّزت عبر التاريخ في إرتريا بميزتين إحداهما إيجابية والأخرى سلبية، فالأولى تتمثل في التسامح والتعايش السائد بين مختلف شرائح المجتمع الإرتري والتي لم يحدث بينها حتى الآن أي حرب دينية أو مجتمعية، والثانية سلبية هي تسييس النخب السياسية لتلك التباينات، واستقطابها في صراعاتها السياسية في المراحل الثلاث، مرحلة تقرير المصير، ومرحلة الثورة، وأخيراً في مرحلة الدولة. والنخب السياسية اليوم عموماً لا تختلف حول وجود تلك الإشكالية في إرتريا، ولكن تختلف في طرق معالجتها كل حسب رؤيته وتحليله للواقع، وما تقضيه مصلحته السياسية والاقتصادية والثقافية الخ-- وشأن الحزب الإسلامي الإرتري للعدالة والتنمية في ذلك شأن أي تنظيم سياسي له اهتمامات في معالجة هذا الموضوع، وقد يكون هذا الاهتمام تمليه دوافع سياسية حزبية لتطمين الآخر، وقد يكون نابعاً عن صدق لمعالجة تلك المعضلة في إرتريا، وسيعرف نتائج هذا الاهتمام بمدى اتساق أهدافه بأعماله في أرض الواقع عملاً وسلوكاً.

2. يؤخذ على رؤية الحزب الإسلامي الإرتري للتعايش السلمي التركيز على الثنائية الدينية والثقافية بين المسيحيين والمسلمين، ولم ترد أي إشارة إلى الأقلية التي لا تنتمي إلى تلك الديانتين والثقافتين في إرتريا، وهذا ما لاحظته أيضاً تسفاظيون مدهاني في خطابه¹.

3. فيما يبدو للباحث، أن الحزب ينظر إلى حل مسألة التعايش السلمي في إرتريا من منطلق سياسي قائم على العملية الثنائية الدينية والثقافية دون الأخذ في الاعتبار المؤثرات الأخرى، ولعل هذا التركيز نابع من التصور القائل: إن السياسة هي ممارسة مؤسسات الدولة، ولا يأخذ في الاعتبار أن مفهوم السلطة مفهوم واسع، ومظاهر المشاركة فيه تشمل الدولة والمجتمع وكافة مناطق النفوذ

Medhani , Op.cit, p. 89¹

والقوة والقدرة. وبهذا فإن التعايش السلمي وإن كانت مهمته تقع على الدولة حكومة ومعارضة، إلا أنه أيضاً محكوم بشروط داخلية اجتماعية شديدة التعقيد، وتفاعلات ثقافية متنوّعة، سيما حين يجري الحديث عن أطراف عدة يراد لها إنتاج مشتركات عامة تقوم عليها عملية التعايش. إضافة إلى ذلك فإن النخب السياسية في إرتريا كانت ومازالت سبب تأزم التعايش السلمي في إرتريا، وذلك بسبب إقحام الأبعاد الطائفية في صراعاتها السياسية، ولذا يجب عدم ترك معالجة هذا الموضوع لها وحدها، بل إشراك جميع القوة المجتمعية الحية معها من قادة الفكر والرأي، وأكاديميين ورجال الدين، والجمعيات المدنية، والإدارات الأهلية، والنقابات الفتوية وغيرها لضمان عدم التسييس المصلحي للموضوع.

4. في أرض الواقع هناك قوة متحركة تستخدم مضمون سلطتها بوعي لإحداث تحولات في المجتمع فتتغير الأنماط النفسية، والاجتماعية، والثقافية فيه ومن ثم يفقد الحس الشعوري بحقوقه، فيرضخ لأوامر الإنصهار والاندماج الكامل في ثقافة الجماعة المهيمنة سياسياً، ودون ذلك يوصف بالمهدد للتماسك المجتمعي ولذلك يجب محاربته، ولم يجد الباحث في طرح الحزب كيفية التعامل مع هذا الواقع الذي سوف لا يفسح الطريق أمام تحقيق التعايش السلمي الذي ينشده الحزب الإسلامي والمعارضة الإرتيرية الأخرى.

ثالثاً: موقف الحزب الإسلامي من الديمقراطية في إرتريا

أ- الديمقراطية في الواقع الإرتيري بشكل عام.

إنّ العملية الديمقراطية في الواقع الإرتيري هي عملية إسقاطية، وليست من توليدات اجتماعية طبيعية محلية وأن أسباب نشأتها وأبعادها الفلسفية وتطوّراتها العملية بين مدارسها المختلفة كانت في بنية مغايرة. ولذا فلا غرابة من أن يقع هذا المفهوم بين رؤيتي التواصل والتقاطع، فالأولى ترى إسقاطه من خلال استعارة

البيئة السياسية والاجتماعية الأولى بقضها وقضيضها، وتشغيلها في الوسط الجديد، أما الثانية فترى ألا يتم ذلك قبل إعادة البيئة السياسية في سياقها الاجتماعي المهيمن، لأنه وسط مغاير للبيئة الأولى. وعموماً فإنّ صنفى الديمقراطية غير الليبرالية و الليبرالية نشأ في أوروبا منفصلين عن بعضهما عبر القرون من التاريخ الأوروبي، فالأولى الديمقراطية غير الليبرالية يمثلها حكام كثر صعدوا إلى الحكم عبر انتخابات ديمقراطية وتجاهلوا فرض قيود دستورية على سلطتهم، وحرّموا مواطنهم من حقوقهم الأساسية، مثل هتلر مثلاً في القرن الماضي، والقيادة الصينية وبوتن في روسيا في الوقت الحالي وأنظمة حكم ديكتاتورية كثيرة اليوم يعاد انتخابها عبر استفتاءات شعبية ولو صورياً. أما الثانية لا تتميز بالانتخابات الحرة والنزيهة فحسب وإنما تتميز أيضاً بسيادة القانون الذي يفصل بين السلطات ويكفل الحريات الأساسية للمواطن كحرية التعبير والاعتقاد، والتملك، والتجمع وعدم التعرض له بالأذى بدون وجه حق، فالحكام يحكمون في إطار تلك القوانين ويكونون مقيدين بها لا يحددون عنها قيد أملة، وكانت إنجلترا والولايات المتحدة سباقتين في ذلك، أما الدول الأوروبية الأخرى فقد سلكت طريقاً أكثر تعقيداً ولكن في النهاية وصلت مبتغاهما.

وإنّ الديمقراطية الليبرالية على الرغم مما توفره من سيادة للقانون وحريات أساسية للعامة والفرد ابتداءً وهي التي تساعد أيضاً في نقل الصراع من مستوى العنف إلى الصراع السلمي سبيلاً. ومع ذلك فإنّ هذه التجربة لم تخل من علل، ولم تكن في مستوى الصورة التي بشر بها فلاسفة الأنوار، لذا تعرضت لمراجعات نقدية شاملة باستمرار منها كما تناول ذلك رفيق عبد السلام بالتفصيل¹:

—محاولة فك العلاقات المزعومة بين الديمقراطية والليبرالية، وتحويل مجرى الاهتمام إلى العلاقات

السياسية، وفي جوهرها تدافع واستقطابات وصراعات دامية، وليست هي مجرد فضاء

لتجسيد الفضائل الأخلاقية والإنسانية، وما حصل من تراض وتعايش ووافق في المجتمعات

¹ عبد السلام ، رفيق. "النظام الديمقراطي ولعبة السيطرة" (جريدة الشرق الأوسط ، 8 أغسطس 2004)

الغربية لم يكن تعبيراً وفيّاً للمدونة الحقوقية قوامها الفردية الحرة والحقوق المدنية، بل راجع إلى تطوير آليات إدارة الصراع والمساومات، وهذه المحاولة تجعل من الفكرة الديمقراطية انفتاحاً على إمكانيات متعددة ليست الليبرالية إلا واحدة منها.

- إنّ العملية الديمقراطية ليست نظاماً شفافاً تنعكس فيه الإرادة العامة للمواطنين بل كثيراً ما يكون هذا النظام تعبيراً عن مصالح النخب السياسية المدربة على فنون المخادعة، وعلى أساليب البراعة في مخاطبة الجمهور واستجابة لمصالح دوائر النفوذ إذ إنّ النخب السياسية غالباً ما تتخذ قراراتها بناءً على مصالحها، ثم تعمل لاحقاً على التحكم في اتجاهات الرأي العام عبر لعبة الإقناع والتواصل.

- إنّ الديمقراطية تقوم بدعم الوضع القائم بغض النظر عن الخلل الذي يمثله، الأمر الذي يجعل الحلول التي تخلص إليها العملية حلولاً مؤقتة ونسبية وليست حلولاً نهائية ودائمة.

لكن في النهاية فإنّ العملية الديمقراطية مع كل علاقتها تعتبر اليوم أفضل ما توصل إليه العقل البشري لتنظيم الخلافات سلمياً، وترتيب وجهات النظر المتباينة عبر وسائل التدافع والمجادلة بحثاً عن الوفاق، وهذا الحراك السياسي المستمر يضمن لقرار الأمة ألاّ يستأثر به شخص أو أقلية.

ب- خيار الديمقراطية الليبرالية في إرتريا

انطلاقاً من إستقراء تطوّرات الحوارات الدائرة في الأوساط السياسية والثقافية حول مطلب الإصلاح والتغيير نجد في إرتريا أنّ العملية الديمقراطية مطروحة بتواتر في الكتابات والأدبيات السياسية، وفي حلقات النقاش، ومن هنا يأتي السؤال عن موقف الحركة الإسلامية الإرترية عن العملية الديمقراطية في إرتريا؟

وأقصد بالحركة هنا الحركة الإسلامية التي تعددت أسماؤها عبر مسيرتها من الحركة الإسلامية، إلى منظمة الرواد المسلمين، إلى حركة الجهاد، ثم حركة الخلاص، وأخيراً الحزب الإسلامي الإرتري للعدالة والتنمية. وعلى حسب تتبع الباحث لأدبياتها فإنّ مصطلح الديمقراطية لم يرد في وثائقها وأدبياتها إلاّ مؤخراً ولعل ذلك يعود إلى تبنيها إقامة دولة إسلامية وتطبيق الشريعة فيها، ولذا ربما رأت في ذلك تعارض المفهومين. وبهذا قد يكون عدم ذكر الديمقراطية كمصطلح كان مقصوداً. وعلى الرغم من أنّها لم تشر إليه كمصطلح إلاّ أنّ موافيقها تتحدث حول بعض مضامين الديمقراطية كالتعايش السلمي بين المكونات السياسية والاجتماعية المختلفة في إرتريا، والإيمان بالتعددية السياسية والفكرية، والحوارات البناءة وبسط الحريات العامة والخاصة، وتحقيق العدل في كافة المستويات، والتداول السلمي للسلطة. وتتحدث في أنظمتها الداخلية عن بسط الشورى في كافة المستويات القيادية والقاعدية مع مراعاة تغليب رأي الغالبية، واحترام قواعد الانضباط العام للتنظيم¹، وإنّ هذه الأمور وغيرها لا تنشأ في ظل النظم الاستبدادية، بل هي ملازمة للديمقراطية كتلازم العلم بالعمل، إلاّ أنّ هذا الموقف قد تغيّر مع تغير الاسم من الخلاص إلى الحزب الإسلامي عام 2004م والذي أعلن الحزب فيه رسمياً التزامه بمبادئ الديمقراطية والسعي لترسيخها في إرتريا.

ج- الحزب الإسلامي الإرتري والديمقراطية

إنّ موقف الحزب تجاه الديمقراطية قد تغيّر في مؤتمره الرابع في أغسطس عام 2004م والذي أعلن فيه صراحة التزامه بمبادئ الديمقراطية والتعددية السياسية وتبني العمل من أجل ترسيخها في إرتريا حسبما جاء في ميثاقه السياسي فإنّ الحزب "يعمل على إقرار حق الشعب الإرتري باختيار حكامه وممثليه بنفسه من أجل ترسيخ مبدأ الديمقراطية"² وفي موقع آخر جاء أنّ الحزب "يحتهد في رفع مستوى الوعي السياسي

¹ حركة الخلاص الإسلامي الإرتري. الميثاق السياسي 1998. ص 19-28

² الحزب الإسلامي الإرتري للعدالة والتنمية. الميثاق السياسي 2004. ص 20

والقانوني للشعب ويعمل على ترسيخ الشورى والديمقراطية على كافة المستويات بحيث تكون سلوكاً وممارسة¹ ودعا الحزب إلى وضع دستور دائم، يؤكد على التداول السلمي للسلطة عبر الاقتراع الحرّ والنزيه، وإقرار نظام برلماني يحظى بالمشاركة الواسعة، والفصل بين السلطات الثلاث، ونظام حكم لا مركزي، ويكفل الحريات العامة والخاصة، وتشكيل الأحزاب، وإنشاء محكمة دستورية عامة، وتشجيع الاقتصاد والاستثمار لتحقيق الحاجيات الأساسية، وتطوير التعليم والثقافة والإعلام، ومنظمات المجتمع المدني والإدارة الأهلية، ومشاركة المرأة والشباب، وإبعاد مؤسسات الجيش والأمن والشرطة من التجاوزات السياسية، وحل مشاكل الأراضي وإعادة اللاجئين وغيرها من الأفكار والمنطلقات²، واللافت للنظر في هذا الميثاق أنه لم يورد هذه المرة مفهوم أو مصطلح الدولة الإسلامية ولم يرد أيضاً في أدبياته الأخرى منذ تلك الفترة وإنما ورد في الأهداف بناء دولة المؤسسات والقانون³.

خلاصة القول أنّ الحزب الإسلامي الإرثي للعدالة والتنمية أعلن التزامه بالمبادئ الديمقراطية وطرح أفكاره ورؤاه على مستوى التصورات النظرية، ولم يوضح ما يقصده بالتغيير، هل هو التغيير الكلي القائم على التفكيك والتركيب، أم هو تغيير جزئي مبدئياً ثم يتطور بمرور الزمن إلى تغيير كلي، وكيفية التحول من النظام الديكتاتوري إلى النظام الديمقراطي، وتقدير سلبيات الانتقال المتوقعة، وتطوير المؤسسات القانونية، للحفاظ على الديمقراطية وتطوراتها وحل، المشاكل المختلفة العالقة في إرثها حتى تسير عملية التحول والحفاظ عليها بأقل الخسائر في البلاد.

¹ المصدر السابق ، ص 20

² المصدر السابق ، ص 10-35

³ المصدر السابق ، ص 11

رابعاً: موقف الحزب من علمنة الدولة في إرتريا

إن هذا المفهوم العلمانية على المستوى النظري وقع بين رؤيتي التقاطع والتواصل، فالأولى تجعله ضدّاً للدين وتعتمد أيديولوجية المقاطعة الراضية للقيم والأفكار الدينية رفضاً مطلقاً، وتجعل من العلمانية فلسفة للوجود تنظر من خلاله إلى الكون والحياة والأخلاق والقيم، ومشكلة أصحاب هذا الاتجاه أنهم يتجاهلون الدور التجاوزي للتطورات الماورائية، والقيم الأخلاقية، وأثرها في حركة التطور الاجتماعي والسياسي، وهذه الرؤية مرفوضة من قبل أهل الديانات لمخالفتها مصائر الوجود، والمقاصد الكلية للحياة. أمّا الرؤية الثانية تجعله مفهوماً حيادياً يختزن التواصل ويبقى بينه وبين الدين هامش للجدل. ومن الناحية العملية فإن هذا المفهوم يخضع لذات المشتغل به والمقاصد من ورائه، لذا يجنح أحياناً للتطرف ورفض القيم الدينية ويلجأ أحياناً أخرى للتعايش معها والفرق بينهما أن الرؤية الأولى تأخذ العلمانية كمبدأ وفلسفة بينما، الثانية ترى العلمانية كوسيلة¹ يمكن الاتفاق عليها لأن تكون أداة للتعايش بين المجتمعات غير المتجانسة إذاً فإن التفريق أمر ضروريّ بينما هو وسيلة، وما تحول من وسيلة إلى مبدأ وفلسفة وليس كل من يقبل بالأولى يقبل بالثانية، فالمؤسسات الدينية في الغرب عموماً قبلت بفصل الدين عن الدولة كوسيلة مع بقاء استقلاليتها، ولم تقبل بما أعطي للعلمانية من الاعتبارات الفلسفية من قبيل النظرة للكون والحياة والقيم الأخلاقية وغيرها².

وبالعودة إلى الواقع الإرتري وأسقطنا فيه ما سبق فسنجد اتجاهين اثنين للتعامل مع هذا الموضوع:

¹ أرجع للمزيد في هذا الموضوع لمقال المسيري، عبد الوهاب. " بين العلمانية الجزئية والعلمانية الشاملة" (موقع الجزيرة نت ، 1 نوفمبر 2007) <http://www.aljazeera.net>

¹ شفيق ، منير. " العلمانية والديمقراطية بين الفلسفة والوسائل " (موقع الجزيرة نت ، 30-6-2005.) <http://www.aljazeera.net>
و المسيري، عبد الوهاب. " بين العلمانية الجزئية والعلمانية الشاملة" (موقع الجزيرة نت ، 1 نوفمبر 2007) <http://www.aljazeera.net>

² شفيق ، منير. " العلمانية والديمقراطية بين الفلسفة والوسائل " موقع الجزيرة نت ، 30-6-2005. <http://www.aljazeera.net> }

اتجاه يرى الفصل بين الدين والسياسة فصلاً بائناً ولا علاقة بينهما البتة. ويتبنى هذا الاتجاه: النظام الحاكم، والمجموعات المتفرعة منه وآخرون.

واتجاه آخر يرفض العلمانية وحتى نقاش هذه المسألة غير مطروح لديه، وهذا الاتجاه يشمل القطاعات المتدينة من الشعب، والمؤسسات الدينية، وبعض الاتجاهات السياسية، والحزب الإسلامي الإرتري للعدالة والتنمية في مقدمة هذا الاتجاه، وهذا الاستنتاج نابع من تتبع أدبياته ومقابلة بعض قياداته. وفي هذا المضمار ذكر للباحث الأمين العام السابق للحزب الإسلامي خليل محمد عامر إنّ هذا الموضوع غير مطروح لديهم حتى الآن¹.

ومشكلة الاتجاه الأول على الرغم من أنّه يدعو للفصل لا الوصل بين الدين والسياسة فإنه في الوقت نفسه يمارس على الأقل خلال الربرة وعشرين عاما الماضية عملية سيطرة المؤسسة السياسية على المؤسسات الدينية، وحرّمها من أية استقلالية، بل يعيّن على رأسها من يريد، ويدعم من يريد، ويحرم بعض المؤسسات من الدعم حتى من دعم الخيرين لها ويؤمّم ممتلكات البعض ويغلق أخرى، إذ كيف يستقيم فعل الفصل والسيطرة في آن واحد؟ إنّها السلطة المطلقة التي لا يوجد فيها ضابط يقيد ويقن تصرفاتها.

أمّا الاتجاه الثاني فلم تتشكّل لديه الرؤية الكاملة الراضة للعلمانية، كما أنّه لم يفصح عن البديل المناسب الذي يراه، إضافة إلى ذلك فإنّ الواقع الدولي والإقليمي وأدوات القوة والنفوذ ليست لصالحه. وعلى العموم فإن الدين في إرتريا لم يكن طرفاً في الصراعات لذاته لكنه استخدم سياسياً لتقويض الآخر رفضاً أو إقحاماً وسيتعرض هذا الموضوع إلى جدال واسع من التيارات المختلفة، وقد لا يحسم إلا بالتحاكم إلى الشعب في جوّ ديمقراطي حرّ ونزيه وبعبارة أخرى فإن التحاكم في الفعل الاجتماعي هو

¹ حديث خليل محمد عامر في المقابلة البحثية مع الباحث بتاريخ 2012-12-29

السبيل الصحيح الذي يستنتق من خلاله الأنماط المعيارية المناسبة لكل خصوصية مجتمعة من جهة، وتفصح الأسلوب التجريدي الوصفي والتعميم الأيدولوجي الذي ينطلق من مركزية ثقافية لتشييد منظومات متعالية في البيئة الاجتماعية السائدة من جهة أخرى.

الخلاصة

إنّ العملية السياسية الإرترية تعاني في بنيتها الأساسية من تأثيرات طائفية وثقافية، نتج عنها عدم وحدة المواقف وانتفاء الثقة بين مكوّناتها المجتمعية، ورموزها السياسية في مرحلة تقرير المصير ثم مرحلة الثورة، ولاحقاً في الدولة، فهل هنالك من سبيل لمعالجة هذا الداء العضال الذي مازال ينخر في الجسم الإرترى؟ يعتقد الباحث إمكانية معالجة ذلك المرض بمعالجة مسبباته بصياغة إطار معياري لتطوير التعايش السلمي بين المكونات الإرترية المختلفة القائمة على العلاقات الإيجابية بين الأطراف على أساس المساواة في الحقوق والواجبات، والاعتراف المتبادل للتنوع والحفاظ عليه والتحاكم إلى الديمقراطية التي ترفع من شأن سيادة القانون والحريات للعامة والخاصة والتي تساعد أيضاً في نقل الصراع من مستوى العنف إلى الصراع السلمي سبيلاً، أمّا ما يدور من جدال ونقاشات واسعة حول علمنة الدولة وشخصنة المعتقدات وقضايا أخرى فيجب الحسم فيها بالتحاكم إلى الشعب في جو ديمقراطي نزيه، ومن ثمّ التقيّد بما تفضي إليه تلك النتائج. وبهذا تكون قد أرسيت في إرتريا ركائز التعايش السلمي القائم على العلاقات الإيجابية بين المكونات المختلفة للشعب الإرترى.

خاتمة الفصل الخامس

في هذا الفصل ناقش الباحث نشأة وتطور حركة الجهاد الإسلامي الإرترى منذ المؤتمر التوحيدي عام 1988م، بين مختلف التيارات الإسلامية الإرترية وما شهدته من التطورات السريعة في المجالات السياسية، والعسكرية، والكسب الجماهيري، والمصاعب والتحديات التي واجهتها في خلال أربع سنوات ونيف والتي انتهت عام 1993م باشقاقها إلى كيانين.

ودراسة الأسباب التي أدت إلى تلك التصدعات وتطورات كل كيان على حدة بعد ترتيب صفوفه الداخلية وهياكله التنظيمية بعد أزمة الانشقاق، إلا أنّ تركيز هذا الدراسة كان فقط في رصد تطور الكيان الإخواني وما شهدته من تطورات وخاصة بعد المؤتمر الثالث لهذا الكيان والذي تغير اسمه فيه من حركة الجهاد إلى حركة الخلاص، ثم إلى الحزب الإسلامي الإرترى للعدالة والتنمية في المؤتمر الرابع، وتتبع الباحث ما أحدثه هذا الكيان من تغيير في القيادة والتدقيق في المفاهيم والمضامين والدلالات السياسية، وإضافات جديدة في برنامجه السياسي، وما أصابه من علل وضعف، والتي حالت دون تحقيق هدفه وهو تغيير النظام الحاكم وإقامة الدولة التي ينشدها إضافة إلى ذلك أيضا رصد الباحث أهم المنظمات الجماهيرية للحزب الإسلامي الإرترى للعدالة والتنمية. كما وقف على أبرز مواقف الحزب الإسلامي من عدة قضايا هامة في الساحة السياسية الإرترية اليوم، كموقفه من النظام الحاكم، ومن التعايش السلمي، والديمقراطية، وعلمنة الدولة ولاحظ الباحث الوضوح في بعض هذه القضايا والغموض في بعضها الآخر.

الفصل السادس

النتائج والتوصيات

نتائج الدراسة

تناولت هذه الدراسة قضايا عديدة تتعلق بانتشار الإسلام في المنطقة ودور المسلمين في الحركة الوطنية الإرترية في إطارها العام وذلك تأصيلاً لموضوع البحث الذي ركّزت عليه الدراسة وهو الحركة الإسلامية الإرترية "الحزب الإسلامي الإرتري للعدالة والتنمية" حالياً، نشأته، وتطوّره وإسهاماته الثقافية، والتنظيمية، والسياسية في الواقع الإرتري، وما صاحب مسيرته من إخفاقات لأسباب ذاتية وأخرى موضوعية.

وتناولت الدراسة ذلك في سياق التسلسل الزمني والموضوعي وفق منهج علمي، حيث مهدت لتناول الموضوع بفصل عام توضح فيه الإطار العام الذي ستسير عليه ويشمل هذا الفصل المقدمة، فمشكلة البحث، ثم أسئلة البحث وبعد ذلك أهداف البحث وأهمية البحث، ومنهج البحث وأخيراً الدراسات السابقة. أمّا الفصل الثاني فيتناول تاريخ انتشار الإسلام في الحبشة ومحطاته الرئيسية التي شكلت التسلسل التاريخي للإسلام في هذه المنطقة بصورة مختصرة.

وركّز الفصل الثالث على دور المسلمين في الحركة الوطنية الإرترية التي خاضت نضالاً سياسياً وقتالياً متكاملًا حتى وصلت القضية الإرترية مبتغاها بنيل استقلالها عام 1993م.

وقد تتبعت الدراسة في الفصل الرابع بداية تغلغل فكر مدرسة الإخوان المسلمين في إرتريا، ورصدت العناصر التي تأثرت بها في خمسينيات القرن الماضي، ثم العمل المنظم للإخوان في إرتريا في بداية العقد السابع من القرن الماضي وما تعرضت له عناصرها من اغتلالات واعتقالات داخل جبهة التحرير الإرترية، وانضمام المجموعة القادمة من سجون الجبهة في الميدان إلى الحركة الإسلامية الإرترية ثم إعلان منظمة الرواد المسلمين الإرترية عام 1981م، وما شهدته من تطورات سياسية وتنظيمية، وما حققته من مكاسب في أوساط الطلاب والعمّال وما صاحبها من تحديات وعوائق ذاتية وموضوعية في الفترة ما بين 1981-1988م.

وفي نفس المسار ناقشت الدراسة في الفصل الخامس أسباب توحيد القوى الإسلامية الإرترية وإعلان حركة الجهاد الإسلامي الإرتري عام 1988م التي استمرت لأربع سنوات ونيف وما حققته من مكاسب في المجالات الجماهيرية والسياسية والعسكرية وما لازمها من أزمات في جوانبها التنظيمية والإدارية بسبب الاختلافات في المنطلقات الفكرية وفي أولويات العمل السياسي والإعلامي والحوار مع الفصائل الإرترية الأخرى الخ- والتي أدت في النهاية إلى انقسامها إلى جناحين: جناح إخواني وآخر سلفي عام 1993م.

كما تناول الفصل تطورات الاتجاه الإخواني بعد الانقسام حتى عام 2012م وكيفية تعامله مع الظروف والمتغيرات السياسية المتسارعة في إرتريا، وموقفه من القضايا المطروحة اليوم في الساحة السياسية الإرترية. وبناءً على المناقشات والتحليلات السابقة المترابطة زمنياً وموضوعاً في سياق منهجي علمي لموضوع البحث فقد خلصت الدراسة إلى النتائج الآتية:

1- انتشر الإسلام في إرتريا بانسياب على مراحل مختلفة وتعزز دوره فيها. وبتعزز دور الإسلام في تلك المناطق أكسب سكانها هوية جديدة على درجة من التجانس الثقافي والاجتماعي والوجداني حيث شكلت له مصدراً للقوة ومهدت للمشروع السياسي الذي تم الإفصاح عنه لاحقاً في مرحلة تقرير المصير في أربعينات ومطلع خمسينات القرن الماضي، وهو مشروع استقلال إرتريا وما ترتب عليه من نضالات سياسية وعسكرية حتى نالت إرتريا استقلالها عام 1993م.

2- وجد الباحث صعوبة لتحديد بداية تغلغل فكر حركة الإخوان المسلمين في إرتريا ربما يعود ذلك إلى تشكّلها أو إلى طبيعة تشكيلات الإخوان القائمة على قاعدة سرية التنظيم وعلنية الدعوة، أو إلى التعقيدات التي كانت تمر بها القضية الإرترية آنذاك، وعلى الرغم من ذلك فإنّ هذه الدراسة قد رصدت شخصيات إرترية انتظمت في صفوف الإخوان المسلمين في

مصر أثناء دراستها هناك في خمسينات القرن الماضي، كسعيد حسين ومحمد إسماعيل عبده وآخرين، غير أنّ هذه العناصر لم تقم بتأسيس تنظيم للإخوان المسلمين في إرتريا عقب عودتها إلى إرتريا بل انخرطت في الثورة الإرترية مع الآخرين، وظلت تعمل في أجهزة جبهة التحرير الإرترية المختلفة حتى دخلت في صراع مع حزب العمل الذي كان مهيمناً على الجبهة آنذاك، وتعرضت في النصف الثاني من العقد السابع من القرن الماضي إلى تصفيات واعتقالات من قبل جهاز أمن جبهة التحرير الإرترية.

3- إن هذه الدراسة أيضاً توصلت إلى أن العناصر الإسلامية الإرترية الإخوانية لم تكن موحدة تحت تنظيم وقيادة موحدة حتى عام 1981، لذا ظهرت أثناء صراعها مع حزب العمل في داخل الجبهة في النصف الثاني من سبعينات القرن الماضي في اتجاهات أربع ولم يكن هناك تنسيق بينها: اتجاه رفع السلاح لمحاربة حزب العمل الثوري الذي كان مهيمناً على مقاليد الجبهة، وآخر سعى لإصلاح مسار الجبهة من الداخل، وثالث نشط في المجال الثقافي كإدخال المصاحف والكتب الإسلامية إلى إرتريا وغيره، ورابع شرع في تأسيس عمل منظم في الخارج. ويظهر من خلال الرصد أنّ الاتجاهات الثلاثة الأولى كان برنامجها إصلاح وضع جبهة التحرير الإرترية، وإعادةّها إلى سيرتها الأولى قبل أن يسيطر عليها حزب العمل الثوري، وكان انتماءهم الفكري يعتبر انتماءً شخصياً، ولم يكن تنظيمياً في تلك المرحلة، مع أنّهم كانوا يعرفون بعضهم البعض بصورة كبيرة، وقد يتبادلون وجهات النظر، بعكس الاتجاه الرابع الذي بدأ يعمل كتنظيم إسلامي ينشط في وسط الطلاب والتجار وفي المنظمات الجماهيرية للتنظيمات السياسية الإرترية المختلفة ولكن كان ينقص هذا الاتجاه القيادات التاريخية.

4- إنّ تصفية أجهزة جبهة التحرير الإرترية لسعيد حسين ومجموعته عام 1978م في منطقة دنكاليا وعلى الرغم من أنّهم لم يكونوا كلهم إسلاميين بل كانوا وطنيين ساءهم ما تعرضت له الجبهة فإنّ تصفيتهم تعتبر خسارة كبيرة للحركة الإسلامية الإرترية الإخوانية بفقدانها كوادر عسكرية مقتدرة، وكان لتلك الحادثة أثراً بعيداً المدى في مسيرتها العسكرية والدليل على ذلك أنه عندما أسست حركة الجهاد الإسلامي الإرتري بعد عشر سنوات من تلك الحادثة عام 1988م لم تجد كوادر عسكرية مقتدرة بذلك المستوى لتقود عملها المسلح.

5- رصدت الدراسة أن الحركة الإسلامية الإرترية شهدت تطوراً تنظيمياً وسياسياً بعد انضمام العناصر الإسلامية القادمة من سجون جبهة التحرير الإرترية عام 1981م إليها وإعلان منظمة الرواد المسلمين كواجهة معلنة، وحققت كسباً مقدراً في أوساط الطلاب والعاملات والفئات المتعلمة الأخرى في الشرق الأوسط والسبب في ذلك كان وجود صنفين من القيادات في صفوفها القيادات السياسية المرنة القادمة من الميدان والمتمرسية في العمل السياسي والقيادات الشابة المتدفقة حيوية وعطاءً والناشطة في الخارج.

6- وجدت الدراسة أن الحركة وازبنت على عقد مؤتمراتها بصورة راتبة وتداولت القيادة فيها فقد عقدت الحركة في مرحلتها الأولى الممتدة من 1979-1987م خمسة مؤتمرات غيّرت في كل منها القيادة، بالإضافة للمؤتمر التوحيدي مع التيارات الإسلامية الأخرى عام 1988م وفي المرحلة الثانية من 1993-2012م عقدت أيضاً أربعة مؤتمرات غيّرت القيادة في ثلاثة منها.

7- إنّ توحيد التيارات الإسلامية الإرترية وإعلان حركة الجهاد الإسلامي الإرترى في نوفمبر 1988م

يعتبر عملية انتقال القوى الإسلامية إلى المرحلة الثانية وأظهرت في خلال أربع سنوات ونيف-وهي فترة حركة الجهاد الموحدة- قوة سياسية وجماعية وعسكرية، وعلى الرغم من ذلك فقد صاحبت تلك التطوّرات مشاكل تنظيمية وإدارية، وخلافات في المنطلقات، وأولويات العمل بين تلك المجموعات غير المنسجمة والتي انتهت بالانشقاق على أساس المذاهب الفكرية عام 1993م وكانت لأحداث الانقسام آثار سلبية بعيدة المدى على الحركة الإسلامية الإرترية، بل أدت إلى أفولها وانفض عنها الناس، ولم يبق معها إلا تلك المجموعات المرتبطة بها حزياً، ولم تبدأ باستعادة عافيتها إلا بعد فترة طويلة من تلك الأحداث ومازالت بعض آثارها السلبية باقية إلى يومنا هذا.

8- إن الدراسة توصلت إلى أن حركة الجهاد جناح الإخوان بعد الانقسام عام 1993م اهتمت بالتجديد في القيادة، والتدقيق في المفاهيم والمضامين في موثيق، والاهتمام في صيغ التحالفات للتعامل مع التنظيمات المعارضة ذات الخلفيات العلمانية والانفتاح على الجماهير بمختلف مكوّناتها وهو ما يعني خطوة متقدمة في العمل السياسي واستعداداً للتعايش مع الآخر.

9- إن الدراسة لاحظت الاستقرار التنظيمي والسياسي في داخل الحركة الإسلامية الإرترية الإخوانية (الحزب الإسلامي حالياً) منذ تأسيسها عام 1973م، وحتى الآن لم تتعرض لأزمات داخلية تذكر وأظهرت تماسكاً تنظيمياً وانسجاماً سياسياً وفكرياً ويعزى ذلك إلى مستوى تعليم العضوية، وطرق التربية، والقيادة الجماعية، ووجود قيادات مرنة متمرسة في العمل السياسي

وخاصة تلك التي عملت في الأجهزة العليا للجبهة، والتمثيل المعترف للشعب الإرتري المسلم. إضافة إلى ذلك فإن عضوية الحركة لم تفتن حتى الآن بالثروات الكبيرة، وفتنة الحكم، كل هذه العوامل وغيرها أدت إلى الاستقرار السياسي والتنظيمي في داخل الحركة الإسلامية "الحزب الإسلامي الإرتري للعدالة والتنمية" حالياً.

10- وما أنّ الرافد الأساسي لهذا التنظيم هو شريحة الطلاب فإنّ السلوك النقابي الطلابي مازال يسيطر على كثير من قيادات هذا التنظيم في التعاطي مع العملية السياسية، كما أنّ هناك أيضاً بعض القيادات التي كانت في صراع مرير مع اليسار قبل ثلاثة عقود مازالت متأثرة بذلك في تفكيرها ويظهر ذلك من خلال كتاباتها وسلوكها السياسي.

11- ومن النتائج التي توصلت إليها الدراسة أنّ "الحزب الإسلامي الإرتري للعدالة والتنمية" على الرغم من أنه يتبنى منهج الإخوان المسلمين إلا أنّه غير تابع تنظيمياً للتنظيم الدولي للإخوان المسلمين، وإن كانت له علاقة تعاون معه ومع أجنحته في العالم في المجالات العامة مع الاستقلالية التنظيمية، كما يقول قاداته. وهذا يتضح من منطلقاته والتركيز والارتباط الشديد بالواقع الإرتري ويتبين ذلك في البيان التأسيسي لمنظمة الرواد المسلمين الإرترية عام 1982م وفي بيانها الذي أصدرته في سبتمبر عام 1984م تحت عنوان "هموم الإسلام والمسلمين في إرتريا" وفي موافيقه السياسية التي صدرت في الأعوام 1994م، 1998م، 2004م، 2012م.

12- على الرغم من تلك التطوّرات السياسية والتنظيمية التي شهدتها الحركة الإسلامية الإرترية الإخوانية فإن مسيرتها صاحبها بعض السلبيات التي تمثلت في أنّ تركيزها كان ومازال على

فئة محدودة من الصفوة المتعلمة، من أساتذة وطلاب ومثقفين في الداخل والخارج، ولم تكن حركة جماهيرية تضم في عضويتها جميع الفئات الإترية المسلمة، من رعية وفلاحية وقيادات تقليدية اجتماعية وهذا ما يظهر على الأقل على المستوى القيادي فيها.

13- الحزب الإسلامي الإترري كان جل اهتمامه ومازال موجها إلى المسلمين الإترريين ولم يتواصل مع المجتمع المسيحي الإترري وقواه المدنية، وأن ما قام به من التواصل مع النخب السياسية المسيحية غير كافٍ لتصحيح الصورة الذهنية السلبية، وتبديد الهواجس والمخاوف عنه على مستوى المجتمع المسيحي.

14- إنّ الحزب الإسلامي الإترري للعدالة والتنمية يعاني من ضعف إعلامي، لذا فإنّ خطابه الموجه إلى الجمهور العام يلاحظ فيه قصور في مدخل معلوماتي وآخر إقناعي، وثالث تصحيح الصورة الذهنية والتاريخية، ولذا فإن المعلومات عنه في أوساط عامة الإترريين شحيحة، بل إن البعض أصبح يعتقد أنّ نموه قد توقف منذ الانقسام عام 1993م.

15- وجدت الدراسة أن الحزب الإسلامي الإترري للعدالة والتنمية على الرغم من أنه حقق مكاسب وإسهامات مقدرة على الصعيد الثقافي والاجتماعي والفكري، والعمل السياسي، إلا أنه لم يخرج من حالة الاستضعاف، ولم يبلغ درجة من القوة لمقاومة الظلم، ومغالبة الاستبداد السياسي والاجتماعي، وخلق التوازن الرادع في الواقع، أي بعبارة أخرى أنّه لم يصل حتى الآن إلى مستوى يمكنه من بسط خطابه السياسي، ومفاهيمه الاستراتيجية الهادفة إلى حراسة الدين وسياسة الدنيا.

16- بسبب الظروف الأمنية القاهرة في إرتريا أن أغلبية عضوية الحزب الإسلامي إمّا أنّهم

مهاجرون من إرتريا قبل عقود أو من المولودين في الخارج في ظروف اللجوء والهجرة، وهذا له

تأثير سلبي في فقه الواقع الإرتري الذي يسعى الحزب لتغييره.

University of Malaya

التوصيات والمقترحات

1- يوصي الباحث للحزب الإسلامي الإرتري للعدالة والتنمية أن يفرق في خطابه بين الإسلام كدين

وكمقاصد يجب الالتزام به، وبين الفعل السياسي الخاضع للاجتهاد البشرى القابل للأخذ

والرد، وتعدد الآراء فيه، ووضع فاصل واضح بين المقدس الملزم وغير المقدس، وعدم الخلط

بينهما، أو بعبارة أخرى أنّ الزج بالدين في تفاصيل الحياة السياسية قد يضر به أكثر مما

يعود عليه بالنفع. فإنّ الدين لم يحدد للحكم آليات مفصلة أو مفروضة يجب على المسلم

الالتزام بها، ولكن يمنحه قيما ومبادئ عامة للنظام السياسي كالعدل، والكرامة، والمساواة،

والحرية الخ. لكنه لم يفرض أية آليات سياسية معينة على البشر، لأنّ النظم السياسية قابلة

للتغيير بتغير الزمان والمكان، وهذا ترك إلهي مقصود، ولو كان هناك نص لانتفت معه

الشورى التي تقوم على افتراض الخلاف والاختلاف.

وهذا التمييز قد يبعد بعض المنضوين تحت الحزب من التّظر للآخرين بعين الإشفاق على

اعتبار أنّهم حرّموا أنفسهم من هذا الخير، وهذا الشعور بالتمييز قد ينعكس على أطروحاتهم

النظرية وسلوكهم السياسي، وقد يصل بهم أحيانا إلى العزلة الشعورية، والإصابة بلوثة التكفير

دينيا لمن يختلفون معهم دينويا، وكما الآخرين وأقصد هنا أن بعض الناس الذين هم من خارج

الحزب أصبحوا يترددون في نقده مخافة أن يتعرضوا بالنقد للإسلام. فالحزب اليوم معنيّ بإزالة

هذا اللبس والغموض، بالتفريق بين الاجتهاد في الحقل السياسي الذي مرجعه التّظر والتقدير

العقلي وفهم الواقع ضمن القواعد العامة للشرع ومقاصده، وبين الإسلام كدين وكمقاصد

يجب الالتزام به.

2- توصي الدراسة بالتمييز بين العملية السياسية، والمؤسسات الدعوية والثقافية والاجتماعية في إرتريا

وذلك لسببين، أولاً: أن العملية السياسية عملية حشدية تدافعية، تتغير بسرعة تغييرات الواقع، وطبيعة المتصارعين، وقد تتعرض إلى النكسات والانكسارات، بينما المؤسسات الدعوية والثقافية والاجتماعية تهتم بالجوانب البنيوية وتحتاج إلى نمو طبيعي بعيد عن تلك الاحترابات السياسية أما السبب الثاني فإنّ مظان خطابهما مختلف، فخطاب الأول هو خطاب التدبير، بينما الثانية يغلب عليها خطاب التخليق والتثقيف وبينهما فرق كبير، وأنّ التمايز الوظيفي بين الدعوة بمفهومها الخاص والسياسة في الحركة الإسلامية الإرترية الإخوانية بمختلف مسمياتها عبر التاريخ لم يكن واضحاً عما إذا كانت الدعوة لازماً من لوازم السياسة أم أن السياسة هي من لوازم الدعوة، وأنّ أغلب الفاعلين السياسيين فيها لم يكونوا سوى الفاعلين الدعويين الذين دخلوا العمل السياسي برؤية دعوية. لكن الحزب الإسلامي اليوم هو بحاجة لأن يؤسس لخطاب التدبير وأن ينتج رؤية جديدة، وآليات سياسية لتصرفه، ويعتبر العمل السياسي تخصصاً من التخصصات، ويترك المؤسسات الدعوية والثقافية تنمو نمواً طبيعياً بعيداً عن التجاذبات السياسية.

3- توصي الدراسة بالتواصل مع المجتمع الإرتري المسيحي وقواه الحيّة من رجالات الدين والمثقفين،

وأن التواصل مع النخب السياسية منهم فقط لا يكفي لتبديد تلك المخاوف والهواجس من الحزب الإسلامي بشكل خاص والتيارات الإسلامية السياسية في إرتريا بشكل عام.

4- إنّ رؤية الحزب للدولة في إرتريا يعتريه بعض الغموض لذا توصي الدراسة لإزالة هذا الغموض

ببلورة رؤيته بشكل واضح والإفصاح عنها.

5- الاهتمام بصياغة إطار معياري لتطوير التعايش السلمي بين المكونات الإثنية المختلفة، على مبدأ

الاعتراف القائم على انتماءاتها الثقافية والحضارية، ومعتقداتها الدينية، والدفع إلى الحوارات

الشعبية وخاصة بين العلماء المسلمين ورجالات الدين المسيحيين، والقوى المدنية الأخرى من

الطرفين لمنع الشعب من الانجرار خلف الانقسامات السياسية الطائفية في إرتريا.

6- لاحظت الدراسة غياب دراسات علمية تتناول مختلف الجوانب لهذا الحزب نقداً وتقييماً لذا

توصي هذه الدراسة بإجراء المزيد من الدراسات الأكاديمية في هذا المجال لرفد المكتبات

بدراسات حديثة باللغتين العربية والإنجليزية. كما توصي أيضا الحزب لأن يفصح عن أهدافه

ورؤيته ومشاريعه السياسية على شكل دراسات وكتب مطبوعة.

7- وجدت الدراسة أنّ الحزب الإسلامي قد خطا خطوات متقدمة في شحذ الطاقات البشرية للتزود

بالعلم والمعرفة إلا أنه حتى الآن لم يستطع تحويل تلك الطاقات العلمية من مرحلة التزود

بالعلم إلى مرحلة الإنتاج التي تحقق فائدة سياسية واقتصادية واجتماعية على أرض الواقع لذا

توصي الدراسة الحزب للاهتمام بالمرحلة الأخيرة.

8- صاحب تطور الحزب الإسلامي الإرتري قصور إعلامي مما أدى إلى تغييب معلوماته وحقائقه عن

الشارع، لذا فإنّ ماهيته كانت ومازالت مجهولة عند كثير من الناس، وإنّ أيّ شيء تجهل

حقيقته معرض للمعارضة حتى من أقرب الناس إليه ومن هنا توصي الدراسة أولاً بتدارك هذا

الخلل من خلال مدخل بسط المعلومات عن الحزب لعامة الناس ومدخل آخر إقناعي،

وثالث تصحيح الصورة الذهنية والتاريخية السلبية، وذلك بتطوير قدرة حاملي هذا الخطاب ووسائل تصريفه مستفيداً من التطورات التكنولوجية في علم الاتصال لتلبية احتياجات الظروف الراهنة، وللتعامل مع التحديات التي تواجهه في سياق التفاعل مع ما يجري حوله في العالم من أحداث.

9- لاحظ الباحث خلال رحلة البحث عن الحزب الإسلامي الإرتري قلة الكادر الذي يجيد اللغات الحيّة ما عدا العربية، لذا توصي الدراسة بالاهتمام بهذا الموضوع.

10- لاحظ الباحث أنّ المتعلمين من أعضاء الحزب الإسلامي الإرتري للعدالة والتنمية هم من أصحاب التخصصات المدنية، ويقل فيه فقهاء محليين لهم قدرات فقهية لاستنطاق الحكم وإنزاله في الواقع ضمن شروط وموانع التطبيق، ومثلهم أصحاب التخصصات الفكرية والفلسفية وعلم الاستراتيجيات، ولعل ذلك يعود إلى عدم الاستقرار وعدم وجود مواعين يبلور فيها أصحاب تلك التخصصات أفكارهم ولذا توصي الدراسة بإعطاء الأولوية لتلك التخصصات في داخل الحزب وبعبارة أخرى أن يهتم الحزب بتكوين شخصيات محورية في تلك التخصصات والتخصصات الأخرى.

11- ومن المشكلات التي يعاني منها الحزب أنه حزب مغترب ينشط وينطلق من الخارج وبالتحديد من دول الجوار لعدة عقود، ولذا فإنّ الحزب اليوم في حاجة ماسّة لتغيير تلك الحالة حتى ينطلق من الداخل، وخاصة أنه يواجهه في الوقت الحالي تحديات وعقبات إقليمية بعد تحجيم امتداداته الفكرية في دول الربيع العربي بسبب صراع الإرادات.

قائمة المصادر والمراجع

- أبو أحمد الإثيوبي. الإسلام الجريح في الحبشة ،دم- د-د ، 1964.
- أبيري ، إدريس. إرتريا ورهان الإسلام السياسي. القاهرة: مركز الدراسات السودانية، 1998.
- أبو بكر ، علي الشيخ. الدعوة الإسلامية المعاصرة في القرن الإفريقي. الرياض: دار أمية للنشر والتوزيع ، (1405هـ).
- إيلوس، محمود عثمان. إرتريا ومشكلة الوحدة الوطنية في حقبة الكفاح المسلح 1961—1991.
- الخرطوم: شركة المطابع السودانية للعمليات المحدودة، 2003.
- بازيل ديفيدسون، ليونيل كليف، برخت هبتي سلاسي (إعداد)، ترجمة: محمد مشموشي،. وراء الحرب في إرتريا. بيروت: مؤسسة الأبحاث ، د-ت.
- بادوري ،أحمد طاهر. إرتريا رحلة في الذاكرة. دم-د-د ، د-ت.
- برحتو، محمد سعيد. دراسات إريتريّة نحو ميثاق التحرر الوطني. الخرطوم: المركز الإفريقي للدراسات والإعلام، 1990.
- بيان صالح "الدعوة الإسلامية في إرتريا ما بين 1950-1990" بحث غير منشور قدم لنيل درجة الماجستير، في جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية، المملكة العربية السعودية، 1992.

تسفاي ، ألم سقد. لن نفترق نشوء الحركة السياسية في إرتريا 1941-1950 ، ترجمة سعيد عبد الحي. القاهرة : المجلس الأعلى للثقافة، 2007.

فيدرالية إرتريا مع إثيوبيا، ترجمة إبراهيم إدريس توتيل القاهرة: المركز القومي للترجمة ، 2009.

تقى الدين على بن عبد القادر المقريري تحقيق وتعليق ودراسة عبد النعيم ضيفي عثمان. الإلمام بأخبار من

بأرض الحبشة من ملوك الإسلام. القاهرة: مكتبة الأزهر للتراث، 2007.

تركي ،حامد صالح. إرتريا والتحديات المصرية : دراسة وثائقية في الشعب الإرتري وكفاحه

المسلح. بيروت: دار الكنوز الأدبية، 1979.

ج.ك.ف.تريفاسكيس. إرتريا مستعمرة في مرحلة الانتقال 1941-1952. ترجمة جوزيف صغير ،

بيروت: دار الكنوز الأدبية ، 1984.

جبهة تحرير إرتريا. إرتريا بركان القرن الإفريقي. ط2، د-م دائرة الإعلام الخارجي ، 1982.

حركة الجهاد الإسلامي الإرتري. نداء الجهاد في إرتريا الجريحة. مكتب الإعلام لحركة الجهاد الإسلامي

الإرتري، د-ت.

ابن حوقل. كتاب صورة الأرض. بيروت : دار مكتبة الحياة، 1992.

حسن ، محمد برهان. - حركة تحرير إرتريا محطة من محطات مسيرة نضالنا الوطني.

دندن ، عثمان. معركة إرتريا ، ج1. د-م ، د-د 1995.

زرآي ، عمر عبده " الموقف العربي من قضية إرتريا في فترة الكفاح المسلح 1961-1991 " بحث

غير منشور قدم لنيل درجة الماجستير، في جامعة إفريقيا العالمية ، السودان.

السيوطي ، جلال الدين عبدالرحمن. **رفع شأن الحبشان**. دراسة وتحقيق محمد عبدالوهاب فضل القاهرة: شركة القدس للنشر والتوزيع، 2007.

س.ف. نايدل. **التركيب السكاني في إريتريا العناصر والقبائل**. ترجمة جوزيف الصغير ، بيروت: دار المسرة ، 1977.

سبي ، عثمان صالح ، **تاريخ إريتريا** ، بيروت: دار الكنوز الأدبية ، 1984

جغرافية إريتريا ، بيروت: دار الكنوز الأدبية، 1983.

ابن سعد. **الطبقات الكبرى** ج 1 ، بيروت : دار صادر ، د-ت.

شلي ، أحمد. **موسوعة التاريخ الاسلامي** ط3. القاهرة: مكتبة النهضة المصرية، 1978.

الشامي ، جمال الدين وابنه هاشم. **المنهل في تاريخ وأخبار العفر (الدناكل)**. د-م ، د-د، 1997.

الطبري. **تاريخ الأمم والملوك** ج3. دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع، 1979.

تاريخ الرسل والملوك، ج2 تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم. القاهرة: دار المعارف ، د-ت.

الطيب بشير ، عبد الوهاب. **"التيار الإسلامي في إريتريا: 1961-1998"** بحث تكميلي غير منشور

قدم لنيل درجة الماجستير ، في جامعة الخرطوم، السودان، 1999.

عبد العزيز منيسي ، سامية. **إسلام نجاش الحبشة ودوره في صدر الدعوة الإسلامية**. القاهرة: دار الفكر

العربي، 2001.

عثمان حامد، إبراهيم. *المقاومة السياسية في إريتريا*. الخرطوم: دار جامعة إفريقيا العالمية للطباعة والنشر ، 2000.

العمرى ، ابن فضل الله شهاب الدين. *مسالك الأبصار في ممالك الأمصار*. تحقيق حمزة أحمد عباس، أبو ظي: المجمع الثقافي، 2002.

أبو عبدالله بن محمد المعروف بابن بطوطة. *المسمات تحفة النظار في غرائب الأمصار وعجائب الأسفار* ط2. بيروت: دار الكتب العلمية، 2002

عبدالصبور الصادق، عابدين. *إريتريا والسودان تطوّر العلاقات الإستراتيجية* سبتمبر 1961 م - ديسمبر 1982م. الخرطوم : مركز الدراسات الإستراتيجية ، 2012.

عثمان، فتحي. *إريتريا من حلم التحرر إلى كابوس الديكتاتور*. فرنسا: الملتقى العربي الإروبي للإبداع، 2014.

غيث ، فتحي. *الإسلام والحبشة عبر التاريخ*. القاهرة: مكتبة النهضة المصرية ، د-ت.

فضل، يوسف. *العلاقات بين الثقافة العربية والثقافات الإفريقية*. تونس: المنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم، 1985.

ابن كثير. *البداية والنهاية* ج3. بيروت: دار الكتب العلمية ، 1985.

محمد سعيد، الأمين. *الثورة الإرترية: الدفع والتردي* — قصة الإنشقاقات الداخلية في الثورة الإرترية. أسمر : مطبعة دوقالي ، 1992.

محمد على، إبراهيم. *مسيرة جبهة التحرير الإرترية بداية ونهاية*. دمشق: دار الأمة للطباعة والنشر والتوزيع، 2010.

محمد، محمد جماله. " *مملكة أوفات الإسلامية في القرن الإفريقي وآثارها الحضارية والثقافية (1200-1500م)*" بحث غير منشور قدم لنيل درجة الماجستير ، جامعة أمدرمان الإسلامية ، كلية الآداب - شعبة التاريخ والحضارة، 1985م.

من وثائق المؤتمر العام الأول لحركة الجهاد الإسلامي الإرتري. مكتب إعلام الحركة، د-ت.

محمد صالح ، جلال الدين. *الحركة الإسلامية والعمل السياسي*. لندن، المنتدى الثقافي الإرتري ، 2002.

كرن الإصاله : التراث. لندن ، المنتدى الثقافي الإرتري، د-ت.

مكي، حسن وآخرون. *الإسلام في أفريقيا مجموعة بحوث*. بيروت ودمشق : دار الفكر المعاصر ، 2002.

مقلد الغنيمي، عبد الفتاح. *الإسلام والمسلمون في شرقي أفريقيا*. القاهرة: عالم الكتب، 1998.

المسعودي. *مروج الذهب ومعادن الجوهر ج 2* ، بتحقيق محمد محي الدين عبد الحميد. بيروت : دار المعرفة، 1983.

ناود ، محمد سعيد. *العروبة والإسلام بالقرن الإفريقي*. د-م، د-د، د-ت.

حركة تحرير إرتريا الحقيقة والتاريخ. د-م، د-د، 1996.

النقيرة ، محمد عبد الله. انتشار الإسلام في شرق إفريقيا ومناهضة الغرب له. الرياض: دار المريخ للنشر ، 1982.

ابن هشام ، السيرة النبوية ج 1 ، تحقيق وتعليق سعيد محمد اللحام. دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع، د-ت.

اليقوي. تاريخ اليقوي ج 1. بيروت: دار الكتب العلمية ، 2002.

البلدان. بيروت : دار الكتب العلمية، 2002.

المجلات والجرائد

أبو أيوب، المؤتمرات التنظيمية.. المضامين والتطلعات، مجلة الخلاص من منشورات الحزبي الإسلامي الإرتري للعدالة والتنمية العدد 85 نوفمبر 2004م.

إيلوس ، محمود عثمان. القيمة المفقودة في حوارات القوى السياسية الإرترية المعارضة ، مجلة دراسات القرن الإفريقي ، العدد الثاني ، أكتوبر 2004م.

--- النخب الثقافية الإسلامية في إرتريا ، مجلة النهضة الإرتري بتاريخ 25-10-2013م

<http://www.alnahda1.8m.com/2012/04.htm>

تسفاطيون مدهاني. " إرتريا كوطن أم : المشكلات والتحديات التاريخية والراهنة. ترجمة زين العابدين محمد علي. النهضة الإرترية ، 2012.

<http://www.alnahda1.8m.com/2012/04.htm>

صالح، أحمددين ، التعايش في إرتريا بين الثنائية والتعددية اللغوية والثقافية ، مجلة دراسات القرن الإفريقي
العدد 4 ، 2005م .

محمد نور، عثمان. الإرهاب في إرتريا بين الحقيقة والإدعاء ، مجلة دراسات القرن الإفريقي ، العدد 3 (2005) .

كومار ريسنكة. ما هو التعايش؟ ترجمة ذاكر آل حبيب ،مجلة الكلمة العدد 68 نوفمبر 2010م
www.kalema.net.

الرباط نشرة شهرية تصدرها أمانة الشؤون السياسية والإعلام بالحزب الإسلامي الإرتري للعدالة والتنمية،
العدد 48 مارس 2007.

جريدة الشرق الأوسط ، 8 أغسطس 2004.

الجزيرة نت ، 1 - 11 - 2007 ، 30-6-2005.

- Ellingson, Lloyd. "The Emergence of Political Parties in Eritrea 1941-1950." *Journal of African History* 18, 1977: 261-281.
- Gebremedhin, Gorden. *Peasants and Nationalism in Eritrea: A Critique of Ethiopian Studies*. Trenton: Red Sea Press, 1989.
- Joseph L. Venasa. *Faith in the Nation: Examining the Contributions of the Eritrean Muslims in the Nationalist Movement 1946-1961*. MA degree in Ohio University , 2007.
- Miran, Jonothan. "A Historical overview of Islam in Eritrea." *Des Welt des Islams* 45-2, 2005: 178-215.
- Negash, Tekeste. *Eritrea and Ethiopia: The Federal Experience*. New Brunswick: Transaction Publishers, 1997.
- Aberra, yassin. "Muslim intitutions in Ethiopia:the Asmara awqaf." *the journal of the institute of muslim minority affairs*,5, Edward ,Ullendorff. *The Ethiopians: An introduction to country and people*. London, 1983
- Marcus, Harold G. *the life and times of Menelik II : Ethiopia 1844-1931*. Oxford, 1975.
- Pateman, ROY. *Eritrea even the stones are Burning*. Trenton: Red Sea Press, 1990.
- Connel, Dan. *Against all Odds: A Chronicle of the Eritrean revolution*. Trenton: The Red Sea Press, 1993.

H.Longrigg, Stephen. *A Short history of Eritrea*. Oxford: Clarendon Press, 1945.

Trimingham, J, Spencer. *Islam in Ethiopia*. Great Britain: Frankcass &company limited, 1952.

Haggai, Erlich. *The struggle over Eritrea,1962-1978*. California: Hoover Institution Press, 1983.

Mordechai, Ibir. *Ethiopia, The Era of the princes*. London: Longman, 1968.

Kibreab, Gaim. *Critical Reflections on the Eritrean War of Independence*. Trento & Asmara: Red sea press, 2008.

Medhani, Tesfatsion. *Eritrea and Neighbours in the New world order: Geopolitics, Democracy and Islamic Fundamentalism*. Hamburg: Munster Hamburg Lit, 1994.

Iyob, Ruth. *the Eritrean Struggle for Independence, 1941 – 1993*. Cambridge: Cambridge University Press, 1997.

- الوثائق

بيان حركة تحرير إرتريا الشفة (الثوار) الصادر بتاريخ 15-11-1961م.

بيان مؤتمر أدوجبا الصادر بتاريخ 25-8-1969.

بيان تصفية الثورة المضادة الصادر من المجلس الثوري لجهة التحرير الإرترية ، بتاريخ 15-5-1972.

البيان الختامي للمؤتمر الأول للإتحاد الإسلامي للطلاب والشباب الإرتري الصادر بتاريخ 19 فبراير

1987م.

البيان الختامي للمؤتمر الأول لحركة الجهاد الإسلامي الإرتري الصادر بتاريخ 30-11-1988م

بيان حركة الجهاد القيادة العسكرية 1-8-1993م.

بيان حركة الجهاد القيادة التنفيذية 11-9-1993.

ملف الانشقاق الذي أعدته آنذاك حركة الجهاد الإسلامي الإرتري جناح عرفة ، إرشيف الحزب الإسلامي الإرتري للعدالة والتنمية.

حركة الجهاد الإسلامي الإرتري ، ورقة سياسة الانفتاح الشامل ، الصادرة في 17 إبريل 1995م ، من إرشيف الحزب الإسلامي الإرتري للعدالة والتنمية.

حامد صالح تركي ورقة : الثوابت الوطنية الإرتريّة والعوائق التي تحول دون الاجماع الوطني حولها، المقدمة إلى سمنار الجمعية الإرتريّة للسلام والديمقراطية بالسويد عام 2002م.

الورقة التي أعدها الاتحاد الإسلامي للطلاب الإرتريين بمرور 27 عاما من التأسيس تحت عنوان : الاتحاد الإسلامي للطلاب الإرتريين في 27 عاما الكسب والتطور ، عام 2015.

البيان الختامي للمؤتمر الأول للاتحاد الإسلامي للمرأة الإرتريّة الصادر بتاريخ 11-4-1999م.

بيان حركة الجهاد الإسلامي الإرتري [جناح عرفة ، حول عدوان إثيوبيا ضد إرتريا ، الصادر بتاريخ 7-6-1998م .

البيان الختامي للمؤتمر الأوّل للاتحاد الإسلامي للطلاب والشباب الإرتري ، 19 فبراير 1987م.

الميثاق السياسي لحركة الخلاص الإسلامي الإرتري ، أغسطس عام 1998م.

الميثاق السياسي للحزب الإسلامي الإرتري للعدالة والتنمية ، عام 2004 .

وثيقة العهد الأرتري : نحو سلام عادل ومستدام. الصادرة من مجلس ابراهيم المختار بتاريخ 14 - 2 - 2010 م.

المقابلات

- مقابلة سيد محمد أحمد هاشم من مؤسسي جبهة التحرير الإرترية وعضو المجلس الأعلى للجبهة ورئيس مكتبها في السودان أجرى المقابلة معه محمد نور أحمد بتاريخ 29-09-1994م والمقابلة منشورة في موقع عوننا وعدوليس.
- مقابلة جلال الدين محمد صالح، أكاديمي و أستاذ جامعي إرتري ، أجرى المقابلة معه الباحث في لندن 2012/10/29م.
- محمد إسماعيل عبده ، "عضو القيادة الثورية في جبهة التحرير الإرترية عام 1965م ، عضو المجلس الثوري 1975م ، رئيس منظمة الرواد المسلمين الإرترية عام 1981م ، نائب أمير حركة الجهاد الإسلامية الإرتري عام 1988م، رئيس مجلس الشوري لحركة الخلاص عام 1996م ،ورئيس مجلس الشورى للحزب الإسلامي العدالة والتنمية عام 2004م إلى أن توفي عام 2008" أجرى المقابلة معه إخوان أون لاين بتاريخ 3-10-2001م. والمقابلة موجودة بالصوت والصورة في الرابط التالي: <http://ikhwantube.org/video>.

- حامد صالح تركي، أحد العناصر المتعلمة التي واكبت العمل الثوري في إرتريا ، حيث عمل في مكاتبها الخارجية ثم قاضياً في المحكمة العليا فيها إلى أن سجن من قبل الجبهة عام 1978م بتهمة إنشاء تنظيم سري داخل الجبهة. ومن مؤسسي وقيادي منظمة الرواد المسلمين الإرترية 1981 ، حركة الجهاد الإسلامي الإرتري 1988م ، حركة الخلاص الإسلامية الإرترية 1996،

الحزب الإسلامي الإرتري 2004 إلى أن توفي عام 2014. وكان يعتبر من السياسيين الحذقين المخضرمين القلائل الذين تتوفر فيهم إمكانيات التنظير وخبرة العمل في الساحة الإرترية، أجرى المقابلة معه الباحث في الخرطوم بتاريخ 30-12-2012م.

- محمد علي محمود، "أحد مؤسسي العمل التنظيمي للإخوان المسلمين في إرتريا"، أجرى المقابلة معه الباحث في الخرطوم 11-1-2013م.

- علي محمد محمود "هو أول رئيس منتخب لقيادة الحركة الإسلامية الإرترية عام 1979 م و أحد العناصر القيادية في حركة الجهاد الإسلامي الإرتري 1988م ثم حركة الخلاص الإسلامية الإرترية 1996، ثم الحزب الإسلامي الإرتري 2004 والآن يشغل أمين الأمانة السياسية في الحزب الإسلامي الإرتري للعدالة والتنمية". أجرى المقابلة معه الباحث عبر الوسائط الإلكترونية أسكاي بي بتاريخ 7-8-2014م وأجرى معه الباحث مقابلة ثانية في الخرطوم بتاريخ 10-15-2015م.

- إدريس علي نور محمد (أبو آمنة الدولي)، "أحد العناصر القيادية في الحركة الإسلامية الإرترية ثم حركة الجهاد الإرتري ثم في الحزب الإسلامي الإرتري للعدالة والتنمية" أجرى المقابلة معه الباحث بفندق مروي الخرطوم 29/12/2012م.

- إدريس الشيخ حامد، أحد أوائل الطلاب الذين انتظموا في صفوف الحركة الإسلامية الإرترية في سبعينات القرن الماضي، أجرى المقابلة البحثية معه الباحث في لندن 25/2/2013م .

- عثمان محمد نور، "أحد القيادات الشابة في الحركة الإسلامية الإرترية ثم في حركة الجهاد الإسلامي الإرتري ثم حركة الخلاص الإسلامي الإرتري ثم الحزب الإسلامي الإرتري للعدالة والتنمية". أجرى المقابلة البحثية معه الباحث في الخرطوم 29-12-2012م.

- علي سليمان محمد، " أحد العناصر القيادية في الاتحاد الإسلامي لطلبة إرتريا ، ثم حركة الجهاد الإسلامي الإرتري ثم حركة الإصلاح الإسلامي الإرتري " أجرى المقابلة معه الباحث في كسلا السودان 2012/12/15م.
- حسن محمد سلمان" أحد العناصر القيادية في الاتحاد الإسلامي لطلبة إرتريا ، ثم حركة الجهاد الإسلامي الإرتري ثم حركة الإصلاح الإسلامي الإرتري ثم رئيسا للمؤتمر الإسلامي الإرتري " أجرى المقابلة معه الباحث في الخرطوم السودان (2012/12/12م) .
- أبو حامد المدني " أحد العناصر القيادية في حركة الجهاد الإسلامي الإرتري ثم حركة الخلاص الإسلامي الإرتري ثم الحزب الإسلامي الإرتري للعدالة والتنمية". أجرى المقابلة معه الباحث في الخرطوم 2013-1-10.
- عرفة أحمد محمد ، أمير حركة الجهاد الإسلامي الإرتري السابق أجرى المقابلة معه الباحث في الخرطوم بتاريخ 2012-12-30.
- أحمد الدين صالح " أحد العناصر القيادية في الحزب الإسلامي الإرتري للعدالة والتنمية " أجرى المقابلة معه الباحث في كوالالمبور ماليزيا 2014-3-1م.
- عبدالله إسماعيل "أحد العناصر القيادية في الحزب الإسلامي الإرتري للعدالة والتنمية " أجرى المقابلة البحثية معه الباحث في الخرطوم 2012-12-24.
- محمد طه توكل ، " صحفي ورئيس مركز الخليج العربي في أديس أبابا" أجرى المقابلة البحثية معه الباحث في لندن 2013-5-10 م .
- على عبد العليم، "أحد العناصر القيادية في حركة الجهاد الإسلامي الإرتري ثم حركة الخلاص الإسلامي الإرتري ثم الحزب الإسلامي الإرتري للعدالة والتنمية" ، أجرى المقابلة البحثية معه الباحث. الخرطوم 2013 -1-15.

- خليل محمد عامر ، "الأمين العام السابق للحزب الإسلامي الإرتري للعدالة والتنمية " أجرى المقابلة البحثية معه الباحث في الخرطوم السودان، 29-12-2012.
- محمد داود الأمين "أول رئيس للإتحاد الإسلامي للطلاب والشباب الإرتري عام 1986م و أحد العناصر القيادية في الحزب الإسلامي الإرتري للعدالة والتنمية" أجرى المقابلة البحثية معه الباحث في الخرطوم ، 20-12-2012م .
- أحمد سليمان " رئيس الإتحاد الإسلامي للطلاب الإرتريين " أجرى المقابلة البحثية معه الباحث في الخرطوم السودان ، 20-12-2012م.
- آمنة محمد نور " رئيسة الإتحاد الإسلامي للمرأة الإرترية"، أجرى المقابلة البحثية معها الباحث في الخرطوم السودان ، 22-12-2012.
- باسم القروي "أحد العناصر القيادية في حركة الجهاد الإسلامي الإرتري ثم حركة الخلاص الإسلامي الإرتري ثم الحزب الإسلامي الإرتري للعدالة والتنمية. أجرى المقابلة البحثية معه الباحث في الخرطوم ، 24-12-2012.
- عبدالله محمد إدريس ، أحد العناصر القيادية في حركة الجهاد الإسلامي الإرتري ثم حركة الخلاص الإسلامي الإرتري ثم الحزب الإسلامي الإرتري للعدالة والتنمية، أجرى المقابلة البحثية معه الباحث في كسلا ، 19-12-2012 .
- حامد أحمد اسكول ، أحد العناصر القيادية في حركة الجهاد الإسلامي الإرتري ثم حركة الخلاص الإسلامي الإرتري ثم الحزب الإسلامي الإرتري للعدالة والتنمية. أجرى المقابلة البحثية معه الباحث في كسلا ، 19-12-2012.

مواقع الانترنت

الحزب الإسلامي الإرتري للعدالة والتنمية " www.al-khalas.org "

www.awate.com موقع عواتي

www.mukhtar.ca موقع (الشيخ) إبراهيم المختار

www.awna1.com موقع عوننا "

www.farajat.net موقع فرجت

www.alnahda1.8m.com النهضة

www.kalema.net مجلة الكلمة

[ttp://www.ikhwanonline.com](http://www.ikhwanonline.com) إخوان أونلاين

www.abunawall.blogspot.com مدونة (الشيخ) أبو نوال

<http://www.aljazeera.net> موقع قناة الجزيرة

**THE ERITREAN ISLAMIC MOVEMENT AND ITS POLITICAL
ROLE IN ERITREA: CASE STUDY OF THE ERITREAN
ISLAMIC PARTY FOR JUSTICE AND DEVELOPMENT**

IDRIS ABUBEKER IBRAHIM

ACADEMY OF ISLAMIC STUDIES

UNIVERSITY MALAYA

KUALA LUMPUR

2016